

سنة ١٢٨٥

الكوكب الكبري

في تراجم السادة الصوفية

الطبقات الكبرى

تأليف
زين الدين محمد بن العربي

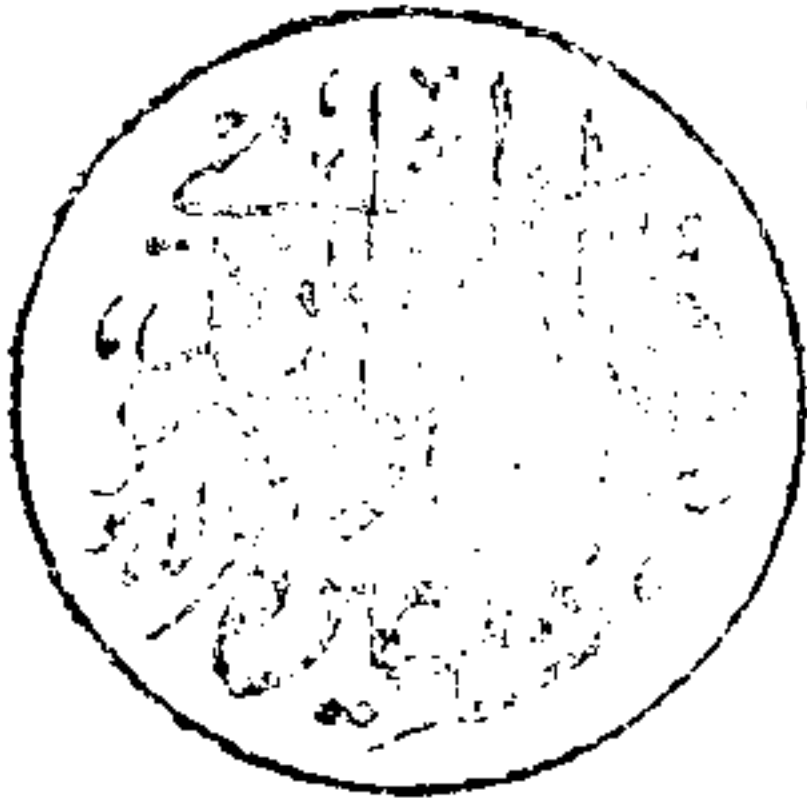
مطبعة
دار السلام

دار السلام

طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ

الكوكب اللدني

في تراجم السادة الصوفية



الطَبَقَاتُ الكُبْرَى

تأليف

زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي

(٩٥٢ - ١٠٢١)

تحقيق

محمد أديب الجادر

الجزء الأول

القسم الثاني

طار طاهر

بيروت

129150

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1999

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخريبه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستانية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

تأسست سنة ١٨٦٣



دار صادر

COPYRIGHT © DAR SADER Publishers
P.O.B. 10 Beirut, LEBANON

دار صادر للطباعة والنشر

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

فاكس (+961) 04.910270

e-mail: dsp@darsader.com

حرف الطاء المهملة

(١٢٣) طاووس بن كيسان (*)

طاووس بن كيسان، الْمُتَفَقَّهُ اليَقْظَان، الْمُتَعَبَّدُ المِخْشَان، الإمام أبو عبد الرحمن الحِمَيْرِيُّ اليمانيُّ التَّابِعِيُّ الكَبِير.

كان من فضلاء الصَّالِحِينَ، وَعُلَمَاءِ العَابِدِينَ، وَعَظَّ وَتَكَلَّمَ على المَنَابِرِ، وَحَضَرَ مَجْلِسَهُ الأَعْيَانُ والأَكَابِرُ، أَصْلُهُ من الفُرْسِ، وَأُمُّهُ حِمَيْرِيَّةٌ، وَكَانَ يَسْكُنُ مَدِينَةَ الجَنْدِ، وَيَتَرَدَّدُ إلى صَنْعَاءِ.

وأدرِكُ خَمْسِينَ صَحَابِيًّا^(١).

صَلَّى الصُّبْحَ بوضوءِ العِشَاءِ أربَعِينَ سَنَةً.

وَحَجَّ أربَعِينَ حَجَّةً.

(*) الزهد لأحمد بن حنبل ٣٧٥، طبقات ابن سعد ٥/٥٣٧، طبقات خليفة ٢٨٧، تاريخ خليفة ٣٣٦، التاريخ الكبير للبخاري ٤/٣٦٥، المعارف ٤٥٥، الجرح والتعديل ٤/٥٠٠، الثقات لابن حبان ٤/٣٩١، حلية الأولياء ٤/٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٣، الأنساب ٣/٣٢٠، صفة الصفوة ٢/٢٨٤، المختار من مناقب الأخيار ٢١٧/أ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٥١، وفيات الأعيان ٢/٥٠٩، تهذيب الكمال ١٣/٣٥٧، سير أعلام النبلاء ٥/٣٨، تذكرة الحفاظ ١/٩٠، تاريخ الإسلام ٤/١٢٦، طبقات القراء ١/٣٤١، العبر ١/١٣٠، الوافي بالوفيات ١٦/٤١٢، العقد الثمين ٥/٥٨، تهذيب التهذيب ٥/٨، طبقات الخواص ٦١، طبقات الشعراني ١/٣٩، النجوم الزاهرة ١/٢٦٠، شذرات الذهب ١/١٣٣. قيل: اسمه ذكوان وطاووس لقب، قال يحيى بن معين: سمي طاووساً، لأنه كان طاووس القراء تهذيب الكمال ١٣/٣٥٨.

(١) في (أ): صحابياً على الأصح.

قال الغزالي رحمه الله: وكان عَظِيمَ الوَرَعِ، جدّاً، ففعلَ ابنٌ له كتاباً على لسانه إلى عمر بن عبد العزيز، فأعطاه ثلاث مئة دينار، فباع طاووسٌ ضيعةً له، فبعثَ بها إلى عمر، هذا مع أنّ السُّلطانَ مثلُ عمر.

قال الغزالي رحمه الله: فهذه هي الدَّرَجَةُ العُلَيَا في الوَرَعِ.

ودخلَ على أخي الحجَّاج^(١) في غَدَاةٍ بارِدَةٍ، فقال لُغلامه: هلمَّ الطَّيْلَسَانِ، فألقِه عليه. فحرَّكَ كَتْفِيهِ حتى سقطَ، فغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً، فقيلَ له: كنتَ غنيّاً عن غضبه، لو أخذتُه وتصدَّقْتَ به. قال: نعم، لولا أن يُقالَ بعدي: أخذه طاووس ولا يُصنعُ ما أصنعُ به.

وأُدخِلَ على هشام بن عبد الملك، فقال: كيفَ أنتَ يا هشام؟ فغَضِبَ، وقال: لِمَ لا تُخاطِبُنِي بِأمرَةِ المؤمنين؟ قال: لأنَّ جميعَ المؤمنينَ ما اتَّفَقوا على خِلافَتِكَ؛ فخِفْتُ الكَذِبَ.

فَمَنْ أَمَكَّنَهُ^(٢) أن يتحرَّزَ هذا التَّحرُّزَ فليُخالِطِ النَّاسَ، وإلَّا فليَرِضَ بِإثباتِ اسمه في جريدةِ المُنافقين.

ومن كلامه:

لا تُنزِلْ حاجتَكَ بِمَنْ يُغْلِقُ دونَكَ بابَهُ، ويجعلُ دونها حُجَّابَهُ، بل أنزلها بِمَنْ بابُهُ لك مَفْتُوحٌ، وفضلهُ لك مَمْنوحٌ، وأمرَكَ أن تدعوهُ، ووعدكَ بالإجابةِ وبالفتوحِ.

وقال: ما مِنْ شيءٍ يأتي من ابنِ آدمَ إلا أُحصِيَ عليه، حتى أنينُهُ في مرضه.

وقال: لا يَتَمُّ نُسُكُ الشَّابِّ حتى يتزوَّجَ.

واستأذَنَ رجلٌ عليه، فخرجَ له شيخٌ، فقال: أنتَ طاووس؟ قال: ابنه. قال: إن كنتَ ابنَهُ، لقد خَرِفَ. قال: إنَّ العالمَ لا يَخْرِفُ. ثم قال: إذا دخلتَ

(١) وهو محمد بن يوسف استعمله الحججاج على اليمن، توفي سنة ٩١ للهجرة.

(٢) في (أ): قال الغزالي: فمن أمكَّنَهُ...

عليه فأوجز. فدخلت^(١)، فقال: إذا سألت فأوجز. قلت: إن أوجزت لي أوجزت لك، قال: إنني أجمع لك في مجلسك هذا علم التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. قلت: نعم. قال: خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وأزجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

وقال: ارقص للقردي في زمانه.

وقال: صاحب العقلاء تُنسب إليهم، وإن لم تكن منهم، ولا تُصاحب الجهال تُنسب إليهم وإن لم تكن منهم.

وقال: لكل شيء غاية، وغاية المرء^(٢) حُسن عقله.

وقال: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة، فلما خلقتُم سكنت.

ومرَّ برجلٍ نائمٍ في وقتِ السحرِ، فقال: ما هذا؟ ما كنتُ أظنُّ أنَّ أحداً من المسلمين ينامُ وقتَ السحرِ.

ومشى^(٣) معه رجلٌ فنَعَقَ غرابٌ، فقال: خير. على عادة الجَهْلَةِ، فغَضِبَ وقال: أيُّ خيرٍ أو شرٍّ عنده^(٤) يا جاهل؟! الأمورُ كلها بيدِ الله، منه مصدرُها وإليه مرجعُها، ليس لغيره فيها مشيئةٌ.

وقعدَ إليه ولدُ سليمان بن عبد الملك وهو خليفةٌ، فلم يحتفلْ به، ولم يلتفتْ إليه، فقيلَ له: ابنُ أميرِ المؤمنين؟ قال: أردتُ أن أعلمَهُ أنَّ الله عباداً يزهّدونَ فيه، وفي أبيه، وفيما بأيديهم.

وحجَّ عمرُ بن عبد العزيز قبل أن يُستخلفَ فمرَّ بطاووس وهو يَحْتالُ في

(١) جاء في تهذيب الكمال ٣٦١/١٣: عن أبي عبد الله الشامي: استأذنت على طاووس

لأسأله عن مسألة، فخرج عليّ شيخ كبير فظننت أنه طاووس، قلت...

(٢) في المطبوع: وغاية كل الناس.

(٣) في المطبوع: وكان.

(٤) هنا ينتهي الخبر في حلية الأولياء ٤/٤، ٥، وفي تهذيب الكمال ٣٦٢/١٣، وسير

أعلام النبلاء ٤٠/٥.

مِشِيته، فغمزَ جنبَهُ بأُصبعه، وقال: ليستَ هذه مِشِيّة مَنْ فِي بَطْنِهِ الخِراءُ. فقال كالمعتذر: يا عمّ، قد ضُربَ كلُّ عَضْوِ مَنِي على هذه المِشِيّة حتّى تعلّمتُها. وكانَ من أشدَّ النَّاسِ وَرَعاً بحيثُ لا يَشْرَبُ من المِياهِ التي أحدثتها المُلوكُ بمكَّةَ وطُرُقِها.

وكان إذا رأى ناراً طاشَ عقله.

ولمّا احتضِرَ قال لولده: إذا وَضَعْتَنِي باللَّحْدِ، وَنَصَبْتَ اللَّبْنَ، ولم يَبْقَ غيرُ قَليلٍ، انظُرْ فَإِنْ وَجَدْتَنِي فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَاحمَدِ الله. ففعلَ ابنُه ذلك، فما عَرَفَ النَّاسُ الحالَ إلاّ بتهلُّلِ وجهه.

ماتَ يومَ التَّروية^(١) بمُزدلفَةَ، أو بمَنى سنةً ستَّ ومئةً على الأشهرِ، عن بضعٍ وسبعينَ سنةً.

ولمّا حُمِلَ على التَّعشِ، أخذَ عبدُ الله بنَ الحسنِ بنَ الحسنِ^(٢) بنَ عليّ رضي الله عنهم بقائمةِ السَّريرِ، فحملهُ وسارَ حتّى وصلَ القَبْرَ، ولم يَدْعُ أحداً يُزاحمُهُ عليه.

* * *

(١٢٤) طَلْحَةُ بنُ مُصَرِّفِ الهَمْدَانِي (*)

طلحة بن مُصَرِّفِ الهَمْدَانِي الكُوفِي المُحدِّثُ، الصُّوفِيّ.

كان من أعظم النَّاسِ وَرَعاً وزُهَداً، وأرفعِهِم منزلةً، وأسماهم سَعِداً، له حرمةٌ ومهابةٌ، وفَضيلةٌ وإصابةٌ، صوفيٌّ لاحت أنوارُ جَمالِهِ، وظَهَرَت مَحاسِنُ

(١) يوم التروية: اليوم الثامن من ذي الحجة، لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء لما بعده. متن اللغة (روي).

(٢) في الأصول: عبد الله بن الحسين بن علي، والمثبت من تهذيب الكمال ٣٧٣/١٣، وسير أعلام النبلاء ٤٥/٥.

(*) طبقات ابن سعد ٣٠٨/٦، تاريخ خليفة ٢٨٧، ٣٤٥، طبقات خليفة ١٦٢، التاريخ الكبير للبخاري ٣٤٦/٤، الجرح والتعديل ٤٧٣/٤، الثقات لابن حبان ٣٩٣/٤ =

جَلالِهِ، وَمُسْلِكٌ يُسْتَنْدُ إِلَى رُكْنِهِ، وَيُعْتَمَدُ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ، وَيُلْتَمَسُ مِنْ يُمْنِهِ.

ومن كلامه :

أَدْرَكْنَا أَقْوَاماً نَرَى أَنْفُسَنَا فِي جَنْبِهِمْ لُصُوصاً، وَنَرَى كَثْرَةَ أَعْمَالِنَا لِعِبَاءٍ.

وقال : ما عَاتَبَ أَحَدٌ أَخَاهُ إِلَّا وَقَلَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

وقال : أَكْرِمُوا سُفْهَاءَكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ الْعَارَ وَالنَّارَ .

وَضَحِكُ يَوْمًا فَوَثَبَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ : فِيمَ الضَّحِكُ ؟ ! إِنَّمَا يَضْحَكُ مَنْ

قَطَعَ الْأَهْوَالَ، وَجَازَ الصُّرَاطَ . وَلَمْ يَضْحَكْ بَعْدَهَا قَطُّ .

أَسْنَدَ الْحَدِيثَ عَنْ : أَنَسٍ، وَغَيْرِهِ .

وخرَّجَ لَهُ الْجَمَاعَةُ .

مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِئَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* * *

= حلبة الأولياء ١٤ / ٥ ، الإكمال لابن ماكولا ٧ / ٤٤٢ ، صفة الصفوة ٣ / ٩٦ ، المختار من مناقب الأخيار ٢١٩ / أ ، تهذيب الكمال ١٣ / ٤٣٣ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٥٣ ، سير أعلام النبلاء ٥ / ١٩١ ، تاريخ الإسلام ٤ / ٢٦٠ ، العبر ١ / ١٣٩ ، غاية النهاية ١ / ٣٤٣ ، الوافي بالوفيات ١٦ / ٤٨٣ ، تهذيب التهذيب ٥ / ٢٥ ، طبقات الشعراني ١ / ٤٣ ، شذرات الذهب ١ / ١٤٥ . وسيرجم له المؤلف ثانياً في الطبقات الصغرى ٤ / ٣٥٢ .

حرف العين المهملة

(١٢٥) عامر بن عبد الله (*)

عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد قيس العنبري البصري المراقب المستحي، المُسَالِمُ المُسْتَضِي، وقد قيل: التَّصَوُّفُ انتصابٌ لارتقاء، وارتقاءٌ لالتقاء.

وهو أحد الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد في التابعين، وقصدوا من آفاق، واشتهروا بين العالمين^(١).

وكان مالك بن دينار يقول: هو راهب هذه الأمة.

وكان يبيت قائماً، ويظلُّ صائماً، وفرَضَ على نفسه كلَّ يومٍ وليلةً ألفَ رَكعة، حتى انتفخت ساقاه من طول القيام، ويقول: يا نفسُ، بهذا أمِرتِ، ولهذا خلقتِ، يوشكُ أن يذهب العناء.

(*) طبقات ابن سعد ١٠٣/٧، طبقات خليفة ١٩٤، الزهد لأحمد بن حنبل ٢١٨، التاريخ الكبير للبخاري ٤٤٥/٦، المعارف ٤٣٨، الجرح والتعديل ٣٢٥/٦، الثقات لابن حبان ١٨٧/٥، حلية الأولياء ٨٧/٢، تاريخ ابن عساكر عاصم عايد ٣٢٣، صفة الصفوة ٢٠١/٣، المختار من مناقب الأخيار ٢٤٧/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٧٥/١١، تهذيب الكمال ٦٤/١٤، سير أعلام النبلاء ١٥/٤، تاريخ الإسلام ٢٥/٣، الوافي بالوفيات ٥٨٥/١٦، طبقات القراء لابن الجزري ت ١٥٠٢، تهذيب التهذيب ٧٧/٥، الإصابة ت ٦٢٨٠، وحقه أن يكون من رجال الطبقة الأولى؛ فقد توفي في خلافة معاوية.

(١) قال أبو نعيم في الحلية ٨٧/٢: انتهى الزهد إلى ثمانية: عامر بن عبد قيس، وأويس القرني، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبو مسلم الخولاني، والحسن بن أبي الحسن.

وكان يقول لنفسه: قومي يا ماوى كل سوء، وينادي: اللهم، ان النار
منعتني من النوم فاغفر لي.

ورآه كعب الأبار بالشام، فقال: هذا راهب هذه الأمة.

وكان إبليس يتمثل له كالحية فيتلو في محل سجوده، فإذا وجد ريحه
نحاه بيده، ويقول: لولا نتك لم أزل عليك ساجداً.

وصلى يوماً فدخلت حية من ذيله، وخرجت من جيبه، فقيل له: لم
لا تُنحها؟ قال: والله، ما أعلم بها حين تدخل ولا حين تخرج، وإنني لأستحي
من الله أن أخاف غيره.

وجاءه أسد من خلفه، فوضع يديه على كتفيه وهو يتلو: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ جَمُوعٍ لَهُ
النَّاسُ﴾ [هود: ١٠٤] فما قطع تلاوته، فلما وجد الأسد لا يكثر به ذهب.

ومن كلامه:

أحببت الله حُباً سهلاً عليّ كل مُصيبة، ورَضاني بكلّ قضيّة، فما أبالي مع
حُبِّي إيّاه ما أصبحت عليه.

وقال: في الدنيا همُّ والحزن، وفي الآخرة النار والحساب، فأين الراحة
والفرح؟

وكانت تكتفه السباع، وتثب عليه فلا يكثر بها، ويقول: عظمت هيبه الله
في صدري حتى ما أهاب شيئاً غيره.

وقال: عليك بما يرغّبك في الآخرة ويُرهدك في الدنيا، ويُقرّبك إلى الله.

وقال: أصفى الناس إيماناً يوم القيامة أشدّهم مُحاسبةً لنفسه، وأشدّهم
فرحاً في الدنيا، أشدّهم حُزناً يوم القيامة، وأكثرهم ضحكاً في الدنيا، أكثرهم
بُكاء يوم القيامة.

ورأى ذميّاً يُظلم فخلّصه، وكان شديداً في الأمر بالمعروف، فكان ذلك
سبباً لتسييره، فلما سِير للشام شيّعه إخوانه إلى ظهر المرَبِد^(١)، فقال: إنني داع

(١) المرَبِد: من أشهر محال البصرة، وكان به سوق الإبل، ثم صار محلة عظيمة سكنها =

فأمَّنوا. قالوا: قد كُنَّا نَسْتَهِي هذا منك منذُ زمانٍ. فقال: اللَّهُمَّ، مَنْ وَشَا بِي،
وَكَذَبَ عَلَيَّ، وَأَخْرَجَنِي مِنْ مِصْرِي، وَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَانِي، فَأَكْثَرَ مَالَهُ
وَوَلَدَهُ، وَأَصْحَحَ جِسْمَهُ، وَأَطْلَعَ عُمَرَهُ.

ومن كراماته:

أنَّه سأل الله أن يُهَوِّنَ عليه الطَّهَورَ فِي الشِّتَاءِ، فَكَانَ يُؤْتِي بِالْمَاءِ وَلَهُ بُخَارٌ.
وَقِيلَ لَهُ: وَقَعَتِ النَّارُ بِدَارِكَ. فقال: إِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَلَمَّا
بَلَغَتِ النَّارُ دَارَهُ عَدَلَتْ عَنْهَا.

ومنها: أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَافَرَ صَحِبَ رَكُوعًا، فَإِنْ شَاءَ صَبَّ مِنْهَا زَيْتًا، أَوْ مَاءً، أَوْ
لَبَنًا، أَوْ عَسَلًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

وكان معه بعضُ دَرَاهِمٍ يُنْفِقُ مِنْهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَلَا تَنْقُصُ أَبَدًا.

ومنها: أَنَّهُ كَانَ فِي قَافِلَةٍ فَاعْتَرَضَهَا أَسَدٌ فَحَبَسَهَا، فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قالوا:
الأسد. فمَرَّ إِلَيْهِ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ، وَمَرَّتِ الْقَافِلَةُ.

ومنها: أَنَّهُ عَارَضَ جَيْشَ الرُّومِ عَلَى بَغْلَةٍ وَحَدَّهُ وَرَجِعَ سَالِمًا.

ومنها: أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ عَطَاءَهُ فَيَجْعَلُهُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ، فَلَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا
أَعْطَاهُ، فَإِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ رَمَى بِهِ إِلَيْهِمْ، فَيَعِدُّونَهَا فَيَجِدُونَهَا سِوَاءَ كَمَا أُعْطِيهَا لَمْ
يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْءٌ. أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ».

وقال: وَوُشِيَ بِهِ إِلَى عَثْمَانَ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَمَرَ بِنَفِيهِ إِلَى الشَّامِ عَلَى قَتَبٍ^(٢)،

= الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء، ومجالس الخطباء، معجم البلدان.

(١) إنما وشي به إلى زياد بن أبيه، وزياد كتب إلى عثمان أن هاهنا رجلاً قيل له: ما إبراهيم
خير منك، فسكت، وقد ترك النساء. وقد أجاب عامر عن هذا بقوله: أما والله
ما سكوتي إلا تعجباً، لوددت أني كنت غباراً على قدميه، فيدخل بي الجنة. وعن
النساء قال: والله ما تركتهن إلا أني علمت أنها متى تكن امرأة فعسى أن يكون ولد،
ومتى يكن ولد تشعبت الدنيا قلبي. انظر تاريخ ابن عساكر ٣٣٢. وإنما كان السبب في
نفيه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والأخذ على الأمراء كما مرَّ في خبر الدمى آنفاً.

(٢) القتب: رحل صغير على قدر السنام. متن اللغة (قتب).

فأنزله معاوية الخضرَاء، وبعث إليه بجارية، وأمرها أن تُعلِّمه بحاله، فكان يقوم الليل كله، ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً، فكتب معاوية إلى عثمان رضي الله عنه يُعلمه بحاله، فأمره أن يُدنيه ويصِّله، فقال: لا أرب لي فيكم.

وسأل الله أن يتزع من قلبه شهوة النساء، فكان لا يُبالي ألقى ذكراً أم أنثى، أورده في «الإصابة» في القسم الثالث^(١) فيمن أدرك المصطفى ﷺ ولم يره. وقال أبو موسى في «الذيل»: أدرك الجاهلية.

مات في خلافة معاوية، ودُفِنَ ببيت المقدس.

قال ابن الجوزي^(٢): روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية.

* * *

(١٢٦) عبد العزيز بن أبي رواد^(*)

عبد العزيز بن أبي رواد العابد السَّجَّاد، الشَّاكِرُ العَوَّاد، كان بالعبادة مُتَنَعِّماً، وللمصائب والمحن مُتَكْتِماً، وقد قيل: إنَّ التَّصَوُّفَ تعدادُ العَطَايا، وكتمانُ الرِّزَايا.

(١) الإصابة في بداية ترجمة رقم (٦٢٨٠).

(٢) صفة الصفوة ٣/٢١١.

(*) طبقات ابن سعد ٥/٤٩٣، تاريخ خليفة ٤٢٩، طبقات خليفة ٢٨٣، التاريخ الكبير للبخاري ٦/٢٢، التاريخ الصغير للبخاري ٢/١٠٥، ضعفاء العقيلي ٣/٦، الجرح والتعديل ٥/٣٩٤، المجروحين لابن حبان ٢/١٣٦، الكامل لابن عدي ٥/٢٩٠، حلية الأولياء ٨/١٩١، صفة الصفوة ٢/٢٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٠/أ، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/٣٠٧، تهذيب الكمال ١٨/١٣٦، سير أعلام النبلاء ٧/١٨٤، تاريخ الإسلام ٦/٢٣٩، العبر ١/٢٣٢، ميزان الاعتدال ٢/٦٢٨، الوافي بالوفيات ١٨/٤٨١، العقد الثمين ٥/٤٤٦، تهذيب التهذيب ٦/٣٣٨، طبقات الشعراني ١/٦١، شذرات الذهب ١/٢٤٦.

ذَهَبَ بَصْرُهُ عَشْرِينَ سَنَةً، وَلَمْ يُشْعَرْ بِهِ أَهْلُهُ وَلَا وَلَدُهُ، فَتَأَمَّلْهُ ابْنُهُ يَوْمًا فَقَالَ: يَا أَبَتِ، ذَهَبَتْ عَيْنُكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، الرَّضَا عَنِ اللَّهِ أَذْهَبَ عَيْنَ أَبِيكَ.

وَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ إِذْ طَعَنَهُ الْمَنْصُورُ فِي الطَّوَافِ بِأَصْبَعِهِ فِي خَاصِرَتِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهَا طَعَنَةُ جَبَّارٍ.

وَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَبَكَى، وَقَالَ: أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ فِي غَفْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَنِ الْمَوْتِ، مَعَ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أَحَاطَتْ بِي، وَأَجَلٌ يُسْرِعُ كُلَّ يَوْمٍ فِي عُمْرِي، وَلَسْتُ أَدْرِي عَلَى مَا أَهْجَمُ. ثُمَّ بَكَى حَتَّى أَبْكَى.

وَمِنْ كَلَامِهِ:

مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِثَلَاثٍ لَمْ يَتَّعِظْ بِشَيْءٍ: الْإِسْلَامَ، وَالْقُرْآنَ، وَالشَّيْبَ.

وَقَالَ: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ طَوْلُ الْحَزَنِ.

وَقَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ، وَأَنْذِرِ الصَّادِقِينَ.

فَعَجِبَ، فَقَالَ: نَعَمْ بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ أَنَّهُ لَا يَتَّعَظُمَنِي ذَنْبٌ أَغْفِرُهُ، وَأَنْذِرِ الصَّادِقِينَ أَلَّا يَعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَإِنِّي لَمْ أَضِعْ عَدْلِي وَحِسَابِي عَلَى عَبْدٍ إِلَّا أَهَلَكَ.

أَسْنَدَ الْحَدِيثَ عَنْ عِدَّةٍ مِنَ التَّابِعِينَ.

* * *

(١٢٧) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ (*)

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ - بَضْمٌ فَفَتْحٌ - الْخَوْلَانِيُّ، حَكِيمُ الْأُمَّةِ وَمُمَثِّلُهَا، وَمُدِيمُ الْخِدْمَةِ وَمُحَرِّزُهَا، الْمُتَخَلِّيُّ عَنِ الْهُمُومِ، وَالْمُتَسَلِّيُّ بِالْأُورَادِ عَنِ الْغُمُومِ، وَقَدْ قِيلَ: التَّصَوُّفُ: التَّخَلِّيُّ عَنِ الْمُنْقِضِي الْفَانِي، وَالتَّسَلِّيُّ بِالْمَحْتَدِي^(١) الْبَاقِي.

(*) تقدمت مصادر ترجمته في الطبقة الأولى (أبو مسلم) صفحة ٢٢٤.

(١) كذا في الأصول، وفي حلية الأولياء ١٢٢/٢: بالمتحدي الباقي.

كان لا يُجالسُ أحداً تكلمَ في شيءٍ من الدنيا إلاَّ تحوَّلَ عنه .
وقد أدركَ الجاهليَّةَ، وسكنَ الشَّامَ بداريا، وأصلُهُ من البصرة، وقيلَ من
اليمن، وقيلَ هو أبو مُسلم الخولاني المتقدِّم .
ومن كلامه :

كانَ النَّاسُ وَرَقاً لا شوكَ فيه، والآنَ شوكٌ لا ورقَ فيه، إنَّ سببتَهُم سبُّوكَ،
وإنَّ تركتَهُم لم يتركوكَ، وإن تفرَّ عنهم يُدرِكوكَ .

وقال : لو قيلَ لي إنَّ جهنَّمَ تُسعرُ ما استطعتُ الزيادةَ في عملي .

وقال : تركُ الخطيئةِ أهونُ من طلبِ التَّوبةِ .

وقال : لو رأيتُ الجنَّةَ عياناً ما كان عندي مُستزادٌ .

وكان الظُّبيُّ يمرُّ به، فيقول الصَّبِيانُ : ادعُ اللهُ أن يَحْبِسَهُ علينا، فيدعو،
فيُحْبَسُ، فيؤخَذُ باليدِ .

ودخلَ على امرأته فوجدَها حزينَةً فقال : ما لكِ ؟ قالت : لكِ منزلةٌ من
معاويةَ، فاطلُبْ لنا خادِماً . فقال : اللَّهُمَّ، مَنْ أفسَدَ عليَّ امرأتي فاعمِ بصره .
وعندها امرأةٌ ذكرتُ لها ذلك فعميتُ حالاً، فبكتُ واستغاثتُ، فدعا اللهُ فرَدَّ
بصرَها .

ماتَ في زمنِ مُعاوية^(١) .

* * *

(١) في المطبوع : زمن ابن معاوية .

(١٢٨) عبد الله بن غالب (*)

عبد الله بن غالب العابدُ الرَّاتب، المُتشمِّرُ النَّاجِب، المُتَشَوِّقُ الطَّالِب، وقد قيل: التَّصَوُّفُ: الحَذَرُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْهَرَبُ، وَالرَّغْبُ فِي الْعُقْبَى وَالطَّلَبُ. كان يُصَلِّي الصُّحَى مِئَةَ رَكْعَةٍ، وَيَقُولُ: لِهَذَا خُلِقْنَا، وَبِهِ أُمِرْنَا.

وكان يَقْصُرُ^(١) بِمَسْجِدِ الْجَامِعِ زَمَنَ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ لَهُ: شَقَقْتَ عَلَى أَصْحَابِكَ. فيقول: مَا أَرَى أَعْيُنَهُمْ انْفِقَاتٍ، وَلَا ظُهُورَهُمْ انْدَقَّتْ، يَا حَسَنَ، اللَّهُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَذْكُرَهُ كَثِيرًا، وَأَنْتَ تَأْمُرُنَا أَنْ نَذْكُرَهُ قَلِيلًا ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَأَقْتَرِبُ﴾^(٢) [العلق: ١٩].

ولَمَّا كَانَ يَوْمُ الزَّائِيَةِ^(٣) قَالَ: إِنِّي لَأَرَى أَمْرًا مَا [لِي]^(٤) عَلَيْهِ صَبْرٌ، رُوحُوا بِنَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَكَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَكَانَ يَوْجَدُ مِنْ قَبْرِهِ رِيحُ الْمِسْكِ.

* * *

(*) تاريخ خليفة ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، التاريخ الكبير للبخاري ١٦٦/٥، التاريخ الصغير ٢١٠/١، الجرح والتعديل ١٣٤/٥، الثقات لابن حبان ٢٠/٥، حلية الأولياء ٢٥٦/٢، الأنساب ٧٦/٤، صفة الصفوة ٣٣٤/٣، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٧/ب، تهذيب الكمال ٤١٩/١٥، تهذيب التهذيب ٣٥٤/٥.

- (١) في (أ): يقضي.
 (٢) تمة الخبر في تهذيب الكمال ٤٢٠/١٥: ثم سجد، قال الحسن: تالله، ما رأيت كالיום، ما أدري أسجد أم لا.
 (٣) الزاوية موضع قرب البصرة، كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، قتل فيها خلق كثير، وذلك سنة ٨٣ للهجرة. معجم البلدان. وعليه يجب أن يكون من رجال الطبقة الأولى.
 (٤) ما بين معقوفتين مستدرك من حلية الأولياء ٢٥٧/٢.

(١٢٩) عبد الله بن زيد الجرمي (*)

أبو قلابة اللبيب الناصح، الخطيب الفاضح^(١)، كبر إشفاقه فكثرت إنفاقه،
وقد قيل: التصوف: النصح في الإشفاق، والفسح في الأخلاق.
ومن كلامه:

إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادةً، ولا يكن همك أن تُحدث^(٢) به
الناس.

وقال: ما من أحدٍ يريدُ خيراً أو شراً إلا وجد في قلبه أمراً وزاجراً.
وقال: الزم سوقك؛ فإن الغنى من العافية^(٣).

ووجد بعض أصحابه يشتري تمراً رديئاً فقال: كنت أظن أن الله نفعك
بمجالستنا، أما علمت أن الله نزع من كل رديء البركة.

وقال: ما شيء أطيب من الروح، ما نزع من شيء إلا أنتن.

وقال: ما أمت العلم إلا القصاص، يجالس الرجل القاص سنة فلا يتعلق
منه بشيء، ويجلس للعالم ساعة فلا يقوم حتى يتعلق منه بشيء.

وقال: يود قوم كانوا يكتبون في الدنيا أن أقلامهم كانت من نار.

(*) طبقات ابن سعد ٧/١٨٣، طبقات خليفة ٢١١، التاريخ الكبير للبخاري ٥/٩٢،
التاريخ الصغير للبخاري ١/٢٣٥، المعارف ٤٤٦، الجرح والتعديل ٥/٥٧، الثقات
٥/٢، حلية الأولياء ٢/٢٨٢، تاريخ دمشق ٥٣٥، صفة الصفوة ٣/٢٣٨، المختار
من مناقب الأخيار ٢٦٥/أ، مختصر تاريخ دمشق ١٢/٢١٤، تهذيب الكمال
١/٥٤٢، سير أعلام النبلاء ٤/٤٦٨، تذكرة الحفاظ ١/٩٤، تاريخ الإسلام
٤/٢٢١، العبر ١/١٢٧، ميزان الاعتدال ٢/٤٢٥، الوافي بالوفيات ١٧/١٨٥،
البداية والنهاية ٩/٢٣١، تهذيب التهذيب ٥/٢٢٤، النجوم الزاهرة ١/٢٥٤، شذرات
الذهب ١/١٢٦. وفي الأصول (عبد الله بن زيد) والتصحيح من مصادر الترجمة.

(١) جاء في هامش (أ): لعله الفاسح، بدليل ما بعده.

(٢) كذا في الأصول، وفي الحلية ٢/٢٨٣: ولا يكن همك ما تحدث.

(٣) في (ب) و (ف) والمطبوع: العاقبة.

وقال: لا تُجالِسوا أهلَ الأهواءِ، فربُّما غَمَسوكمُ في ضلالتِهِم، أو لبَّسوا^(١) عليكم ما لا تعرفون.

وقال: مثلُ العاصي العالمِ كرجلٍ وقعَ في بحرٍ، فما عسى أن يسبحَ حتى يغرقَ.

وقال له عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه: عِظني. فقال له: من عهدِ آدمَ عليه السَّلام إلى وقتنا هذا لم يبقَ خليفةٌ سِوَاكَ. قال: زدني. قال: إن كان اللهُ معك فمَنْ تخافُ؟ وإن لم يكن معك فإلى مَنْ تلتجئُ؟ فقال: حَسبي حَسبي. ومن كراماته:

أنه خرجَ حاجًّا في يومٍ صائفٍ وهو صائمٌ، فأصابه عطشٌ شديدٌ، فقال: اللّهُمَّ، إنَّكَ قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ تُذْهِبَ عَطْشِي مِنْ غَيْرِ فِطْرِي. فأظلمتْ سحابةٌ على قدره، فأمطرتْ عليه حتى بَلَّتْ ثوبَهُ، وذَهَبَ عَنْهُ الظَّمَا، ولم يُصِبْ أَحَدًا مِنْ رِفْقَتِهِ شَيْءٌ مِنَ المَطَرِ.

ولم يكن في عصره أحدٌ أعلمَ منه بالقضاءِ، فأذنَ به، فهربَ. ومرضَ بالشَّامِ فأتاهُ عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه يَعودُهُ فقال: يا أبا قلابة، تشدَّدْ لا يَشْمَتُ بنا المنافقونَ.

أسندَ عن: أنسٍ، وغيرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ. وأخذَ عنه خلائقٌ.

وماتَ بالشَّامِ سنةَ أربعٍ أو خمسٍ ومئةٍ عن أربعٍ وخمسينَ سنةً.

* * *

(١) في المطبوع: ألْبَسُوا.

(١٣٠) عبد الله بن عون (*)

عبد الله بن عون الحافظُ للسانه، الضابطُ لأركانه، ذو القلبِ السليم، والطريقِ المُستقيم، كان للقرآنِ تالياً، وللجماعةِ موالياً، أعرَضَ عن أعراضِ المُسلمين، وأصبحَ وأمسى وهو عمَّن جنى عليه عافياً، وقد قيل: إنَّ التَّصوُّفَ، بذلُ الندى، وحملُ الأذى.

قال خارجةُ: صحبتهُ أربعةٌ وعشرينَ عاماً فما علمتُ أنَّ الملائكةَ كتبتُ عليه خطيئةً.

وقال ابنُ عباد: ما رأيتُ أعلمَ منه، وما حلفَ يميناً بازاً ولا فاجراً حتى مات.

وقال قرّة^(١): كُنَّا نَعْجَبُ من وَرَعِ ابنِ سيرين وزُهدِهِ فأنساناهُ ابنُ عون.

وكان له جلالَةٌ عجيبة، ووقَّعَ في الثُّفوسِ؛ فإنه كان إماماً في العِلْمِ، رأساً في التَّأَلُّهِ والتَّعَبُّدِ والتَّزَهُدِ، والتريُّضِ والتَّجَرُّدِ، حافظاً لأنفاسه، كبيرَ الشَّانِ، نادتهُ أمُّه يوماً فأجابها فعلا صوتُهُ عليها فأعتقَ رَقَبَةً.

وما دخلَ حمَّاماً قطُّ.

وكان يقول: لا يَنْبَغِي أن تُعَاتِبَ أحداً؛ فَإِنَّكَ إن عَاتَبْتَهُ أَعْقَبَهُ بما هو أشدُّ.

وقال: لن يُصِيبَ عبدٌ حقيقةَ الرِّضَا حتى يكونَ رِضاهُ عندَ الفقرِ كِرضاهُ عندَ الغِنَى.

(*) طبقات ابن سعد ٢٦١/٧، تاريخ خليفة ١٢٨، ١٦٧، ٢٦٤، طبقات خليفة ٢١٩، التاريخ الكبير ١٦٣/٥، التاريخ الصغير للبخاري ١٠٤/٢، الجرح والتعديل المقدمة ١٤٥، و ١٣٠/٥، الثقات لابن حبان ٣/٧، حلية الأولياء ٣٧/٣، تاريخ بغداد ٣٤/١٠، صفة الصفوة ٣/٣٠٨، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٧/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢١٥/١٣، تهذيب الكمال ٣٩٥/١٥، سير أعلام النبلاء ٣٦٤/٦، تاريخ الإسلام ٢١١/٦، تذكرة الحفاظ ١٥٦/١، الوافي بالوفيات ٣٨٩/١٧، تهذيب التهذيب ٣٤٦/٥، الطبقات الكبرى للشعراني ٦٤/١، شذرات الذهب ٢٣٠/١.

(١) في الأصل: مرة. وهو قرّة بن خالد، انظر الخبر في تهذيب الكمال ٤٠٠/١٥.

أَسَدَ الْحَدِيثِ عَنْ أَنَسٍ، وَغَيْرِهِ .
وَمَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَمِئَةً .
خَرَجَ لَهُ السَّنَةُ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

* * *

(١٣١) عبد الله بن المبارك (*)

عبد الله بن المبارك المروزي فخر المجاهدين، قُدْوَةُ الزَّاهِدِينَ، السَّخِيُّ
الْجَوَادُ، الْمُمَهَّدُ لِلْمَعَادِ، الْمَتَزَوِّدُ مِنَ الْوِدَادِ، أَلِيفُ الْقُرْآنِ وَالْحَجَّ وَالْجِهَادِ،
جَادَ فَسَادَ، وَرَجَعَ فَزَادَ^(١)، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّصَوُّفَ: اِعْتِدَادٌ لِازْدِيَادِ، وَاسْتِعْدَادٌ
وَارْتِيَادِ .

وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى جَلَالَتِهِ وَتَقَدُّمِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ مَمَّنْ تُسْتَنْزَلُ الرَّحْمَةُ
بِذِكْرِهِ، وَتُرْجَى الْمَغْفِرَةُ بِحُبِّهِ .

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَهَدْتُ جَهْدِي عَلَى أَنْ أَكُونَ فِي السَّنَةِ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ فَلَمْ أَقْدِرَ .

وَسَمِعَ سُفْيَانُ رَجُلًا يَقُولُ: أَيْنَ ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَالِمُ الْمَشْرِقِ؟ فَقَالَ: عَالِمُ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا .

(*) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٧، طبقات خليفة ٣٢٣، تاريخ خليفة ١٤٦، التاريخ الكبير
للبخاري ٢١٢/٥، التاريخ الصغير ٢٠٥/٢، المعارف ٥١١، الجرح والتعديل
١٧٩/٥، الثقات لابن حبان ٧/٧، حلية الأولياء ١٦٢/٨، تاريخ بغداد ١٥٢/١٠،
ترتيب المدارك ٣٠٠/١، أنساب السمعاني ٢٥١/٤، صفة الصفوة ١٣٤/٤، المختار
من مناقب الأخيار ٢٦٨/أ، تهذيب الأسماء واللغات ٢٨٥/١، وفيات الأعيان
٣٢/٣، مختصر تاريخ دمشق ١٣/١٤، تهذيب الكمال ٥/١٦، سير أعلام النبلاء
٣٣٦/٨ (١١٢)، تذكرة الحفاظ ٢٧٤، غاية النهاية ٤٤٦/١، الوافي بالوفيات
٤١٩/١٧، تهذيب التهذيب ٣٨٢/٥، النجوم الزاهرة ٢٧/٢، الطبقات الكبرى
للشعراني ٥٩/١، شذرات الذهب ٢٩٥/١ .

(١) في الحلية ١٦٢/٢: وروجع فزاد .

وقال الفراء: ابن المبارك إمام المسلمين أجمعين.

وقال ابن معين: هو أعلم من سفيان الثوري رضي الله عنه.

وقال ابن عيَّاش: ما على وجه الأرض مثله، ما خلق الله خصلةً من خصال الخير إلا وجعلها فيه.

وهو من أتباع التابعين، وكان أبوه تركياً مملوكاً لرجلٍ من همدان، وجمع الفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والشعر، والفصاحة، والصيام، والقيام، وقلة الكلام فيما لا يعنيه، وكتب الحديث عن مئة وألف شيخ.

وكان يسيح وحده، شديد الورع جداً، بحيث سافر من مرو إلى الشام في ردِّ قلم استعاره ونسيه في رحله. وسافر، وما دخل حمّاماً قطُّ لشدة تقشُّفه.

وقال له خياط: أنا أخيط ثياب السلاطين، فهل يخاف عليّ أن أكون من أعوان الظلمة؟ قال: لا، إنما أعوان الظلمة من يبيع الخيط والإبرة، أما أنت فمن الظلمة نفسك.

قال الذهبي رحمه الله: كان يتجرّ ويُنْفِقُ على الفقراء في العام مئة ألف درهم.

وقال أبو أسامة: ابن المبارك في أصحاب الحديث كأمر المؤمنين في الناس.

وقال رجلٌ له: يا عالم المشرق، حدثنا، فسمعها سفيان الثوري فقال: يا عالم المشرق والمغرب وما بينهما.

ولما خرج هو والرَّشيدُ الرَّقَّةَ أشرفت أمٌ ولدٍ له من قصرها فرأت الغبرة ارتفعت والنعال تقطعت^(١)، والأصوات ارتفعت، فقالت: ما هذا؟ قالوا: قدم عالم خراسان. قالت: هذا والله هو الملك، لا ملك هارون، الذي لا يجمع الناس إلا بالسوط^(٢).

(١) في الأصل: تقعقت. والمثبت من مصادر الخبر تاريخ بغداد ١٥٦/١٠، ووفيات الأعيان ٣/٣٣.

(٢) في مصادر الخبر: إلا بشرط وأعوان.

وفيه قيل^(١):

إذا سارَ عبدُ الله من مَرَوْ لَيْلَةً فقد سارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا
إذا ذُكِرَ الأخيارُ من كلِّ بَلَدَةٍ فهمُ أنجُمٌ فيها وأنتَ هلالُها
وقال: رَبِّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تَجْعَلُهُ نِيَّةً كَبِيرًا، وَعَكْسُهُ.

وقال: تَوَاطَرُ الجيرانِ على شيءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ من شَهَادَةِ عَدْلَيْنِ^(٢).

ومن كلامه:

إذا قرأتم من القرآن ما تُقيمون به صلواتكم فاشتغلوا بالعلم؛ فإنه يطلع على معاني القرآن.

وقال: لا تُسَمَّى عالِمًا حتى لا يَخْطُرَ حُبُّ الدُّنْيَا بِقَلْبِكَ.

وقال: مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأَمْراءِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ ذَهَبَتْ مُرُوئَتُهُ.

وقال: عِلَامَةٌ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ أَذَلٌّ مِنْ كَلْبٍ.

وقال: رَبِّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تَجْعَلُهُ نِيَّةً كَبِيرًا، وَعَكْسُهُ.

وقال: خَرَجَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَتَطَعَّمُوا أَطِيبَ مَا فِيهَا: المَعْرِفَةَ بِاللَّهِ.

وقال: أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَأَكْرَهُ الطَّالِحِينَ وَأَنَا شَرُّ مِنْهُمْ.

وقال: مَنْ خَتَمَ نَهَارَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ كُتِبَ نَهَارُهُ كُلُّهُ ذِكْرًا، وَكَانَ شَدِيدَ التَّحَرِّيِ

لِلذِّكْرِ.

وقال: الحِجْرُ^(٣) فِي الثُّوبِ خَلْقُ العُلَمَاءِ.

وقال: إِنَّ البُصْرَاءَ لَا يَأْمَنُونَ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: ذَنْبٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرُونَ^(٤)

(١) الشعر لعمار بن الحسن. انظر تاريخ بغداد ١٠/١٦٣، تهذيب الكمال ١٦/١٩.

(٢) من قوله: وقال أبو أسامة ص ٣٥١ إلى هنا من (أ) فقط.

(٣) في تاريخ بغداد ١٠/١٦٣، وتهذيب التهذيب ١٦/١٩: الأحبار.

(٤) في (ف): لا يُدرى.

ما يصنع به الربُّ، وعمرٍ قد بقي لا يدرون ما فيه من الهلكات^(١)، وفضلٍ قد أعطي لعله مكرٌ واستدراج، وضلالةٌ قد زينت له فيراها هدى.

وقال: لنا في صحيح الحديث شغل^(٢) عن سقيمه.

وقال: مَنْ بَخِلَ بِالْعِلْمِ إِمَّا أَنْ يَمُوتَ، أَوْ يَنْسَى، أَوْ يَلْحَقَ بِالسُّلْطَانِ^(٣).

وقال: أربَعُ كَلِمَاتٍ انْتُخِبَتْ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ: لَا تَتَّقُ بِامْرَأَةٍ، وَلَا تُحْمِلُ مَعْدَتَكَ مَا لَا تَطِيقُ، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَالٍ، وَلَا تَتَعَلَّمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا مَا تَعَلَّمَ أَنَّكَ تَعْمَلُ بِهِ.

وقال: كُنْ مُجِبًّا لِلْخُمُولِ، كَارِهًا لِلشُّهْرَةِ، وَلَا تَعْتَقِدْ أَنَّكَ تُحِبُّ الْخُمُولَ فَتَعْظِمَ نَفْسَكَ، وَتَقَعَ فِي أَشْرٍ مِنْهُ.

وقال: دَعْوَى الزُّهْدِ تُخْرِجُ عَنِ الزُّهْدِ.

وقال: سُلْطَانُ الزُّهْدِ أَعْظَمُ مِنْ سُلْطَانِ الرَّهْبَةِ، فَإِنَّ سُلْطَانَهَا لَا يَجْمَعُ النَّاسَ إِلَّا بِالْعَصَا، وَالزَّاهِدُ يَفِرُّ مِنَ النَّاسِ فَيَتْبَعُونَهُ.

وقال: التَّوَاضُّعُ التَّكَبُّرُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ ثِقَةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وقال: الرَّحْمَةُ تَنْزِلُ عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ.

وقال: كَادَ الْأَدَبُ أَنْ يَكُونَ ثُلْثِي الدِّينِ.

وقال: إِمْسَاكُ الدُّنْيَا لَصَوْنِ الْعِرْضِ عَنِ ذُلِّ السُّؤَالِ لَا يُخْرِجُ عَنِ الزُّهْدِ.

وسئِلَ: مِنَ النَّاسِ؟ قَالَ: الْعُلَمَاءُ. قِيلَ: فَمَنِ الْمُلُوكِ؟ قَالَ: الزُّهَادُ.

قِيلَ: فَمَنِ السُّفَلَةِ؟ قَالَ: الَّذِي يَأْكُلُ الدُّنْيَا بِدِينِهِ^(٤).

وقال: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي عَامِ شَدِيدِ الْقَحْطِ، فَخَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ، وَخَرَجْتُ

مَعَهُمْ إِذْ أَقْبَلَ غُلَامٌ أَسْوَدٌ، عَلَيْهِ قِطْعَتَا خَيْشٍ اتَّزَرَ بِأَحْدَاهُمَا، وَارْتَدَى بِالْأُخْرَى.

(١) فِي (ب): الْمَهْلَكَاتِ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: مَا شَغَلْنَا.

(٣) مِنْ قَوْلِهِ: وَقَالَ إِنْ الْبَصْرَاءِ ص ٣٥٢ إِلَى هُنَا لَيْسَ مِنْ (أ).

(٤) فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٨ / ٣٥٣ زِيَادَةٌ هِيَ: قِيلَ: فَمَنِ الْغَوَّاءِ؟ قَالَ: خَزِيمَةُ وَأَصْحَابُهُ.

يَعْنِي مِنْ أَمْرَاءِ الظُّلْمَةِ.

فجلسَ بجَنبِي، فسمعتُه يقول: إلهي، أُخِلِّقَتِ الوجوهُ لكثرةِ الذُّنوبِ ومساوئِ الأعمالِ، وقد حَبَسْتَ عَنَّا الغَيْثَ لتؤدِّبَ عِبَادَكَ، فأسألكَ يا حَلِيمٌ^(١)، ذا الأناةِ، يا مَنْ لا يَعْرِفُ عِبَادَهُ منه إلاَّ الجميلَ، أن تَسْقِيَهُم السَّاعَةَ السَّاعَةَ، فلم يَزَلْ يُكْرِرُ السَّاعَةَ حَتَّى اكْتَسَتِ السَّمَاءُ^(٢) بِالغَمَامِ، وَأَقْبَلَ المَطْرُ من كُلِّ مَكَانٍ.

وَصَحِبَهُ رَجُلٌ سَيِّئُ الخُلُقِ في سَفَرِهِ، وكان يَحْتَمِلُهُ وَيُدَارِيهِ، فلَمَّا فَرَقَهُ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ فيه، فقال: أترَحَّمُ عليه، فارقتهُ وخُلِّقَهُ معه لم يُفَارِقَهُ.

ولَمَّا احْتَضَرَ فَتَحَ عَيْنِيهِ وَضَحِكَ وَقَالَ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[الصفات: ٦١].

ماتَ قافِلاً من الغزو سنةَ إحدى وثمانين ومئة، عن ثلاثِ وستين سنةً، وَدُفِنَ بِهَيْتِ^(٣) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* * *

(١٣٢) عبد الله الصُّورِيُّ^(*)

الإمامُ المَشهُورُ بالتَّجَرُّدِ، المَعْرُوفُ بالتَّزَهُدِ والتَّعَبُّدِ، كان مُخَشَّوْشِناً مُجَاهِداً صائِماً قائِماً رَاكِعاً ساجِداً، ولم يَزَلْ حَتَّى صارَ صُوفِيّاً، مَنَازِلُ سِيرِهِ ساميةٌ، وَمَنَاهِلُ هِمَّتِهِ طافِحَةٌ طامِيةٌ، وَجَلالَتُهُ ظاهِرةٌ مُرتَفِعةٌ، وكَلِمَةُ أربابِ الدَّوَلَةِ على اعتقادِهِ مُجْتَمِعةٌ.

(١) في (ب): حليماً.

(٢) في المطبوع: الناس.

(٣) هيت: مدينة على الفرات فوق الأنبار من أعمال العراق، لكنها في بر الشام. والأنبار في بر العراق والفرات يفصل بينهما. وفيات الأعيان ٣/ ٣٤.

(*) لم أجد له ترجمة إلا في «الطبقات الكبرى» للشعراني ١/ ٦٤، وكانني به هو أبو عبد الله الصوري، محمد بن المبارك، فقوله: أعمال الصادقين بالقلوب... هو في ترجمة محمد بن المبارك في حلية الأولياء ٩/ ٢٩٨، وقوله: في القلب وجع... وقوله: من شغل نفسه بما لا حاجة إليه... هما في ترجمة محمد بن المبارك التي ساقها المؤلف رحمه الله صفحة ٧١٣.

ومن كلامه :

أعمالُ الصّادقين بالقلوبِ، وأعمالُ المُرّائينَ بالجوارحِ .

وقال : في القلبِ وَجَعٌ لا يُبرِئُهُ إلا حُبُّ الله .

وقال : مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بما لا حاجةَ له إليه ، ضَيَّعَ من أحواله ما يَحْتَاجُ إليه .

وقال : إذا لم تَتَنَفَّعَ بما تقولُ ، فكيفَ يَتَنَفَّعُ به غيرُكَ ؟

وقال : مَنْ تَهَاوَنَ بالسُّنَنِ ابْتُلِيَ بالبِدَعِ .

وقال : مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ من أهلِ الطَّرِيقِ فليستَعِدَّ للبلاءِ ، ثم لا بدَّ أن يَضَعُفَ عنها

ويَفْتَضَحَ ، وَمَنْ مَحَى اسمَهُ من أهلِها لم يَمُتْ حتى تُشَدَّ إليه الرِّحالُ .

وقال : كم من يدَّعي العبوديّةَ ، ويفضِّحُ ظهورُ أوصافِ الرُّبوبيّةِ عليه .

* * *

(١٣٣) عبدُ الله بنُ عبدِ العزيزِ العُمريُّ (*)

كانَ من أعبدِ النَّاسِ وأعلامِ هِمَّةَ ، وأوفرِهِم حِشمةَ ، وأقواهُم عزيمةَ ، يُعامِلُهُ أهلُ الدَّولةِ بالاعتقادِ والتَّكريمِ ، ويُقابِلونَهُ بالتَّبجيلِ والتَّفخيمِ ، ومع ذلكَ هَجَرَ الرِّبَعَ العامِرِ ، وسَكَنَ المَقابِرِ ، وكان يقولُ : ما رأيتُ أوعَظَ من قَبْرِ ، ولا أسَلَّمَ للدينِ من الوحْدَةِ .

وقال : مَنْ تَرَكَ الأمرَ بالمعروفِ خوفاً من مخلوقٍ نَزَعَتْ منه هَيْبَةُ الإسلامِ .

وقال : من غَفَلتِكَ عن نَفْسِكَ إعراضُكَ عن الله .

(*) التاريخ الكبير ٥/١٤٠ ، التاريخ الصغير ٢/٢١٤ ، الجرح والتعديل ٥/١٠٣ ، الثقات لابن حبان ٧/١٩ ، و ٨/٣٤٢ ، حلية الأولياء ٨/٢٨٣ ، صفة الصفوة ٢/١٨١ ، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٦/أ ، تهذيب الكمال ١٥/٢٤١ ، سير أعلام النبلاء ٨/٣٣١ (١١١) ، ميزان الاعتدال ٢/٤٥٧ ، العبر ١/٢٨٩ ، مرآة الجنان ١/٣٦٧ ، واسمه فيه : عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ، الوافي بالوفيات ١٧/٢٩٢ ، تهذيب التهذيب ٥/٣٠٢ ، طبقات الشعراني ١/٦٥ .

وقال له رجلٌ: عِظْنِي. فَأَخَذَ حِصَاةً مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ: زِنَةُ هَذِهِ مِنَ الْوَرَعِ
يَدْخُلُ قَلْبَكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ عُلُومِ أَهْلِ الْأَرْضِ. فَقَالَ: زِدْنِي. قَالَ: كَمَا تُحِبُّ أَنْ
يَكُونَ اللَّهُ لَكَ غَدًا فَكُنْ لَهُ الْيَوْمَ.

وقال: لو أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا لِي، وَوُضِعَتْ^(١) تَحْتَ قَدَمِي لَا يَمْنَعُنِي مِنْ أَخَذِهَا
إِلَّا أَنْ أُزِيلَ قَدَمِي عَنْهَا مَا أَزَلْتُهَا.

وَلَمَّا حَجَّ الرَّشِيدُ قَالَ رَجُلٌ لِصَاحِبِ التَّرْجَمَةِ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْعَى.
فَقَالَ الْعُمَرِيُّ لِلرَّجُلِ: لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا؛ كَلَّفْتَنِي مَا كُنْتُ غَنِيًّا عَنْهُ. ثُمَّ قَامَ
فَتَبِعَهُ، فَأَقْبَلَ الرَّشِيدُ مِنَ الْمَرْوَةِ، فَصَاحَ بِهِ: يَا هَارُونَ. قَالَ: لَبَّيْكَ. قَالَ: ازِقَ
الصِّفَا. فَرَقَاهُ، فَقَالَ: ازِمِ^(٢) بَطْرَفِكَ إِلَى الْبَيْتِ. قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. قَالَ: كَمْ
هَمٌّ؟ قَالَ: وَمَنْ يُحْصِيهِمْ؟ قَالَ: ااعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ، أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُسْأَلُ^(٣) عَنْ
خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَأَنْتَ وَحَدِّكَ تُسْأَلُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ؟ فَبَكَى
وَجَلَسَ حَتَّى انْقَطَعَ نَفْسُهُ، قَالَ الْعُمَرِيُّ: وَأُخْرَى أَقُولُهَا لَكَ، الرَّجُلُ يُسْرِفُ فِي
مَالِهِ فَيَسْتَحِقُّ الْحَجَرَ، فَكَيْفَ بِالْمُسْرِفِ فِي مَالِ الْمُسْلِمِينَ؟! ثُمَّ مَضَى،
وَهَارُونَ يَبْكِي. فَكَانَ يَقُولُ: أَحَبُّ أَنْ أُحَجَّ كُلَّ سَنَةٍ، مَا يَمْنَعُنِي إِلَّا الْعُمَرِيُّ،
يُسْمَعُنِي مَا أَكْرَهُ.

أَسْنَدَ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي طُوَالَةَ، وَغَيْرِهِ.

وَأَدْرَكَ جَمْعًا مِنَ التَّابِعِينَ.

وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةً عَنِ سِتِّ وَسِتِينَ سَنَةً.

وَكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يُعَظِّمُهُ جَدًّا.

* * *

(١) فِي (أ) وَ (ف): وَأَصْبَحَتْ تَحْتَ قَدَمِي، وَفِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ ١٨٣/٢: لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا
أَصْبَحَتْ تَحْتَ قَدَمِي.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ وَ (أ) وَ (ف): أَدَمَ. وَالْمَثْبُوتُ مِنْ (ب).

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ: يُسْأَلُكَ.

(١٣٤) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (*)

عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الشاميّ الدمشقيّ، الإمام المشهور، صدرُ الصُّدور، كان جليلَ القَدْرِ، رَحْبَ السَّاحَةِ والصَّدْرِ، رَفِيعَ المِنزَلَةِ والهِمَّةِ، بِهِيَ المَنْظَرِ، عَظِيمَ اللِّمَّةِ، ذا بَرَاعَةٍ ولسن، وأخلاقٍ خَبْرُها صَحِيحٌ وحديثُها حَسَنٌ، نعم، وكانَ أوْحَدَ زَمَانِهِ، وإمامَ عَصْرِهِ وأوانِهِ، لا يَخَافُ في اللهُ لَوْمَةَ لائِمٍ، مَقْوالاً للحقِّ، لا يَخَافُ سَطْوَةَ العِظائِمِ.

وكانَ أهلُ الشَّامِ والمغربِ على مذهبِهِ قبلَ تَحَوُّلِهِم لمذهبِ مالِكٍ رضي اللهُ عنه، وهو نسبةٌ لبطنٍ من حِميرٍ أو هَمْدانٍ، أو قريةٍ ببابِ القَراديس^(١)، أو قبيلةٍ أو غير ذلك.

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وثمانين، ونشأ في الفقه والتعبُّد والتزهُدِ حتى كان لا يَدْخُلُ الخلاءَ إلا في كلِّ شهرٍ مرَّةً، فرَقَّتْ بَطْنُهُ، فصارَ يَدْخُلُ في كلِّ شهرٍ مرَّتَيْنِ، فصارتَ أمُّه تقولُ لصحبه: ادعوا لعبدِ الرحمن^(٢)؛ فإنه مَبْطون.

ومن كلامه:

ما من ساعةٍ إلا وهي معروضةٌ على العبدِ يومَ القيامةِ، فالسَّاعةُ التي

(*) طبقات ابن سعد ٤٨٨/٧، تاريخ خليفة ٤٢٨، طبقات خليفة ٣١٥، التاريخ الكبير ٣٢٦/٥، التاريخ الصغير ١١٦/٢، القضاة لوكيع ٢٠٧/٣، الجرح والتعديل ٢٦٦/٥، الثقات لابن حبان ٦٢/٧، حلية الأولياء ١٣٥/٦، الأنساب ٣٨٤/١، صفة الصفوة ٢٥٥/٤، المختار من مناقب الأخيار ٢٥٤/أ، تهذيب الأسماء واللغات ٢٩٨/١، وفيات الأعيان ١٢٧/٣، مختصر تاريخ دمشق ٣١٣/١٤، تهذيب الكمال ٣٠٧/١٧، سير أعلام النبلاء ١٠٧/٧، تاريخ الإسلام ٢٢٥/٦، تذكرة الحفاظ ١٧٨/١، ميزان الاعتدال ٥٨٠/٢، البداية والنهاية ١١٥/١٠، الوافي بالوفيات ٢٠٧/١٨، تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦، طبقات الشعراني ٤٥/١، شذرات الذهب ٢٤١/١. وفي الأصول ورد اسمه عبد الله، والتصحيح من مصادر ترجمته.

(١) قال الذهبي في السير ١٠٧/٧: كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقبية الصغيرة ظاهر باب القَراديس بدمشق.

(٢) في الأصول: عبد الله.

لا يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا تَتَقَطَّعُ نَفْسُهُ عَلَيْهَا حَسْرَاتٍ .

وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ ، فَقَالَ : عِظْنِي . فَوَعَّظَهُ فَبَكَى وَقَالَ : ادْعُ لِي . قَالَ :
مَا دُعَاءُ رَجُلٍ لَكَ مَعَ دُعَاءِ بَقِيَّةِ الرَّعِيَةِ عَلَيْكَ ؟

وَقَالَ : فَضَّلُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كَفَضَّلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَلَائِكَةِ
السَّمَاءِ .

وَقَالَ : مَا مِنْ أَمْرٍ أَمَرَ اللهُ بِهِ إِلَّا عَارَضَ الشَّيْطَانُ فِيهِ بِخَصْلَتَيْنِ ، لَا يُبَالِي
أُيُهِمَا أَصَابَ : الْغُلُؤُ ، أَوْ التَّقْصِيرُ .

وَقَالَ : إِنَّ أَشَدَّ الشَّدَّةِ الْقِيَامُ لِلَّهِ بِحَقِّهِ ، وَإِنَّ أَكْرَمَ الْكِرَمِ عِنْدَ اللهِ التَّقْوَى ، فَمَنْ
طَلَبَ الْعِزَّ بِطَاعَةِ اللهِ رَفَعَهُ ، وَمَنْ طَلَبَهُ بِمَعْصِيَتِهِ أَذَلَّهُ وَوَضَعَهُ .

وَكُتِبَ إِلَى أَخٍ لَهُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ أُحِيطَ بِكَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ
يُسَارُ بِكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَاحْذَرِ اللهُ ، وَالْمَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالسَّلَامَ .

وَقَالَ : قَالَ سُلَيْمَانُ : يَا مَعْشَرَ الْجَبَابِرَةِ ، كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَبَّارَ ؟

وَقَالَ ^(١) : مَنْ عَمِلَ سُوءًا فَبَنَفْسِهِ بَدَأَ .

وَقَالَ ^(٢) : كُلُّ عَمَى وَلَا عَمَى الْقَلْبِ ، وَلَهُوَ الْعُلَمَاءُ خَيْرٌ مِنْ حِكْمَةِ الْجُهْلَاءِ .

وَقَالَ : مَا وَعَظَ رَجُلٌ قَوْمًا لَا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا زَلَّتْ عَنْهُ الْقُلُوبُ كَمَا يَزُلُّ
الْمَاءُ عَنِ الصَّفَا ^(٣) .

وَقَالَ عَنْ بَعْضِهِمْ : يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ إِلَى الشُّرْطِيِّ فَيَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْهُ ، وَيَنْظُرُ إِلَى
عُلَمَاءِ الدُّنْيَا الْمُتَصَنِّعِينَ لِلخَلْقِ ، الْمُتَشَوِّفِينَ لِلرِّيَاسَةِ فَلَا يَمَقْتُهُمْ ، هُمْ أَحَقُّ
بِالْمَقْتِ مِنَ الشُّرْطِيِّ .

وَقَالَ : مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ كَفَاهُ الْيَسِيرُ ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ مَنْطِقَهُ مِنْ عَمَلِهِ
قَلَّ كَلَامُهُ .

(١) القول لسليمان عليه السلام . انظر الحلية ٦ / ١٤١ .

(٢) القول لسليمان عليه السلام . انظر الحلية ٦ / ١٤١ .

(٣) الصفا : جمع صفاة ، وهي الصخرة الملساء . متن اللغة (صفي) .

مات سنة سبع وخمسين ومئة بحمام بيروت^(١).

* * *

(١٣٥) عبد العزيز بن سلمان (*)

كَانَ مَعْدُوداً مِنْ شُيُوخِ التَّصَوُّفِ، مَعْرُوفاً لَدَيْهِمْ بِحُسْنِ التَّرْبِيَةِ
والتَّصَرُّفِ^(٢).

وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ الْقِيَامَةَ أَوْ الْمَوْتَ صَرَخَ كَمَا تَصْرُخُ الثَّكَلَى، وَيَصْرُخُ الْخَائِفُونَ
مِنْ جَوَانِبِ الْمَسْجِدِ، وَرَبَّمَا وَقَعَ الْمَيْتُ وَالْمَيْتَانِ مِنْ مَجْلِسِهِ.
وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَابِدِينَ، وَكَانَتْ الْجِرُّ تُصَلِّي مَعَهُ.

ومن كراماته:

أَنَّ بَعْضَ أَتْبَاعِهِ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا أَبْطَأَ بِكَ عَنَّا؟ فَقَالَ: أَلْتَمِسُ لِلْعِيَالِ
شَيْئاً. قَالَ: فَوَجَدْتَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: هَلُمَّ فَلْنَدْعُ، فَدَعَا فَتَنَازَرَتِ الدَّرَاهِمُ
وَالدَّنَانِيرُ فِي حُجُورِهِمْ، فَقَالَ: دُونَكَهَا، وَمَضَى، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا.

وَكَانَتْ رَابِعَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُسَمِّيهِ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ.

وَدَعَا يَوْماً لِمُقْعَدٍ حَضَرَ مَجْلِسَهُ، فَانصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ مَاشِياً عَلَى رِجْلَيْهِ.

وَقِيلَ لَهُ: مَا بَقِيَ مِمَّا تَلْتَدُّ بِهِ؟ فَقَالَ: سِرْدَابٌ أَخْلُو فِيهِ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَرَى الْآيَاتِ وَالْأَعَاجِيبَ.

وَكَانَ قَدْ بَكَى شَوْقاً إِلَى اللَّهِ سِتِينَ عَاماً.

(١) دخل الأوزاعي الحمام، وكان لصاحب الحمام حاجة، فأغلق الباب عليه وذهب، ثم جاء فوجده ميتاً، قد وضع يده اليمنى تحت خده، وهو مستقبل القبلة. مختصر تاريخ دمشق ١٤/٣٤٠.

(*) الثقات لابن حبان ٨/٣٩٤، وفيه عبد العزيز بن سليمان، حلية الأولياء ٦/٢٤٣، صفة الصفوة ٣/٣٧٧، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٠/ب، جامع كرامات الأولياء ٧١/٢.

(٢) في (ف) والمطبوع: التعرف.

(١٣٦) عبد الواحد البصري (*)

وهو ابنُ زيدِ المُنفلت^(١) من القيد، المُتصيّدُ للصيد، النّاجي من الخديعة والكيد، المُلاطفُ بالتبصّرِ والأيد.

كان عابداً قانتاً، زاهداً واعظاً رائداً، من كبار القوم وأعظم الصّوفيّة، كثير الصّلاة والصّوم، وعظّ يوماً فمات في مجلسه أربعة أنفُسٍ قبل أن يقوم.

وله وقائعُ باهرة، وكراماتُ ظاهرة، منها:

أنّه أصابه فالج، فدعا الله أن يُطلقه في وقتِ الوضوء، فكان إذا أرادَه انطلق، فإذا فرغ عادَ مفلوجاً.

ومنها: ما حكاه سعيد البصريُّ قال: أتيتُه وهو قاعدٌ في ظلٍّ. فقلتُ: لو سألتَ الله أن يوسّعَ عليك الرّزقَ لفعل. قال: هو أعلمُ بمصالحِ عبادِه، ثم أخذَ حصاةً من الأرض، وقال: اللّهُمَّ، إن شئتَ أن تجعلها ذهباً فعلت. فإذا هي ذهبٌ، فألقاها إليّ، وقال: أنفقها أنت، فلا خيرَ في الدُّنيا إلاّ للآخرة.

وقام يُصليّ الصُّبحَ بوضوءِ العشاءِ أربعينَ سنةً.

ومن كلامه:

مثلُ المؤمنِ^(٢) كالولدِ في الرّحمِ، لا يُحبُّ الخروجَ، فإذا خرَجَ لا يُحبُّ أن يَرجعَ، فكذا المؤمنُ في الدُّنيا.

(*) التاريخ الكبير ٦/٦٢، التاريخ الصغير ٢/١٣٣، الضعفاء للبخاري ٢٠٨ (٣٧٠)، ضعفاء العقيلي ٣/٥٤، الجرح والتعديل ٦/٢٠، الثقات لابن حبان ٧/١٢٤، كتاب المجروحين لابن حبان ٢/١٥٤، الكامل لابن عدي ٥/٢٩٧، حلية الأولياء ٦/١٥٥، صفة الصفوة ٣/٣٢١، المختار من مناقب الأخيار ٢٧٦/ب، مختصر تاريخ دمشق ١٥/٢٤٩، سير أعلام النبلاء ٧/١٧٨، تاريخ الإسلام ٦/٢٤٣، المغني في الضعفاء ٢/٤١٠، ميزان الاعتدال ٢/٦٧٢، العبر ١/٢٧٠، مرآة الجنان ١/٣٧٠، روض الرياحين ٦٣١، الطبقات الكبرى للشعراني ١/٤٦، شذرات الذهب ١/٢٨٧.

(١) في المطبوع: المنفلت.

(٢) في (أ): مثل المؤمن في الدنيا.

وقال: أحسن أوقات العبد مع الله تعالى موافقته.

وقال: ما من عبد أعطي من الدنيا شيئاً فابتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله حُبَّ الخلوة معه، وبدلته بعد القرب ببعداً، وبعد الأنس وحشةً.

وقال: إن أردت علم اليقين فاجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد.

وقال: من قوي على بطنه، قوي على دينه، وقوي على الأعمال الصالحة.

وقال: الإجابة مقرونة بالإخلاص، لا فرقة بينهما.

وقال: ما للعاملين والبطنة؟ إنما العامل من تكفيه علقه^(١) تقوم برمقه.

وقال: لا درجة أرفع ولا أشرف من الرضا، وهو رأس المحبة.

وقال: ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون؟

وقال: رأيت راهباً عليه مذرعة من شعر سوداء، فقلت: ما حملك على

لبس السواد؟ قال: هو لبس المحزونين، وأنا من أكثرهم حزناً. قلت: من أي

شيء حزنتك؟ قال: أصبت في نفسي، وذلك أنني قتلتها في معركة الذنوب،

فأنا حزين عليها، ثم بكى. فقلت: ما أبكاك الآن؟ قال: لقلّة الزاد، وبعْد

المفازة، وعقبة لا بد من صعودها، ولا أدري أين يهبط بي إلى جنة أم إلى نار؟

وقال: قصدت بيت المقدس، فتهت، وإذا بامرأة، فقلت: يا غريبة، أنت

ضالة؟ قالت: كيف يكون غريباً من يعرفه؟ أم كيف يكون ضالاً من يحبه؟

خذ رأس عصاي وتقدم بين يدي. ففعلت ومشيت نحو سبعة أقدام، وإذا ببيت

المقدس، ثم غابت فلم أرها.

وقال: مررت براهب فسألته: منذ كم أنت هنا؟ قال: نحو عشرين سنة.

قلت: من أنيسك؟ قال: الفرد الصمد. قلت: ومن الخلق؟ قال: الوحش.

قلت: فما طعامك؟ قال: ذكر الله. قلت: أفلا تشتاق إلى أحد؟ قال: نعم،

إلى حبيب قلوب العارفين. قلت: ومن الخلق؟ قال: من كان شوقه إلى الله

كيف يشتاق لسواه؟ قلت: فلم اعتزلت الخلق؟ قال: لأنهم سراق العقول،

(١) في (أ): تجزيه علقه. وفي (ب): تكفيه لقمة.

وَقَطَّاعُ طَرِيقِ الْهُدَى . قَلْتُ : وَمَتَى يَعْرِفُ الْعَبْدُ طَرِيقَ الْهُدَى ؟ قَالَ : إِذَا هَرَبَ إِلَى رَبِّهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ ، وَاشْتَغَلَ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَاهُ .

وَأَخْرَجَ تاجُ الْإِسْلَامِ السَّمْعَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْهُ ، قَالَ : هَبَطْتُ وَاِدِيَاءً ، فَإِذَا أَنَا بِرَاهِبٍ قَدْ حَبَسَ نَفْسَهُ فِي بَعْضِ غُبْرَانِهِ^(١) فَرَاعَنِي ذَلِكَ وَقَلْتُ : أَجِنِّي أَمْ إِنْسِي ؟ قَالَ : وَفِيمَ الْخَوْفِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ ؟ لَسْتُ بِجِنِّي ، وَلَكِنِّي إِنْسِي مَغْرُورٌ . قَلْتُ : وَمَنْدُكُمْ أَنْتَ هُنَا ؟ قَالَ : مَنْدُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً . قَلْتُ : فَمَنْ أَنْسُكَ ؟ قَالَ : الْوَحْشُ . قَلْتُ : وَمَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ : نَبَاتُ الْأَرْضِ . قَلْتُ : فَمَا تَشْتَاقُ إِلَى النَّاسِ ؟ قَالَ : مِنْهُمْ هَرَبْتُ . قَلْتُ : أَفَعَلَى الْإِسْلَامِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَعْرِفُ غَيْرَهُ ، إِلَّا أَنَّ الْمَسِيحَ أَمَرَنَا فِي الْكُتُبِ بِالْعُزْلَةِ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ^(٢) .

وَقَالَ : رَأَيْتُ امْرَأَةً بِالْبَحْرَيْنِ تَنْشِجُ عَلَى الْأَخْرَةِ^(٣) نَشِجًا كَلَّمَا نَشَجَتْ قَلْتُ : نَفْسُهَا خَرَجَتْ ، فَحَرَصْتُ أَنْ أَجَارِيهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَلَمْ أَقْدِرْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا حَفِظْتُ عَنْهَا وَآخِرُهُ : تَشَاغَلُ أَيُّهَا الْمَرْءُ بِنَفْسِكَ ، فَمَا هَمَمْتُ قَطُّ بِمَوْعِظَةٍ أَعْظُ بِهَا غَيْرِي إِلَّا حَالَ تَقْصِيرِي بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، وَلَوْ كَانَ الْمَرْءُ لَا يَعِظُ حَتَّى يَتَّعِظَ أَمَكَنَّ إِبْلِيسَ مِنْ نَفْسِهِ ، يَقُودُهُ حَيْثُ شَاءَ ، وَاللَّهِ مَا أَنَا بِحَامِدَةٍ لِنَفْسِي فِي ذَلِكَ ، وَيُودُّ إِبْلِيسُ أَنَّهُ لَوْ قَدِرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، كَمَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنِّي ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، لَكِنْ مُزَّ بِالْبِرِّ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْهُ ، وَاحْذَرِ أَنْ تَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَتَأْتِيَهُ .

وَكَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ يَوْمًا : إِنَّا نَخَافُ الضَّيْعَةَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ لِلسَّمَاءِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ ، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمُرْتَفِعِ الَّذِي تُكْرَمُ^(٤) بِهِ مَنْ شِئْتَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ ، وَتُلْهِمُهُ الصَّفِيَّ^(٥) مِنْ إِحْسَانِكَ ، أَنْ تَأْتِيَنَا بِرِزْقٍ مِنْ لَدُنْكَ تَقْطَعُ بِهِ عِلَاقَتَ الشَّيْطَانِ مِنْ قُلُوبِنَا وَقُلُوبِ أَصْحَابِنَا هَوْلَاءَ ؛ فَأَنْتَ الْحَنَّانُ وَالْمَنَّانُ ،

(١) الْغُبْرَةُ : الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الشَّجَرِ . مَتْنُ اللَّغَةِ (غُبْر) .

(٢) الْخَبْرُ مِنْ (أ) فَقَطْ .

(٣) فِي (ب) وَ (ف) : الْأَخِيرَةُ .

(٤) فِي (ف) : تَكَلَّمَ .

(٥) فِي الْمَطْبُوعِ : الصَّفَاءُ .

القديمُ الإحسان، اللَّهُمَّ، السَّاعَةَ السَّاعَةَ. فَسَمِعْتُ قَعْقَعَةً مِنَ السَّقْفِ، وَتَنَائِثٌ عَلَيْنَا دَنَانِيرٌ وَدِرَاهِمٌ، فَقَالَ لَهُمْ: اسْتَغْنُوا بِاللَّهِ عَنْ غَيْرِهِ. فَأَخَذُوا، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً.

وَنظَرَ إِلَى غَلامٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ نَحَلَ بَدَنُهُ، فَقَالَ: أَتُدِيمُ الصَّوْمَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أُدِيمُ الْإِفْطَارَ. قَالَ: تُدِيمُ التَّهَجُّدَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أُدِيمُ النَّوْمَ. قَالَ: فَمَا أَنْحَلَكَ؟ قَالَ: هَوَى لَازِمٌ، وَكَيْتَمَانٌ دَائِمٌ. فَقَالَ: اسْكُتْ، مَا أَجْرَأُكَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتُ صَادِقاً فَخُذْنِي إِلَيْكَ. فَخَرَّ مَيْتاً، فَاسْتَغْفَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ، وَقَالَ: أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ فَأَبْرَهُ.

أَسْنَدَ الْحَدِيثِ، وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَعْيَانِ مِنْهُمْ: الْحَسَنُ، وَعِطَاءُ بْنُ أَبِي رَبِيعٍ.

وعنه: وكيع، وابنُ السَّمَاكِ، والذَّارِقِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

وهو متروكُ الْحَدِيثِ، مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةَ (١).

* * *

(١٣٧) عُبيد بن عمير (*)

عُبيد بن عمير، الْمُجْتَهِدُ فِي السَّيْرِ، الْمُتَلَاذِمُ لِلْعِبَادَةِ، الْمُحَافِظُ عَلَى الزَّهَادَةِ، كَانَ إِمَامَ الصُّوفِيَّةِ الزُّهَادِ، عَالِي الْمَنْزِلَةِ رَفِيعَ الْعِمَادِ، لَهُ مَوَاعِظٌ دُرٌّ أَلْفَاظُهَا ثَمِينَةٌ، وَمَكَانَةٌ عِنْدَ صُوفِيَّةِ زَمَانِهِ مَكِينَةٌ، وَحَرَمَةٌ حَرَمُهَا فَسِيحٌ، وَسِيرَةٌ حَدِيثُهَا صَحِيحٌ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَهُوَ فِي مُخْتَصَرِ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٥٣/١٥، وَمِرَاةِ الْجَنَانِ ٣٧٠/١، وَالْعَبْرِ، وَلَكِنِ الذَّهَبِيُّ قَالَ فِي السَّيْرِ ١٨٠/٧: مَاتَ بَعْدَ الْخَمْسِينَ وَمِئَةَ، وَيُقَالُ: بَقِيَ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةَ، وَهَذَا بَعِيدٌ جَدًّا، وَإِنَّمَا الْمَتَأَخَّرُ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ الْحَافِظُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادِ الْبَصْرِيِّ. وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَوَّلًا الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ الصَّغِيرِ عِنْدَمَا أَدْرَجَهُ مَعَ مَنْ مَاتَ مَا بَيْنَ عَشْرِ إِلَى سِتِينَ وَمِئَةَ.

(*) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٤٤٥/٥، الزُّهْدُ لِأَحْمَدَ ٣٧٨، طَبَقَاتُ خَلِيفَةَ ٢٧٩، التَّارِيخُ الْكَبِيرُ ٤٥٥/٥، الْمَعَارِفُ ٤٣٤، الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ٤٠٩/٥، ثِقَاتُ ابْنِ حِبَانَ ١٣٢/٥، حَلِيَّةٌ =

ومن كلامه :

من علامة كمال الإيمان إسباغ الوضوء على المكاره^(١)، وأن يخلو بالمرأة
الحسنة فلا يخطر بباله^(٢) جماعها.

وقال : من علامة الإخلاص عدم طلب محمّدة الناس، ومحبة لومهم له .

وقال : علامة التقلل من الدنيا ألا يأخذ شيئاً إلا بحيث إنه لو لم يأخذه لأثم .

* * *

(١٣٨) عتبة الغلام^(*)

عتبة الغلام المُلحق بالأجلة الكرام، القائم في الظلام، كُشف له الغطاء
وفُتح له العطاء، سُمي غلاماً لجدّه واجتهاده^(٣) لا لصغره^(٤).

بكى في مجلس عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه تسع سنين، لا يفتر بكاه
من حين يبدأ عبد الواحد إلى أن يقوم.

= الأولياء ٣/٢٦٦، الاستيعاب ٣/١٠١٨، صفة الصفوة ٢/٢٠٧، المختار من مناقب
الأخيار ٢٧٩/أ، أسد الغابة ٣/٣٥٣، تهذيب الكمال ١٩/٢٢٣، سير أعلام النبلاء
٤/١٥٦، تذكرة الحفاظ ١/٥٠، تاريخ الإسلام ٣/١٩٠، البداية والنهاية ٩/٥،
العقد الثمين ٥/٥٤٣، غاية النهاية ١/٤٩٦، تهذيب التهذيب ٧/٧١، النجوم الزاهرة
١/١٩٧، طبقات الشعراني ١/٣٨.

(١) المكاره: جمع مكره، وهو ما يكرهه الإنسان، ويشق عليه، والمعنى أن يتوضأ مع البرد
الشديد، والعلل التي يتأذى معها بمس الماء، ومع إغوازه والحاجة إليه، والسعي في
تحصيله، أو ابتياعه بالثمن الغالي، وما أشبه ذلك من الأسباب الشاقة. النهاية (كره).

(٢) في (ب): بقلبه.

(*) مشاهير علماء الأمصار ١٥٢، الثقات لابن حبان ٧/٢٧٠، حلية الأولياء ٦/٢٢٦،
صفة الصفوة ٣/٣٧٠، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٠/أ، سير أعلام النبلاء ٧/٦٢،
روض الرياحين ١٠٣ (الحكاية ٢٩)، طبقات الشعراني ١/٤٧.

(٣) في (أ): لجد همة اجتهاده.

(٤) واسمه عتبة بن أبان، انظر الثقات ٧/٢٧٠، وحلية الأولياء ٦/٢٢٦.

وكان يلبس كِسَائِينَ يَتَزَرُّ بواحدة، ويرتدي بالأخرى، إذا رأته قلت
أُكَّاراً^(١)، وكان عربياً شريفاً.

وكان رأسُ ماله فلساً يشتري به خوصاً، فيعمله ويبيعه.

وكان يعجن دقيقه ويخففه بالشمس، ثم يأكله، ثم يقول: كسرة وملح حتى
يتهيأ في الآخرة الطعام الطيب.

ومن كراماته:

أنه كان يدعو الطير فيجيبه، ويأتيه فيقع في يده، فيخلى سبيله.

ونظر إلى ورشان^(٢)، فقال: يا ورشان، إن كنت أطوع لله مني، فتعال على
كفي. فجاءه الورشان مسرعاً، وقعد على كفه.

ورأى حورية تقول: يا عتبة، يا عتبة، أنا لك عاشق، فلا تعمل شيئاً يحيل
بيني وبينك. فقال: طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي فيها حتى ألك.

وكان يأوي إلى منزله، فيصيب فيه قوته فلا يدري من أين يأتيه.

وكان سأل ربه تعالى ثلاث خصال: صوتاً حسناً، ودمعاً غزيراً [وغذاء]^(٣)
من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره.

وكان يدخل الصلاة في مئزر، ويخرج وقد تصبب عرقاً، ف قيل له فيه،
فقال: حياء من ربي.

ودخل عليه ابن ميمون الجبّانة، فقال له: أطعمني رطباً. فدعى فإذا
دوخلة^(٤) رطب، سقطت بين أيديهم فأكلوا.

ولبس قميصاً جديداً، ومشى متبختراً، فقالت له رابعة رضي الله عنها:

(١) الأكار: الحراث، الزراع. متن اللغة (أكر).

(٢) الورشان: ضرب من الحمام البري، وهو ساق حرّ، وهو ذكر القماري. متن اللغة
(ورش).

(٣) ما بين معقوفين ليس في الأصول، مستدرک من صفة الصفوة ٣/٣٧٣.

(٤) الدوخلة: سفيفة كالزنبيل من خوص يوضع فيها التمر. متن اللغة (دخل)، وفي (ب):
فإذا بمزود كله.

ما هذا التيه، وليس من عادتك؟ قال: مَنْ أُولَىٰ بِهِ مِنِّي، وقد أصبح لي مولى وأصبحتُ له عبداً.

وكان يقول طولَ ليله: إلهي، إنْ تُعَذِّبني فَإِنِّي لك مُحِبٌّ، وإنْ تَرَحَّمَنِي فَإِنِّي لك مُحِبٌّ.

وقال: مَنْ سَكَنَ قَلْبَهُ حُبُّهُ لَا يَجِدُ بَرْدًا وَلَا حَرًّا وَلَا جَوْعًا^(١).

وقال: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَطَاعَهُ، وَمَنْ أَطَاعَهُ أَكْرَمَهُ، وَمَنْ أَكْرَمَهُ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ، فَطُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ.

وقال: كَيْفَ يُفْلِحُ مَنْ يَسْرُهُ مَا يَضُرُّهُ؟!

وكان يقول:

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَاءِ إِنَّ الْمُحِبَّ لَفِي عَنَا

وكان يقول: مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَنَا فَهُوَ عَلَيْنَا.

وجاء إلى منزل رجلٍ قد آخاه، فقال: أحتاجُ من مالِكَ إلى أربعة آلاف. قال: خُذْ أَلْفَيْنِ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَقَالَ: آثَرَتِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ، أَمَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ تَدَّعِيَ الْأُخُوَّةَ فِي اللَّهِ؟

قال مُسْلِمُ العَبَّادَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَيْنَا مَرَّةً عْتَبَةُ الغلام، وصالح المُرِّي، وعبدُ الواحد بن زيد فنزلوا بالسَّاحِلِ، فَهَيَّأْتُ لَهُمْ طَعَامًا، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِذَا قَائِلٌ يَقُولُ رَافِعًا صَوْتَهُ:

وَيْلَيْهِكَ عَن دَارِ الخُلُودِ مَطَاعِم^(٢) وَلَذَّةُ نَفْسٍ غَيْهَا غَيْرُ نَافِعٍ

فصاح عْتَبَةُ، وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَبَكَى القَوْمُ فَرَفَعْنَا الطَّعَامَ، وَمَا ذَاقُوا مِنْهُ لُقْمَةً.

(١) جاء في الحلية ٢٣٦/٦ بعد الخبر: قال عبد الرحيم بن يحيى: يعني من سكن حب الله قلبه شغله حتى لا يعرف الحر من البرد، ولا الحلو من الحامض، ولا الحار من البارد.

(٢) في (أ): وتلهيك عن دار الخلود مطامع.

قال الغزالي رحمه الله: وكما^(١) يُسمعُ صوتُ الهاتفِ عندَ صفاءِ القلبِ يُشاهدُ بالبصرِ صورةَ الخَضِرِ عليه السَّلَامُ؛ فإنَّه يتمثَّلُ لأربابِ القلوبِ بصورٍ مُختلفةٍ، وفي هذه الحالةِ تتمثَّلُ الملائكةُ للأنبياءِ على حقيقةِ صورَتِها، أو مثالٍ يُحاكي صورَتِها.

أَسَدُ الْحَدِيثِ عَنْ جَمْعٍ مِنْ أَجَلَّةِ التَّابِعِينَ .
وَقُتِلَ شَهِيداً فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ .

* * *

(١٣٩) عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ (*)

عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، الْمُجْتَهِدُ الْمُتَعَبِّدُ الْقَوَّامُ الصَّوَّامُ، مُكِّنَ مِنَ الطَّاعَاتِ فَاسْتَسَبَّ، وَامْتَحِنَ بِالْمِحْنَةِ فَاحْتَسَبَ، وَقَدْ قِيلَ: التَّصَوُّفُ: عِرْفَانُ الْمِنَنِ، وَكِتْمَانُ الْمِحَنِ.

وهو أحدُ الفُقهَاءِ السَّبْعَةِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى تَوْثِيقِهِ وَوَفُورِ عِلْمِهِ وَعِلْوِّ مَرْتَبَتِهِ.

ومن كلامه:

رُبَّ كَلِمَةٍ ذُلٌّ أَحْتَمَلْتُهَا أَوْ رَثْتُ عِزًّا طَوِيلًا.

(١) في (ب): وكان.

(*) طبقات ابن سعد ٥/١٧٨، تاريخ خليفة ٢٤١، ٣٠٦، طبقات خليفة ٢٤١، التاريخ الكبير للبخاري ٧/٣١، التاريخ الصغير ١/٢٦٦، ٢٧٠، الجرح والتعديل ٦/٣٩٥، ثقات ابن حبان ٥/١٩٤، حلية الأولياء ٢/١٧٦، طبقات الفقهاء للشيرازي ٥٨، سنة الصفوة ٢/٨٥، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٢/ب، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٣١، وفيات الأعيان ٣/٢٥٥، مختصر تاريخ دمشق ١٧/٥، تهذيب الكمال ٢٠/١١، سير أعلام النبلاء ٤/٤٢١، تاريخ الإسلام ٤/٣١، تذكرة الحفاظ ١/٦٢، العبر ١/١١٠، البداية والنهاية ٩/١٠١، غاية النهاية ١/٥١١، تهذيب التهذيب ٧/١٨٠، النجوم الزاهرة ١/٢٢٨، طبقات الشعراني ١/٣٠، شذرات الذهب ١/١٠٣.

وقال: إذا رأيت الرَّجُلَ يَعْمَلُ حَسَنَةً فاعْلَمْ أَنَّ عِنْدَهُ لَهَا أَخَوَاتٌ، وإذا رأيتَهُ يَعْمَلُ سَيِّئَةً فعِنْدَهُ لَهَا أَخَوَاتٌ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ تَدُلُّ عَلَى أُخْتِهَا، وَالسَّيِّئَةَ عَلَى أُخْتِهَا.

وقال: مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: لَتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً، وَوَجْهُكَ بَسِطًا، تَكُنْ أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمُ الْعَطَاءَ.

وكان يَنْهَى عَنِ الدُّخُولِ لِلوُلاةِ، فَدْخَلَ لِلوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ، فَدْخَلَ مُحَمَّدٌ دَارَ الدَّوَابِّ فَضْرِبَتْهُ دَابَّةٌ فَمَاتَ، وَوَقَعَ فِي رِجْلِ عُرْوَةَ أَكِلَةٌ^(١)، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ لَمْ تَقْطَعْهَا بِالْمِنْشَارِ، وَإِلَّا سَرَتْ، فَقُطِعَتْ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ صَائِمٌ، وَلَمْ يُمَسِّكْهُ أَحَدٌ، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٣] وَلَمْ يَقْطَعْ وَرَدَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

وقال: لئن ابْتَلَيْتَ لَطالِمًا عَافِيَةً^(٢).

وَاتَّخَذَ قَصْرًا بِالْعَقِيقِ^(٣)، فَقِيلَ لَهُ: جَفَوْتَ مَسْجِدَ الْمُصْطَفَى ﷺ؟ فَقَالَ: رَأَيْتُ مَسَاجِدَهُمْ لَاهِيَةً، وَأَسْوَاقَهُمْ لَأَغِيَةً، وَالْفَاحِشَةَ فِيهِمْ فَاشِيَةً، فَكَانَ فِيهَا هُنَالِكَ عَمَّا هُمْ فِيهِ عَافِيَةٌ.

وقال: مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْخُذَ مِنْهَا حَاجَتَهُ، وَمَا رَأَيْنَا مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا فَطَلَبَتْهُ الْآخِرَةَ.

وقال: لَا يَهْدِي أَحَدُكُمْ إِلَى رَبِّهِ مَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى كَرِيمٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ الْكُرَمَاءِ.

وقال: يُقَيِّضُ اللَّهُ لِلْعَلْمِ قَوْمًا لَا يَتْتَفِعُونَ بِهِ، لِثَلَا يَضِيعَ، فَيَكُونُونَ حَمَلَتَهُ فَقَطْ.

أَسْنَدُ الْحَدِيثِ عَنْ خَلَاتِقٍ مِنَ الصَّحَابَةِ.

-
- (١) الأكلة: داء يأكل منه العضو. متن اللغة (أكل).
(٢) في (أ) و (ف): لئن ابْتَلَيْتَ لَطالِمًا عَافِيَةً.
(٣) العقيق: موضع قرب المدينة. انظر معجم البلدان ٤/١٣٨.

ومات سنة أربع، وقيل: تسع وتسعين^(١) رضي الله عنه.

* * *

(١٤٠) علقمة بن قيس الهمداني^(*)

علقمة بن قيس الهمداني فقيه العراق العالم الربّاني، أوتي علماً وفقهاً وعبادة، وحسن تلاوة وزهادة.

قال أبو ظبيان رحمه الله: أدركت من شاء الله من الصحابة يسألون علقمة ويستفتونه.

وكان يكره الشهرة، ويحب الخمول.

وقيل له: ألا تجلس تُعلم؟ فقال: أكره أن يطأ عقيب أحد، ويُقال: هذا علقمة.

وأجمعوا على جلالته، ووفور علمه، ورفعة محلّه، وجميل طريقته. مات سنة اثنتين وستين^(٢).

* * *

(١) في المطبوع: تسع وتسعين ومئة.

(*) طبقات ابن سعد ٦/٨٦، طبقات خليفة ١٤٧، تاريخ خليفة ١٩٦، ٢٣٦، التاريخ الكبير للبخاري ٧/٤١، التاريخ الصغير ١/١٥٥، الجرح والتعديل ٦/٤٠٤، الثقات لابن حبان ٥/٢٠٧، حلية الأولياء ٢/٩٨، تاريخ بغداد ١٢/٢٩٦، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٩، صفة الصفوة ٣/٢٧، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٧/أ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٤٢، مختصر تاريخ دمشق ١٧/١٦٦، تهذيب الكمال ٢٠/٣٠٠، سير أعلام النبلاء ٤/٥٣، تاريخ الإسلام ٣/٥٠، تذكرة الحفاظ ١/٤٨، العبر ١/٦٦، مرآة الجنان ١/١٣٧، البداية والنهاية ٨/٢١٧، غاية النهاية ١/٥١٦، الإصابة الترجمة ٦٤٥٤، تهذيب التهذيب ٧/٢٧٦، النجوم الزاهرة ١/١٥٧، طبقات الشعراني ١/٢٨، شذرات الذهب ١/٧٠.

(٢) في الأصول: مات سنة اثنتين وستين ومئة، والتصحيح من مصادر ترجمته، وكان حقه أن يكون مع رجال الطبقة الأولى.

(١٤١) العلاء بن زياد (*)

العلاء بن زياد المتجرّد عن التّلاذ، والمتشمرّ للمهاد، قدّم العتاد للمعاد، واعتزل للعبادة عن العباد، وقد قيل: التّصوّف: الارتياذ والاجتهاد لذلّ الانقياد في عزّ الاعتماد.

كان له مالٌ ورقيقٌ فأعتق بعضاً وباع بعضاً وأمسك غلاماً يأكلُ غلته، واعتزل الناس،^(١) وكان لا يُجالسهم إلا في صلاة الجمعة، أو فعل الخير. وكان يمكثُ السبعة أيّام لا يتناول فيها طعاماً ولا شرباً^(٢).

وقال: رأيتُ النَّاسَ في النَّومِ يتبعون شيئاً^(٣) فإذا عَجوزٌ عوراءٌ شوهاً عليها من كلِّ زينةٍ وحليّةٍ، قلتُ: مَنْ أنتِ؟ قالت: الدُّنيا. قلتُ: أسألُ اللهَ أنْ يَبغضَكَ إليّ. قالت: نعم، إن أبغضتِ الدّراهم.

وكان يُحيي كلَّ ليلةٍ أجمع، ففترّ ليلةً، فقال لامرأته: إذا مضى كذا فأيقظيني، فاتاهُ آتٍ في نومِهِ، فأخذَ بناصيته، وقال: قُمْ يا ابن زياد، اذكرِ اللهَ يذكركُ. فقام، فمازالت تلك الشّعراتُ التي أخذها منه قائمةً حتى مات.

وقال له رجلٌ: رأيتُكَ دخلتَ الجنّة. قال: أما وجدَ الشيطانُ أحداً يسخرُ به غيري وغيرك.

وقال: إنّما نحنُ قومٌ وضعنا أنفسنا في النار، فإن شاء الله أن يُخرِجنا أخرجنا.

(*) طبقات ابن سعد ٢١٧/٧، تاريخ خليفة ٣٠٨، التاريخ الكبير للبخاري ٥٠٧/٦، الجرح والتعديل ٣٥٥/٦، ثقات ابن حبان ٢٤٦/٥، حلية الأولياء ٢٤٢/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٢/١، صفة الصفوة ٢٥٣/٣، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٦/ب، تهذيب الكمال ٤٩٧/٢٢، سير أعلام النبلاء ٢٠٢/٤، تاريخ الإسلام ٤١/٤، البداية والنهاية ٢٦/٩، تهذيب التهذيب ١٨١/٨، النجوم الزاهرة ٢٠٢/١، طبقات الشعراني ٣٥/١، وسترّد ترجمته أيضاً في الطبقات الصغرى ٤٤٥/٤.

(١-١) ما بينهما من المطبوع فقط.

(٢) في المطبوع: شخصاً.

١) وقال: لو عَلِمَ النَّاسُ ما أَمَامَهُمْ لما اطمأنوا ساعةً في هذه الدَّارِ، ولا غَرَسُوا ولا بَنَوْا^(١).

وقال له رجلٌ: إذا صَلَّيْتُ وَحَدِي لم أَغِقِلْ صَلَاتِي. قال: أَبَشِرْ، فَإِنَّ هَذَا عِلْمُ الْخَيْرِ، أما رأيتَ اللَّصُوصَ إذا مَرُّوا ببيتِ خَرِبٍ لم يَلُوتوا عليه، أو بيتِ عامِرٍ فيه مَتاعٌ زايِلوه حتى يُصِيبوا منه شيئاً. كذا جاء عنه في رواية أخرى أَنَّ جَرِيرَ بنَ عَبيد^(٢) شكا إليه ما يَجِدُ في صَدْرِهِ مِنَ الْوَسْوَسةِ، فقال: إِنَّمَا مِثْلُ ذَلِكَ كَالبيتِ الَّذِي تَمَرُّ بِهِ اللَّصُوصُ، فَإِنَّ كانَ بِهِ شَيْءٌ عَالَجُوهُ، وإلَّا تَرَكوهُ.

قال الغزالي^(٣): يعني القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَتَشْكُرَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وَكُلُّ مَنْ اتَّبَعَ الْهَوَى فَهُوَ عَبْدُ الْهَوَى، لا عبد الله، فلذلك تسلط عليه الشيطان ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

ومات رضي الله عنه في ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين^(٤)، ويُقال لها: سنة الفقهاء، مات فيها منهم عدَّةٌ. انتهى.

* * *

(١-١) ما بينهما ليس في (أ) ولا في (ب).

(٢) في الأصول جرير بن عبيدة، والمثبت من حلية الأولياء ٢/٢٤٥، وتهذيب الكمال ٥٠٤/٢٢.

(٣) إحياء علوم الدين ٣/٢٨ في شرح عجائب القلب، باب بيان تسلط الشيطان على القلب بالوساوس.

(٤) حقه أن يكون في الطبقة الأولى.

(١٤٢) عليُّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب (*)

زَيْنُ الْعَابِدِينَ، إِمَامٌ سَيِّدٌ سَنَدٌ، اشْتَهَرَتْ أَيْدِيهِ وَمَكَارِمُهُ، وَطَارَتْ بِالْجُودِ فِي الْوُجُودِ^(١) حَمَائِمُهُ، كَانَ عَظِيمَ الْقَدْرِ، رَحْبَ السَّاحَةِ وَالصَّدْرِ، رَأْسًا لْجَسَدِهِ الرَّيَّاسَةِ، مَوْثَلًا^(٢) لِلْإِيَالَةِ وَالسِّيَاسَةِ، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو الْحَسَنِ، أَوْ أَبُو مُحَمَّدٍ، أَوْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ.

وَهُوَ عَلِيُّ الْأَصْغَرَ، وَأَمَّا عَلِيُّ الْأَكْبَرُ فَقُتِلَ مَعَ أَبِيهِ، وَكَانَ هَذَا عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً^(٣)، وَهُوَ مَرِيضٌ، فَلَمْ يُقْتَلْ يَوْمَئِذٍ.

وَهُوَ ثِقَّةٌ ثَبَّتْ فَاضِلٌ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ: مَا رَأَيْنَا قَطُّ قُرَشِيًّا أَفْضَلَ مِنْهُ.

رَوَى عَنْ: أَبِيهِ، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَجَمْعٍ.

وَعَنْهُ: بَنُوهُ: مُحَمَّدٌ، وَزَيْدٌ، وَعَمْرٌ، وَالزُّهْرِيُّ، وَأَبُو الزِّنَادِ، وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْقَهَ مِنْهُ.

(*) طبقات ابن سعد ٥/٢١١، طبقات خليفة ٢٣٨، تاريخ خليفة ٢٣٤، ٣٠٤، التاريخ الكبير للبخاري ٦/٢٦٦، المعارف ٢١٤، الجرح والتعديل ٦/١٧٨، الثقات لابن حبان ٥/١٥٩، حلية الأولياء ٣/١٣٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٦٣، صفة الصفوة ٢/٩٣، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٩/ب، تهذيب الأسماء واللغات ١/٣٤٣، وفيات الأعيان ٣/٢٦٦، تهذيب الكمال ٢٠/٣٨٢، سير أعلام النبلاء ٤/٣٨٦، تاريخ الإسلام ٤/٣٤، تذكرة الحفاظ ١/٧٠، العبر ١/١١١، البداية والنهاية ٩/١٠٣، غاية النهاية ١/٥٣٤، تهذيب التهذيب ٧/٣٠٤، النجوم الزاهرة ١/٢٢٩، طبقات الشعراني ١/٣١، شذرات الذهب ١/١٠٤.

(١) فِي (ب): الْجُودِ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: مَوْثَلًا.

(٣) فِي الْأَصُولِ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ تَهْذِيبِ الْكَمَالِ ٢٠/٣٨٤، ٣٨٥، وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤/٣٨٦، وَالْمَثْبُوتُ يُؤَيِّدُهُ مَا سَيَذْكَرُهُ الْمُؤَلِّفُ بِنَهَايَةِ التَّرْجُمَةِ مِنْ أَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ (٩٤) وَلَهُ (٥٨) عَامًا، فَيَكُونُ مَوْلَدُهُ تَقْرِيبًا سَنَةَ (٣٨) وَكَانَتْ مَأْسَاةَ كَرْبَلَاءِ سَنَةَ (٦١).

وقال ابنُ المُسيَّب: ما رأيتُ أَوْرَعَ منه.

وقد جاءَ عنه مناقبُ من خُشوعه في وضوئه وصلاته ونُسُكِهِ ما يُدهِشُ السَّامِعَ.

وكان يُصَلِّي في اليوم واللَّيلة ألفَ ركعةٍ حتى ماتَ.

قال مالكٌ رضي الله عنه: وسُمِّيَ زين العابدين لكثرةِ عِبَادَتِهِ.

وكان إذا هاجتِ الرِّيحُ سَقَطَ مَغَشِيًّا عليه.

ووقعَ حريقٌ في بيته، وهو ساجِدٌ، فجعلوا يقولون له: النَّارُ، فما رَفَعَ رأسَهُ حتى طُفِئَتْ، فقيلَ له: أشعرتَ بها؟ قال: ألَهتني عنها النَّارُ الكُبرى.

وكان إذا نقصَهُ أحدٌ قال: اللَّهُمَّ، إن كان صادقاً فاغفرْ لي، وإن كان كاذباً فاغفرْ له.

ولمَّا ماتَ وجدوه يقوتُ أهلَ مئةِ بيتٍ.

ودخلَ علي محمد بن أسامة بن زيد في مرضِ مَوْتِهِ، فبَكَى^(١)، فقال: ما يُبكيك؟ قال: عليّ دَيْنٌ خمسةَ عشرَ ألفَ دينارٍ. فقال: هي عليّ. ووقَّأها. ومن كراماته:

أنَّ زَيْداً ابْنَهُ استشارَهُ في الخُروجِ فنهاه، وقال: أخشى أن تكونَ المقتولَ المصلوب^(٢)، أما علمتَ أنَّه لا يَخْرُجُ أحدٌ من ولدِ فاطمة رضي الله عنها قبلَ خروجِ السُّفْياني إلَّا قُتِلَ. فكان كما قال، خرجَ زيدٌ في خمسةَ عشرَ ألفاً، فطُلبَ، فتفرَّقوا عنه، فقتله الحجاجُ.

ومنها: أنَّه صلبُهُ مَكشوفَ العورةِ، فسَجَّتِ العنكبوتُ عليها، فلم تُرَ بعدَ ذلك قطُّ.

(١) في الأصول: ودخل عليه في مرض موته محمد بن أسامة بن زيد فبكى، والمثبت من حلية الأولياء ٤١/٣، وصفة الصفوة ١٠١/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٩٤/٤، وتهذيب الكمال ٣٩٣/٢٠.

(٢) في (أ): المصلوب بالكوفة. وكأنه إشارة للحديث المذكور: ٣٠٣/٤.

ومنها: أن عبد الملك بن مروان حملهُ من المَدِينَةِ مُقَيِّدًا مَغْلُولًا فِي أَثْقَلِ قِيودِ وَأَغْلَالِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ لوداعِهِ فَبَكَى، وَقَالَ: وَدَدْتُ أَنِّي مَكَانَكَ. فَقَالَ: أَتَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ يُكْرِبُنِي، لَوْ شِئْتُ لَمَا كَانَ، وَإِنَّهُ لِيُذَكِّرُنِي عَذَابَ اللهِ. ثُمَّ أَخْرَجَ رَجْلِيهِ مِنَ الْقَيْدِ، وَبِيَدَيْهِ مِنَ الْغُلِّ وَرِمَاهُمَا، ثُمَّ أَعَادَهُمَا.

وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحِلْمِ، وَلَهُ فِيهِ حِكَايَاتٌ عَجِيبَةٌ، وَأَخْبَارٌ غَرِيبَةٌ. وَكَانَ شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى بَحِيثُ إِذَا تَوَضَّأَ اصْفَرَ لَوْنُهُ، وَارْتَعَدَ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا؟ فَيَقُولُ: تَدْرُونَ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ؟

وَكَانَ لَا يُعِينُهُ عَلَى طَهْوَرِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ حَضْرًا وَلَا سَفْرًا. وَقَرَّبَ إِلَيْهِ طَهْرُهُ مَرَّةً فِي وَقْتِ وَرْدِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ لِيَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي خَلْقِهَا حَتَّى أَصْبَحَ، وَأَذَّنَ الْمُؤَدِّنُ وَيَدُهُ فِي الْإِنَاءِ فَلَمْ يَشْعُرْ. وَمِنْ كَلَامِهِ:

إِذَا نَصَحَ الْعَبْدُ اللهُ فِي سِرِّهِ أَطْلَعَهُ عَلَى مَسَاوِي عَمَلِهِ، فَتَشَاغَلَ بِذُنُوبِهِ عَنِ مَعَايِبِ النَّاسِ.

وَقَالَ: فَقَدْ الْأَحِبَّةُ غُرْبَةً.

وَقَالَ: عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ لَا تَكُونُ إِلَّا شُكْرًا لِلَّهِ، لَا خَوْفًا وَلَا رَغْبَةً.

وَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ صَاحِبُكَ مَنْ إِذَا فَتَحْتَ كَيْسَهُ فَأَخَذْتَ مِنْهُ حَاجَتَكَ لَمْ يَنْشِرْخْ لِذَلِكَ؟

وَقَالَ: أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ غَضَبِ اللهِ إِذَا غَضِبَ.

قَالَ: إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوهُ رَهْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَآخَرِينَ عَبَدُوهُ رَغْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ التَّجَارِ، وَقَوْمًا عَبَدُوهُ شُكْرًا فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ.

وَقَالَ: اللهُ تَعَالَى ثَلَاثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ^(١) نَظْرَةً إِلَى عِبَادِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ،

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: سِتِينَ.

يُمَدُّهُمْ بِهَا فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَلَاشَى الْعَالَمُ فِي أَقْلٍ مِنْ طَرَفَةِ عَيْنٍ^(١).

وقال: عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الْفَخُورِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً وَغَدًا جِيْفَةً، وَعَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ لِمَنْ شَكَ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَهُ، وَلِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ وَهُوَ يَرَى الْأُولَى، وَلِمَنْ عَمِلَ لِدَارِ الْفَنَاءِ وَتَرَكَ دَارَ الْبَقَاءِ.

وقال لابنه الباقر: لَا تَصْحَبَنَّ خَمْسَةً وَلَا تُرَافِقُهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ: الْفَاسِقَ؛ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِأَكْلَةٍ فَمَا دُونَهَا، قِيلَ: فَمَا دُونَهَا؟ قَالَ: يَطْمَعُ فِيهَا ثُمَّ لَا يَنَالُهَا، وَالْبَخِيلَ؛ فَإِنَّهُ يَقَطِّعُ بِكَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَالكَذَّابَ؛ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُبْعِدُ مِنْكَ الْقَرِيبَ، وَيُقَرِّبُ إِلَيْكَ الْبَعِيدَ، [وَالْأَحْمَقَ؛ فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ]^(٢)، وَقَاطِعَ الرَّحِمِ؛ فَإِنَّهُ مَلْعُونٌ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ^(٣) مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

وكان عاملاً على كتمان أسرار الله تعالى في العالم، كما أشار إليه بقوله:

يَا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوخُ بِهِ لَقِيلَ لِي: أَنْتَ مَمَّنْ يَعْبُدُ الْوَتْنَا
وَلَا سَتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي يَرُونَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا

وَمِنْ مُبَالَغَاتِ حِلْمِهِ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ، فَسَبَّهُ وَبَالَغَ وَأَفْرَطَ، فَبَادَرَ إِلَيْهِ الْعَبِيدُ وَالْمَوَالِي، فَكَفَّهُمْ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا سُتِرَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا أَكْثَرَ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ نُعِينُكَ عَلَيْهَا؟ فَاسْتَحَى الرَّجُلُ، فَالْقَى لَهُ خَمِيصَةً^(٤) وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

(١) الخبر من المطبوع فقط. وهذا القول ينسب لمحمد بن الحنفية. انظر المختار من مناقب الأبرار ٣/ ٢٦٥.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من صفة الصفوة ٢/ ١٠١.

(٣) وهي: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، و ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، و ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم] [محمد: ٢٢-٢٣].

(٤) الخميصة: ثوب خز معلم. متن اللغة (خمص).

ولقيته رجلٌ فسبّه، فقال له: يا هذا، بيني وبين جهنم عقبةٌ إن أنا جزتها فما أبا لي بما قلت، وإن لم أجزها فأنا أكثر ممّا تقول، ألك حاجةٌ؟ فخرجل.
وسبّه رجلٌ، فقال له: ما لا تعرفه مني أكثر ممّا تعرفه، فإن كان لك حاجةٌ فاذكرها.

مات سنة أربع وتسعين، عن ثمان وخمسين سنة، ودُفن بالبقيع في القبر الذي فيه عمّه الحسن بن علي رضي الله عنهما، وهو الآن في القبّة التي فيها العباس، كذا رأيتُه بخطّ جماعة أعيان منهم ابن رسلان.

والمشهد الذي بقرب مجرة القلعة بقرب مصر القديمة^(١) بُني على رأس زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قدّم برأسه سنة اثنتين وعشرين ومئة، وبنوا عليه هذا المشهد. قال بعضهم: والدعاء عنده مستجاب، والأنوار تُرى عليه.

* * *

(١٤٣) عليُّ بن الفضيل بن عياض التميمي (*)

كان من الخائفين الخاشعين، الزاهدين العابدين، كذا قال الذهبي^(٢)، حتى إنهم فضّلوه على أبيه.

وكان يُغشى عليه إذا سمع آيات الوعيد إلى أن سمع قارئاً يقرأ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] الآية، فسقط ميتاً.

(١) في طبقات الشعراني ٣٢/١: بالقرب من مجرة الماء إلى القلعة بمصر العتيقة.

(*) الثقات لابن حبان ٤٦٤/٨، حلية الأولياء ٢٩٧/٨، صفة الصفوة ٢٤٧/٢، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٤/ب، تهذيب الكمال ٩٦/٢١، سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٨ (١١٥)، الوافي بالوفيات ٢١/ترجمة ٢٥٩، العقد الثمين ٢٢٢/٦، تهذيب التهذيب ٣٧٣/٧.

(٢) قال الذهبي في السير ٣٩١/٨: قلت: خرج هو وأبوه من الضعف الغالب على الزهاد والصوفية، وعُدّ في الثقات إجماعاً، وكان علي قانتاً لله، خاشعاً، وجلاً، ربانياً، كبير الشأن.

ماتَ قبلَ الكُهولةِ سنةَ أربعٍ وسبعينَ ومئةً .
 روى الحديث عن : عبّاد بن منصور، وغيره .
 وخرَجَ له النَّسائي (١) .

* * *

(١٤٤) عِمْرانُ القَصرِ (*)

عمرانُ القَصرِ الواعِظُ البَصيرُ، المُحَثُّ على المَسيرِ إلى المَصرِ، كانَ
 التَّحَفُّظُ من شأنه، والتيقُّظُ من مظانِّه، عابِداً مُجاهِداً، عاهدَ اللهُ أن لا يَنامَ بليلاً
 أبداً إلا مُستغلباً .

ومن كلامه :

حَرَامٌ على قلبٍ يَجِدُ طعمَ الإيمانِ حتّى يَزهدَ في الدُّنيا، إلا حُرٌّ كَرِيمٌ يَصْبِرُ
 أيّاماً قلائِلَ .

وقال : قال موسى عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : يا رَبِّ، أينَ أبغيكَ ؟ قال : عندَ
 المُنكَسِرَةِ قُلُوبُهُم، فإنِّي أدنو منهم كلَّ يومٍ باعاً، لولا ذلك لتهدموا .
 وقال : إذا رأيتُم الرَّجُلَ يُقَتِّرُ على عِيالِهِ، فإنَّ عملَهُ بينه وبين الله أَخْبَثُ
 وأخْبَثُ .

وكان يقولُ في كلامِهِ : ما أحلى ذِكْرَكَ في أفواهِ الأبرارِ ! وأعظَمَكَ في قلوبِ
 المؤمنينِ ! .

أسندَ الحديثَ : عن أنس بن مالك، وكثيرٍ من التَّابعينِ .

(١) أخرج له النسائي في سننه ٧٦/٣ في السهو، باب نوع آخر من عدد التسبيح .
 (*) التاريخ الكبير للبخاري ٤١٩/٦، التاريخ الصغير ١٣٠/٢، ضعفاء العقيلي ٣٠٥/٣،
 الجرح والتعديل ٣٠٤/٦، الثقات لابن حبان ٢٤٢/٧، المجروحون لابن حبان
 ١٢٣/٢، الكامل لابن عدي ٩٢/٥، حلية الأولياء ١٧٧/٦، صفة الصفوة ٣١٢/٣،
 تهذيب الكمال ٣٥١/٢٢، تاريخ الإسلام ٢٥٩/٦، ميزان الاعتدال ٢٤٣/٣، تهذيب
 التهذيب ١٣٧/٨ . واسمه عمران بن مسلم .

(١٤٥) عليُّ بن بَكَارِ الشامي (*)

سَكَنَ المِصْبِيصَةَ مُرَابِطاً، وَكَانَ فَقِيهاً صُوفِيًّا زَاهِداً، مُتَوَرِّعاً، دَيَّاناً مِنَ الفِقهِ وَالتَّصَوُّفِ مُتَضَلِّعاً.

وَكَانَتِ الجَارِيَةُ تُفْرِشُ لَهُ، فَيَلْمَسُهُ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: وَاللَّهِ، إِنَّكَ لَطَيِّبٌ، وَإِنَّكَ لِبَارِدٌ، لَا عِلْوَتَكَ اللَّيْلَةَ.

وَكَانَ يُصَلِّي الغَدَاةَ بوضوءِ العَتَمَةِ.

وَمِنْ كَلَامِهِ:

اتَّقِ اللَّهَ، وَالزَّمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ^(١) لِسَانَكَ، وَاتْرُكْ مُخَالَطَةَ النَّاسِ تَنْزِلَ عَلَيْكَ الحِكْمَةُ مِنْ فَوْقِكَ.

وَمِنْ كَرَامَاتِهِ:

أَنَّهُ خَرَجَ هُوَ وَأَبُو إِسْحَاقَ الفَزَارِي يَحْتَطِبَانِ، فَأَبْطَأَ ابْنُ بَكَارٍ عَلَيَّ أَبِي إِسْحَاقَ فِدَارَ الفَزَارِيِّ فِي الجَبَلِ خَلْفَهُ، فَجَاءَ فَنظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُتَرْبِّعٌ، وَفِي حِجْرِهِ رَأْسُ أُسْدٍ، وَهُوَ نَائِمٌ يَذُبُّ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا قُعودُكَ هُنَا؟ فَقَالَ: لَجَأٌ إِلَيَّ فَرَحْمَتُهُ، فَأَنَا أَنْتَظِرُهُ لِيَنْتَبِهَ وَأَلْحَقَكَ.

وُطِّعِنَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَخَرَجَتْ أَمْعَاؤُهُ عَلَيَّ قَرْبُوسَ سَرِّجِهِ، فَرَدَّهَا إِلَيَّ بَطْنِهِ، وَشَدَّهَا بِعِمَامَتِهِ، وَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عِلْجاً.

أَسْنَدَ عَنْ: هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، وَصَحْبِ ابْنِ أَدَهْمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) طبقات ابن سعد ٤٩٠/٧، التاريخ الكبير للبخاري ٢٦٢/٦، الجرح والتعديل ١٧٦/٦، الثقات لابن حبان ٤٦٣/٨، حلية الأولياء ٣١٧/٩، صفة الصفوة ٢٦٦/٤، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٨/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٠٨/١٧، تهذيب الكمال ٣٣٠/٢٠، سير أعلام النبلاء ٥٨٤/٩، تهذيب التهذيب ٢٨٦/٧، جامع كرامات الأولياء ١٥٦/٢. وسيترجم له المؤلف ثانية في الطبقات الصغرى ٤٥٦/٤.

(١) في صفة الصفوة ٢٦٧/٤: وأمسك.

ومات بالمِصِيصَةِ سنةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ .

* * *

(١٤٦) عمر بن عبد العزيز (*)

الأمينُ الميمونُ، الأميرُ المأمونُ، الحاكمُ العادلُ المصونُ، خامسُ الخلفاءِ بشهادةِ الأعلامِ الحنفاءِ، العالمُ الكاملُ، العليُّ المنزلةُ، الذي لم يعدل قطُّ عن المعدلةِ .

كان أوحدَ أُمَّتهِ في الفضلِ، ونجيبَ عَشيرتهِ في العدلِ، جَمَعَ زُهْداً وَعَفَافاً، وورعاً وكفافاً، فأشغلهُ آجلُ العيشِ عن عاجلهِ، وألهاهُ إقامةُ العدلِ عن عاذلهِ، إيه، وكان للرعيَّةِ رُكناً مَتيناً، وكهفاً مَكيّناً، ونوراً مُبيناً، وعلى خَلْقِ اللهِ أميناً، وقد قيل: التَّصَوُّفُ: الإعراضُ عن الدُّنْيَا، والإقبالُ على البَهِيمِيَّةِ، مُتَوَاتِباً لِلدُّنْيَا، وَمُتَعَالِياً لِلسُّمُوِّ .

وكانَ قَبْلَ الخِلافةِ عامِلاً على المدينةِ على قَدَمِ الصَّلاحِ، لكنَّهُ يُبَالِغُ في التَّنَعُّمِ، فكان حَسَدُهُ لا يُعَيِّبُونَهُ إِلَّا بِذَلِكَ، فَلَمَّا بُويعَ بعَهْدٍ من سُلَيْمَانَ سنةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ، أَقَامَ في الخِلافةِ نحوَ خِلافةِ الصِّدِّيقِ، فمَلَأَ الأَرْضَ عَدَلاً، وَرَدَّ المَظَالِمَ .

(*) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم، طبقات ابن سعد ٥/٣٣٠، تاريخ خليفة ٥٦٩، الزهد للإمام أحمد ٢٨٩، التاريخ الكبير ٦/١٧٤، المعارف ٣٦٢، الجرح والتعديل ٦/١٢٢، ثقات ابن حبان ٥/١٥١، حلية الأولياء ٥/٢٥٣، طبقات الشيرازي ٦٤، صفة الصفوة ٢/١١٣، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، المختار من مناقب الأنبياء ٢٩٧/أ، مختصر تاريخ دمشق ١٩/٩٨، تهذيب الكمال ٢١/٤٣٢، سير أعلام النبلاء ٥/١١٤، تاريخ الإسلام ٤/١٦٤، تذكرة الحفاظ ١/١١٨، العبر ١/١٢٠، فوات الوفيات ٣/١٣٣، الوافي بالوفيات ٢٢/٥٠٦، البداية والنهاية ٩/١٩٢، العقد الثمين ٦/٣٣١، غاية النهاية ١/٥٩٣، تهذيب التهذيب ٧/٤٧٥، النجوم الزاهرة ١/٢٤٦، الطبقات الكبرى للشعراني ١/٣٣، شذرات الذهب ١/٧ .

وقُدِّمَ إليه يومَ اسْتُخْلِيفَ مركبُ الخليفةِ، فأبى وقال: ايتوني ببغلتِي.
ولمَّا رَجَعَ من جنازةِ سُليمانَ، قال له خادِمُهُ: ما لي أراك مُغْتَمًّا؟ قال:
لمثلِ ما أنا فيه فليُغْتَمَّ، ثمَّ بدأ بأهلِ بيتهِ، فأخذَ ما بأيديهم، فوضَعَهُ ببيتِ
المالِ.

وكانتِ الذَّنابُ ترعى مع الغنمِ بالباديةِ في خِلافتهِ.
ولمَّا أفضتِ الخِلافةُ إليه نَزَعَ ثيابهُ الحَسَنَةَ، ودَعَى بأطمارِ غليظةِ باليةِ،
فلَبِسَهَا، وقال: قد جاءنا ما يَشغَلُنَا عن لِباسِ الزَّيْنَةِ حتَّى نُجاوِزَ الصُّراطَ، ولمَّا
ماتَ لم يَجِدُوا له قَميصاً غيرَ ما عليه.

وكان ابنُ سيرين يُسمِّيهِ: إمامَ الهدى.
وقال مالكُ بن دينار: النَّاسُ يقولون: مالكٌ زاهدٌ، إنَّما الزَّاهدُ عمر بن
عبد العزيز، أتتهُ الدُّنيا كلُّها فترَكها.

وقال بعضهم: هو أزهدُ من أُويسَ، لأنَّ عمرَ مَلَكَ الدُّنيا فزهدَها، وأُويسُ
لم يَمْلِكْها، فقيل: لو مَلَكَها لفعلَ كعمر؟ فقال: ليس^(١) مَنْ لم يُجربْ كَمَنْ
جربَ.

وزارهُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ، فقَدَّمَ له كِسرَةَ يابِسةً، ونصفَ خِيارَةَ، وقال: كُلْ
يا حَسَنَ، هذا زمانٌ لا يَحتمِلُ فيه الحلالُ السَّرَفَ.

واجتمعَ بالخَضِرِ عليه السَّلَامُ، فقال له: أوصِنِي، فقال: احذِرْ أنْ تَكُونَ
وليًّا لله في العَلانِيَّةِ، وعدوًّا له في السِّرِّ.

وكان غلتهُ يومَ أفضتِ إليه الخِلافةُ أربعينَ ألفَ دينارٍ كلَّ عامٍ، فلمَّا ماتَ
كانت أربعَ مئةِ دينارٍ، ولو عاشَ لنقصتِ.

ودخلَ عليه مَسَلمةُ بن عبد الملكِ في مَرَضِهِ، فإذا قَميصُهُ وَسِخٌ، فقال
لامراتِهِ: ألا تَغسِلُونَهُ؟ قالت: وهل له غيرُهُ؟

ودخلَ أبو أميةَ الخَصِيُّ غلامُ عمرَ إلى مولاتِهِ فغَدَّتهُ عَدَساً، فقال: كلُّ يومٍ

(١) في (ف) والمطبوع: لفعل كعمر، فليس.

عَدَسٌ؟ قالت: يا بُني، هذا طعامٌ مَوْلَاكَ أمير المؤمنين .
ودخَلَ على امرأته فقال: عندَكَ درهمٌ أَشْتَرِي بِهِ عِنْباً؟ فقالت: أنتَ أميرُ
المؤمنين ولا تَقْدِرُ عليه؟! قال: هذا أهْوَنُ عَلَيَّ من معالجةِ الأغلالِ غداً في
جَهَنَّمَ .

ولم يَغْتَسِلْ من جَنَابَةِ مُنْذُ اسْتُخْلِيفَ حَتَّى مات .
وكانَ إذا دَخَلَ بَيْتَهُ ألقى نَفْسَهُ في مَسْجِدِهِ، فلا يَزَالُ يَبْكِي وَيَدْعُو حَتَّى
يُصْبِحُ .

وكان لا يَسْجُدُ إِلَّا على التُّرابِ .
وكان يُصَلِّي بالنَّاسِ الجُمُعَةَ في قَمِيصٍ به عِدَّةُ رِقَاعٍ، فلامَهُ بعضُ أهله
فقال: أَفْضَلُ القصدِ عندَ الجِدَّةِ^(١)، وَأَفْضَلُ العَفْوِ عندَ القُدْرَةِ .
وكان إذا كَتَبَ كِتَاباً، فاستَحَسَنَ ألفاظَهُ مَرَّةً .

وكان إذا أرادَ مُعاقِبَةَ رَجُلٍ حَبَسَهُ ثَلَاثاً، ثم عاقَبَهُ، كراهةً أن يَعْجَلَ في أوَّلِ
غَضَبِهِ .

وكان يقولُ: نَفْسِي تَوَاقَةٌ، لم تُعْطَ شَيْئاً من الدُّنيا إِلَّا تاقَتْ لما هو أَفْضَلُ
منه، فلَمَّا أُعْطِيَتْ منها ما لا شيءَ^(٢) فوَقَّه تاقَتْ إلى ما هو أَفْضَلُ منه، وهو
الآخِرَةُ .

وكانت نَفَقَتُهُ كلَّ يومٍ دِرْهَمَيْنِ .
وكان يُسْرِجُ الشَّمْعَةَ مادامَ في مِصَالِحِ^(٣) النَّاسِ، فإذا فَرَّغَ منها أَطْفَأَها، ثم
أَسْرَجَ سِراجَهُ .

وكانَ للخليفةِ ثلاثُ مئةِ حَرَسِيٍّ، وثلاثُ مئةِ شُرْطِيٍّ، فقال عمرُ لهم: إنَّ لي

(١) الجِدَّةُ: الغِنى واليسار . (وجد) .

(٢) في حلية الأولياء ٣٣١/٥: فلما أُعْطِيَتْ الخلافةَ التي لا شيءَ أَفْضَلُ منها تاقَتْ إلى
ما هو أَفْضَلُ منها . قال سعيد: الجنة أَفْضَلُ من الخلافةِ .

(٣) في (أ) و (ف): حوائج .

عنكم بالقدرِ حاجِزاً، وبالأجلِ حارساً. وأبطلهم.

واشتهى تُفاحاً، فأهداهُ له بعضُ أقاربه، فقال لُغلامه: ما أحسنهُ، رُدَّه إليه، وأقرَّه السَّلامَ. قال: يا أميرَ المؤمنين، ابنُ عمِّك، والمُصطفى ﷺ قبلَ الهديةِ^(١). قال: هي له هديَّة، ولنا رِشوة.

وبلغهُ أنَّ ابنه اشترى خاتماً بألفِ درهمٍ، فكتبَ إليه: بعهُ وأشبع ألفَ بطنٍ، واتَّخذ خاتماً من درهمين، واجعل فصَّهُ حديداً صينيّاً، واكتب عليه: رَحِمَ اللهُ امرأَ عَرَفَ قَدَرَ نَفْسِهِ^(٢).

وقال له رَجُلٌ: رأيتُكَ تَسحَبُ ذَيْلَكَ، قال: هَلَّا قُلْتَ لي، قال: هِبْتُكَ، قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِقَائِلِ الْحَقِّ مِنَ اللَّهِ سُلْطَاناً؟

وولى غيلانَ بنَ مُسلمِ الدَّمشقي رَدَّ المَظالمِ، فكان يُخْرِجُ خَزائِنَ بني أُمَيَّةَ، يُنادي: هَلُمُّوا إلى مَتاعِ الخَوَنةِ. ونادى على جَواريبِ خَزٍّ قد تَأَكَلَتْ بَلغَتَ قيمَتُها ثلاثينَ ألفاً، فقال: مَنْ عَذيري مَمَّن يَزعمُ أَنَّ هؤُلاءِ أئمَّةٌ عَدلٍ؟ وقد تَأَكَلَتْ هذه الجَواريبُ في خَزائِنِهِم، والفقراءُ يَموتونَ جوعاً.

وقال مَكحولٌ: ما رأيتُ أخوفاً ولا أزهداً منه. كان إذا ذَكَرَ الموتَ اضطرَّبتُ أوصالهُ.

وكان يَجْمَعُ الفُقهَاءَ كُلَّ لَيْلَةٍ يَتَذَكَّرُونَ القِيامَةَ، ثم يَبكونَ حتَّى كأنَّهُم في جَنازَةٍ.

واجتمعَ بنو مروانِ ببابه، فقالوا لابنه: قُلْ لأبيكَ يُعطينا حَقَّنَا كَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الخُلَفاءِ، وَيَعْرِفُ لنا مَوْضِعَنَا^(٣)، فأخبرهُ، فقال: قُلْ: يقولُ أبي: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣٥].

وكان إذا أَملى على كاتبِهِ يقولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعوذُ بِكَ من شَرِّ لِساني.

(١) في سير أعلام النبلاء ٥/١٤٠: ابن عمك ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن رسول الله ﷺ كان يأكل الهدية.

(٢) الخبر في الحلية ٥/٣٠٦ دون قوله: واجعل فصه حديداً صينياً.

(٣) الخبر في الحلية ٥/٢٦٧: إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا.

وكتب إليه عامل خراسان أن أهلها لا يصلحهم إلا السيف والعصا . فكتب إليه : كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسطه فيهم .
وكان يقول : الفقه الأكبر القنع ، وكف الأذى .

وقال : إياكم والدُّخولَ علينا ؛ فإنَّكم إن أمرتمونا ونهيتُمونا لمَ تسلّموا من الإثم .

وقال : ما قضى الله بقضاءٍ قطُ فسرنى أن يكونَ قضى لي بغيره ؛ وما أصبح لي هوى إلا في مواقعٍ قدر الله .

وقال : لكلِّ سفرٍ زادٌ لا محالة ، فتزوّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعدَّ الله من ثوابه وعقابه تُرغبوا وتُرهبوا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمدُ فتقسوا قلوبكم ، أعودُ بالله أن أمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسرَ صفتي ، لقد عنيتم بأمرٍ لو عنيث به النجومُ لغارت ، أو الجبالُ لذابت ، أو الأرضُ لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنارِ منزلةٌ ؟ وأنكم صائرون إلى إحداهما .

وقال : إن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدع شيئاً من أمركم سدى ، إن لكم معاداً ينزلُ الله فيه للحكم والقضاء ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم الجنة ، فاشترى قليلاً بكثير ، وفانياً بباقي ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ؟ وسيخلفها بعدكم الباقون ، كذلك حتى تُردَّ إلى خير الوارثين . في كلِّ يومٍ وليلةٍ تُشيِّعون غادياً ورائحاً قد قضى نحبهُ حتى تُغيبوه في صدعٍ من الأرض ، ثم تدعوه قد خلع الأسباب ، وفارق الأحاب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مُرتهاناً بعمله ، فقيراً إلى ربّه ممّا قدّم ، غنياً عمّا ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت . وإيم الله ، إنِّي لأقولُ لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحدٍ من الذنوب ما عندي . ثم وضع رداءه على وجهه فبكى حتى أبكى .

وقال : لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس .

وقال : ليس الزهدُ في الشبهات ، بل في الحلال ، أمّا الحرامُ والشبهةُ فنازٌ تُسعرُ في بطون الأكلين .

وقال: إذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد، فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تفعل بهم أمراً من الظلم إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك، وأن الله يأخذ للمظلوم حقه من الظالم، وإياك إياك أن تظلم من لا ينتصر عليك إلا بالله تعالى؛ فإنه إذا علم التجاء عبد إليه بصدق واضطرار انتصر له فوراً ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال: الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما يُنفق فيها، فإن كان براً أتوه ببرهم، وإن كان فاجراً أتوه بفجورهم.

وقال: إنما خلقتُم للأبد، ولكنكم تُنقلون من دارٍ إلى دارٍ^(١).

وقال: كُنْ لصغير الناسِ أباً، ولكبيرهم ابناً، وللمثل أخاً، وعاقب بقدر الذنب والجسد.

وقال: مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ.

وقال: مَنْ قَرَّبَ الْمَوْتَ مِنْ قَلْبِهِ اسْتَكْتَرَ مَا فِي يَدَيْهِ.

وقال: إن استشعرت ذكر الموتِ كُلِّ آتٍ بُغِضَ إِلَيْكَ كُلُّ فَايَةٍ، وَحُبِّبَ إِلَيْكَ كُلُّ بَاقِيَةٍ.

وكان بنو أمية يَسُبُّونَ عَلِيًّا فِي الْخُطْبِ، فَأَبْطَلَهُ، وَقَرَأَ مَكَانَهُ: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] فهي إلى الآن.

ولمَّا مَرِضَ نَظْرُهُ الطَّيِّبُ فَقَالَ: أَرَاهُ قَدْ سُقِيَ سُمًّا، وَلَا أَمَّنُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ. فَرَفَعَ بَصْرَهُ، وَقَالَ: وَلَا تَأْمَنُ أَيضاً عَلَيَّ مَنْ لَمْ يُسَقِ السُّمَّ، قَالَ الطَّيِّبُ: هَلْ أَحْسَسْتِ بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَنَعَالِجُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ نَفْسُهُ. قَالَ: رَبِّي خَيْرٌ مَذْهُوبٍ^(٢) إِلَيْهِ، وَاللَّهِ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ شِفَايَ أَنْ أَمْسَحَ شَحْمَةَ أُذُنِي مَا فَعَلْتُ.

وقيل له: أوصينا. قال: أحذركم مثل مصرعي هذا، فإنه لا بد لكم منه.

(١) هذا القول ليس في (ب).

(٢) في (أ): من هرب.

ولمَّا احتَضِرَ قال: اخرجوا عني. فقعدت مسلمة وفاطمة^(١) بالباب فسمعاه، يقول: مرحباً بهذه الوجوه. ثم قرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] ثم هدأ الصوت فدخلوا، فوجدوه ميتاً.

قال يوسف بن ماهك: بينما نحن نُسوي عليه التراب سقط علينا كتاب رَقٍّ من السماء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار^(٢).

مات بدير سمعان من عمل حمص سنة إحدى ومئة عن نحو أربعين سنة، سمته بنو أمية لتشديده عليهم، وإهماله للتحريز، فعرف غلامه الذي سمه، فقال: ما حملك عليه؟ قال: ألف دينارٍ أعطيتها، وأن أُعتق. فأخذها، فوضعها بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد.

* * *

(١٤٧) عمرو بن عتبة الكوفي^(*)

عمرو بن عتبة بن فرقد الكوفي صاحب الأحوال الخارقة، والكرامات الفائقة، منها:

أنه كان يصلي في شدة الحر فأظلته سحابة.

وكان السبع يحمله ويحرسه، وهو يرعى ركاب أصحابه، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أن يخدمهم.

-
- (١) فاطمة بنت عبد الملك زوج عمر بن عبد العزيز أخت مسلمة بن عبد الملك.
(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤٤/٥ معقباً على الخبر، قلت: مثل هذه الآية لو تمت لنقلها أهل ذلك الجمع، ولما انفرد بنقلها مجهول، مع أن قلبي منشرح للشهادة لعمر أنه من أهل الجنة.
(*) طبقات ابن سعد ٢٠٦/٦، طبقات خليفة ١٤٣، التاريخ الكبير للبخاري ٣٦٠/٦، الجرح والتعديل ٢٥٠/٦، حلية الأولياء ١٥٥/٤، صفة الصفوة ٦٨/٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٠٥/ب، وفي الأصل: عمر، والتصحيح من مصادر ترجمته.

قال بشر الحافي رضي الله عنه : رأيتُه يُصَلِّي والغمامةُ تظلهُ، والسَّبُعُ يَطوفُ حولهُ يُحرِّكُ ذيلهَ .

ومن كلامه : نزه سمعك عن استماع الخنا، كما تُنزه لسانك عن القول به؛ فإنَّ المُستمعَ شريكُ القائل^(١)، وإنَّما نظرَ إلى شرِّ ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو رُدَّت كلمةٌ سفيه في فيه لسعدَ بها رادُّها كما شقي بها قائلُها .

وقال : سألتُ اللهَ ثلاثاً فأعطاني اثنتين، وأنا أنتظرُ الثالثةَ، سألتُه أن يُزهدني في الدنيا، فما أبالي ما أقبلَ وما أدبرَ، وأن يُقويني على الصَّلَاةِ، فرزقني منها، وسألتُه الشَّهادةَ فأنا أرجوها .

وكان يخرجُ على فرسه ليلاً، فيقفُ على القُبورِ، فيقول : يا أهلَ القُبورِ، قد طويتِ الصُّحُفُ، ورُفِعَتِ الأعمالُ، ثم يبكي، ثم يصفُ قدميه حتى يُصبحَ، فيرجعُ فيشهدُ صلاةَ الصُّبحِ .

وقال خُدَّامُه : صلَّى ليلةً فسمعنا زئيرَ الأسدِ، فهرَبنا وهو في صلاته لم ينصرفَ، فقلنا له : أما خِفْتَ الأسدَ حيثُ جاءك ؟ فقال : إنِّي أستحي من الله أن أخافَ شيئاً سِواه .

استشهدَ في غزوةِ أذربيجان في خلافةِ عُثمان^(٢) رضي الله عنه .

* * *

(١٤٨) عمرو بن قيس الملائني (*)

صوفيٌّ لا يَغفلُ عن التحفُّظِ من الدنيا والاحتِرازِ، ومُجتهدٌ يُقابلُ فرصَ الأوقاتِ بالانتهازِ .

(١) في المطبوع : الفاعل .

(٢) حقه أن يكون من رجال الطبقة الأولى .

(*) تاريخ خليفة ٧٠، التاريخ الكبير للبخاري ٣٦٣/٦، الجرح والتعديل ٣٥٤/٦، مشاهير علماء الأمصار ١٦٧، الثقات لابن حبان ٢٢١/٧، حلية الأولياء ١٠٠/٥، تاريخ بغداد ١٦٣/١٢، الأنساب ٥٥١/١١، صفة الصفوة ١٢٤/٣، المختار من =

أقامَ عشرينَ سنةً لا يَعْلَمُ به أهله .

وكان إذا حَضَرَتْهُ الرَّقَّةُ يُحوِّلُ وجهَهُ إلى الحائِطِ ويقولُ لجلسائه: هذا الزُّكَّامُ .

وإذا نظرَ إلى أهلِ الشُّوقِ قال: ما أغفلَ هؤلاءِ عمَّا أُعدَّ لهم .

ومن كلامه: إذا بلغَكَ شيءٌ من الخيرِ فاعْمَلْ به ولو مرَّةً تُكُنُّ من أهله .

وقال: حَدِيثٌ أَرَقُّقُ به قَلْبِي وأَتَبَلِّغُ به إلى رَبِّي، أَحَبُّ إِلَيَّ من خَمْسِينَ قَضِيَّةٍ من قَضَايا شُرَيْحٍ .

وكان سُفْيَانُ يَأْتِي إليه يَنْظُرُ^(١) يَحْتَسِبُ ذلك .

ولمَّا احتَضِرَ بَكِي، فَقِيلَ له: علامَ تَبْكِي من الدُّنيا؟ فقد كُنْتَ مُنْعَصَ^(٢)

العَيْشِ أَيَّامَ حَيَاتِكَ، فقال: إِنَّمَا أَبْكِي خَوْفًا أَنْ أُحْرِمَ خَيْرَ الآخِرَةِ .

وكان إنْ لم تَجِدْهُ في بَيْتِهِ أو المسجدِ وَجَدْتَهُ^(٣) في المقبرةِ قَاعِدًا يَنْوُحُ على

نَفْسِهِ .

فلمَّا ماتَ أَغْلَقَ أَهْلُ الكوفةِ أَبوابَهُمْ، وَخَرَجُوا لجنَازَتِهِ، فلَمَّا أَخْرَجُوهُ

سَمِعُوا صائِحًا يَصيحُ: قد جاءَ المُحْسِنُ عمرو بن قيس، فإذا البرِّيَّةُ مَمْلوءَةٌ من

طيرٍ أبيضٍ لم يُرَ على خَلْقَتِها وَحُسْنِها، فجَعَلَ النَّاسُ يَعْجَبُونَ من حُسْنِها

وَكَثْرَتِها، فقالَ أبو حَيَّانَ: من أيِّ شيءٍ تَعْجَبُونَ؟ هذه الملائكةُ جَاءَتْ تَشْهَدُهُ .

فامتَلأتِ الصَّحراءُ برجالٍ عليهم ثيابٌ بيضٌ، فلَمَّا دُفِنَ لم يَرُوا في الصَّحراءِ

أحدًا^(٤) رضي اللهُ تعالى عنه .

= مناقب الأَخيار ٣٠٦/ب، تهذيب الكمال ٢٢/٢٠٠، سير أعلام النبلاء ٦/٢٥٠ .

تاريخ الإسلام ٦/١١٠، ميزان الاعتدال ٣/٢٨٤، تهذيب التهذيب ٨/٩٢ .

(١) في المطبوع: ينظره، وفي الحلية ٥/١٠٣: ينظر إليه لا يكادُ يصرِفُ بصره عنه، أظنه يَحْتَسِبُ ذلك .

(٢) كذا في الأصول، وفي صفة الصفوة ٣/١٢٥: تبغض .

(٣) في (أ): تجده .

(٤) جمع المؤلف رحمه الله بين خبرين، الأول عن سُفْيَانَ الثوري، وهو ينتهي عند قوله:

جاءت تشهدهُ، والثاني عن أبي خالد الأحمر من قوله فامتَلأتِ الصَّحراءُ . انظر حلية =

(١٤٩) عَوْنُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ الْمَسْعُودِيِّ (*)

عَوْنُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ الْمَسْعُودِيِّ صَاحِبُ التَّشْمِيرِ وَالْعِدَّةِ وَالْأَهْبَةِ، الْوَرَعُ الْمُتَزَهَّدُ، الْمُجَاهِدُ الْمُتَعَبَّدُ، كَانَ ذَا مَقَامٍ مُرْتَفِعٍ، وَحَالٍ فَنَازُهُ مُتَّسِعٌ، طَارِحاً لِلتَّكْلُفِ، مُلْتَحِيفاً بِالتَّقْشُفِ، كَيْفَ وَهُوَ الرَّائِكُنُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَالسَّائِكُنُ إِلَى ضَمَانِ اللَّهِ، الْمُفَارِقُ لِلْمُثْرِينَ وَالْكُبْرَاءِ، الْمُرَافِقُ لِلْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ؟

وَكَانَ عَلَى نَفْسِهِ نَائِحاً، وَإِلَى الْحَقِّ غَادِياً وَرَائِحاً، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّصَوُّفَ التَّبَذُ لِلْحَقِيرِ، وَالْأَخْذُ بِالْخَطِيرِ، ^(١) وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ صَدِيقاً، يُفِطِرُ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ يَوْماً، فَكَانَ إِخْوَانُهُ مَعْلُومِهِ، وَالْمَعْلُومُ إِذَا أَقَامَهُ الْحَقُّ النَّازِرَ إِلَى اللَّهِ ^(٢) الْكَامِلِ تَوْحِيدُهُ يَكُونُ نِعْمَةً هَنِيئَةً ^(١).

رَمَنُ كَلَامِهِ:

إِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ سَيِّدًا مِنْ عَمَلِهِ، وَسَيِّدُ الْأَعْمَالِ كُلُّهَا ذِكْرُ اللَّهِ.

وَقَالَ: كَفَى بِكَ كَنْزاً أَنْ تَرَى لَكَ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَكَ.

وَقَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ صِقَالُ الْقُلُوبِ.

وَقَالَ: مَنْ اتَّهَمَ نَفْسَهُ بِالنِّفَاقِ فَلَيْسَ عِنْدَهُ نِفَاقٌ.

وَقَالَ: كُنْ مَمَّنَ الْخَيْرِ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرِّ مِنْهُ مَأْمُونٌ.

= الأولياء ١٠١/٥، وانظر ما قاله الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله تعالى في السير ٢٥٠-٢٥١ معقباً على الخبرين معاً، فإنه نفيس جداً.

(*) طبقات ابن سعد ٣١٣/٦، التاريخ الكبير ١٣/٧، الجرح والتعديل ٣٨٤/٦، الثقات

لابن حبان ٢٦٣/٥، حلية الأولياء ٢٤٠/٤، صفة الصفوة ١٠٠/٣، المختار من

مناقب الأخيار ٣٠٧/ب، تهذيب الأسماء واللغات ٤١/٢، مختصر تاريخ دمشق

٥/٢٠، تهذيب الكمال ٤٥٣/٢٢، سير أعلام النبلاء ١٠٣/٥، تاريخ الإسلام

٢٨٧/٤، تهذيب التهذيب ١٧١/٨، الطبقات الكبرى للشعراني ٤٢/١، شذرات

الذهب ١٤٠/١.

(١-١) ما بينهما ليس في (أ) ولا في (ب).

(٢) في (ف): المناظر.

وقال: من تمام التقوى أن لا يشبع العبد من علمه؛ لأن طلبه محمود إن صلحت النيّة، عمل به أم لا، وإنما كره قوم زيادته لكونهم لم ينتفعوا به.

وقال: من ضبط ما يدخل بطنه ضبط الأخلاق الصالحة كلها.

وقال: إذا أزرى أحدكم على نفسه فلا يقل ما في من خير، فإن فيه التوحيد، ولكن ليقل: خشيت أنه يهلكني بما في^(١) من الشر.

ورآه أصحابه يوماً نائماً في الشمس^(٢) وغمامة تظله، فأخذ عليهم العهد ألا يذكروه.

وكان يلبس أحياناً الخبز، وأحياناً الصوف، ويقول: ألبس الخبز لئلا يستحي ذو الهيئة أن يجلس إليّ، والصوف لئلا يهابني المساكين أن يجلسوا إليّ.

وقال: لو أتى على الناس ساعة لا يذكرون الله فيها هلك أهل الأرض أجمعون.

وقال: صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غمًا مني، فصحبت الفقراء فاسترحت.

وقال: ما أحسب أحداً يفرغ لعب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه.

وقال: كان من قبلنا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم اليوم بعكس ذلك.

وقال: قلب التائب كالزجاجة يؤثر فيها ما أصابها، فالموعظة إلى قلوبهم سريعة.

وقال: كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموماً، أرى ثوباً أحسن من ثوبي، ودابة أحسن من دابتي، فجالست الفقراء فاسترحت.

وكان إذا خالفه خادمه يقول: ما أشبهك بمولائك مع مولاه.

وتصدق بجميع ماله عند موته، فقيل: ما لعيالك؟ قال: أقدم هذا لنفسي، وأدع الله لعيالي.

(١) في مختصر تاريخ دمشق ٩/٢٠: خشيت أن يهلكني ما في من الشر.

(٢) في (أ): قائماً في الحر.

مات قريب سنة عشر ومئة .

أسند الحديث عن : أبي هريرة ، وابن عباس وابن عمر وغيرهم ، انتهى .

* * *

(١٥٠) عاتكة الغنوية (*)

عاتكة الغنوية العابدة الصوفية ، ومن كلماتها السنية :

توسّل إلى مولاك بجميع ما يُمكنك من الوسائل ؛ فإنك تجد ذلك لك موفراً
عند حلول الأمور الجلائل ، وانقطع إليه في حوائجك لديه يأت لك عليها على
غير تعب منك ولا نصب .

وقالت : لن ينال المطيعون في الدنيا لذة أحلى في صدورهم من الازدياد في
طاعته ، ولحلاوة ساعة من مطيع ألد في قلوب المريرين من كل ما خرج إلى
الدنيا من زهرة ولذة .

وقالت : جدّ قبل أن لا يُمكنك الجدّ ، وبادر قبل فوت المبادرة ؛ فإنّ الدنيا
لا تطيب لعارفيها وإنما تورّطها أهل الغرّة^(١) ، وعمّا قليل سوف يعلمون .

* * *

(١٥١) عائشة بنت جعفر الصادق (**)

كانت من العابدات المجاهدات^(٢) القانتات الشاكرات .

ومن كلماتها الفائقات ما^(٢) كانت تقول :

(*) صفة الصفوة ٤ / ٣٩٠ ، المختار من مناقب الأخيار ٤١٠ / ب .

(١) في الأصل : المفرة ، والمثبت من مصادر الترجمة .

(**) طبقات الشعراني ١ / ٦٦ .

(٢-٢) ما بينهما ليس في (أ) .

وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لئن أَدْخَلْتَنِي النَّارَ لَأُخَذَنَّ تَوْحِيدِي بِيَدِي، وَأَدورُ بِهِ عَلَى
 أَهْلِ النَّارِ وَأَقُولُ: وَخَدُّهُ فَعَذَّبَنِي^(١).
 مَاتَتْ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَةً.

* * *

(١٥٢) عبيدة بنت أبي كلاب^(*)

عبيدة بنت أبي كلاب، كانت من أكابر الأولياء الأنجابه، وناهيك بقول
 عبد الواحد بن زيد: رأيتُ الشُّيوخَ والشُّبابَ والرِّجالَ والنِّساءَ من المُتعبِّدينَ فما
 رأيتُ امرأةً ولا رجلاً أفضلَ ولا أحسنَ عقلاً منها.
 وبَكَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً^(٢) حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا.

وقيل لها: ما تشتهين؟ قالت: الموت. قيل: ولم؟ قالت: لأنني كل يوم
 أصبحُ أخشى أن أجني على نفسي جنايةً يكونُ فيها عَطبي أيامَ الآخرة.

وقالت لمالك بن دينار رضي الله عنه: يا أبا يحيى، متى يبلغُ المُتقي تلكَ
 الدَّرَجَةَ العُلَيَا التي ليسَ فوقها دَرَجَةٌ؟ قال: بَخِ بَخِ يا عبيدة، إذا بلغَ المُتقي
 تلكَ الدَّرَجَةَ التي ليسَ فوقها دَرَجَةٌ لم يَكُنْ شيءٌ أحبُّ إليه من القُدومِ على الله.
 فَصَرَخَتْ عبيدة صَرَخَةً سَقَطَتْ^(٣) مَغشياً عليها.

ورويت رابعة رضي الله عنها في النَّومِ بعدَ موتِها، فقيلَ لها: ما فعلتِ
 عبيدة؟ فقالت: هيهاتَ سَبَقْتَنَا إلى الدَّرَجَاتِ العُلَى. قيل: ولم، وقد كنتِ عندَ
 النَّاسِ أكبرَ منها؟ قالت: إنَّها لم تَكُنْ تُبالي على ما أصبَحْتُ من الدُّنيا
 وأمست. رضي الله عنها.

* * *

(١) في المطبوع: وعذبني.

(*) صفة الصفوة ٤/٣٤، المختار من مناقب الأخيار ٤١٠/ب، طبقات الشعراني ٦٧/١.

(٢) في (ب): ومكثت أربعين سنة تبكي.

(٣) في (ب): خرَّت.

(١٥٣) عُفَيْرَةُ الْبَصْرِيَّةُ (*)

عفيرة البصرية، العابدة الزهية، كانت على قدم كبير من الزهد والتعبّد، والصيام والتهجد، وكان عبّاد زمنيها يزورونها، فقالوا يوماً: نسألك الدعاء. فقالت: لو أنّ الخاطئين خرسوا لكنتُ أوّل مَنْ خرسَ، وصارَ أبكم، لكنّ الدعاء سنّة، أسأل الله أن يجعل قراكم من بيتي دُخولَ الجنّة، وجعل ذكر الموت منّي ومنكم على بالٍ، وحفظَ علينا الإيمانَ إلى المماتِ.

وقال لها روح بن سلمة: بلغني أنّك لا تنامين بالليل، فبكت، ثم قالت: ربّما أشتهي أن أنام فلا أقدرُ عليه، فكيف ينامُ أم كيف يقدرُ على النومِ مَنْ لا ينامُ عنه حافظاهُ ليلاً ولا نهاراً؟ قال: فأبكتني، وقلتُ في نفسي: أراك في وادٍ وأنا في وادٍ.

وكانت قد تعبّدت وبكت حتى عميت، فدخلَ عليها يحيى بن بسطام في جماعة، فقال بعضهم لرجلٍ بجنبه: ما أشدّ العمى على مَنْ كان بصيراً. فسمعتُه فقالت: يا عبد الله، عمى القلبُ عن الله أشدّ من عمى العينِ عن الدنيا، والله لو ددتُ أنّ الله وهبَ لي كُنهَ محبّته وأنه لم يُبقِ منّي جارحةً إلا أخذها. وكانت تقول: عصيتك بكلّ جارحةٍ منّي على حدتها، والله لئن عشتُ لأطيعنك بكلّ جارحةٍ عصيتك بها.

وقيلَ لها: تسامينَ من طولِ البكاءِ؟ فبكت، ثم قالت: كيف يسأمُ ذو داءٍ من شيءٍ يرجو أنّ له فيه من دائه شفاءً.

وقدِمَ ابنُ أخٍ لها كانت طالّت غيبته، فبشّرتُ به، فبكت، فقيلَ لها: ما هذا، واليومُ يومُ سُرورٍ؟ فازدادتُ بكاءً، ثم قالت: والله، ما أجدُ للسُرورِ في قلبي موضعاً مع ذكرِ الآخرة، ولقد أذكرني قدومه يومَ القدومِ على الله، فمن بين مسرورٍ ومثبورٍ. ثم أغميتُ عليها وسقطتُ.

(*) صفة الصفوة ٤/٣٣ (غفيرة)، المختار من مناقب الأخيار ٤١٣/ب، (غفيرة) البداية والنهاية ١٠/١٧٧، طبقات الشعراني ١/٦٧.

(١٥٤) عَمْرَةَ زَوْجَةَ حَبِيبٍ (*)

عمرة زوجة حبيب، العابدة الزاهدة الداعية للمجيب، كانت تقوم الليل كله
وتقول لزوجها: قُمْ يَا رَجُلُ، ذَهَبَ اللَّيْلُ وَانْفَضَّ مَوَكِبُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى،
وَسَافَرَتْ قَوَافِلُ الْعَابِدِينَ، وَأَنْتَ رَاقِدٌ.
واشتكت عينها، فقالوا: ألا تُداويناها؟ فقالت: وجع قلبي شغلني عنها.
رضي الله تعالى عنها وأرضاها.

(*) روض الرياحين ٢٥٨ (الحكاية ١٩٠)، طبقات الشعراني ٦٧/١.

(حرف الفاء)

(١٥٥) فَرَقَدَ السَّبَخِيُّ (*)

المُعْرِضُ عن الفاني الوبي^(١)، المُقْبِلُ على الآتي البهي، وقد قيل:
التَّصَوُّفُ: طَرْحُ التَّشَهِّيِّ والتَّمَنِّيِّ، والجِدُّ في اللُّحُوقِ والتَّلَقِّيِّ.
وأصلُهُ من الكوفَةِ، ثم نَزَلَ البَصْرَةَ.
ومن كلامه:

الشَّبَعُ أبو الكُفْرِ.

وقال: ويلٌ لذي البطنِ من بَطْنِهِ، إن أضاعَهُ^(٢) ضَعُفَ، وإن أشبعَهُ ثَقُلَ.
وقال: قال عيسى عليه السَّلَامُ: طُوبَى لِلنَّاطِقِ في أذَانِ قَوْمٍ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ،
ما تصدَّقَ رَجُلٌ أعْظَمَ أجراً من مَوْعِظَةٍ قَوْمٍ يَصِيرُونَ بها إلى الجَنَّةِ.
وقال: الغريبُ مَنْ ليسَ له حَبِيبٌ.
وقال: في التَّوراةِ أُمَّهَاتُ الخَطَايَا ثلاثٌ: الكِبْرُ، والحَسَدُ، والحِرْصُ،

(*) طبقات ابن سعد ٧/٢٤٣، التاريخ الكبير ٧/١٣١، التاريخ الصغير ١/٣٥٣، الضعفاء الصغير ٢٢٧، الجرح والتعديل ٧/٨١، كتاب المجروحين ٢/٢٠٤، الكامل لابن عدي ٦/٢٧، حلية الأولياء ٣/٤٤، الأنساب ٧/٢٨، صفة الصفوة ٣/٢٧١، المختار من مناقب الأخيار ٣١٥/أ، تهذيب الكمال ٢٣/١٦٤، تاريخ الإسلام ٥/٢٩١، ميزان الاعتدال ٣/٣٤٥، تهذيب التهذيب ٨/٢٦٢، طبقات الشعراني ١/٣٦، شذرات الذهب ٢/١٣٤.

(١) في المطبوع: الوفي، وفي (أ) و (ب): الوبي. والمثبت من حلية الأولياء ٣/٤٤.

(٢) في المختار، وتهذيب الكمال ٢٣/١٦٩: أجاعه.

فنشأ^(١) من الثلاثِ سِتًّا، فصارتِ تِسْعاً: الشَّبَعُ، والنَّوْمُ، والرَّاحَةُ، وحُبُّ المالِ، وحُبُّ الجِماعِ، وحُبُّ الرِّياسَةِ.

وقال: فيها^(٢): مَنْ أَصْبَحَ حَزِيناً عَلَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ سَاخِطاً عَلَى رَبِّهِ، وَمَنْ جالَسَ غَنِيًّا فَتَضَعَّعَ لَهُ ذَهَبَ ثُلُثًا دِينَهُ، وَمَنْ أَصَابَهُ مُصِيبَةٌ فَشَكَاهَا لِلنَّاسِ فَكَانَ مَا شَكَرَ بِهِ.

وقال: رأيتُ في النَّوْمِ مُنادياً يُنادي: يا أشباهَ اليَهُودِ، كُونُوا عَلَى حَيَاءٍ مِنَ اللَّهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَمْ تَشْكُرُوا إِذَا أَعْطَاكُمْ، وَلَمْ تَصْبِرُوا حِينَ أَبْلَاكُمْ.

وقال: مرَّ عابِداً من بني إِسْرَائِيلَ عَلَى كَثِيبِ رَمَلٍ، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ، فَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الرَّمْلُ دَقِيقاً لِيَشْبِعُوا، فَأَوْحَى اللَّهُ لِنَبِيِّ: قُلْ لَهُ: أَوْجِبْتُ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ مَا لَوْ كَانَ دَقِيقاً فَتَصَدَّقْتَ بِهِ.

أسندَ عن أنسِ بنِ مالِكٍ، وَسَمِعَ جَماعَةً من أَكابرِ التَّابِعِينَ، وَشَغَلَهُ التَّعَبُّدُ عَنِ حَفْظِ الْحَدِيثِ، فَأَعْرَضَ النَّقْلَةَ عَنِ نَقْلِ حَدِيثِهِ^(٣).

ماتَ أَيَّامَ الطَّاعُونَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةً إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَةً.

* * *

(١٥٦) الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضِ (*)

الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضِ، الناقِلُ مِنَ المَهالِكِ إِلى الحُصُونِ والرِّياضِ، وَهُوَ التَّمِيمِيُّ الحُرَّاسَانِيُّ شَيْخُ الحَرَمِ، كانَ مِنَ الخَوْفِ نَحيفاً، وَلِلطَّوافِ أليفاً، وَقَدْ قِيلَ: التَّصَوُّفُ: المُبادَرَةُ فِي السَّفَرِ، وَالْمُسامَرَةُ فِي الحَضَرِ.

(١) في حلية الأولياء ٤٥/٣، وتهذيب الكمال ١٦٨/٢٣: فاستل من هؤلاء الثلاثة.

(٢) في التوراة.

(٣) في (أ): عن حديثه.

(*) معرفة الرجال ٢١٣/٢، طبقات ابن سعد ٥٠٠/٥، تاريخ خليفة ٤٥٨، طبقات خليفة ٢٨٤، التاريخ الصغير ٢١٩/٢، التاريخ الكبير ١٢٣/٧، المعارف ٥١١، الجرح والتعديل ٧٣/٧، مشاهير علماء الأمصار ترجمة ١١٧٩، ثقات ابن حبان ٣١٥/٧، طبقات الصوفية ٦، حلية الأولياء ٨٤/٨، الرسالة القشيرية ٦٢/١، صفة الصفة =

وكان إماماً ربّانياً صمدانياً قانتاً زاهداً عابداً، عظيم الشأن، شديد الخوف،
دائم الفكر.

وُلِدَ بسمرقند، ونشأ بآبيوزد، ومات بمكة.

وكان أولاً يقطع الطريق، فعشق جاريةً فيسما هو يرتقي الجدار إليها سَمِعَ
ها تَفأ يقول: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ [الحديد: ١٦] فتاب وهام على وجهه.

وقال: مكثتُ في جامع الكوفة ثلاثاً لم أطعم طعاماً، فهزني^(١) الجوع في
الرابع، فدخل المسجد رجلٌ مجنونٌ بيده حَجْرٌ كبيرٌ، وفي عنقه غُلٌّ ثقيلٌ،
والصبيان من خلفه، فجعل يَجولُ في المسجد حتى جاءني، فجزعتُ منه
وقلتُ: إلهي، أجعتني، وسلطت عليّ مَنْ يَقتلني، فالتفت إليّ وقال:

محلُّ بيان^(٢) الصبر فيك غريزةٌ فياليت شعري هل لصبرك آخرُ

فزال جزعي، وطار هَلعي، وقلتُ: يا سيدي، لولا الرجاء لم أصبر. قال:
فأين مُستقرُّ الرجاء منك؟ قلتُ: بحيثُ مُستقرُّ هُموم العارفين، قال: أحسنت
يا فضيل، إنها لقلوب، الهُمومِ عمرانها، والأحزان أوطانها، عرَفته فأنست به،
وارتحلتُ إليه، فعقولهم صحيحةٌ، وقلوبهم ثابتةٌ، ثم ولى وهو يُنشدُ أبياتاً.
قال فضيل: فبقيتُ أياماً^(٣) لا آكلُ ولا أشربُ وَجداً لكلامه.

= ٢٣٧/٢، المختار من مناقب الأخيار ٣١٥/ب، جامع الأصول ٣٧/١٥، تهذيب
الأسماء واللغات ٥١/٢، وفيات الأعيان ٤٧/٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٩٨/٢٠،
تهذيب الكمال ٢٨١/٢٣، سير أعلام النبلاء ٤٢١/٨ (١١٤)، ميزان الاعتدال
٣٦١/٣. تذكرة الحفاظ ٢٥٤/١، العبر ٢٩٨/١، طبقات الأولياء ٢٦٦، العقد الثمين
١٣/٧، تهذيب التهذيب ٢٩٤/٨، النجوم الزاهرة ١٢١/٢، طبقات الشعراني
٦٨/١، شذرات الذهب ٣١٦/١.

(١) في مختصر تاريخ دمشق: هزني، وفي روض الرياحين: هزلني.

(٢) كذا في الأصول، وفي مختصر تاريخ دمشق ٣٠٤/٢٠، وفي روض الرياحين ١٠٦
(الحكاية ٣٢): محل نبات.

(٣) في المطبوع: عشرة أيام.

ومن كلامه :

إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا أَكْثَرَ هَمَّهُ وَغَمَّهُ، ^(١) وَزَوَى عَنْهُ حَتَّى لَا يَجِدَ عَشَاءً وَلَا غَدَاءً إِلَّا قَدَرَ شَرِكًا ^(٢)، وَإِذَا أَبْغَضَهُ وَسَّعَ دُنْيَاهُ، وَفَرَّحَهُ بِمَا آتَاهُ، وَشَغَلَهُ بِهَا عَنْهُ.
وقال: إِنِّي لَأَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِي وَأَنَا مُسْتَجِحٌ مِنَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِحْيَائِي إِذَا شَرِبْتُ خَمْرًا.

وقال: لو أَنَّ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا عُرِضَتْ عَلَيَّ عَلَى أَنْ لَا أُحَاسِبَ عَلَيْهَا لَتَقَدَّرْتُهَا كَمَا يَتَقَدَّرُ أَحَدُكُمْ الْجِيْفَةَ.

وقال: تَرَكْتُ الْعَمَلَ لِلنَّاسِ رِيَاءً، وَالْعَمَلَ لِأَجْلِهِمْ شِرْكَ.

وقال: إِنِّي لِأَعْصِي فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي سُوءِ خُلُقِ خَادِمِي وَحِمَارِي.

وقال: أَحَقُّ النَّاسِ بِالرِّضَا عَنِ اللَّهِ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِهِ.

و [قال]: أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ بَعْضَ أَنْبِيَائِهِ: إِذَا عَصَانِي مَنْ عَرَفَنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي.

وقال: طُوبَى لِمَنْ اسْتَوْحَشَ بِالْخَلْقِ، وَأَنْسَ بِالْحَقِّ.

وقال: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ مِنْ طَرِيقِ الْمَحَبَّةِ بِغَيْرِ خَوْفٍ هَلَكَ بِالْبَسِطِ وَالْإِدْلَالِ، وَمَنْ عَرَفَهُ مِنْ طَرِيقِ الْخَوْفِ انْقَطَعَ عَنْهُ بِالْبُعْدِ وَالِاسْتِيحَاشِ، وَمَنْ عَرَفَهُ مِنْ طَرِيقِهِمَا مَعًا أَحَبَّهُ وَقَرَّبَهُ وَمَكَّنَهُ وَعَلَّمَهُ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ فَهُوَ بَعِيدٌ مِنَ الضَّلَالِ، وَمَنْ أَنْزَلَ الْمَوْتَ حَقَّ مَنْزَلَتِهِ لَمْ يَغْفَلْ عَنْهُ.

وقال: أَهْلُ الْفَضْلِ هُمْ أَهْلُهُ مَا لَمْ يَرَوْا فَضْلَهُمْ.

وقال: إِذَا اغْتَابَكَ عَدُوُّكَ فَهُوَ أَنْفَعُ لَكَ مِنَ الصَّدِيقِ؛ فَإِنَّهُ كَلَّمَا اغْتَابَكَ أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنَاتِهِ.

وقال: مَنْ أُعْطِيَ فَهَمَّ الْقُرْآنِ أُعْطِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

وقال: لو قِيلَ لِي: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ دَاخِلٌ عَلَيْكَ فَسَوِّتْ لِحَيَّتِي خِفْتُ أَنْ أُكْتَبَ فِي جَرِيدَةِ الْمُنَافِقِينَ.

(١-١) ما بينهما مثبت من المطبوع فقط.

وقال: جعلَ اللهُ الشَّرَّ كُلَّهُ في بيتِ، وجعلَ مفتاحَهُ حُبَّ الدُّنْيَا، وجعلَ اللهُ الخَيْرَ كُلَّهُ في بيتِ وجعلَ مفتاحَهُ الزُّهْدَ.

وقال: كانوا يُراوونَ بما يَعْمَلونَ، والآنَ يُراوونَ بما لا يَعْمَلونَ.

وقيلَ له: ما لنا لا نرى^(١) خائفاً؟ قال: لو كنتُ خائفاً لرأيتُ الخائفينَ، لأنَّ الشُّكْلَى لا يراها إلا تُكَلَى.

وقال: من سخافةِ عَقْلِ الرَّجُلِ كَثْرَةُ معارفِهِ.

وقيلَ له: إنَّ عليّاً ابنَكَ يقولُ: وددتُ أنِّي بمكانٍ أرى النَّاسَ ولا يرونني. فبَكَى وقال: وَيحَ عليّ، أفلا أتمَّها فقال: لا أراهم ولا يرونني.

وقال: ائْبِذْ مِنَ القُرَّاءِ ما استطعتَ؛ فإنَّهم إنَّ أَحَبُّوكَ مَدْحُوكَ بما ليسَ فيكَ فغَطُّوا عليكَ غُيُوبَكَ، وإنَّ أَبْغَضُوكَ جَرَحُوكَ زُوراً وبُهْتاناً، وقَبِلَ النَّاسُ مِنْهُمْ ذلكَ.

وقال: قُرَّاءُ الرَّحْمَنِ أَهْلُ ذَبُولٍ وَخُشُوعٍ، وَقُرَّاءُ الأَمْرَاءِ أَهْلُ كِبَرٍ وَعُجْبٍ وازْدِرَاءٍ لِلنَّاسِ.

وقال: إذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ فَرِحْتُ بِهِ وَقَلْتُ^(٢): أَخْلُو بربِّي، ولا أرى النَّاسَ، وإذا طَلَعَ الفَجْرُ اسْتَرْجَعْتُ^(٣) كراهةَ لِقائِهِمْ.

وقال: إنِّي لأَجِدُ لِلرَّجُلِ عِنْدِي^(٤) يَدًا إذا لَقِينِي لا يُسَلِّمُ عَلَيَّ، فإذا مَرَضْتُ لا يَعُودُنِي.

وقال: مَنْ حَرَّمَ العَقْلَ فَلْيُصِبِ العَمَلَ، فإنَّ حُرْمَهُمَا فالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ.

وقال: لو خَيْرْتُ بَيْنَ أَنْ أُبْعَثَ فَأَدْخَلَ الجَنَّةَ، وَأَنْ لا أُبْعَثَ، اخْتَرْتُ أَنْ لا أُبْعَثَ.

(١) في (ب): تراك.

(٢) في (أ): ودخلت.

(٣) في (أ): استوجعت، وفي (ب): استوحشت، والمثبت من (ف) والمطبوع.

(٤) في (ف): إنني لأجد لكلِّ خَلٍّ عِنْدِي.

وقال: لو خَيْرْتُ بين أن أَعِشَ كَلْباً وأَمُوتَ كَلْباً ولا أَرى يَوْمَ القِيَامَةِ
لاخترْتُ ذلكَ ولا أراها.

وقال له رجلٌ: كيفَ أصبحتَ؟ وكان يثقلُ عليه ذلك، فقال: في عافية، قال:
كيفَ حالُكَ؟ قال: عن أيِّ حالٍ تَسأل، عن حالِ الدُّنيا أو الآخِرة؟ أمَّا الدُّنيا فقد
مالتَ بنا وذهبتَ كلَّ مذهبٍ، وأمَّا الآخِرة، فكيفَ ترى حالَ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ،
وضَعُفَ عَمَلُهُ، وفَنِيَ عُمُرُهُ، ولم يَتَزَوَّدْ لِمَعادِهِ، ولم يتَأَهَّبْ لِلْموتِ؟
وقال: مَنْ أَحَبَّ أن يُذكَرَ لم يُذكَرْ، وَمَنْ كَرِهَ أن يُذكَرَ ذُكِرَ.

وقال: عاملِ اللهَ بالصَّدقِ في السِّرِّ؛ فَإِنَّ الرِّفيعَ من رَفَعَهُ اللهُ، وإذا أَحَبَّ اللهُ
عَبداً أسَكَنَ مَحَبَّتَهُ في قُلُوبِ خَلْقِهِ.

وقال: مَنْ خافَ اللهُ لم يضرَّهُ شيءٌ، وَمَنْ خافَ غيرَهُ لم يَنْفَعَهُ شيءٌ.

وقال: وعِزَّتِهِ وجِلالِهِ، لو أدخَلَنِي النَّارَ وصِرْتُ فيها ما أيسْتُ منه.

وقال: ليستِ الدُّنيا دارَ إقامَةٍ، وإنَّما أَهْبَطَ آدمُ إليها عُقُوبَةً، ألا ترى كيفَ
يُزويها عن أَحبابِهِ، ويُمِرُّها عليهم مرَّةً بالجوع، ومرَّةً بالعُري، ومرَّةً بالحاجة؟

وقال: كثيرٌ من العُلَماءِ زِيَّهُ أشبهُ بزِيِّ كِسْرَى وقَيَصِرَ منه بزِيِّ إمامِ
المُرسلين، فإنه لم يَضَعْ لِبَنَةِ عَلِيٍّ لِبَنَةٍ، ولكن رُفِعَ له عِلْمٌ فشمَرَ إليه^(١).

وقال: إن قيلَ لك: تَحِبُّ اللهُ؟ أو: تَخافُ اللهُ؟ فاسكُتْ؛ فَإِنَّكَ إن قُلْتَ
(لا) كَفَرْتَ، وإن قُلْتَ (نعم)، وليسَ وِصفُكَ وَصْفَ المُحِبِّينَ والخائِفينَ فاحذرِ
المَقْتِ.

وقال: ما بَكَتْ عَيْنُ عَبْدٍ قَطُّ حتى يَضَعَ الرَّبُّ سُبْحانَهُ يَدَهُ على قَلْبِهِ، ولا
بَكَتْ عَيْنٌ إلا من فَضَلَ رَحمةَ اللهِ.

وقال: لِيَكُنْ شُغْلُكَ في نَفْسِكَ لا في غَيْرِكَ، وَمَنْ كان شُغْلُهُ في غَيْرِهِ فقد
مُكْرَبَ به.

(١) في حلية الأولياء ٨/٩٢: إن محمداً لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة،
ولكن رفع له علم فسموا إليه.

وقال : النَّظْرُ إِلَى صَاحِبِ بَدْعَةٍ يُورِثُ الْعَمَى .

وقال : مَا تَزَيَّنَ الْعِبَادُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الصَّدَقِ ، إِنَّ اللَّهَ يَسْأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ، فَكَيْفَ بِالكَاذِبِينَ ؟

وقال : إِنَّمَا جُعِلَتِ الْعِلَلُ لِيُؤَدَّبَ بِهَا الْعِبَادُ ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ مَرِضَ مَاتَ .

وقال : أَوْهَ ، كَمْ مِنْ قَبِيحٍ يُكْشَفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَدًا ! .

وَمَرِضَ فَحُبِسَ بَوْلُهُ ، فَقَالَ : بَحْبِي إِيَّاكَ إِلَّا أَطْلَقْتَهُ ، فَشَفِي حَالًا .

وقال : يَهَابُكَ الْخَلْقُ عَلَى قَدْرِ هَيْبَتِكَ اللَّهُ .

وقال : لِأَنَّ أَطْلَبَ الدُّنْيَا بَطْلِلٌ وَمِزْمَارٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَطْلُبَهَا بِالْعِبَادَةِ .

وقال : مَنْ أَظْهَرَ لِأَخِيهِ الْوَدَّ وَالصَّفَاءَ بِلِسَانِهِ ، وَأَضْمَرَ لَهُ الْبُغْضَ وَالْعَدَاوَةَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَأَصَمَّهُ ، وَأَعَمَّى بَصَرَ قَلْبِهِ .

وقال : مَنْ طَلَبَ الْحَمْدَ مِنَ النَّاسِ بِتَرْكِهِ الْأَخْذَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّمَا يَعْبُدُ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ .

وقال : إِيَّاكَ وَمُجَالَسَةَ الْقُرَاءِ ، فَإِنَّ الْغَيْبَةَ فَكَيْهَتُهُمْ .

وقال : مَنْ طَلَبَ صَاحِبًا بِلا عَيْبٍ صَارَ بِلا أَخٍ .

وقال : عَالِمُ الْآخِرَةِ عِلْمُهُ مَسْتُورٌ ، وَعَالِمُ الدُّنْيَا عِلْمُهُ مَنشُورٌ ، فَاخْذِرْ مُجَالَسَةَ عَالِمِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَفْتِنُ بِغُرُورِهِ وَزُخْرَفَتِهِ ، وَدَعْوَاهُ الْعِلْمَ بِغَيْرِ عَمَلٍ .

وقال : لَوْ زَهَدَ الْعُلَمَاءُ فِي الدُّنْيَا خَضَعَتْ لَهُمُ الْجَبَابِرَةُ .

وقال : مَنْ عَرَفَ مَا يَدْخُلُ جَوْفَهُ صَارَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا .

وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ انْتَصَبَ لِلصَّلَاةِ إِلَى الْفَجْرِ .

وَرَبَّمَا مَسَكَ لِحِيَّتَهُ وَهُوَ وَاقِفٌ ، وَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى الصَّبَاحِ ، وَيَقُولُ : وَيْحَكَ يَا فَضِيلَ ، كُنْتَ فِي صِبَاكَ فَاسِقًا ؛ وَصِرْتَ فِي آخِرِ عُمْرِكَ مُرَائِيًا ، وَاللَّهِ الْمُرَائِي أَشَدُّ مِنَ الْفَاسِقِ .

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّوَمُّ ، فَيَصِيرُ دَائِرًا فِي دَارِهِ تَصْدِمُ رَأْسَهُ الْحَيْطَانُ إِلَى الصَّبَاحِ ثُمَّ يُنْشِدُ :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تذر في أي المحلّين تنزل^(١)
وقال: أوحى الله إلى الجبال: أني مكلّم على واحد منكم نبيا. فتطاولت،
وخضع طور سيناء، فكلّم موسى عليه.

وقال شعيب بن حرب: بينا أنا أطوف إذ لكزني رجل بمرفقه، فالتفت فإذا
الفضيل، فقال: يا أبا صالح، إن ظننت أنه شهد الموسم من هو شرّ مني ومنك
فبئس ما ظننت.

ودخل عليه الحسن بن زياد^(٢) فقال: يا حسن، عساك ترى أن بالمسجد
الحرام رجلا شرا مني ومنك، إن كان ذلك منك فقد ابتليت بعظيم.

وبلغته أن الفيض^(٣) بن إسحاق اشترى دارا وكتب كتابا وأشهد عدولا،
فأرسل إليه فقال: بلغني عنك كذا. فقال: قد كان. قال: إنه يأتيك من لا ينظر
في كتابك، ولا يسأل عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصا، ويسلمك إلى
قبرك خالصا، فانظر ألا تكون اشتريتها من غير مالك، أو وزنت مالا من غير
حله، ولو كتبت حين اشتريت هذا ما اشترى عبدا ذليل ميت من ميت، قد أزعج
بالرحيل، اشترى منه دارا تعرف بدار الغرور، حد منها في زقاق الفناء إلى
عسكر الهالكين، ويجمع هذه الدار حدود أربعة: الأول ينتهي إلى دواعي
العاهات، والثاني إلى دواعي المصيبات، والثالث إلى دواعي الآفات، والرابع
إلى الهوى المردي والشيطان المغوي، وفيه يشرع باب هذه الدار على الخروج
من عز الطاعة إلى الدخول في ذل الطلب.

ورأى رجلا يضحك فقال: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٤) [الفصص

. [٧٦

وقال: حقيقة المحبة إيثار المحبوب على الكونين في القرب والتعد.

(١) من قوله صفحة ٤٠٠: وكان إذا صلى العشاء - إلى هنا من المطبوع.

(٢) في صفة الصفوة ٢/٢٤١: الحسين بن زياد.

(٣) في المطبوع: العيص.

(٤) انظر الخبر بتمامه في حلية الأولياء ٨/١٠٨.

وقال: مَنْ ادَّعى العُبُودِيَّةَ وله مُرادٌ باقٍ فقد كَذَبَ .

وكان يُعَاتِبُ نَفْسَهُ ويقولُ: أَيُّ شَيْءٍ تَخَافُ، أَتَخَافُ أَنْ تَجُوعَ؟ لا تَخَفْ؛ فَأَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّما يَجُوعُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ .

وكان يَقُولُ: أَجَعَّتَنِي وَأَجَعَّتْ عِيَالِي، وَتَرَكَّتَنِي فِي ظُلْمِ اللَّيْلِ بِلا مِصْبَاحٍ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَوْلِيائِكَ، فَبأَيِّ مَنزَلَةٍ نِلْتُ هَذَا مِنْكَ؟

وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَقَالَ: مِمَّنْ؟ قالوا: مِنْ خُرَاسَانَ. قال: اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَبْدَ لَوْ أَحْسَنَ الْإِحْسَانَ كُلَّهُ وَكَانَتْ لَهُ دِجَاجَةٌ فَأَسَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

وَرَأَى رَجُلًا مَغْمُومًا فَقَالَ: أَتَخْشَى أَنْ يَكُونَ لَكَ رِزْقٌ لا تَسْتَوْفِيهِ؟ قال: لا. قال: فَتَخْشَى أَنْ يَكُونَ غَيْرُ ما شاءَ اللَّهُ؟ قال: لا. قال: فَلأَيِّ شَيْءٍ غَمُّكَ؟

قال: عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنْيَا تُفَارِقُنِي اضْطِرَّاراً فَفَارَقْتُهَا اخْتِياراً .

مات سنة سبع وثمانين ومئة، عن نحو ثمانين سنة^(١).

وكان من أعاضيم أئمة المحدثين، خرَّج له الجماعة إلا ابن ماجه.

وعنه أخذ: الشافعي، وابن المبارك رضي الله عنهما، وأسد السنة^(٢)، وخلق.

وقال الذهبي وغيره^(٣): كان سيِّداً عابداً ورِعاً زاهداً إماماً ربانياً عالماً فقيهاً.

وناهيك بقول ابن المبارك رضي الله عنه: ما بقي على ظهر الأرض أفضلُ

منه .

(١) في المطبوع: ودُفن بباب المصلى .

(٢) في المطبوع: وأسد الستة له، وأسد السنة هو أسد بن موسى بن إبراهيم الأموي المصري إمام حافظ ثقة. توفي سنة ٢١٢. انظر ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء ١٠/١٦٢ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٠٠ .

أخرج ابن عساكر عن بعض المكيين: رأيت سعد بن سالم القداح في النوم، فقلت: من أفضل من في هذه المقبرة؟ قال: صاحب ذلك القبر. قلت: بما فضلكم؟ قال: ابتلي فصبر. قلت: فما فعل بفضيل^(١)؟ قال: هيات كسي حلة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها^(٢).

لطيفة^(٣): قيل: سبب توبة الفضيل بن عياض أنه خرج عشيّة يريد مقطعة - وكان يقطع الطريق - وإذا بأقوام حمارة ومعهم ملح، فقال بعضهم: مرؤوا بنا لا يلقانا الفضيل؛ فيأخذ ما معنا، فسمع ذلك فاغتم، وقال: خافني هذا الخلق الخوف العظيم، فتقدم إليهم، وسلم عليهم، وقال لهم: تكونون الليلة عندي وأنتم آمنون من الفضيل؟ فذهبوا معه، فأنزلهم وخرج يشتري علفاً لدوابهم، فرجع فسمع قارئاً منهم يقرأ: ﴿الْمَ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فصاح صيحة ومزق ثيابه، وتاب من وقته، وأنشد يقول:

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ولا بد من زاد لكل مسافر
ولا بد للأسفار من حمل عدة ولا سيما إن خفت سطوبة قاهر

* * *

(١٥٧) فتح بن سعيد الموصلية (*)

كان من أكابر الأولياء، وأعظم الأصفياء، ذا جد واجتهاد في التعبّد وشجاعة، ورَفْضٍ لِلدُّنْيَا وَقَنَاعَةٍ، وَجُودِ نَفْسٍ وَكَرَمٍ، وَتَهَجُّدٍ تَشْهَدُ لَهُ حَنَادِسُ الظُّلْمِ، وَكَانَ كَهَيْئَةِ الرُّوحَانِيِّينَ مُعَلَّقَ الْقَلْبِ بِاللَّهِ وَبِمَا هُنَاكَ، لَيْسَتْ لَهُ فِي الدُّنْيَا

(١) في المطبوع: فضلهم؟ قال: ابتلي فصبر قلت: ما فعل فضيل؟

(٢) ذكره ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ٣٣١/٢٠.

(٣) من هنا حتى نهاية الترجمة من (أ).

(*) الثقات لابن حبان ٣٢٢/٧، حلية الأولياء ٢٩٢/٨، تاريخ بغداد ٣٨١/١٢، صفة الصفوة ١٨٣/٤، المختار من مناقب الأخيار ٢١٢/ب، سير أعلام النبلاء ٣٥٠/٧، طبقات الأولياء ٢٧٦، النجوم الزاهرة ٢٣٥/٢، الطبقات الكبرى للشعراني ٨٠/١، جامع كرامات الأولياء ٢٣٣/٢.

راحة، وكان يبكي فيتحدّر الدم من عيونه^(١).

وكان يقول في جوف الليل: رَبِّ، أَجَعْتَنِي وَأَعْرَيْتَنِي، وفي ظلم الليل
أجلستني، فبأي وسيلة أكرمتني هذه الكرامة؟

وكان يبكي ساعة، ويفرح ساعة. قال المعافى بن عمران: دخلت عليه
فرايته قاعداً في الشمس وصبيته له عريانة، وابن له مريض، فقلت له: ائذن لي
حتى أكسو هذه الصبيته، قال: دعها حتى يرى الله صبرها وصبري عليها،
فيرحمها. فتجاوزت إلى الصبي فقعدت عند رأسه، فقلت: حبيبي، تشتهي
شيئاً فأحمله إليك؟ فرفع رأسه إلى السماء وقال: مني الصبر ومنك البلاء.

ومن كراماته:

أنه كان يمشي على الماء.

ومنها: ما قال أبو عبد الله بن الجلاء: كنت ببغداد عند سري السقطي
رضي الله عنه، فقام عند مضي جانب من الليل ليزور فتح الموصلي، فأخذه
العسل، وأمر بضربه، فرفع الجلاء يده بالسوط، فوقفت ولم يستطع إرسالها،
فنهرة لأمير، فقال: بجانبني شيخ يقول: لا تضرب، فلم أقدر أن أحرك يدي،
فنظر فإذا هو فتح.

ومن كلامه:

من أدام النظر بقلبه أورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن أثره على هواه أورثه
ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه، ورعى حقه وخافه بالغيب
أورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم.

وزار إبراهيم بن موسى عيد فرأى الناس عليهم الطيالبس والعمائم
والماء يس، فقال: إنما ترى ثوباً يبلى، وجسداً يأكله الدود غداً، هؤلاء أنفقوا
خزائنهم على بطونهم وظهورهم، ويقدمون على ربهم مفاليس.

مات سنة عشرين ومئتين. رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

(١) في (أ): دموعه.

(حرف القاف)

(١٥٨) القاسم بن محمد (*)

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، الضرع الشفيق، ذو الحسب العتيق، كان بغوامض الأحكام فائقاً، وإلى محاسن الأخلاق سابقاً، وقد قيل: التَّصَوُّفُ الْفَتْقُ لِلرَّتْقِ، وَالرَّفْوُ لِلْفَتْقِ.

قال أيوب السخيتاني: ما رأيتُ أفضلَ من القاسم، لقد تركَ مئةَ ألفٍ وهي له حلال.

وكان عالماً فقيهاً مفتياً ورعاً زاهداً حجةً.

ولمَّا ماتَ عبدُ الملكِ بن مروان أسفَ عليه عمرُ بن عبد العزيز أسفاً منعه من العيشِ، ولبسَ مسحاً سبعينَ ليلةً، فقالَ له القاسمُ: أما علمتَ أنَّ مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا كَانُوا يُحِبُّونَ اسْتِقْبَالَ الْمَصَائِبِ بِالتَّحْمُلِ، وَمُوَاجَهَةَ النِّعَمِ بِالتَّجْمُلِ. فراحَ في يومِهِ في مُقَطَّعاتٍ مِنْ حَبْرِ الْيَمَنِ شَرَاؤُهَا ثَمَانِ مِئَةِ دِينَارٍ.

(*) طبقات ابن سعد ٥/١٨٧، طبقات خليفة ٢٤٤، تاريخ خليفة ٣٣٨، التاريخ الكبير ٧/١٥٧، الجرح والتعديل ٧/١١٨، الثقات لابن حبان ٥/٣٠٢، حلية الأولياء ٢/١٨٣، طبقات الفقهاء ٥٩، صفة الصفوة ٢/٨٨، المختار من مناقب الأخيار ٣١٩/ب، جامع الأصول ١٥/٧٣، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٥٥، وفيات الأعيان ٤/٥٩، مختصر تاريخ دمشق ٢١/٤٥، تهذيب الكمال ٢٣/٤٢٧، سير أعلام النبلاء ٥/٥٣، تذكرة الحفاظ ١/٩٦، تاريخ الإسلام ٤/١٨٢، العبر ١/١٣٢، البداية والنهاية ٩/٢٥٠، تهذيب التهذيب ٨/٣٣٣، شذرات الذهب ١/٦٢.

ومن كلامه :

لأن يَعِيشَ الرَّجُلُ جاهِلاً بعد أن يَعْرِفَ حَقَّ اللهِ عليه، خَيْرٌ له من أن يَقُولَ ما لا يَعْلَمُ.

مات سنة سبع ومئة.

أسند الحديث عن : عائشة، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم، وخرَّج له السنَّة.

* * *

(١٥٩) قتادة بن دعامة السدوسي (*)

أبو الخطَّاب، الحافظ الرَّغاب، الواعظ الرَّهاب، كان عالماً حافظاً، عاملاً واعظاً، وقد قيل : التَّصَوُّفُ : المُرَاعاةُ والاحتفاظُ، والمُعَاناةُ والاعتاضُ.
كان فارسَ العِلْمِ، حافظَ الدَّهْرِ.

ومن كلامه :

ما نهى الله عن ذنبٍ إلا عِلِمَ أَنَّهُ مَوْقُوعٌ^(١)، لكن تقدمة وحبَّة.

(*) طبقات ابن سعد ٧/٢٢٩، تاريخ خليفة ٢٣٢، ٣٤٨، طبقات خليفة ٢١٣، التاريخ الكبير ٧/١٨٥، التاريخ الصغير ١/٣١٨، المعارف ٤٦٢، الجرح والتعديل ٧/١٣٣، الثقات لابن حبان ٥/٣٢١، حلية الأولياء ٢/٣٣٣، طبقات الفقهاء ٨٩، الأنساب ٧/٥٨، صفة الصفوة ٣/٢٥٩، المختار من مناقب الأخيار ٣١٩/ب، جامع الأصول ١٥/٧٥، معجم الأدباء ١٧/٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٥٧، وفيات الأعيان ٤/٨٥، إنباء الرواة للقفطي ٣/٣٥، تهذيب الكمال ٢٣/٤٩٨، سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩، تذكرة الحفاظ ١/١٢٢، ميزان الاعتدال ٣/٣٨٥، تاريخ الإسلام ٤/٢٩٥، العبر ١/١٤٦، مرآة الجنان ١/٢٥١، البداية والنهاية ٩/٣١٣، طبقات القراء ٢/٢٥، تهذيب التهذيب ٨/٣٥١، النجوم الزاهرة ١/٢٧٦، طبقات الحفاظ ٤٧، طبقات المفسرين للداودي ٢/٤٣، شذرات الذهب ١/١٥٣. وورد في الأصول: الدوسي، والمثبت من مصادر ترجمته، وسيترجم له المؤلف ثانياً في الطبقات الصغرى ٤/٥٠٨.
(١) في الأصول: موقع، والمثبت من حلية الأولياء ٢/٣٣٦.

وقال: عليكم بالوفاء بالعهد، فإن الله ذكره في بضع وعشرين آية نصحاً لكم.

وقال: مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ، وَمَنْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ فَمَعَهُ الْفِئَةُ الَّتِي لَا تُغْلَبُ، وَالْحَارِسُ الَّذِي لَا يَنَامُ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يَضِلُّ.

وقال: كُلُّ خِلَّةٍ تَصِيرُ عَلَى أَهْلِهَا عَدَاوَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا خِلَّةَ الْمُتَّقِينَ.

وقال: الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ، ثُمَّ دَارُ فَنَاءٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ بَقَاءٍ، ثُمَّ دَارُ جَزَاءٍ، فَكُونُوا مِمَّنْ يَصْرُمُ حَاجَةَ الدُّنْيَا لِحَاجَةِ الْآخِرَةِ.

مَاتَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ حَاجًّا سَنَةً ثَمَانًا، أَوْ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِئَةً، عَنْ نَحْوِ سَبْعِينَ سَنَةً، وَقَدْ ذَهَبَ بَصْرُهُ.

أَسْنَدَ الْحَدِيثَ عَنْ أَنَسٍ، وَغَيْرِهِ.

* * *

(١٦٠) قسامة بن زهير (*)

كان عارفاً بالتصوّف، ماهراً في طريق التعرّف.

ومن كلامه:

رَوَّحُوا الْقُلُوبَ بِالذِّكْرِ^(١).

وقال: حَدَّثَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ أَنَّهُ أَرْحَمُ الْخَلْقِ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَبْصَرَ أَعْمَالَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، دَمَّرَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنَا أَرْحَمُ بَعْبَادِي مِنْكَ، فَاهْبِطْ، فَلَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ.

(*) طبقات ابن سعد ١٥٢/٧، تاريخ خليفة ٣٠٣، طبقات خليفة ١٩٣، الجرح والتعديل ١٤٧/٧، ثقات ابن حبان ٣٢٨/٥، حلية الأولياء ١٠٣/٣، تهذيب الكمال ٦٠٢/٢٣، تاريخ الإسلام ٦٤/٤، تهذيب التهذيب ٣٧٨/٨. وقد توفي بولاية الحجاج فهو من رجال الطبقة الأولى.

(١) في حلية الأولياء ١٠٤/٣: روحوا القلوب تعمي الذكر.

(حرف الكاف)

(١٦١) كعب الأخبار (*)

أبو إسحاق الجَمِيرِي، البحرُ الزخار، المُشتهرُ بالعلمِ والزُّهدِ كأنه عَلِمَ على رأسه نار، وهو صاحبُ الكُتُبِ والأسفار، والكاشفُ عن المَكْتومِ والأسرار، والمُشيرُ إلى المَشاهدِ والآثار، المُحدِّثُ بما في الكُتُبِ المُتقدِّمة من العجائب والأخبار، وقد قيلَ: التَّصَوُّفُ مُفارقةُ الأشرار، ومُصادقةُ الأخيار، ومُتَابَعَةُ الآثار والأخبار.

كان يهوديًا فأسلمَ، وقَدِمَ المَدِينَةَ، ثم خرَجَ إلى الشَّامِ، فسكَنَ حِمصَ.

قال ابنُ عَبَّاسٍ^(١) له: ما مَنَعَكَ أن تُسَلِّمَ حَتَّى لَزِمَ عُمَرَ؟ قال: كَتَبَ لي أبي كتاباً من التَّوراةِ وَخَتَمَهُ^(٢)، وَعَهَدَ لي ألا أُفْضَهُ، فلما رأيتُ الإسلامَ، يَظْهَرُ

(*) طبقات ابن سعد ٧/٤٤٥، طبقات خليفة ٣٠٨، التاريخ الكبير ٧/٢٢٣، المعارف ٤٣٠، الجرح والتعديل ٧/١٦١، ثقات ابن حبان ٥/٣٣٣، حلية الأولياء ٥/٣٦٤، الإكمال ٢/٣٨٠، ٧/٩١، صفة الصفوة ٤/٢٠٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٢٢/أ، جامع الأصول ١٥/١٢٢، أسد الغابة ٤/٤٨٧، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٦٨، مختصر تاريخ دمشق ٢١/١٨٠، تهذيب الكمال ٢٤/١٨٩، سير أعلام النبلاء ٣/٤٨٩، تذكرة الحفاظ ١/٥٢، العبر ١/٣٥، الإصابة ٣/٣١٥، تهذيب التهذيب ٨/٤٣٨، النجوم الزاهرة ١/٩٠، طبقات الشعراني ١/٤٥، شذرات الذهب ١/٤٠، وحقه أن يكون من رجال الطبقة الأولى فقد توفي سنة ٣٢ هـ.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، انظر مختصر تاريخ دمشق ٢١/١٨٢، والمزي في تهذيب الكمال ٢٤/١٩١ عن العباس.

(٢) في مختصر تاريخ دمشق، وتهذيب الكمال: إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة، ودفعه =

قلتُ: لعلَّهُ غَيَّبَ عَنِّي عِلْمًا، ففَضَضْتُهُ فَإِذَا فِيهِ صِفَةُ الْمُصْطَفَى وَأُمَّتِهِ
فَأَسْلَمْتُ^(١).

ومن فوائده العظيمة المقدار: أنيروا بيوتكم بذكر الله كما تُنيروا به قلوبكم.

وقال: ما استقرَّ لعبيدُ ثناء^(٢) في الأرضِ إلا بعد استقراره في السماء.

وقال: ما أحدٌ يُساقُ إلى النَّارِ إلا وهو مُسَوَّدُ الوَجْهِ، مَغْلُولٌ إِلا هذه الأُمَّةُ
يُساقونَ إليها بالوانهم.

وقال: إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ أَوْاهَا^(٣) لَأَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ بِذِكْرِ النَّارِ قَالَ: أَوْه.

وقال: يُوشِكُ أَنْ تَرَوْا الْجُهَّالَ يَتَبَاهَوْنَ بِالْعِلْمِ، وَيَتَغَايِرُونَ عَلَى التَّقَدُّمِ عِنْدَ
الْأَمْرَاءِ كَمَا يَتَغَايِرُ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ، فَذَلِكَ حَظُّهُمْ مِنَ الْعِلْمِ.

وقال: لَا يَذْهَبُ أَلْمُ الْمَوْتِ عَنِ الْمَيِّتِ مَا دَامَ فِي قَبْرِهِ.

وقال: مَا مِنْ بَيْتٍ فِيهِ أَحَدٌ إِلاَّ وَمَلَكَ الْمَوْتِ يَقِفُ^(٤) عَلَى بَابِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ
سَبْعَ مَرَّاتٍ، يَنْظُرُ هَلْ فِيهِ أَحَدٌ أَمَرَ بِهِ فَيَتَوَقَّاهُ.

وقال: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ: تَعَلَّمِ الْخَيْرَ وَعَلَّمَهُ
النَّاسَ، فَإِنِّي مُنَوِّرٌ لِمُعَلِّمِ الْعِلْمِ وَمُتَعَلِّمِهِ قُبُورَهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَوْحِشُوا لِمَكَانِهِمْ،
أَخْرَجَهُ عَنْهُ أَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ»^(٥).

وقال: لَأَنَّ أَبْكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَدُمُوعِي تَسِيلُ عَلَى وَجْهِ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أَتَصَدَّقَ بِوِزْنِ جَبَلٍ ذَهَبًا.

وقال: مَا سَرَقَ سَارِقٌ شَيْئًا إِلاَّ احْتُسِبَ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ.

إلي، وقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه.

(١) من قوله صفحة ٤٠٨ : قال ابن عباس - إلى هنا من المطبوع فقط .

(٢) في (ب): بناء .

(٣) إشارة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ابْرَهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ [التوبة: ١١٤] وانظر الحلية ٥ / ٣٧٤ .

(٤) في (أ) و (ف): إلا وكل الموت على بابهِ .

(٥) لم أجده في كتاب الزهد للإمام أحمد، ولعله من القسم المفقود، والخبر عن الإمام
أحمد في الحلية ٥ / ٦ .

وقال : مؤمنٌ عالمٌ أشدُّ على إبليس من مئة ألفٍ مؤمنٍ عابدٍ^(١) .

وقال : فاتحةُ التَّوراةِ فاتحةُ سورةِ الأنعامِ ، وخاتمةُها خاتمةُ سورةِ هود .

وقال : إنَّ للذِّكرِ دويًّا تحتَ العرشِ كدويِّ النَّحلِ يذكُرُ بصاحبِهِ^(٢) .

وقال : أصابَ النَّاسَ قحطٌ شديدٌ على عهدِ موسى عليه السَّلامُ ، فخرَجَ ببني إسرائيلَ ، فاستسَقُوا مراراً فلم يُسَقُوا ، فأوحى اللهُ إليهِ : لا أستجيبُ لك ، ولمنْ معكَ ، وفيكم نمامٌ ، فقال : ومن هو ، حتى نُخرجهُ يا ربُّ ؟ فقال : يا موسى ، أنهاركم عن التَّميمَةِ وأكونُ نماماً ! فقال موسى : تُوبوا بأجمعِكُم من التَّميمَةِ . فتابوا ، فأرسلَ اللهُ الغيثَ^(٣) .

وقال : اغتنِمِ تنفُسَ الأجلِ ، وإمكانَ العملِ ، واقطعْ ذكراً المعاذيرِ والعِللِ ؛ فإنَّكَ في أجلٍ محدودٍ ، وعُمُرٍ غيرِ ممدودٍ .

وقال : مَنْ عَرَفَ المَوْتَ هانتَ عليه مَصائبُ الدُّنيا وهمومُها .

وقال : لا تَسْتَشِرِ الحَاكِمَةَ ، فإنَّ اللهُ سَلَبَ عقولَهُم ، ونزَعَ البرَكَةَ من كسبِهِم . نقله عنه في «الرَّبِيعِ» .

وقال : مَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَتَخَمَّ مِنْ طَعَامٍ فَلْيَقْرَأْ عِنْدَ أَكْلِهِ : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .
وقيلَ له : ما الدَّاءُ الذي لا دَوَاءَ له ؟ قال : المَوْتُ .

وقال لأبي مُسلمٍ الخولاني : كيفَ منزلتُكَ في قومِكَ ؟ قال : حَسَنَةً . قال : إنَّ التَّوراةَ تقولُ : إنَّ الرَّجُلَ إذا أَمَرَ بالمَعروفِ ، ونهَى عن المُنكَرِ ساءتْ منزلتُهُ عندَ قومِهِ . قال : صدقتِ التَّوراةُ وكذَّبَ أبو مُسلمٍ .

وقال : مَنْ يَعْبُدُ اللهُ لَيْلَةً حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا يَخْرُجُ مِنْ لَيْلَتِهِ .

(١) تنمة الخبر في الحلية ٣٧٦ / ٥ لأن الله تعالى يعصمهم به من الحرام .

(٢) في الأصول : صاحبه ، والمثبت من حلية الأولياء ٤ / ٦ .

(٣) الخبر من المطبوع فقط .

وقال: الْمُتَخَلَّقُ^(١) إلى أربعين يوماً، ثم يعودُ إلى خُلُقِهِ الذي هو خُلُقُهُ.
وقال: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَنْظُرُونَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْمُصَلِّينَ بِاللَّيْلِ فِي بَيْوتِهِمْ كَمَا
تَنْظُرُونَ أَنْتُمْ إِلَى نُجُومِ السَّمَاءِ.

وقال له عمر رضي الله عنه: خَوْفُنَا يَا كَعْبُ. فقال: يا أمير المؤمنين، لو
وَأَفَيْتَ الْقِيَامَةَ بِعَمَلِ سَبْعِينَ نَبِيًّا لَأَزْدَرَيْتَ عَمَلَكَ مِمَّا تَرَى. فَأَطْرَقَ عَمْرٌ مَلِيًّا، ثُمَّ
أَفَاقَ فَقَالَ: زِدْنَا يَا كَعْبُ. فقال: لو فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ قَدَرٌ مِنْخَرٍ ثَوْرٍ بِالْمَشْرِقِ،
وَرَجُلٌ بِالْمَغْرِبِ لَغَلَا دِمَاغُهُ حَتَّى يَسِيلَ مِنْ حَرِّهَا. فَأَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: زِدْنَا.
فَقَالَ: إِنَّ جَهَنَّمَ لَتَزْفِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَفْرَةً لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا
خَرَّ جَائِيًّا، وَيَقُولُ: يَا رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ غَيْرَهَا.

أَسْنَدَ كَعْبٍ عَنْ: عَمْرٍ، وَصُهَيْبٍ، وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.
وَمَاتَ بِحَمَصَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ.

* * *

(١) في المطبوع: التخلق.

(حرف الميم)

(١٦٢) مالك بن دينار (*)

مالك بن دينار، الإمام المكثر، العارف النظار، صوفي قدره كبير، وعالم ليس له نظير، قُدوة في معرفة التصوف، مُشار إليه في المحافل ببيان التقدم والتعرف، نعم، وكان لشهوات الدنيا تاركاً، وللنفس عند غلبتها مالكا، وقد قيل: التصوف: تذلُّلٌ وافتخار^(١) وتملُّقٌ وافتقار.

قال ابن الجوزي في كتاب «التوايين»^(٢): إنه كان أولاً شرطياً، وإنه سُئل عن سبب توبته فقال: اشتريتُ جاريةً فوقعتُ مني أحسنَ موقعٍ، وولدتُ مني بنتاً، فشغفتُ بها، فلما دبَّت على الأرضِ ازدادتُ من قلبي حُبّاً، وألفتني وألفتها، [وقال: فكنْتُ إذا وضعتُ المُسكِرَ بين يدي جاءت إليَّ وجاذبتني

(*) طبقات ابن سعد ٢٤٣/٧، تاريخ خليفة ٢١٥، التاريخ الكبير ٣٠٩/٧، التاريخ الصغير ٣١٦/١، الجرح والتعديل ٢٠٨/٨، ثقات ابن حبان ٤٨٣/٥، حلية الأولياء ٣٥٧/٢، صفة الصفوة ٢٧٣/٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٢٨/ب، كتاب التوايين ٢٠٢، تهذيب الأسماء واللغات ٨٠/٢، وفيات الأعيان ١٣٩/٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٤، تهذيب الكمال ١٣٥/٢٧، سير أعلام النبلاء ٣٦٢/٥، تاريخ الإسلام ١٢٨/٥، ٣١٥، المغني في الضعفاء ٥٣٨/٢، ميزان الاعتدال ٤٢٦/٣، روض الرياحين ٢٣٢ الحكاية (١٥١)، تهذيب التهذيب ١٤/١٠، طبقات الشعراني ٣٧/١، شذرات الذهب ١٧٣/١.

(١) في الأصل: اضجار، والمثبت من حلية الأولياء ٣٥٧/٢.

(٢) كذا في الأصول، ولم أجده في مؤلفات ابن الجوزي، وكتاب التوايين هو لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، والخبر في الصفحة ٢٠٢، وما بين معقوفين مستدرك منه.

عليه، وهَرَقتُهُ على ثوبي،]، فلَمَّا تَمَّ لها سَنَتَانِ مَاتَتْ، فأكَمَدَنِي حُزْنُهَا، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةَ نَصْفِ شَعْبَانَ وَكَانَتْ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ [بِتُّ ثَمَلًا مِنَ الْخَمْرِ، وَلَمْ أُصَلِّ فِيهَا عِشَاءَ الْآخِرَةِ] رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّ الْقِيَامَةَ قَامَتْ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ، وَحُشِرَ الْخَلَائِقُ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَسَمِعْتُ حِسًّا، فَالْتَفْتُ فَإِذَا أَنَا بِتَيْنِ عَظِيمِ أَسْوَدَ أَزْرَقَ، فَتَحَّ فَاهُ مُسْرِعًا نَحْوِي، فَمررتُ بَيْنَ يَدَيْهِ هَارِبًا مَرَعُوبًا، فَمررتُ فِي طَرِيقِي بِشَيْخٍ نَقِي الثَّوبِ، طَيِّبِ الرَّائِحَةِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: أَجِزْنِي مِنْ هَذَا التَّيْنِ، أَجَارَكَ اللهُ. فَبَكَى وَقَالَ: أَنَا ضَعِيفٌ، وَهَذَا أَقْوَى مِنِّي، مُرَّ وَأَسْرَعُ، لَعَلَّ اللهُ أَنْ يُقَيِّضَ لَكَ مَا يُنْجِيكَ مِنْهُ. فَوَلَّيْتُ هَارِبًا عَلَى وَجْهِي، فَصَعِدْتُ عَلَى شُرْفِ الْقِيَامَةِ، فَأَشْرَفْتُ عَلَى طَبَقَاتِ النَّيرَانِ، فَكَدْتُ أَهْوِي فِيهَا مِنْ فَرَعِي، فَصَاحَ صَائِحٌ: ارْجِعْ، فَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا. فَأَطْمَأْنَنْتُ لِقَوْلِهِ، وَرَجَعْتُ، وَرَجَعَ التَّيْنُ فِي طَلْبِي، فَاتَيْتُ الشَّيْخَ فَقُلْتُ: سَأَلْتُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ هَذَا التَّيْنِ فَلَمْ تَفْعَلْ. فَبَكَى، وَقَالَ: أَنَا ضَعِيفٌ، وَلَكِنْ سِرُّ إِلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَإِنَّ فِيهِ وَدَائِعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ كَانَ لَكَ فِيهِ وَدِيعَةٌ فَتَنْصُرْكَ، فَنَظَرْتُ إِلَى جَبَلٍ مُسْتَدِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ فِيهِ طَاقَاتٌ مُخَرَّقَةٌ، وَسُتُورٌ مُعَلَّقَةٌ، عَلَى كُلِّ طَاقَةٍ مِصْرَاعَانِ مِنْ ذَهَبٍ أَحْمَرَ، عَلَى كُلِّ مِصْرَاعٍ سِتْرٌ مِنْ حَرِيرٍ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ هَرَوَلْتُ، وَالتَّيْنُ مِنْ وَرَائِي، حَتَّى إِذَا قَرَبْتُ مِنْهُ، صَاحَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ: ارْفَعُوا السُّتُورَ، وَافْتَحُوا الْمِصْرَاعَ، فَأَشْرَفُوا عَلَيَّ فَرَأَيْتُ أَطْفَالَ كَالْأَقْمَارِ، وَقَرَّبَ التَّيْنُ مِنِّي، فَحِزْتُ فِي أَمْرِي، فَصَاحَ بَعْضُ الْأَطْفَالِ: وَيْحَكُمْ، أَشْرَفُوا كُلُّكُمْ، فَقَدْ قَرَّبَ مِنْهُ عَدُوَّهُ. فَأَشْرَفُوا فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، فَإِذَا أَنَا بِابْتِي الَّتِي مَاتَتْ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَبَكَتُ، وَقَالَتْ: أَبِي وَاللَّهِ، ثُمَّ وَثَبْتُ فِي كَفَّةٍ مِنْ نُورٍ، كَرَمِيَةِ السَّهْمِ حَتَّى صَارَتْ عِنْدِي، وَمَدَّتْ يَدَهَا الشُّمَالِ إِلَى يَدِي الْيَمِينِ فَتَعَلَّقْتُ بِهَا، وَمَدَّتْ يَدَهَا الْيَمِينِ إِلَى النَّيْنِ فَوَلَّيْتُ هَارِبًا، ثُمَّ أَجْلَسْتَنِي وَقَعَدَتْ فِي حِجْرِي، وَضَرَبَتْ بِيَدِهَا الْيَمِينِ إِلَى لِحْيَتِي وَقَالَتْ: يَا أَبَتِ ﴿﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴿﴾ [الحديد: ١٦] فَبَكَيْتُ وَقُلْتُ: وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالَتْ: نَحْنُ أَعْرَفُ بِهِ مِنْكُمْ. قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ التَّيْنِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَنِي. قَالَتْ: ذَلِكَ عَمَلُكَ السَّيِّئِ قَوَّيْتَهُ، فَأَرَادَ إِغْرَاقَكَ فِي نَارِ الْجَحِيمِ، قُلْتُ: فَالشَّيْخُ؟ قَالَتْ: ذَلِكَ عَمَلُكَ الصَّالِحِ

أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السيئ. فقلت: يا بُنيَّة، ما تفعلون في هذا الجبل؟ قالت: أطفال المسلمين أسكنوا فيه إلى قيام الساعة ننتظركم تقدمون علينا، فنشفع لكم.

قال مالك رحمه الله: فانتبهت فرعاً مرعوباً، فكسرت آلات المخالفة، وعقدت مع الله عز وجل توبة نصوحاً، فتاب عليَّ سبحانه.

وحكى قال: كان لي جار يفعل الفواحش، فتأذى منه الجيران، وأتوني فأحضرناه. وقلنا: اخرج من المحلة. قال: أنا في منزلي لا أخرج. قلنا: بعه. قال: لا أبيع ملكي. قلنا: نشكوك للسلطان. قال: أنا من أعوانه. قلنا: ندعو عليك. قال: الله أرحم بي منكم. فغاطني ذلك، فلما جن الليل دعوت عليه، فقيل لي: إنه من الأولياء. فحضرت إلى بابه، فخرج لي باكياً تائباً، وفارقنا فلم نره إلا بالمسجد الحرام مريضاً مطروحاً، فلم يلبث أن مات.

قال الغزالي^(١) رحمه الله: قال مالك: لا يتفق اثنان في عُشرة إلا إن كان في أحدهما وصف من الآخر، وأشكال الناس على أجناس الطير، فلا يتفق نوعان منه إلا وبينهما مناسبة، فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب [من ذلك فقال: اتفقا وليس من شكل واحد]، ثم طارا، فإذا هما لأعرجان. قال: من ههنا اتفقا، ولذلك قال الحكماء: كل إنسان يألف إلى شكله، وإذا اصطحب اثنان برهة ولم يتشاكلا فلا بد أن يفترقا. انتهى.

ودخل لصر دارة فما وجد شيئاً يسرقه، فجاء ليخرج ومالك ينظره، فقال: سلام عليك، اعلم أن شيئاً من الدنيا ما حصل لك، فترغب في شيء من الآخرة؟ قال: نعم. قال: توضأ، وصل. ففعل إلى الصبح، فخرج به مالك إلى المسجد، فقال أصحابه: من هذا؟ قال: هذا جاء يسرق فسرقناه.

ومن كلامه:

خرج أهل الدنيا منها ولم يذوقوا أطيب شيء فيها وهو معرفة الله.

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٦٢ في أدب الأخوة والصحبة والمعاشرة، الباب الأول، فصل بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا. وما بين معقوفين مستدرك منه.

وقال : ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله .

وقال : قال في التوراة : أيها الصديقون ، تنعموا بذكري في الدنيا ؛ فإنه لكم في الدنيا نعيم ، وفي الآخرة جزاء .

وقال : لا يبلغ الرجل منزلة الصديق حتى يأوي في مزابل الكلاب .

وقال : نظرت في كل إثم فلم أجده إلا [من] حب المال^(١) .

وقال : بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك .

وقال : يا معشر الأغنياء ، موتوا كمداً ، فإن العيش عيش الآخرة .

وقال : درهم الفقير أزكى عند الله من دينار الغني .

وقال : ما أنصفنا إخواننا الأغنياء ، يحبوننا في الله ، ويفارقونا في الدنيا ، وإنه يأتي يوم يسرهم أن يكونوا بمنزلتنا ، ولا يسرنا أن نكون بمنزلتهم .

وقال : في بعض الكتب يقول الله : أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه .

وقال : إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف .

وقال : تلقى الرجل وما يلحن حرفاً ، وعمله كله لحن^(٢) ، أعربوا في كلامهم ولحنوا في أعمالهم ، فما أعربوا .

وقال : إذا لم يكن في القلب حزن خرب كما إذا لم يكن في البيت ساكن يخرّب .

وقال : البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا راحة ، وكذا القلب إذا غلبه^(٣) حب الدنيا لا ينجع فيه وعظ .

وقال : اتقوا السحارة ؛ فإنها تسحر قلوب العلماء^(٤) .

(١) ما بين معقوفين مستدرك من حلية الأولياء ٢ / ٣٨٢ .

(٢) في المطبوع : وعملهم لحن كلهم . والمثبت من حلية الأولياء ٢ / ٣٨٤ .

(٣) في (ب) : طلب .

(٤) الخبر في الحلية ٢ / ٣٦٤ بزيادة : يعني الدنيا .

وقال : من كان في قلبه شُعبَةٌ من الإيمانِ فلا يركنُ إلى التَّسْويفِ .
وقال : مَنْ كَانَتْ دُنْيَاهُ هَمَّهُ ، كَثُرَ فِي الدَّارَيْنِ غَمُّهُ .
وقال : إِنَّ لَهِ عُقُوبَاتٍ فَتَعَاهَدُوا هُنَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْأَبْدَانِ^(١) ، ضَيْقاً
فِي الْمَعِيشَةِ ، وَوَهْناً فِي الْعِبَادَةِ ، وَسَخَطاً فِي الرَّزْقِ .
وقال : مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ .
وقال : قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ ، أَيْنَ أَبْغَيْكَ ؟ قَالَ : عِنْدَ الْمُتَكَبِّرَةِ قُلُوبُهُمْ .
وقال : مَنْ فَرِحَ بِمَدْحِ الْبَاطِلِ فَقَدْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ دُخُولِ قَلْبِهِ .
وقال : رَأَيْتُ جَبَلًا عَلَيْهِ رَاهِبٌ فَنَادَيْتُهُ : أَفِذْنِي شَيْئاً مِمَّا يُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا .
قَالَ : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ حَائِطاً مِنْ حَدِيدٍ فَافْعَلْ .
وقال : مِنْ عِلَامَةِ حُبِّ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونَ دَائِمَ الْبِطْنَةِ ، قَلِيلَ الْفِطْنَةِ ، هَمُّهُ بَطْنُهُ
وَفَرَجُهُ ، يَقُولُ : مَتَى أُصْبِحُ فَالْهُوَ وَالْعَبُّ ، وَأَكُلُ وَأَشْرَبُ ؟ مَتَى أُمْسِي فَأَنَامُ ؟
جِيفَةٌ بِاللَّيْلِ بَطَّالٌ بِالنَّهَارِ .
وَسُئِلَ عَنِ لُبْسِ الصُّوفِ ، فَقَالَ : أَمَا أَنَا فَلَا أَصْلِحُ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ يَطْلُبُ صَفَاءً .
وقال : مَا بَقِيَ لِأَحَدٍ رَفِيقٌ يُسَاعِدُهُ عَلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ ، إِنَّمَا هُمْ يُفْسِدُونَ عَلَى
الْمَرْءِ قَلْبَهُ .
وقال : مَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ فَذَلِكَ الَّذِي يَفِرُّ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ .
وقيلَ لَهُ : أَلَا تَتَزَوَّجُ ؟ قَالَ : لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُطَلِّقَ نَفْسِي طَلَّقْتُهَا .
وقال : إِنَّمَا بَطْنُ أَحَدِكُمْ كَلْبٌ ، فَالْقِي إِلَى الْكَلْبِ كِسْرَةً يَسْكُنُ ، وَلَا تَجْعَلُوا
بَطُونَكُمْ جُرْباً لِلشَّيْطَانِ يُوعَى فِيهَا مَا شَاءَ^(٢) .

(١) فِي الْأَصُولِ : فَتَعَاهَدُوا أَنْفُسَكُمْ وَالْأَبْدَانَ ضَيْقاً . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٢ / ٣٦٤ ،
وَصِفَةِ الصَّفْوَةِ ٣ / ٢٨٧ ، وَالْمَخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ١ / ٣٢٩ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : حَرْباً لِلشَّيْطَانِ يَرعى فِيهَا مَا شَاءَ . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٢ / ٣٦٩ ،
وَصِفَةِ الصَّفْوَةِ ٣ / ٢٧٤ . وَالْجَرْبُ مَفْرَدُهَا جَرَابٌ وَهُوَ الْمَزُودُ ، وَهُوَ وَعَاءٌ مِنْ إِهَابِ
الشَّاءِ لَا يُوَعَى فِيهِ إِلَّا الْيَابِسُ . مَتْنُ اللَّغَةِ (جَرْب) .

وقال: حُلُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَثِقَاقًا وَثِقَاقًا.

وقال: قَالَ فِي الزَّبُورِ: إِنِّي أَنْتَقِمُ مِنَ الْمُنَافِقِ لِلْمُنَافِقِ، وَأَنْتَقِمُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ جَمِيعًا.

وقال: قَالَ عَيْسَى: خَوْفُ اللَّهِ، وَحُبُّ الْفِرْدَوْسِ يُبَاعِدَانِ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا، وَيُورِثَانِ الصَّبْرَ عَلَى الْمَشَقَّةِ.

وقال: بِحَقِّ أَقْوَلُ لَكُمْ: أَكُلُ الشَّعِيرِ وَالنَّوْمُ عَلَى الْمَزَابِلِ قَلِيلٌ فِي طَلَبِ الْفِرْدَوْسِ.

وقال: أَجِيعُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَعْرُوهَا، لَعَلَّ قُلُوبَكُمْ تَعْرِفُ اللَّهَ.

وقال: لَوْلَا يَقُولُ النَّاسُ جُنَّ مَالِكٌ لِلْبِسْتِ الْمُسُوخِ، وَوَضَعْتُ الرَّمَادَ عَلَى رَأْسِي، وَأُنَادِي فِي النَّاسِ، مَنْ رَأَى رَأَى فَلَإِ يَعْصِي رَبَّهُ.

وقال: كُلُّ جَلِيسٍ لَا تَسْتَفِيدُ مِنْهُ خَيْرًا فَاجْتَنِبْهُ.

وَأَتَاهُ رَجُلٌ^(١) فَوَجَدَ كَلْبًا قَدْ وَضَعَ حَنَكَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ، فَذَهَبَ يَطْرُدُهُ، فَقَالَ: دَعُهُ، هَذَا لَا يَضُرُّ وَلَا يُوْذِي، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ الشُّوْءِ.

وَوَقَعَ حَرِيقٌ بِحَيْثِهِ، فَقَالَ شَبَابُ الْقَوْمِ: بَيْتَ مَالِكِ، فَاسْرِعُوا إِلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مُتَزِرًا بِيَابِيَّةٍ^(٢)، وَبِيَدِهِ مَطْهَرَةٌ، وَهُوَ يَقُولُ: نَجَا الْمُخَفَّفُونَ.

وقيلَ له: أَلَا نَدْعُو لَكَ قَارِنًا يَقْرَأُ؟ قَالَ: التَّكْلَى لَا تَحْتَاجُ لِنَائِحَةٍ.

وَكَانَ لَا يَخْرُجُ مَعَ النَّاسِ لِلْإِسْتِسْقَاءِ، وَيَقُولُ: أَحْشَى أَنْ لَا تُجَابُوا مِنْ أَجْلِي.

وقال: عَلَامَةٌ مَحَبَّةِ اللَّهِ مُدَاوِمَةٌ ذِكْرِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ.

وقال: مَنْ لَمْ يَأْنَسْ بِمُحَادَثَةِ اللَّهِ عَنِ مُحَادَثَةِ الْمَخْلُوقِ فَقَدْ قَلَّ عِلْمُهُ وَعَسِي قَلْبُهُ، وَضَيَّعَ عُمُرُهُ.

وقال: النَّاسُ يَسْتَبْطِنُونَ الْمَطَرَ، وَمَالِكٌ يَسْتَبْطِنُ الْحَجَرَ.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: وَمَرَّ بِرَجُلٍ.

(٢) الْبَابِيَّةُ: الْحَصِيرُ الْمَنْسُوجُ. مَتْنُ اللَّغَةِ (بَرِي).

وقال: قد اصطلحنا كلنا على حُبِّ الدُّنيا، فلا عالمٌ ولا صالحٌ يَعيبُ على أخيه حُبَّها، مع أنها رأسُ كلِّ خَطِيئَةٍ.

وشَفَعَ عند مَكَّاسٍ، فأجابَ، وقال: ادعُ لي. فقال: كيف أدعو لكم، وألوفٌ تدعو عليكم؟! أَيْسْتَجَابُ لِوَاحِدٍ دُونَ أَلْفٍ؟

وقال: أصابَ بني إِسْرَائِيلَ قَحْطٌ، فخرَجوا مِراراً للاستِسْقَاءِ، فأوحى اللهُ إلى نبيِّهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إليَّ بأبدانٍ نَجِسَةٍ، وترفعون إليَّ أكثافاً سفكتم بها الدِّماءَ، وملائمٌ بطونكم من الحرامِ، الآن قد اشتدَّ غَضَبِي عَلَيْكُمْ، ولم تزدادوا منِّي إلا بُعْداً.

وقال: في بعض الكُتُبِ يقولُ اللهُ: يا ابنَ آدمَ، خيري ينزلُ إليك، وشركُك يصعدُ إليَّ، وأتحبُّ إليك بالنَّعمِ، وتتبعُضُ إليَّ بالمعاصي.

وفي بعضها: إنِّي أنا اللهُ، مالكُ المُلوكِ، قلوبُ العبادِ بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رَحمةً، ومن عصاني جعلتهم عليه نِقْمَةً، فلا تشتغلوا بسبِّ المُلوكِ، لكن توبوا أعطفهم عليكم.

وقال: عرسُ المُتقين يومَ القيامةِ.

وقال: من صفا صُفي له، ومن خلطَ خلطَ له.

وقال: افتضحوا فاصطلحوا.

وقال: دخلَ عيسى بيتَ المقدسِ فوجدهم يتبايعون فيه، فجعل ثوبَهُ مِخْرَاقاً^(١)، وسعى عليهم ضرباً، وقال: يا بني الحَيَّاتِ والأفاعي، اتَّخذتم مساجدَ اللهِ أسواقاً؟!!

وقال: السُّوقُ مُكثَرَةٌ للمالِ مُذهَبَةٌ للدينِ.

وقال: حُبِسَ المطرُ فاستسقيناً مِراراً فلم نُسقَ، فانصرفَ النَّاسُ وبقيتُ بالمُصلَّى، فلَمَّا أَظْلَمَ اللَّيْلُ، إذا أنا بأسودَ دَقِيقِ السَّاقِينِ، عَظِيمِ البَطْنِ، فصلَّى ثم رَفَعَ طَرَفَهُ إلى السَّمَاءِ، فقال: سيِّدي، إلى كم تردَّ عبادك فيما لا ينقصك

(١) المخرق: المنديل ونحوه يفتل ليضرب به، أو يلف فيفزع به. متن اللغة (خرق).

أَنْفَدَ مَا عِنْدَكَ؟ ! أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحُبِّكَ لِي إِلَّا سَقَيْتَنَا السَّاعَةَ، فَمَا تَمَّ كَلَامُهُ حَتَّى
 أَمْطَرَتْ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ، فَخَرَجْنَا نَخْوِضُ، فَتَعَرَّضْتُ لَهُ، فَقُلْتُ: أَمَا تَسْتَحْيِي،
 تَقُولُ بِحُبِّكَ لِي، وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ يُحِبُّكَ؟ قَالَ: يَا مَنْ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِنَفْسِهِ، أَيْنَ
 كُنْتُ أَنَا حِينَ خَصَّنِي بِتَوْحِيدِهِ وَمَعْرِفَتِهِ؟ أُرَاهُ بَدَأَنِي بِذَلِكَ إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ لِي؟ ثُمَّ
 بَادَرَ يَسْعَى، فَقُلْتُ: أَرْفُقْ. فَقَالَ: أَنَا مَمْلُوكٌ عَلَى طَاعَةِ مَالِكِي الصَّغِيرِ، فَسَأَلْتُ
 عَنْ مَالِكِهِ، فَقُلْتُ: بِعَيْنِهِ. فَقَالَ: هَذَا غُلَامٌ مَشْوُومٌ، لَا هِمَّةَ لَهُ إِلَّا الْبُكَاءُ،
 قُلْتُ: وَلِذَلِكَ أُرِيدُهُ، فَاشْتَرَيْتُهُ، فَقَالَ: لِمَاذَا اشْتَرَيْتَنِي؟ فَقُلْتُ: لِأَخْدَمَكَ.
 فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، وَقَالَ: سِرٌّ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَظْهَرْتَهُ لِمَخْلُوقٍ، أَقْسَمْتُ
 عَلَيْكَ إِلَّا قَبَضْتَنِي. فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ.

مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَةَ (١).

وَرُئِيَ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ: مَاذَا قَدِمْتَ بِهِ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ: قَدِمْتُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ،
 مَحَاها حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى. انْتَهَى.

* * *

(١) فِي الْأَصُولِ: إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِئَةَ، اخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ، فِي تَارِيخِ خَلِيفَةَ ٣٩٥ أَنَّهُ
 تُوْفِيَ سَنَةَ (١٣٠). وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ الصَّغِيرِ ١/٣٥٢: مَاتَ سَنَةَ (١٢٧)،
 وَفِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ ٣/٢٨٨ أَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ (١٣١)، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي السِّيرِ ٥/٣٦٤: إِنَّهُ
 مَاتَ سَنَةَ (١٢٧)، وَالْمَزِّي فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ ٢٧/١٣٧: مَاتَ سَنَةَ (١٢٣)،
 فَالْمَصَادِرُ كُلُّهَا أَجْمَعَتْ عَلَى أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ الطَّاعُونَ، وَكَانَ الطَّاعُونَ سَنَةَ إِحْدَى
 وَثَلَاثِينَ.

(١٦٣) الإمام مالكُ بن أنس (*)

الإمامُ المشهور، صدرُ الصدور^(١)، أكملُ العقلاء، وأعقلُ الفضلاء، ورثَ حديثَ الرّسول، ونشرَ في أمّته الأحكامَ والأصول، تحقّقَ بالتّقوى، وابتليَ بالبلوى، وقد قيلَ: التّصوّفُ تحقّقٌ في التّقوى، وتخلّقٌ في البلوى.

أخذَ العلمَ عن سبعِ مئةِ شيخٍ فأكثر، وما أفتى حتى شهدَ له سبعونَ إماماً أنّه أهلٌ لذلك.

وكتبَ بيده مئةَ ألفِ حديثٍ.

وجلسَ للتّدريسِ وهو ابنُ سبعِ عشرةِ سنةً، وصارت حلقتهُ أكثرَ من حلقةِ مَشايقه في حياتهم.

وكانَ النَّاسُ يزِدِّحُمونَ على بابِهِ لأخذِ الحديثِ والفِقهِ كازدِحامِهِم على بابِ السُّلطانِ.

وله حاجِبٌ^(٢) يأذنُ عليه، فيأذنُ أولاً للخاصّةِ، فإذا فرَغوا أذنَ للعامّةِ.

وإذا جلسَ للفِقهِ جلسَ كيف كان، وإذا أرادَ الجلوسَ للحديثِ اغتسلَ

(*) طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ٤٣٣، تاريخ خليفة ٤٥١، طبقات خليفة ٢٧٥، التاريخ الكبير ٣١٠/٧، التاريخ الصغير ١٩٩/٢، ٢٠٠، ٢٠١، المعارف ٤٩٨، الجرح والتعديل ٢٠٤/٨، ثقات ابن حبان ٤٥٩/٧، مشاهير علماء الأمصار ت (١١١٠)، حلية الأولياء ٣١٦/٦، طبقات الفقهاء للشيرازي ٦٧، ترتيب المدارك ١٠٢/١، صفة الصفوة ١٧٧/٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٢٧/أ، جامع الأصول ٢٢٥/١٥، تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/٢، وفيات الأعيان ١٣٥/٤، تهذيب الكمال ٩١/٢٧، سير أعلام النبلاء ٤٣/٨ (١٠)، تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١، العبر ٢٧٢/١، مرآة الجنان ٣٧٣/١، البداية والنهاية ١٧٤/١٠، تهذيب التهذيب ٥/١٠، غاية النهاية ٣٥/٢، النجوم الزاهرة ٩٦/٢، طبقات الشعراني ٥٢/١، شذرات الذهب ١٢/٢.

(١) في المطبوع: صدر المدرسين الصدور.

(٢) في (أ): صاحب.

وتطَيَّبَ، ولَبَسَ ثِيَاباً جُوداً، وتَعَمَّمَ، وَقَعَدَ عَلَى مَنَصَّةٍ بِخُضُوعٍ وَخُشُوعٍ وَوَقَارٍ،
وَيَبْحُرُ الْمَجْلِسَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ بَعْدَ أَدْبَابٍ مَعَ الْمُصْطَفَى ﷺ حَتَّى بَلَغَ مِنْ
تَعْظِيمِهِ لَهُ أَنَّهُ لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ، وَهُوَ يُحَدِّثُ سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً، فَصَارَ يَصْفَرُّ وَيَتَلَوَّى،
حَتَّى تَمَّ الْمَجْلِسُ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَقَالَ: صَبَرْتُ إِجْلَالاً لِلْمُصْطَفَى ﷺ.

وَكَانَ زُبَّانًا يَقُولُ لِلسَّائِلِ: انصَرِفْ، حَتَّى أَنْظُرَ. فَقِيلَ لَهُ فِيهِ، فَبَكَى وَقَالَ:
أَخَافُ أَنْ يَكُونَ لِي مِنَ السَّائِلِ يَوْمٌ، وَأَيُّ يَوْمٍ.

وَكَانَ إِذَا أَكْثَرُوا سؤَالَهُ كَفَّهُمْ وَقَالَ: حَسْبُكُمْ، مَنْ أَكْثَرَ أخطَا، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ
يُجِيبَ عَنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُجِيبْ، وَقَدْ أَدْرَكْنَاهُمْ
إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ فَكَأَنَّ الْمَوْتَ أَشْرَفَ عَلَيْهِ.

وَسُئِلَ عَنْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً، فَقَالَ فِي اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ: لَا أُدْرِي.

وَقَالَ: يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُورِّثَ جُلَسَاءَهُ (لَا أُدْرِي) لِيَكُونَ أَصْلًا فِي أَيْدِيهِمْ
يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ.

وَكَانَ إِذَا شَكَ فِي الْحَدِيثِ طَرَحَهُ، وَإِذَا قَالَ أَحَدٌ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَبْسَهُ
بِالْحَبْسِ، وَقَالَ: تَصَحَّحْ مَا قَالَهُ، ثُمَّ تَخْرُجْ.

وَكَانَ يُقَامُ بَيْنَ يَدَيْهِ الرَّجُلُ كَمَا يُقَامُ بَيْنَ يَدَيْ الْأُمَرَاءِ.

وَكَانَ شَدِيدَ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، وَكَثِيرًا مَا يُنْشِدُ:

وَخَيْرُ أُمُورِ الدِّينِ مَا كَانَ سُنَّةً وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ الْبِدَائِعُ

وَنَاهِيكَ بِقَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَكْرَهُهُ فَاعْلَمْ
أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ.

وَأَلْفَ «المَوْطَأِ» فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ عَمَلِ المَوْطَأَاتِ، فَقِيلَ لَهُ:
شَغَلَتْ نَفْسَكَ بِعَمَلِهِ، وَقَدْ أَشْرَكَكَ النَّاسُ فِيهِ. فَقَالَ: لِتَعْلَمَنَّ مَا أُرِيدُ بِهِ
وَجْهَ اللَّهِ، فَكَأَنَّمَا أَلْقَيْتَ تِلْكَ المَوْطَأَاتُ فِي الْآبَارِ^(١).

وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ قِيَامِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١) الخبر في ترتيب المدارك ١/١٩٥ مع زيادة.

(١) قال ابن إسحاق: ما صعبت عليّ مسألة نقلتها له إلا انكشفت لي.

وقال الحارث بن حسن: دخلت على مالك، وابن القاسم، وابن وهب، فودّعه كلٌّ [مِنَّا] (٢)، فقال له ابن وهب: أوصني، فقال: اتق الله، وانظر عمّن تنقل، ولا ابن القاسم: اتق الله، وانشر ما علمت، ولي: اتق الله، وعليك بتلاوة القرآن. فلم يرَ أهلك لذلك (١).

وكان يرى المصطفى ﷺ كلَّ ليلة في النوم، وكان مُهاباً جداً، إذا أجاب في مسألة لا يمكن أن يُقال له: من أين؟

ودخل على المنصور، وهو على فرشه، وصبي يخرج ويدخل، فقال: تدري من هذا؟ هو ابني، وإنما يفرغ من هيبك. ومن ثم أنشد فيه (٣):

يأبى الجواب فلا يُراجع هيبه والسائلون نواكس الأذقان
آدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

وأقام خمسا وعشرين سنة لا يخرج للجماعة، ويقول: أخاف أرى منكراً لا يمكنني تغييره.

ومكث سنين لا يخرج للجمعة، فسئل عنه، فقال: للناس أعداؤ. واحتمل الناس له ذلك، فكانوا أرغب ما كانوا فيه، وأشدّ تعظيماً له.

وفي «الإحياء»: أنه كان يشهد الجنائز، ويعود المرضى، ويُعطي الإخوان حقوقهم، فترك واحداً واحداً، ثم تركها كلها، وقال: لا يتهيأ للرجل أن يُخبر بكل عذره.

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: في عمر ينقص، وذنوب تزيد.

(٢) زيادة يقتضيها النص.

(١-١) ما بينهما من المطبوع فقط.

(٣) ثمار القلوب ٢/٩٦٤ منسوبان إلى عبد الله بن محمد بن سالم الخياط، وفي ترتيب

المدارك ١/١٦٧ بلا نسبة وقد تمثل بهما الثوري، وفي سير أعلام النبلاء نسباً إلى

مصعب بن عبد الله.

قال أشهبُ بنُ عبد العزيز: رأيتُ أبا حنيفةَ رضي الله عنه بين يدي مالك رضي الله عنه كالصبيِّ بين يدي أمِّه.

قال الذهبيُّ رحمه الله: وهذا يدلُّ على حُسنِ أدبِ أبي حنيفةَ رضي الله عنه، وتواضعه مع كونه أسنَّ من مالك رضي الله عنه بثلاث عشرة سنة.

«وكان لا يدخلُ الخلاءَ إلا كلَّ ثلاثةِ أيَّامٍ مرَّةً، ويقولُ: واللهِ قد استحييتُ منه من كثرةِ تردُّدي للخلاءِ.»

وكان يرخي الطَّيلسانَ على رأسه حتى لا يرى ولا يُرى.

ولمَّا أَلْفَ «الموطَّأ» اتَّهَمَ نَفْسَهُ في الإخلاصِ فيه، فألقاهُ في الماءِ، وقال: إنَّ ابتلًا لا حاجةَ لي به، فلمْ يَبْتَلْ منه شيءٌ^(١).

ومن فوائده ودقائقِ إشاراته:

ما ثمَّ أحدٌ يُخافُ عليه يومَ القيامةِ كالعلماءِ، فإنَّهم يُسألونَ عمَّا يُسألُ عنه الأنبياءُ.

وقال: المُنافِقُ بالمسجدِ كالعُصفورِ في القفصِ، إذا فُتِحَ بابُه طار.

وقال: العلمُ ليسَ بكثرةِ الروايةِ، بل نورٌ يضعُهُ اللهُ في القلبِ، يُفَرِّقُ به بينَ الحقِّ والباطلِ.

وقال: إذا علمتَ علمًا ظهرَ عليك أثرُهُ وسِمَتُهُ وسكِينَتُهُ ووقارُهُ وحلمُهُ
لحديث: «العلماءُ ورثةُ الأنبياء»^(٢).

وقال: أدركتُ النَّاسَ وهم يتعلَّمونَ العِلْمَ حتى يَصِلَ أحدهمُ إلى الأربعينِ، فينقَطِعُ للعبادةِ، ويَطوي الفِرَاشَ، ويقومُ اللَّيْلَ كلَّهُ.

وقال: ما جالستُ سَفِيهاً قطُّ.

(١-١) ما بينهما ليس في (أ).

(٢) رواه أبو داود ٣٦٤١، ٣٦٤٢ في العلم، باب الحث على طلب العلم، والترمذي (٢٦٨٢) في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وابن ماجه (٢٢٣) في المقدمة، باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم. وإسناده حسن كما قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول ٦/٨.

وقال : لا خَيْرَ فِيمَنْ يَرَى نَفْسَهُ بِحَالَةٍ لَا يَرَاهُ النَّاسُ لَهَا أَهْلًا .

وقال : المِرَاءُ والجِدَالُ فِي العِلْمِ يُذْهِبُ بِنُورِهِ مِنَ القَلْبِ .

وقال : مَنْ صَدَقَ فِي حَدِيثٍ مُتَّعَ بِعَقْلِهِ ، وَلَمْ يُصِبهُ هَمٌّ وَلَا خَوْفٌ .

وقال : طَلَبُ الرِّزْقِ فِي شُبُهَةٍ أَحْسَنُ مِنَ الحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ .

وسُئِلَ عَنِ كَيْفِيَّةِ الاسْتِواءِ عَلَى العَرْشِ ، فَقَالَ بَعْدَ إِطْرَاقِ وَتَفَكُّرٍ : الكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَالاسْتِواءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، وَالسُّؤالُ عَنْهُ بِدَعَاةٍ .

وَوَقَعَ فِي زَمَنِهِ أَنَّ امْرَأَةً غَسَلَتْ أُخْرَى ، فَضْرَبَتْ بِيَدِهَا فَرْجَهَا وَقَالَتْ : مَا كَانَ أَزْنَاكِ ! فَلصَقَتْ يَدَهَا بِهِ ، وَتَحَيَّرُوا فِي خِلاصِهَا ، فَسألُوهُ فَقَالَ : الغَاسِلَةُ قَذَفَتِ المَيْتَةَ ، فَحُدُوها لِلقَذْفِ . فَفَعَلُوا فَخَلَصَتْ يَدَهَا .

وَلَمَّا اخْتَفَى أَيَّامَ الفِتْنَةِ ، قَالَ لِمَطْرَفٍ : مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ ؟ قَالَ : الصَّدِيقُ يُثْنِي ، وَالعدُوُّ يَقَعُ ، قَالَ : مَا زالَ النَّاسُ هَكَذَا ، عدُوٌّ وَصَدِيقٌ ، لَكِنْ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَتَابُعِ الأَلْسِنَةِ بِالذَّمِّ^(١) .

وقال بكر بن سليم الصَّوَّافِ : دَخَلْنَا عَلَى مالِكِ العَشِيِّ التي ماتَ فيها ، فَقُلْنَا : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ قَالَ : لا أَدرِي ما أَقولُ لَكُمْ ، إِلاَّ أَنَّكُمْ سَتُعَايِنُونَ مِنْ عَفْوِ اللَّهِ ما لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسابِ ، ثُمَّ ما بَرِحْنَا أَنْ أَغْمَضَناهُ .

وَذَكَرَ القُشَيْرِيُّ^(٢) أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : ما فَعَلَ اللَّهُ بِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ؟ فَقَالَ : غَفَرَ لِي بِكَلِمَةٍ كانَ يَقُولُها عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الجَنائِزَةِ : سُبْحانَ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ .

وُلِدَ سَنَةَ بَضْعٍ وَتَسْعِينَ بَعْدَ ما حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ ثَلَاثَ سِنِينَ .

وَأَمْتَحَنَ فِي خِلافةِ المَنْصُورِ ، أَوْ الرِّشِيدِ لِإِفْتائِهِ بَعْدَ وَقوعِ طَلاقِ المُكْرَهَةِ ، أَوْ تَقْدِيمِهِ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَضْرَبَهُ أميرُ المَدِينَةِ مِنْ ثَلَاثِينَ إِلَى مِئَةٍ ، وَمُدَّتْ يَداهُ حَتَّى انْحَلَّتْ كَتِفاهُ ، وَصارَ بَعْدَ ذَلِكَ لا يُمكِنُهُ رَفْعُ يَدَيْهِ حَتَّى

(١) الخبر في حلية الأولياء ٦ / ٣٢١ ، وفيه : نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها .

(٢) الرسالة القشيرية ٢ / ٧٢١ ، باب رؤيا القوم .

مات، وصارَ يقولُ حينَ ضربَهُ: اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَحُمِلَ مُغْمَى عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَشْهَدُكُمْ أَنِّي جَعَلْتُ ضَارِبِي فِي حِلٍّ، وَمَا زَالَ بَعْدَ^(١) الضَّرْبِ فِي رِفْعَةٍ مِنَ النَّاسِ وَإِعْظَامٍ، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْأَسْوَاطُ حُلِيًّا حُلِّيَّ بِهِ.

ماتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً، وَقِيلَ: اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَأَفْرَدَ الذَّهَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرْجَمَتَهُ بِمَوْلَفِ حَافِلٍ^(٢).

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ^(٣) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: رَأَيْتُ أَبِي فِي النَّوْمِ وَعَلَيْهِ قَلَنْسُوءَةٌ طَوِيلَةٌ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: زَيَّنَنِي بِزِينَةِ الْعِلْمِ، قُلْتُ: فَأَيْنَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ؟ قَالَ: فَوْقَ، فَوْقَ، فَوْقَ، فَلَمْ يَزَلْ يُكْرِّرُ فَوْقَ، وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى سَقَطَتِ الْقَلَنْسُوءَةُ عَنْ رَأْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

* * *

(١٦٤) مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ (*)

الإمامُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَخْزُومِيُّ الْمَكِّيُّ الْمُقَرَّرِيُّ الْمُفَسِّرُ الْحَافِظُ الْوَاعِظُ الْعَابِدُ الزَّاهِدُ، أَحَدُ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ، وَعُظَمَاءِ التَّابِعِينَ، كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي كَثْرَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: يَعْدُ.

(٢) ذَكَرَهُ الدُّكْتُورُ بَشَّارُ عَوَادٍ فِي مَقْدَمَتِهِ لِكِتَابِ سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٨٢/١ بِعَنْوَانِ: تَرْجَمَةُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ.

(٣) انْظُرْ مَخْتَصَرَ تَارِيخِ دِمَشْقَ ١١٤/٩ فِي تَرْجَمَةِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ.

(*) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٤٤٦/٥، تَارِيخُ خَلِيفَةَ ٣٣٠، طَبَقَاتُ خَلِيفَةَ ٢٨٠، التَّارِيخُ الْكَبِيرُ ٤١١/٧، التَّارِيخُ الصَّغِيرُ ٢٧٧/١، الْمَعَارِفُ ٤٤٤، الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ ٣١٩/٨، الثَّقَاتُ لِابْنِ حِبَانَ ٤١٩/٥، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ٢٧٩/٣، صِفَةُ الصَّفْوَةِ ٢٠٨/٢، الْمَخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ٣٣١/أ، تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ ٨٣/٢، مَخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٨٧/٢٤، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢٢٨/٢٧، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤٤٩/٤، تَذَكُّرَةُ الْحَفَازِ ٩٢/١، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ١٩٠/٤، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٢٢٤/٩، الْعَقْدُ الثَّمِينُ ١٣٢/٧، غَايَةُ النِّهَايَةِ التَّرْجَمَةُ ٢٦٥٩، الْإِصَابَةُ تَرْجَمَةُ ٨٣٦٣، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ٤٢/١٠، طَبَقَاتُ الشُّعْرَانِيِّ ٣٩/١، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ١٢٥/١.

ومن كلامه :

إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَأَرْجُو لَهُ الْمَغْفِرَةَ أَكْثَرَ مِنْ رَجَائِي فِي طَاعَتِي، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَظَمَةِ مَنْ تَعَصِيهِ كَانَتْ الصَّغَائِرُ كِبَائِرًا.

وقال : لَمَّا أَهْبَطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ لَهُ رَبُّهُ : ابْنِ لِلخَرَابِ، وَلِذُ اللَّفْنَاءِ.

وقال : مَا مِنْ مَرَضٍ يَمْرَضُهُ الْعَبْدُ إِلَّا رَسُولٌ مَلَكَ الْمَوْتِ عِنْدَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ مَرَضٍ يَمْرَضُهُ أَتَاهُ مَلَكَ الْمَوْتِ فَقَالَ : أَتَاكَ رَسُولٌ بَعْدَ رَسُولٍ فَلَمْ تَعْبَأْ بِهِ، وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولٌ يَقْطَعُ أَثْرَكَ مِنَ الدُّنْيَا.

وقال : مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهِ أَهْلُ مَجْلِسِهِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الذَّكْرِ فَمِنْ أَهْلِ الذَّكْرِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فَمِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ.

وقال : إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ، فَمَلَكَ قَابِضٌ نَفْسَهُ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَاهُ عِنْدَ غَسَلِهِ وَحَمَلِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قَبْرِهِ.

وقال : لَا تَكُونُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا حَتَّى تَذْكُرَهُ قَائِمًا وَقَاعِدًا، وَمُضْطَجِعًا وَنَائِمًا.

وقال : لِيَكُنْ آخِرَ كَلَامِكَ عِنْدَ نَوْمِكَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ فَقَدْ تَكُونُ الْمَنِيَّةُ.

مَاتَ وَهُوَ سَاجِدٌ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَ وَمِئَةَ، عَنِ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

وَخَرَجَ لَهُ السَّنَةُ.

* * *

(*) (١٦٥) مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ

محمد بن سيرين، ذو العقل الرصين، والورع المتين، كان ذا زهادة وأمانة، وحيطة وصيانة، كان بالليل بكاء نائحا، وبالنهار بساما سائحا، يصوم يوما ويفطر يوما. وقد قيل : التصوف : التذلل والإطعام، والطول والإنعام.

(*) طبقات ابن سعد ٧/١٩٣، الزهد لأحمد بن حنبل ٤٣٠، تاريخ خليفة ١١٨، ٣٤٠، طبقات خليفة ٢١٠، المعارف ٤٤٢، التاريخ الكبير ١/٩٠، أخبار القضاة لوكيح ٣٢٦/٢، الجرح والتعديل ٧/٢٨٠، الثقات لابن حبان ٥/٣٤٨، حلية الأولياء =

وكان إماماً في العلوم الشرعيّة، والتعبير، والزهد، والورع.

أدرَكَ ثلاثين صحابياً.

وقيل له: يا أبا بكر، إنَّ رجلاً اغتابك أفتحلُّه؟ قال: ما كنت لأحلَّ شيئاً حرَّمة الله.

وكان إذا سُئِلَ عن حرامٍ أو حلالٍ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ.

وقال: لا تُكْرِمُ أخاك بما يشقُّ عليه^(١).

وحُبِسَ في دِينِ، فقال له السجَّانُ: امضِ لبيتِكَ ليلاً، وامكُثْ هنا نهاراً.
فقال: ما أعينكَ على خيانة أمانتِكَ.

وسُئِلَ عن مَنْ يَحْضُرُ السَّماعَ فيُصعِقُ، فقال: ميعادُ ما بيننا وبينهم أنْ
يَجلسوا على حائِطٍ، فيقرأ عليهم القرآنُ كلُّه، فإن سَقَطوا فهم كما يقولون.
وقال:

إنَّكَ إنْ كَلَّفْتَنِي ما لَمْ أُطِيقْ ساءَكَ ما سَرَّكَ مِنِّي من خُلُقٍ^(٢)

قال العجلي رحمه الله: ما رأيتُ رجلاً أفقَه في ورعِهِ، ولا أورعَ في فقهِه منه.

وكان المُتمنِّي إذا تمَنَّى يقولُ: يا لَيْتَنِي في ورعِ ابنِ سيرين.

واشترى أربعين حُبًّا سَمناً، فأخرجَ غلامَهُ فأرَّه من حُبِّ، ثم لم يَدِرْ من أيِّها
أخرَجَها. فصَبَّها كُلَّها.

= ٢٦٣/٢، تاريخ بغداد ٣٣١/٥، طبقات الفقهاء ٨٨، صفة الصفوة ٢٤١/٣، جامع
الأصول ٢٦١/١٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٤٧/ب، تهذيب الأسماء واللغات
٨٢/١، وفيات الأعيان ١٨١/٤، مختصر تاريخ دمشق ٢١٧/٢٢، تهذيب الكمال
٣٤٤/٢٥، سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٤، تاريخ الإسلام ١٩٢/٤، تذكرة الحفاظ
٧٣/١، العبر ١٣٥/١، مرآة الجنان ٢٣٢/١، الوافي بالوفيات ١٤٦/٣، البداية
والنهاية ٢٦٧/٩، غاية النهاية الترجمة ٣٠٥٧، النجوم الزاهرة ٢٦٨/١، طبقات
الشعراني ٣٦/١، شذرات الذهب ١٣٨/١.

^(١) في حلية الأولياء ٢٦٤/٢: يشق عليك.

^(٢) لفظه إنك زيادة من حلية الأولياء ٢٦٥/٢.

وكان لا يدعُ أحداً يمشي معه .

وله بُيوتٌ لا يُكرِّها إلا لأهلِ الذمَّةِ ، فسُئِلَ عنه ، فقال : إذا جاء رأسُ الشَّهِرِ رَوَّعْتُهُ ، وأكرَهُ أن أروِّعَ مُسْلِماً .

وكان له سبعةُ أوراِدٍ ليلًا ، فإذا فاتهُ منها وزدُّ قرأهُ نهاراً .

وما رآهُ أحدٌ إلا ذَكَرَ اللهُ .

وكان إذا ذَكَرَ الموتَ ماتَ كلُّ عُضْوٍ منه على حَدِّتِهِ .

وقال : إذا اتَّقَى اللهُ العبدُ في اليقظةِ لم يضرَّهُ ما رُوي له في المَنامِ .

وقال : مَثَلُ مَنْ يَجْلِسُ ولا يَخْلَعُ نَعْلَيْهِ كدَابَّةٍ يوضَعُ عنها الحِمْلُ دونَ الإكافِ .

وقال : مَنْ رَأَى رَبَّهُ في نومه دَخَلَ الجَنَّةَ .

وقال له رجلٌ : رأيتُ أني أبولُ دَمًا . قال : تأتي امرأتك وهي حائِضٌ .

ورأى رجلٌ كأنَّ في جِجْرِهِ صَبِيًّا يَصيحُ . فقال له : اتَّقِ اللهُ ، ولا تَضْرِبْ بالعودِ .

ورأتِ امرأةٌ أنها تَحْلِبُ حَيَّةً . فقال : اللَّبَنُ فِطْرَةٌ ، والحَيَّةُ عَدُوٌّ ، وهذه يَدْخُلُ عليها أهلُ الأهواءِ .

ورأى كأنَّ الجوزاءِ تقدَّمتِ الثُّرَيَّا ، فقال : يموتُ الحَسَنُ ، وأموتُ بعدهُ .

وقال له رجلٌ : رأيتني أحرثُ أرضاً لا تنبُثُ . قال : أنتَ تَعزِلُ عن امرأتِكَ .

وقال رجلٌ : رأيتني أغسِلُ ثوبِي ، ولا يَنْقى . فقال : أنتَ مُصارِمٌ لأخيكِ .

وقال آخرٌ : رأيتُ أني أطيرُ بينَ السَّماءِ والأرضِ . قال : أنتَ تُكثِرُ المَشْيَ .

ماتَ بالبصرةِ سنةَ عَشْرٍ ومئةَ ، عن نَيْفٍ وثمانينَ سنةً ، رضي اللهُ عنه .

* * *

(١٦٦) محمد بن كعب القرظي (*)

التابعي الكبير، الصائم القائم، المحب الهائم، كان للحق نافذاً، وللباطل نابذاً، وللفقير وافداً، وللغني جاحداً، وإلى المعالي صاعداً، ولأسباب الخير صائداً، وقد قيل: التصوف: الحذر من الأهاويل، والتفور عن الأباطيل.

وكان يحث أصحابه على كثرة الذكر ليلاً ونهاراً، ويقول: لو رخص لأحد في تركه لرخص لذكرياً عليه السلام حين نذر ألا يكلم الناس لقوله: ﴿وَأذْكُرَّ رَبِّكَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ٤٠].

وقال: قليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة.

وقال: لا تدخل الحكمة قلباً فيه عزم على معصية.

وقال: إذا صحت الضمائر، غفرت الكبائر.

وقال رجل: أريد أعطي الله ميثاقاً أن لا أعصيه أبداً. فقال: ومن أعظم جرماً منك الآن، وأنت تتألى على الله أن لا ينفذ فيك قضاؤه وقدره؟ إنما على العبد أن يتوب كلما أذنب.

وكان أصاب مالا كثيراً ففرقه، فقيل له: لو ادخرت لولدك؟ قال: لكني ادخرته لنفسي عند ربي، وادخر ربي لولدي.

مات سنة ثمان ومئة، وقيل سبع عشرة، وقيل عشر، وقيل عشرين ومئة، كان يقصر فسقط عليه المسجد.

أسند حديثاً كثيراً. خرّج له الجماعة. رضي الله تعالى عنه.

(*) طبقات ابن سعد القسم المتمم ١٣٤، تاريخ خليفة ٣٤٨، طبقات خليفة ٢٦٤، التاريخ الكبير ٢١٦/١، التاريخ الصغير ٢٧٨/١، المعارف ٤٥٨، الجرح والتعديل ٦٧/٨، الثقات لابن حبان ٣٥١/٥، حلية الأولياء ٢١٢/٣، الاستيعاب ١٣٧٧/٣، الأنساب ١٠٢/١٠، صفة الصفوة ١٣٢/٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٧/أ، تهذيب الأسماء واللغات ٩٠/١، مختصر تاريخ دمشق ١٧٩/٢٣، تهذيب الكمال ٣٤٠/٢٦، سير أعلام النبلاء ٦٥/٥، تاريخ الإسلام ٣٠١/٤، العبر ٢٥٨/١، البداية والنهاية ٢٥٧/٩، تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩، شذرات الذهب ١٣٦/١.

(١٦٧) محمد بن واسع (*)

محمد بن واسع، العالمُ الخاشع، الخاملُ الخاضع، كانَ اللهُ عامِلاً، وفي نَفْسِهِ خَامِلاً، وقد قيلَ: التَّصَوُّفُ: الخُضُوعُ والخُمُولُ، والقنوعُ والذُّبُولُ.

وكان يُسَمَّى زَيْنَ القُرَّاءِ، وَعَى فارَعَوَى، ونَوَى فاستَوَى، قليلُ الكلامِ والرِّوَايَةِ، طَوِيلُ الصَّمْتِ والسَّعَايَةِ، شديدُ التَّقَشُّفِ بحيثُ لا يَلْبَسُ إِلَّا قَمِيصاً واحِداً خَشِيناً.

وكان إذا وَجَدَ أَحَدًا من أهلِ البَصْرَةِ في قلبه قَسوَةً نَظَرَ إلى وَجْهِه، وكان وَجْهُهُ كأنه وجهُ ثَكْلَى، وَمَنِ اشْتَهَى أن يَبْكِي نَظَرَ إلى وَجْهِه فَبَكَى.

ومن كلامه: إذا أَقْبَلَ العَبْدُ على اللهُ أَقْبَلَ عليه بقلوبِ المؤمنين.

وقال: القرآنُ بُسْتَانُ العارِفِينَ أَيّما حَلُّوا منه حَلُّوا في نُزْهَةٍ.

وقال: لو كان للذُّنُوبِ رِيحٌ ما قَدِرْتُمْ أن تَدنُوا مِنِّي، لَتَنَ رِيحِي.

وقال: مَنْ مَقَّتْ نَفْسَهُ في ذاتِ اللهِ، أَمَّنَهُ اللهُ من مَقْتِهِ.

وقال: أربعةٌ يُمْتَنُ القَلْبُ، الذَّنْبُ على الذَّنْبِ، ومُغْتَرَةٌ مُناقِشَةُ النِّسَاءِ

وَحَدِيثُهُنَّ، ومُلاحاةُ الأحمقِ؛ تقولُ له ويقولُ لك، ومُجالِسةُ المَوْتَى. قيلَ:

وَمَنِ المَوْتَى؟ قال: كلُّ غَنِيِّ مُتْرَفٍ وسُلْطانٍ جائِرٍ.

وقال: إذا رأيتَ في الجَنَّةِ رَجُلاً يَبْكِي أَلستَ تَعجَبُ من بُكائه؟ قيلَ: بلى.

قال: فَمَنْ يَضْحَكُ في الدُّنيا ولا يَدري إلى ما يَصيرُ أعجَبُ.

(*) طبقات ابن سعد ٢٤١/٧، طبقات خليفة ٢١٥، تاريخ خليفة ٣٧٨، التاريخ الكبير

٢٥٥/١، التاريخ الصغير ٣٥٤/١، الجرح والتعديل ١١٣/٨، ثقات ابن حبان

٣٦٦/٧، حلية الأولياء ٣٤٥/٢، صفة الصفوة ٢٦٦/٣، المختار من مناقب الأخيار

٣٦٣/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٨٦/٢٣، تهذيب الكمال ٥٧٦/٢٦، سير أعلام

النبلاء ١١٩/٦، العبر ٢٩٠/١، تاريخ الإسلام ١٥٩/٥، ميزان الاعتدال ٢٥٨/٤،

الواقعي بالوفيات ١٧٢/٥، تهذيب التهذيب ٤٩٩/٩، طبقات الشعراني ٣٦/١،

شذرات الذهب ١٦١/١.

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة
مرحلة.

وقال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويوماً قبله، ويوماً
بعده.

وقال: من قل مطعمه فهم وأفهم، وصفا ورق، ومن كثر مطعمه ثقل عن
كثير مما يريد.

وقال: سف التراب خير من الدنو من السلطان.

وقال: ليس لملول صديق، ولا لحاريد غنى، وإياك والإشارة على
المعجب برأيه، فإنه لا يقبل.

وكان إذا انتبه من نومه ضرب بيده إلى دبره، ويقول: أخاف أن أمسخ قرداً.

وعرض حماراً للبيع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيت لم أبعه.

وقال: أوصيك أن تكون ملكاً في الدارين. قال: كيف؟ قال: ازهد في

الدنيا.

وقال: إذا خرج الذكر من القلب وقع على القلب.

وقيل له: ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: إن الله لا يسأل عباده يوم

القيامة عنهما، بل عن أعمالهم.

ودخل على بلال بن أبي بردة في يوم حار، وبلال في جيشه وعنده

الثلج^(١)، فقال بلال: يا أبا عبد الله، كيف ترى بيتنا هذا؟ قال: إنه لطيب

والجنة أطيب منه، وذكر النار يلهي عنه، قال: ما تقول في القدر؟ قال:

جيرانك أهل القبور ففكر فيهم عن القدر؛ فإن فيهم شغلاً. قال: ادع لي. قال:

ما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا، كل يقول إنك ظلمته، لا تظلم فلا

تحتاج إلى دعائي.

وقال: رأيت في طريق الشام فتى، وعليه جبة، وبيده ركوة، فقلت: أين

(١) في المطبوع: البلح.

تُرِيدُ؟ قَالَ: لَا أُدْرِي. قُلْتُ: مَنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: لَا أُدْرِي. قُلْتُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ قَالَ: مَنْ لَا يَعْرُبُ^(١) عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، قُلْتُ: أَنَا مِنْ إِخْوَانِكَ، فَلَا تَنْقَبِضُ مِنِّي. قَالَ: إِنِّي أَوْدُ أَنْ أَنْفِرِدَ فِي شَاهِقِ جَبَلٍ، أَوْ غَارٍ لَعَلِّي أَنْ أُجِدَ قَلْبِي سَاعَةً يَسْلُو عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا. قُلْتُ: وَمَا جِئْتَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا حَتَّى أَبْغِضْتَهَا؟ قَالَ: جِنَايَاتُهَا الْعَمَى عَنْ جِنَايَاتِهَا. قُلْتُ: هَلْ مِنْ دَوَاءٍ يُعَالِجُ بِهِ هَذَا الْعَمَى؟ قَالَ: مَا أَرَاكَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ. قُلْتُ: صِفْ لِي إِيَّاهُ. قَالَ: اشْرَبِ الْمَكَارَةَ الصَّعْبَةَ، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الزِّمِ الصَّبْرَ الَّذِي لَا جَزَعَ مِنْهُ، وَالتَّعَبَ الَّذِي لَا رَاحَةَ فِيهِ، وَالْوَحْشَةَ الَّتِي لَا أُنْسَ مَعَهَا، قُلْتُ: ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: لَمْ أَرْ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ أَنْفَعَ مِنَ الْفِرَارِ مِنَ النَّاسِ.

وَرَأَى وَلَدَهُ يَخْتَالُ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ: تَدْرِي مَنْ أَنْتَ؟ أَمَّا أُمَّكَ فَاشْتَرَيْتُهَا بِمِثْقَلِ دَرَاهِمٍ، وَأَمَّا أَبُوكَ فَلَا كَثْرَةَ اللَّهِ فِي الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ.

أَسْنَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَرَوَى عَنْ جَمْعٍ مِنَ التَّابِعِينَ.

وَمَاتَ بَعْدَ الْحَسَنِ بِعِشْرِينَ سِنِينَ، كَأَنَّهُ سَنَةٌ عِشْرِينَ وَمِئَةٌ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ الْقِيَامَةَ قَامَتْ، فَقِيلَ: ادْخُلُوا مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعِ الْجَنَّةِ. فَنَظَرْتُ أُيُّهُمَا يَتَقَدَّمُ، فَتَقَدَّمَ ابْنُ وَاسِعٍ، فَسَأَلْتُ عَنْ سَبَبِهِ، فَقِيلَ: كَانَ لَهُ قَمِيصٌ وَاحِدٌ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَلِمَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَمِيصَانِ.

* * *

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: يَغْرُبُ.

(١٦٨) محمد بن صبيح (*)

رائد^(١) الثَّسَّك، وصائدُ الفُتَّك، المشهورُ بأبي العباس بن السَّمَّك، الواصِلُ
عِلْمُ شُهْرَتِهِ إِلَى السَّمَّك.

كان من رؤوسِ العُبَّاد، وأكابرِ الزُّهَّاد، تخرَّجَ له عدَّةُ أئمَّة، وانتفعَ بوعظِهِ
كثيرٌ من نُجباءِ هذه الأُمَّة، وسرَّت سيرتُهُ في الآفاق، وجرتْ أنهارٌ ما لديه من
الزُّهدِ والورعِ ومكارِمِ الأخلاق، حدَّد السَّنَّان، وشدَّد العنان^(٢)، فأوضحَ البيانَ
بأفصحِ لسان، وقد قيلَ: إِنَّ التَّصَوُّفَ التَّوْتُقُ بِالْأُصُولِ، لِلتَّحْقُقِ لِلْوُصُولِ.
وقيلَ: الأخذُ بِالْأُصُولِ، وَتَرْكُ الْفُضُولِ.

وقد شهدَ له الأولياءُ بالولاية. قال ابن أبي الحواري^(٣): مَرِضَ، فأخذنا
مائةً وذهبنا إلى طيبِ نصرانيٍّ، وإذا بشابٍّ حسنِ الوجهِ نقيِّ الثوبِ، فقال: أينَ
تذهبون؟ فأخبرناه، فقال: تَسْتَعِينُونَ^(٤) على وَلِيِّ اللَّهِ بَعْدَ اللَّهِ، ارْجِعُوا وَقُولُوا
لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْوَجَعِ وَيَقُولُ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ثم
غاب، فلم نره، فرجعنا فأخبرناه، ففعلَ فُشْفِي فوراً.

ومن كلامه:

صُمَّتِ الآذَانُ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَنِ الْمَوَاعِظِ، وَذَهَلَتِ الْقُلُوبُ عَنِ الْمَنَافِعِ،
فَلَا مَوْعِظَةً تَنفَعُ، وَلَا وَاِعْظَ يَنْتَفِعُ.

(*) الجرح والتعديل ٢٩٠/٧، الثقات لابن حبان ٣٢/٩، حلية الأولياء ٢٠٣/٨، تاريخ
بغداد ٣٦٨/٥، الأنساب ١٢٧/٧، صفة الصفوة ١٧٤/٣، المختار من مناقب الأخيار
٣٤٩/ب، وفيات الأعيان ٣٠١/٤، سير أعلام النبلاء ٢٩١/٨ (٨٤)، العبر ٢٨٧/١،
مرآة الجنان ٣٩٣/١، الوافي بالوفيات ١٥٨/٣، ميزان الاعتدال ٥٨٤/٣، الطبقات
الكبرى للشعراني ٦١/١، شذرات الذهب ٣٠٣/١. وفي الأصول صبح، والتصحيح من
مصادر ترجمته. وسيرجم له المؤلف ثانياً في الطبقات الصغرى: ١٤٢/٤.

(١) في (ف)، وحلية الأولياء ٢٠٣/٨: زائد.

(٢) في حلية الأولياء ٢٠٤/٨: حدد الشأن وشدد العيان.

(٣) في (أ): الجوزاء.

(٤) في (أ): تستغيثون.

وقال : هَبْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَاَنْظُرْ مَا فِي يَدِكَ مِنْهَا عِنْدَ الْمَوْتِ .

وقال : كَمَ مِنْ مُذَكِّرٍ بِاللَّهِ وَهُوَ لَهُ نَاسٍ ! وَكَمَ مِنْ دَاعٍ إِلَيْهِ وَهُوَ مِنْهُ فَارٌّ ! وَكَمَ مِنْ قَائِلٍ لِآيَاتِ اللَّهِ وَهُوَ مِنْهَا مُنْسَلِخٍ !

وقال : إِنْ اللَّهُ مَلَأَ الدُّنْيَا مِنَ اللَّذَاتِ ، وَحَشَاهَا بِالْآفَاتِ ، وَمَزَجَ حَلَالَهَا بِالْمَرَارَاتِ^(١) ، وَحَرَامَهَا بِالتَّبَعَاتِ .

وقال : هَمَّةُ الْعَاقِلِ فِي التَّجَاةِ وَالنَّهْرَبِ ، وَهَمَّةُ الْأَحْمَقِ فِي اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ .

وقال : دَلِيلُ الْخَوْفِ الْحُزْنُ ، وَدَلِيلُ الشَّوْقِ الطَّلَبُ ، وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ الْعَمَلُ .

وقال : مَنْ أذَاقَتْهُ الدُّنْيَا حَلَاوَتَهَا لَمِيلِهِ إِلَيْهَا جَرَّعَتْهُ الْآخِرَةَ مَرَارَتَهَا لِتَجَافِيهِ عَنْهَا .

وقال : مَنْ أَجْمَعَ الْيَأْسَ^(٢) اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ ، وَمَنْ أَهَمَّتْهُ نَفْسُهُ لَمْ يُؤَلِّمْ مَوْلَانَهَا^(٣) غَيْرَهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْخَيْرَ وَفَقَّ لَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ الشَّرَّ جُنِبَهُ . وَمَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ حَظًّا أَخْطَأَ حَظًّا نَفْسِهِ .

وقال : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ كَرَجُلٍ ذَاقَ الْمَوْتَ ، وَعَايَنَ مَا بَعْدَهُ ، ثُمَّ سَأَلَ الرَّجْعَةَ فَأُسْعِفَ بِطُلْبَتِهِ ، فَهُوَ مُتَاهَبٌ مُبَادِرٌ ، فَافْعَلْ ، فَإِنَّ الْمَغْبُونَ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ عَمَلًا صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْهِ .

وقال : ابْنُ آدَمَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تُطِيعَ [مَنْ عَصَى] الْحَاسِدِينَ فِيكَ^(٤) ، وَعِزَّتِهِ لَوْ أَطَاعَهُمْ فِيكَ لَجَعَلَكَ نَكَالًا .

(١) فِي (أ) وَ (ف) : بِالْمَرَارَاتِ ، وَفِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٢٠٤ / ٨ ، وَتَارِيخِ بَغْدَادِ ٣٧١ / ٥ : بِالْمَوْلَانَاتِ .

(٢) حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٢٠٦ / ٨ ، وَسِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٩٣ / ٨ : مَنْ أَجْمَعَ النَّاسِ .

(٣) فِي سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٢٩٣ / ٨ ، وَصِفَةِ الصَّفْوَةِ : لَمْ يُولِ مَرَمَّتَهَا . وَشَرَحَتِ اللَّفْظَةَ بِحَاشِيَةِ صِفَةِ الصَّفْوَةِ : أَي لَمْ يَتَوَلَّ إِصْلَاحَهَا أَحَدٌ غَيْرَهُ .

(٤) فِي السُّطْبُوعِ : أَلَمْ يَأْنِ أَنْ لَا تُطِيعَ الْحَاسِدِينَ فِيهِ . وَفِي الْأَصُولِ : أَنْ تُطِيعَ الْحَاسِدِينَ فِيهِ . وَالْمُثَبَّتُ مِنَ الْمُخْتَارِ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ٣٤٩ / ب .

وقال: أوصيك بتقوى الله الذي هو نَجِيَّتُكَ^(١) في سريرتك، ورَقِيئِكَ في علانيتك، فاجعل الله في بالك على حالك في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك، وقدرته عليك.

وقال: قال عيسى عليه السلام: [حتى] متى تصفون الطريق للدالجين، وأنتم مقيمون في محلة المتحيرين^(٢)؟! كم من مُذَكِّرٍ بالله ناسٍ له!.
وقال: لا يغرنكم سُكُونُ هذه القبور، فكم من مغموم فيها. ولا يغرنكم استواؤها، فما أشد تفاوتهم فيها.

وقال: مَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ بِكُلِّيَّتِهِ، أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ جُمْلَةً، وَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ، وَأَقْبَلَ بِجَمِيعِ وَجْهِهِ خَلْقَهُ إِلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ مَرَّةً وَمَرَّةً فَاللَّهُ يَرَحْمُهُ وَقَتًا مَا.

^(٣) وقال له الرَّشِيدُ: عِظْنِي. قال: احذِرْ أَنْ تُصِيرَ إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فَلَا يَكُونُ لَكَ فِيهَا مَوْضِعٌ قَدَمٍ.

وقال: الْمُصِيبَةُ وَاحِدَةٌ، فَإِنْ جَزَعَ صَاحِبُهَا فَهُمَا اثْنَانِ، أَي فَقَدُ الصَّبْرِ، وَفَقَدُ الثَّوَابِ^(٤).

وقال: ما كان من الحديث لغير الله فعاقبته الندم.

وقال: سبُعُكَ بَيْنَ لَحْيَيْكَ، تَأْكُلُ بِهِ مَنْ مَرَّ عَلَيْكَ، قَدْ آذَيْتَ أَهْلَ الدُّورِ حَتَّى تَعَاطَيْتَ أَهْلَ الْقُبُورِ^(٤)، ازْحَمْ أَخَاكَ، وَاْحْمِذْ مَنْ عَافَاكَ.

وقال: إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا تَعَجَّلُوا غُمُومَ الْقُلُوبِ وَالتُّفُوسِ، وَتَعَبَ الأَبْدَانِ مَعَ شِدَّةِ الحِسَابِ، فَالرَّغْبَةُ مُتَعَبَةٌ لِأَهْلِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالرُّهْدُ رَاحَةٌ لِأَهْلِهِ فِيهِمَا.

(١) في الأصل: مُحِبُّكَ. والمثبت من حلية الأولياء ٢٠٦/٨، وصفة الصفوة ١٧٥/٣.

(٢) في حلية الأولياء ٢٠٦/٨: حتى متى تصفون الطريق للذاكرين، وأنتم مقيمون في محلة المتجبرين. وما بين معقوفين مستدرك من صفة الصفوة ١٧٥/٣.

(٣-٣) ما بينهما من المطبوع.

(٤) في صفة الصفوة ١٧٦/٣: تأكل كل من مر عليك، قد آذيت أهل الدور في الدور حتى تعاطيت أهل القبور.

وقال : إن استطعت أن لا تكون لغير الله عبداً، ما وجدت من العبودية بُداً، فافعل.

وقال : ليكن الموت منك على بالٍ؛ فإنك صائرٌ إليه بكلِّ حال.

وقال : إذا طاش العقلُ فُقدتِ الحرقَةُ وقُطعتِ^(١) الدَّمعةُ.

وقيلَ له : ما بالُ المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحدٌ، فإذا تكلمت سُمعَ البكاءُ من كلِّ جهةٍ؟ فقال : ليستِ النَّائحةُ المُستأجرةُ كالنَّائحةِ الثُّكلى.

وقال : لا تسألَ مَنْ يَفِرُّ منك إن تسألهُ، لكن سلْ مَنْ أمركَ أن تسألهُ.

وقال عندَ موته : اللَّهُمَّ، إنك تعلمُ أنني وإن كنتُ أعصيكَ كنتُ أحبُّ مَنْ يُطيعُكَ، فاجعلْ ذلك قُرْبَةً لي إليك.

أسندَ الحديثَ عن عِدَّةٍ من التابعين.

ومات بالكوفةِ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ ومئةً^(٢).

* * *

(١٦٩) محمد بن النضر الحارثي (*)

كان أعبدَ أهلِ الكوفةِ، ومرجعَ أهلِ الصُّوفةِ، نعم، وكان بالذِّكرِ أنيساً، وللحقِّ جليساً، وقد قيلَ : إنَّ التَّصوُّفَ مُذاكرَةُ العُهودِ، ومُسامرةُ الشُّهودِ.

وكانَ عَظِيمَ المُجاهدةِ، حتَّى لو جُرِّدَ ما عليه من اللِّحْمِ ما بلغَ رَطلاً بالعِراقي^(٣).

(١) في (أ) و (ب) : قلصت.

(٢) في (أ) و (ب) : ثلاث وثلاثين.

(*) الثقات لابن حبان ٩/٩٦، الجرح والتعديل ٨/١١٠، حلية الأولياء ٨/٢١٧، صفة

الصفوة ٣/١٥٩، المختار من مناقب الأخيار ٣٦٢/ب، سير أعلام النبلاء ٨/١٥٦

(٢٠)، الوافي بالوفيات ٥/١٣١، طبقات الشعراني ١/٦١.

(٣) الرطل العراقي يعادل تقريباً ٣١٠ غرامات. متن اللغة (رطل).

وكان إذا ذُكِرَ عنده الموتُ اضطربتْ مفاصلُهُ حتى تكادَ تنفصلُ .

ومن كلامه :

أوّلُ العلمِ الإنصافُ، ثم الاستماعُ، ثم حفظُهُ، ثم العملُ به، ثم بثُّه .
وقال : شغَلَ المَوْتُ قُلُوبَ المُتَّقِينَ عَنِ الدُّنْيَا، فما رَجَعُوا إليها في سُرُورٍ
بعد معرفَتِهِم بِكُربِهِ وَغُصَصِهِ .

وقال له رجلٌ : أينَ أعبدُ اللهَ ؟ قال : أصليحُ سَريرتِكَ، وابعُدُهُ حيثُ شئتَ .
وكان من المُجَدِّينَ في العِبَادَةِ، المؤثِّرينَ للعُزلةِ، وقيلَ له : أما تَسْتوحِشُ ؟
فقال : كيفَ أَسْتوحِشُ وهو يَقولُ : «أنا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي»^(١) .

وكان لا يَخْرُجُ من مَسجِدِهِ حتى يتعالَى النَّهارُ، فيُقالُ له : إِنَّ لِلنَّاسِ إِلَيْكَ
حوائِجَ . فيقولُ : وأنا لي إلى الله حوائِجَ .

وقال : في بعضِ الكُتُبِ الإلهيةِ : أيُّها الصَّدِيقُونَ بي فافرَحُوا، وبذِكرِي
فتنعمُوا .

وقال : إِنَّ أَهْلَ الأَهْواءِ قد أخذوا في تَأْسيِسِ الضَّلالةِ، وطَمَسِ الهُدَى
فاحذروهُم .

وقال : تفقَّهُ ثم اعتزِل .

وقال : إِنَّكَ في دارِ تَمهيدٍ، وأمامَكَ منزلانِ لا بُدَّ لَكَ من أحدهما، ولم
يأتِكَ أمانٌ فتطمئنْ، ولا براءةٌ فتقصر .

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٢١٧/٨، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١٦٠/٣ .
قال الأستاذ العلامة الشيخ شعيب أرنؤوط حفظه الله في هامش سير أعلام النبلاء
١٥٧/٨ : خبر لا يصح، ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة صفحة ٩٥، ٩٦ وقال :
رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وجاء في البخاري ٣٢٥/١٣، ٣٢٦،
ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : «قال الله عز وجل :
وأنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني . . .» وقوله : «وأنا معه» أي بعلمه
سبحانه كما في قوله : ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ .

وبعث إلى صديق له بعباءة ونعلين، وقال: أعلم أن بك عنهما غنى، لكن أحببت أن تعلم أنك مني على بال.

وقال: أصبت في بعض الكتب الإلهية، قال الله: ابن آدم، لو علم الناس منك ما أعلم لتبذوك، وقد سترت عليك، وغفرت لك على ما كان فيك ما لم تُشرك بي.

وقال: أوحى الله إلى موسى بن عمران: كُنْ يَقْظَانٌ^(١)، مُرْتَاداً لِنَفْسِكَ أَخْدَاناً^(٢)، وكلُّ خدنٍ لا يواتيك على مسرتي فلا تصحبه؛ فإنه يُقسِّي قلبك، وهو لك عدوٌّ، وأكثر من ذكري تستوجب شكري، والمزيد من فضلي.

وقال: الجوع يبعث على البرِّ، كما تبعث البطنة على الأشر.

وقال أبو نعيم^(٣): كان محمد بن النضر قليل الحديث، ولم تكن الرواية من شأنه، وكان هو وضرباؤه من المتعبدين إذا ذكروا الحديث ذكروه إرسالاً.

مات سنة أربع وسبعين ومئة.

ولما مات نزلوا ليدلوه في حفرته، فإذا اللحد مفروش بالريحان، فأخذ بعض من نزل القبر منه شيئاً، فمكث سبعين يوماً طرياً لا يتغير يغدو الناس ويروحون ينظرون إليه، فكثر الناس على ذلك حتى خاف أمير البلد أن يفتنوا، فأخذه من الرجل، ففقدته الأمير من منزله حالاً، فلم يذر أين ذهب^(٤).

* * *

(١) في المطبوع: يقاظاً.

(٢) في الأصول: إخواناً، والمثبت من حلية الأولياء ٨/٢٢٢.

(٣) حلية الأولياء ٨/٢٢٣.

(٤) ذكر هذه القصة الياضي في روض الرياحين ٤٧٦ الحكاية (٤٤١) عن رواد العجمي.

(١٧٠) محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري (*)

محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري، العالمُ السَّرِيّ، والرَّاوي الرَّوِيّ، كان ذا عِزٍّ وَسَنَاءٍ، وَمَجْدٍ وَسَخَا، وَعَهْدٍ وَوَفَاءٍ، وَقَدْ قِيلَ: التَّصَوُّفُ: إِدْرَايَةٌ وَصِدْقٌ، وَسَخَاوَةٌ وَخُلُقٌ.

قال ابنُ دينار: كان إذا حَدَّثَ في التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، قلتَ: لا يُحسِنُ غيرَ هذا، وإذا حَدَّثَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ كان فيهما بَحْرًا.
ومن كلامه:

ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أَفْضَلَ من عِلْمٍ.

وقال: العِلْمُ ذَكَرٌ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ ذُكُورُ الرِّجَالِ.

وقال: الزَّاهِدُ مَنْ لَمْ يَمْنَعْ الحَلَالَ شُكْرَهُ، وَلَمْ يَغْلِبِ الحَرَامُ صَبْرَهُ^(١).

أَسَدُ الحَدِيثِ عن جَمْعٍ من الصَّحَابَةِ.

ومات سنة أربعٍ وعِشرينَ ومئةً، عن اثنتين وسبعينَ سنةً رضي اللهُ عنه.

* * *

(*) طبقات ابن سعد ٢/٣٨٨، والقسم المتمم ١٥٧، طبقات خليفة ٢٦١، تاريخ خليفة ٢١٨، ٣٥٦، التاريخ الكبير ١/٢٢٠، التاريخ الصغير ١/٣٥٦، الجرح والتعديل ٨/٧١، الثقات لابن حبان ٥/٣٤٩، حلية الأولياء ٣/٣٦٠، الأنساب ٦/٣٢٨، طبقات الشيرازي ٦٣، صفة الصفوة ٢/١٣٦، جامع الأصول ١٥/٢٨٨، المختار من مناقب الأخيار ١/٣٥٨، تهذيب الأسماء واللغات ١/٩٠، وفيات الأعيان ٤/١٧٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/٢٢٧، تهذيب الكمال ٢٦/٤١٩، سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦، تاريخ الإسلام ٥/١٣٦، تذكرة الحفاظ ١/١٠٨، ميزان الاعتدال ٤/٤٠، العبر ١/١٥٨، الوافي بالوفيات ٥/٢٤، البداية والنهاية ٩/٣٤٠، طبقات القراء ٢/٢٦٢، تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥، النجوم الزاهرة ١/٢٩٤، شذرات الذهب ١/١٦٢. وسيترجم له المؤلف ثانياً في الطبقات الصغرى: ٤/٥٤١.

(١) في الأصول: ولم يغلب على الحرام صبره، والمثبت من الحلية ٣/٣٧١.

(١٧١) محمد الباقر (*)

محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، سُمِّيَ به لأنه بَقَرَ العِلْمَ، أي شَقَّهُ فَعَرَفَ أصلَهُ وَخَفِيَّهٗ، وَأَثَارَ مُخَبَّاتِهِ وَمَكَامِنَهُ، فَلِذَلِكَ أَظْهَرَ مِنْ كُنُوزِ المَعَارِفِ، وَدَقَائِقِ الأَحْكَامِ وَالحِكْمِ وَاللِّطَائِفِ مَا لَا يَخْفَى إِلَّا عَلَى مُنْطَمِسِ البَصِيرَةِ، أَوْ فَاسِدِ الطَّوْيَةِ وَالسَّرِيرَةِ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ فِيهِ: بَاقِرُ العِلْمِ وَجَامِعُهُ، وَشَاهِرُ المَجْدِ وَرَافِعُهُ، صَفَا قَلْبُهُ، وَزَكَا عِلْمُهُ وَوَلَّبَهُ، وَعَمَرَتْ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْقَاتُهُ، وَظَهَرَتْ خَوَارِقُهُ وَكِرَامَاتُهُ، وَلَهُ مِنَ الرُّسُوحِ فِي مَقَامِ العَارِفِينَ مَا تَكَلَّفَ عَنْهُ أَلْسُنُ الوَاصِفِينَ، وَلَهُ كَلِمَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي السُّلُوكِ وَالمَعَارِفِ، يَعْجَزُ عَنْ حِكَايَتِهَا الوَاصِفِ.

فمن كلامه:

الصَّوَاعِقُ تُصِيبُ المُؤْمِنَ وَغَيْرَهُ، وَلَا تُصِيبُ ذَاكِرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
وَقَالَ: مَا دَخَلَ قَلْبُ امْرِئٍ شَيْءٌ مِنَ الكِبْرِ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مِثْلُ مَا دَخَلَ مِنْهُ أَوْ أَكْثَرَ.

وَقَالَ: مَا مِنْ عِبَادَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِقَّةِ بَطْنٍ وَفِرْجٍ.
وَقَالَ: لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ أَعْوَنَ مِنَ الإِحْسَانِ لِلإِخْوَانِ.
وَقَالَ: بَشْرَ الأَخِ يَرَعَاكَ غَنِيًّا وَيَقْطَعُكَ فَقِيرًا.

(*) طبقات ابن سعد ٥/٣٢٠، تاريخ خليفة ٣٤٩، طبقات خليفة ٢٥٥، التاريخ الكبير ١٨٣/١، المعارف ٢١٥، الجرح والتعديل ٨/٢٦، الثقات لابن حبان ٥/٣٤٨، حلية الأولياء ٣/١٨٠، طبقات الفقهاء ٦٤، صفة الصفوة ٢/١٠٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٣/أ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٨٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/٧٧، تهذيب الكمال ٢٦/١٣٦، سير أعلام النبلاء ٤/٤٠١، تذكرة الحفاظ ١/١١٧، تاريخ الإسلام ٤/٢٩٩، العبر ١/١٤٢، الوافي بالوفيات ٤/١٠٢، البداية والنهاية ٩/٣٠٩، تهذيب التهذيب ٩/٣٥٠، طبقات الشعراني ١/٣٢، طبقات الحفاظ ٤٩، شذرات الذهب ١/١٤٩.

وقال: اعرفِ المودَّةَ في قلبِ أخيك بما له في قلبِكَ .

وكلامُهُ من هذا المَهِيعِ^(١) كثيرٌ، وكفاهُ شرفاً أنَّ ابنَ المَدِينِي روى عن جابِرٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ وَهُوَ صَغِيرٌ: رَسولُ اللَّهِ ﷺ يُسَلِّمُ مَحَلِّكَ . قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: كُنْتُ جالِساً عِنْدَهُ، وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حِجْرِهِ، وَهُوَ يُدَاعِبُهُ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، يُوَلِّدُ لَكَ مَوْلودٌ اسْمُهُ عَلِيُّ اسْمِي، إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: لِيَقُمْ الْعِبَادُ، فَيَقُومُ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ، فَإِذَا أَدْرَكَتَهُ فَأَقْرَبْتَهُ مِنِّي السَّلَامُ»^(٢) .

مات سنة سبع عشرة ومئة مسموماً كأبيه عن نحو ثلاث وسبعين سنة .

وأوصى أن يُكفَّنَ في قميصه الذي كان يُصَلِّي فيه رضي الله عنه .

وهو عَلَوِيٌّ من جهة أبيه وأمه^(٣)، ودُفِنَ في قَبَّةِ الْحَسَنِ، وَالْعَبَّاسِ بِالْبَقِيعِ .

* * *

(١٧٢) محمد بن المنكدر (*)

محمد بن المنكدر القُرَشِيُّ التَّمِيمِيُّ المَدَنِيُّ الصَّوَّامُ القَوَّامُ، المَشهُورُ بِالْوِلَايَةِ وَالْعِلْمِ بَيْنَ الخَوَاصِّ وَالْعَوَامِ، كَانَ من مَعَادِنِ الصَّدَقِ، تَجَمَّعُ إِلَيْهِ الصُّلَحَاءُ وَالأَوْلِيَاءُ، قَصِيرُ الأَمَلِ، كَثِيرُ العِلْمِ وَالعَمَلِ؛ مَعَ رَبِّهِ زَاهِدًا نَاسِكًا، وَمَعَ العِبَادِ لِأَعْبَاءِ ضَاحِكًا، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّصَوُّفَ مُوَافِقَةٌ الحَقِّ، وَمُضَاحِكَةٌ الخَلْقِ .

(١) المهييع: الطريق البين المنبسط. متن اللغة (هيع). واللفظة في (أ): الممتنع.

(٢) أخرجه ابن عساكر. انظر مختصر تاريخ دمشق ٧٨/٢٣.

(٣) وأمه هي أم عبد الله بنت الحسن بن علي. سير أعلام النبلاء ٤٠٣/٤.

(*) طبقات ابن سعد القسم المتمم ١٨٨، تاريخ خليفة ٣٩٥، طبقات خليفة ٢٦٨، التاريخ الكبير ٢١٩/١، التاريخ الصغير ٣٥٢/١، ٣١/٢، المعارف ٤٦١، الجرح والتعديل ٦٧/٨، ثقات ابن حبان ٣٥٠/٥، حلية الأولياء ١٤٦/٣، صفة الصفوة ١٤٠/٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٦٠/١، مختصر تاريخ دمشق ٢٥٩/٢٣، تهذيب الكمال ٥٠٣/٢٦، سير أعلام النبلاء ٣٥٣/٥، تذكرة الحفاظ ١٣٧/١، العبر ٨١/١، ٢٤٣، الوافي بالوفيات ٧٨/٥، تهذيب التهذيب ٤٧٣/٩، طبقات الشعراني ٣٧/١، شذرات الذهب ١٧٧/١.

ومن كلامه :

كابدتُ نفسي أربعين سنةً حتى استقامتُ على آثارِ السلفِ .

وقال : لما تُبِتُ عنِ الشُّبُهاتِ أَكَلْتُ الحَشِيشَ ثلاثينَ سنةً، فنُوديتُ : الآنَ نَقِي بَدَنكَ مِنَ الشُّبُهاتِ .

وقال : المُفتي يَدْخُلُ بينَ اللهِ وَخَلْقِهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يَفْعَلُ ؟

وقال : أَسْتَحِي مِنَ اللهِ أَنْ أَعْتَقِدَ أَنَّ رَحْمَتَهُ تَعْجِزُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ العُصاةِ، وَإِنْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، وَلَوْ لَا النَّصْرُ وَرَدَّ فِي المُشْرِكِينَ مَا أَخْرَجْتُهُم مِنَ الرَّحْمَةِ^(١) .

وكان يَحُجُّ بِأَطْفالِهِ^(٢) كُلَّ سنةٍ، ويقولُ : نَعْرِضُهُمْ عَلَى رَبِّهِمْ فِي تِلْكَ المَوَاقِفِ ؛ لَعَلَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ .

ماتَ رضيَ اللهُ عنه سنةَ ثلاثينَ ومئةَ .

* * *

(١٧٣) محمد بن يوسف الأصبهاني (*)

عابدٌ زاهدٌ، اشتهرت فضائلُهُ، وعامِلٌ عارِفٌ ظَهَرَتْ بِرَاهِينُ خَيْرِهِ ودلائلُهُ، وكان يُلقَّبُ عروسَ الزُّهادِ، لكثرةِ الجِدِّ والاجْتِهَادِ، والتَّشْمِيرِ والارتِيادِ، في التَّبَادُرِ والتَّسَابُقِ إلى المَعادِ، وقيل : إِنَّ التَّصَوُّفَ : انتقالٌ عنِ اعتلالِ، وارتِحالٌ عنِ اعتقالِ .

وكان إذا أَصْبَحَ كأنَّ وَجْهَهُ وَجْهُ عروسِ، لكثرةِ مُناجاتِهِ .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

(٢) في (أ) : بأطفالِ .

(*) الجرح والتعديل ١٢١/٨، الثقات لابن حبان ٧٤/٩، طبقات المحدثين بأصبهان

٢١/٢، حلية الأولياء ٢٢٥/٨، ٣٨٩/١٠، أخبار أصبهان ١٧١/٢، صفة الصفوة

٨١/٤، المختار من مناقب الأخيار ٣٦٥/أ، سير أعلام النبلاء ١٢٥/٩، الوافي

بالوفيات ٢٤٣/٥، البداية والنهاية ١٨٥/١٠، طبقات الأولياء ٤٠٤، النجوم الزاهرة

١١٧/٢، طبقات الشعراني ٦١/١ .

وكان يقولُ لِنَفْسِهِ : هَبْ أَنْتِ عَالِمٌ أَوْ قَاضِيٌ أَوْ صَالِحٌ مَاذَا يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ ؟
وكان لا يَنَامُ اللَّيْلَ أَبَدًا، بل يَضْطَجِعُ بَعْدَ الْفَجْرِ سَاعَةً، ثم يَقُومُ .
وقال : لَقَدْ خَابَ مَنْ كَانَ حَظَّهُ مِنَ اللَّهِ الدُّنْيَا .

وكان لا يُوقِدُ فِي بَيْتِهِ سِرَاجًا، وَجِيرَانُهُ يَرَوْنَ مِنْ خَارِجِ بَيْتِهِ الضُّوءَ، وَهُوَ
لا يَشْعُرُ أَنَّهُمْ رَأَوْهُ، وَلَوْ عَلِمَ انْتَقَلَ .

وقال : لَيْسَ هَذَا زَمَانًا يُبْتَغَى فِيهِ الْفَضْلُ، هَذَا زَمَانٌ تُبْتَغَى فِيهِ السَّلَامَةُ .

وقال : مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَحَبَّ أَنْ لَا يَعْرِفَهُ أَحَدٌ .

وقال : الْحِقْدُ وَالذِّينُ لَا يَجْتَمِعَانِ .

وقال : مَا وَارِدٌ يَرِدُ عَلَيَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ .

وقال : الدُّنْيَا عِصْمَةُ اللَّهِ أَوْ الْهَلَكَةُ، وَالْآخِرَةُ عَفْوُ اللَّهِ أَوْ النَّارُ .

وقال : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِنْ سَاعَتِكَ فَافْعَلْ .

وقال : اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا يُطَاقُ انْتِقَامُهُ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْتِمَ عُمْرَكَ بِحِجَّةٍ
فَافْعَلْ، فَإِنَّ أَدْنَى مَا رُويَ فِي الْحَجِّ : أَنَّ الْحَاجَّ يَرْجِعُ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ (١) .

وقال : قَصِّرْ فِي الْأَمْرِ، وَبَالِغٌ فِي الْعَمَلِ؛ فَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ أَهْوَالَ تُفْرَعُ الْأَنْبِيَاءُ
وَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

وقال : إِذَا كَانَ يَحْزُنُكَ مَا تَرَى مِنْ نَفْسِكَ فَقَلْبُكَ حَيٌّ .

وقال : تَزَوَّدْ لِآخِرَتِكَ، وَتَجَافَ عَنْ دُنْيَاكَ، وَاسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ، وَبَادِرِ الْقَوْتَ،
وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ أَهْوَالَ أَرَعَبَتِ الصُّلَحَاءُ .

وقال : لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَمِلَ الْمَعَاصِيَ أَنْ يُنْكِرَ الْعُقُوبَةَ، وَلَا أَرَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ
مِنَ الْجَوْرِ إِلَّا مِنْ شُومِ الذُّنُوبِ .

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من حج لله عز وجل فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» أخرجه البخاري ٣/٣٨٢ (١٥٢١) في الحج، باب فضل الحج المبرور، ومسلم (١٣٤٩) في الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة .

وأتاه مالٌ لِيُفَرِّقَهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَقَالَ: السَّلَامَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلَى الْغَنِيمَةِ، وَمَنْ جَمَعَهُ أُولَى بَتَفَرَّقَتِهِ.

مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةً وَلَمْ يَكْمُلْ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً.
قَالَ أَبُو نَعِيمٍ^(١): كَانَ مَمَّنْ كَمُلَتْ عِنَايَتُهُ، فَقَلَّتْ رِوَايَتُهُ، عَمَرَ أَيَّامَهُ وَأَوْقَاتَهُ بِالْإِحْسَانِ وَالْبَيَانِ، فَحَمَاهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْمُنَاطَرَةِ وَالتَّبْيَانِ^(٢).

* * *

(١٧٤) مخلد بن الحسين (*)

مخلد بن الحسين، المعروف بالزهد والصلاح في المغربيين والمشرقيين، صوفيٌّ ظَهَرَتْ جَلَالَتُهُ، وَاشْتَهَرَتْ رُتْبَتُهُ وَعَدَالَتُهُ، وَلَمَحَ بَرَقُ الْمَعْرِفَةِ عَلَى جَوَارِحِهِ وَشَامِ، وَتَقَدَّمَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَشَايخِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ.

أصله من أهل البصرة، وتحوَّلَ فَنَزَلَ الْمِصْبِصَةَ، فَانْتَفَعَ بِهِ أَهْلُ ذَلِكَ الْقَطْرِ.
وَاشْتَهَرَ ذِكْرُهُ وَبَعْدَ صَيْتِهِ، وَكَانَ عَجَبًا فِي حُسْنِ الْخُلُقِ وَالتَّوَاضُعِ، ذَكَرَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ الصُّلَحَاءِ، فَقَالَ:

لَا تَعْرِضَنَّ لِذِكْرِهَا فِي ذِكْرِهِمْ^(٣) لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ

وقال: ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليسُ بأمرين، لا يُبالي بأيهما ظفَرَ: إمَّا غُلُوًّا فِيهِ، أَوْ تَقْصِيرًا عَنْهُ.

(١) حلية الأولياء ٨/٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) في الحلية: والبيان.

(*) طبقات ابن سعد ٧/٤٨٩، طبقات خليفة ٣١٨، التاريخ الكبير للبخاري ٧/٤٣٧،

التاريخ الصغير ٢/٢٥٤، الجرح والتعديل ٨/٣٤٧، ثقات ابن حبان ٩/١٨٥، حلية

الأولياء ٨/٢٦٦، صفة الصفوة ٤/٢٦٦، المختار من مناقب الأخيار ٣٦٦/ب،

تهذيب الكمال ٢٧/٣٣٢، سير أعلام النبلاء ٩/٢٣٦، العبر ١/٣٠٨، تهذيب

التهذيب ١٠/٧٢، شذرات الذهب ١/٣٢٩.

(٣) في حلية الأولياء ٨/٢٦٦، والمختار: لا تعرضن لذكرنا.

وَشَكَآ إِلَيْهِ رَجُلٌ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ مِنَ الْمُدَارَاةِ؟
 إِنِّي أُدَارِي^(١) هَذِهِ. وَأَشَارَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ تُغْرِبِلُ شَعِيرًا، وَقَالَ: لِي مُنْذُ خَمْسِينَ
 سَنَةً مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ يُعْتَذَرُ مِنْهَا.

أَسْنَدَ عَنْ: هِشَامِ بْنِ حَسَانَ، وَغَيْرِهِ.

وَمَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِئَةَ^(٢).

* * *

(١٧٥) مَسْرُوقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهَمْدَانِيُّ^(*)

مَسْرُوقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهَمْدَانِيُّ، الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ، الْعَارِفُ بِرَبِّهِ، الْهَائِمُ فِي
 حُبِّهِ، الذَّاكِرُ لِدُنْبِهِ، وَقَدْ قِيلَ: التَّصَوُّفُ: التَّشَمُّرُ لِلْوَرُودِ وَاللُّحُوقِ، وَالتَّبَصُّرُ فِي
 الْوُجُودِ وَالطَّرُوقِ.

سُرِقَ وَهُوَ صَغِيرٌ فَسُمِّيَ بِهِ.

وَكَانَ مِنَ الْمُبَالِغِينَ فِي الْوَرَعِ، شَفَعَ شَفَاعَةً، فَأُهْدِيَ لَهُ دَجَاجَةٌ، فَغَضِبَ
 وَرَدَّهَا، وَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ مَا فِي قَلْبِكَ مَا تَكَلَّمْتُ فِي حَاجَتِكَ، وَلَا أَتَكَلَّمُ فِيمَا
 بَقِيَ مِنْهَا أَبَدًا.

(١) فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٢٦٦/٨: إِنِّي أُدَارِي حَتَّى أُدَارِي.

(٢) فِي (ب): وَثَمَانِينَ.

(*) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٧٦/٦، تَارِيخُ خَلِيفَةِ ٢٥١، طَبَقَاتُ خَلِيفَةِ ١٤٩، التَّارِيخُ الْكَبِيرُ ٣٥/٨،
 التَّارِيخُ الصَّغِيرُ ١٥٠/١، الْمَعَارِفُ ٤٣٢، الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ ٣٩٦/٨، الثَّقَاتُ لِابْنِ حِبَّازٍ
 ٤٥٦/٥، حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٩٥/٢، تَارِيخُ بَغْدَادٍ ٢٣٢/١٣، طَبَقَاتُ الْفُقَهَاءِ ٧٩، صِفَةُ النُّصَفَةِ
 ٢٤/٣، الْمَخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ٣٦٧/أ، أَسَدُ الْغَابَةِ ٣٥٤/٤، تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ
 ٨٨/٢، مَخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٤٣/٢٤، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٤٥١/٢٧، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٧٥/٣،
 سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٦٣/٤، تَذَكُّرَةُ الْحِفَازِ ٤٦/١، الْعَبْرُ ٦٨/١، الْإِصَابَةُ تَرْجَمَةٌ ٨٤٠٦،
 تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ١٠٩/١٠، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٦١/١، طَبَقَاتُ الشُّعْرَانِيِّ ٢٨/١، طَبَقَاتُ
 الْحِفَازِ لِلْسَيُوطِيِّ ١٤، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٧١/١. وَتُوفِيَ مَسْرُوقٌ سَنَةَ ٦٣ لِلْهِجْرَةِ (طَبَقَاتُ ابْنِ
 سَعْدٍ ٨٤/٦، تَارِيخُ خَلِيفَةِ ٢٥١) فَهُوَ مِنْ رِجَالِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى.

ومن كلامه :

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فَلْيَقْرَأْ سُورَةَ
الْوَاقِعَةِ .

وَأَخَذَ بِيَدِ أَخٍ لَهُ، فَارْتَقَى عَلَى كُنَاسَةٍ^(١) وَقَالَ : هَذِهِ الدُّنْيَا، أَكَلُوهَا فَأَفْنُوهَا،
وَلَبَسُوهَا فَأَبْلُوهَا، سَفَكُوا فِيهَا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ، وَقَطَعُوا
أَرْحَامَهُمْ .

وَقَالَ : مَا مِنْ شَيْءٍ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ لَخْدٍ اسْتَرَاحَ فِيهِ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا، وَأَمِنْ
مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ^(٢) .

وَقَالَ : إِنِّي أَحْسَنُ مَا أَكُونُ ظَنًّا بِاللَّهِ حِينَ يَقُولُ لِي الْخَادِمُ : لَيْسَ فِي الْبَيْتِ
قَفِيزٌ^(٣) وَلَا دِرْهَمٌ .

وَقَالَ : إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَلْيَأْخُذْ حَذْرَهُ مِنَ اللَّهِ .

وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يَأْخُذُ أَجْرًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* * *

(١٧٦) مسلم بن يسار^(*)

مسلم بن يسار، المُشَاهِدُ الْبَصَّارُ، الْمُجَاهِدُ الْمِحْضَارُ، وَقَدْ قِيلَ :

(١) الكُنَاسَةُ : الْقِمَامَةُ . الْقَامُوسُ (كُنْس) .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ : عَذَابُ اللَّهِ .

(٣) الْقَفِيزُ مَكِّيَالٌ، وَهُوَ ثَمَانِيَةٌ مَكَايِيلٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، تَزَنُ تِسْعِينَ رَطْلًا بَغْدَادِيًّا أَيْ
مَا يُعَادِلُ ٢٨ كِيلُو غَرَامًا . مَتْنُ اللَّغَةِ (قَفَز) .

(*) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٧/١٨٦، الزَّهْدُ لِأَحْمَدَ ٤٥٤، تَارِيخُ خَلِيفَةِ ٢٨٦، ٣٢١، طَبَقَاتُ
خَلِيفَةِ ٢٠٦، التَّارِيخُ الْكَبِيرُ ٧/٢٧٥، التَّارِيخُ الصَّغِيرُ ١/٢٩٨، الْمَعَارِفُ ٢٣٤،
الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ ٨/١٩٨، الثَّقَاتُ لِابْنِ حِبَانَ ٥/٣٩٠، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ٢/٢٩٠،
طَبَقَاتُ الْفُقَهَاءِ ٨٨، صِفَةُ الصَّفْوَةِ ٣/٢٣٩، جَامِعُ الْأَصُولِ ١٥/٣١٥، الْمَخْتَارُ مِنْ
مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ٣٦٩/أ، تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ ٢/٩٣، مَخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقِ =

التَّصَوُّفُ: التَّمَتُّعُ بِالْحُضُورِ، وَالتَّتَبُّعُ لِلْخَطُورِ^(١).

كَانَ قَائِمًا يُصَلِّي، فَوَقَعَ حَرِيقٌ بِجَنْبِهِ، فَمَا شَعَرَ بِهِ حَتَّى طُفِئَتِ النَّارُ.
وَكَانَ يَقُولُ لِأَهْلِهِ: إِذَا كَانَتْ لَكُمْ حَاجَةٌ فَتَكَلَّمُوا وَأَنَا أُصَلِّي؛ فَإِنِّي
لَا أَسْمَعُكُمْ.

وَسَقَطَ حَائِطُ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ فَمَا عَلِمَ.
وَكَانَ إِذَا كَانَ فِي غَيْرِ صَلَاةٍ فَكَأَنَّهُ فِي صَلَاةٍ.

وَمِنْ كَلَامِهِ:

اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ لَا يُنْجِيهِ إِلَّا عَمَلُهُ، وَتَوَكَّلْ تَوَكُّلَ رَجُلٍ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا
مَا كُتِبَ لَهُ.

وَقَالَ: لَا أُدْرِي مَا حَسَبَ إِيْمَانِ عَبْدٍ لَا يَتْرُكُ شَيْئًا يَكْرَهُهُ اللَّهُ.

وَقَالَ: مَا شَيْءٌ مِنْ عَمَلِي إِلَّا أَخَافُ أَنْ يَكُونَ دَخَلَهُ مَا أَفْسَدَهُ لَيْسَ الْحُبُّ
فِي اللَّهِ.

وَقَالَ: إِذَا لَبِسْتَ ثَوْبًا فَظَنَنْتَ أَنَّكَ فِي ذَلِكَ الثَّوْبِ أَفْضَلُ مِمَّا فِي غَيْرِهِ فَبَسَرَ
الثَّوْبُ.

وَقَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ، فَإِنَّهُ سَاعَةٌ جَهْلٍ الْعَالِمِ، وَبِهِ يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ^(٢).

وَقَالَ: مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ الْخُلُوعِ لِمَنَاجَاةِ اللَّهِ^(٣).

وَمِنْ كِرَامَاتِهِ:

أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ بِالْبَصْرَةِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ: هَلْ لَكُمْ فِي الْحَجِّ؟ قَالَ: خَرَفَ

= ٢٩٨/٢٤، تهذيب الكمال ٥٥١/٢٧، سير أعلام النبلاء ٥١٠/٤، العبر ١٢٠/١،

تاريخ الإسلام ٥٤/٤، ميزان الاعتدال ١٠٧/٤، البداية والنهاية ١٨٦/٩، العقد

الشمين ١٩٢/٧، تهذيب التهذيب ١٤٠/١٠، شذرات الذهب ١١٩/١.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: لِلْحُضُورِ.

(٢) الْخَبْرُ لَيْسَ فِي (ب).

(٣) كَذَا الْأَصْلُ. وَفِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٢٩٤/٢، وَالْمَخْتَارُ: بِمِثْلِ الْخُلُوعِ بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ.

الرَّجُلُ، عَلَى ذَلِكَ لُنْطِيعَتَهُ، قَالَ: مَنْ أَرَادَ فليُخْرِجُ، فخرَجوا إلى الجَبَانَةِ^(١) برواجِلِهِمْ، فَقَالَ: خَلُّوا أزمَتَهَا، فأصْبَحُوا وهم يَنْظُرُونَ إلى جِبَالِ تِهَامَةَ.

وجاء يوماً إلى دَجَلَةَ وهي تَقْدِفُ بِالزَّبْدِ، فمَشَى على الماءِ، ثم التفتَ، فقال لأصحابه: هل تَفْقِدُونَ شيئاً^(٢)؟

أَسَدٌ عن جماعةٍ من الصَّحَابَةِ.

ومات سنة إحدى ومئة في خلافة عمر بن عبد العزيز.

ورآه مالك بن دينار رحمه الله بعد موته بسنة، فسلم عليه فلم يرده، فقال: ما منعك أن ترده؟ قال: أنا ميت كيف أردد؟ قلت: ما لقيت؟ قال: أهوالاً، وزلازل عظاماً شداداً، قال: فما كان بعدها؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل الحسنات وعفا عن السيئات، وضمن عنا التبعات.

* * *

(١٧٧) مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير (*)

مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير، المُتَعَبِّدُ المُتَنَسِّكُ الشَّكِير، كان لِنَفْسِهِ مُذْلاً، ولذِكْرِ رَبِّهِ مُجِلاً، وقد قيل: التَّصَوُّفُ: إدمانُ الإذلالِ والأعمالِ، وإيثارُ الإقلالِ والإخمالِ.

(١) في المطبوع: فليخرج إلى الجبانة، فخرجوا إلى الجبانة.

(٢) صفة الصفوة ٣/٢٤٠، والمختار ٣٦٩/ب.

(*) طبقات ابن سعد ٧/١٤١، الزهد لأحمد ٣٤١، طبقات خليفة ١٩٧، تاريخ خليفة

٢٩٢، التاريخ الكبير ٧/٣٩٦، التاريخ الصغير ١/٣٥٤، الجرح والتعديل ٨/٣١٢،

ثقات ابن حبان ٥/٤٢٩، حلية الأولياء ٢/١٩٨، صفة الصفوة ٣/٢٢٢، المختار من

مناقب الأخيار ٣٧٠/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٣٤٣، تهذيب الكمال ٢٨/٦٧،

سير أعلام النبلاء ٤/١٨٧، تذكرة الحفاظ ١/٦٠، العبر ١/١١٣، تاريخ الإسلام

٤/٥٦، البداية والنهاية ٩/٦٩، ١٤٠، الإصابة ترجمة ٨٣٢٤، تهذيب التهذيب

١٠/١٧٣، النجوم الزاهرة ١/٢١٤، طبقات الشعراني ١/٣٤، طبقات الحفاظ ٢٤،

شذرات الذهب ١/١١٠.

ومن كراماته :

أنه كان إذا دخل بيته سبَّحت معه آنيته .

وكان يُضيء له سوطه إذا سار ليلاً كالسراج ، ووقع ذلك بحضرة رجلٍ صاحبٍ له فقال : لو حدثنا بهذا كُذِّبنا . فقال له : المُكذَّبُ بِنِعْمِ اللَّهِ يُكذَّبُ بهذا .

وكان يُسمعُ منه التَّسبيحُ ، حتى يسمعه مَنْ معه .

وكان مُجابَ الدَّعوةِ ، آذاهُ رجلٌ فقال : اللَّهُمَّ ، أُمَّتُهُ ، فخرٌ ميتاً حياً .

ومرَّ بين يديه كلبٌ ، وهو يُصليُّ فقال : اللَّهُمَّ ، احرمه صيدهُ ، فلم يصدُ بعدها أبداً .

وكان يَسْكُنُ الباديةَ ، فإذا كان يومُ الجُمعةِ ركبَ وجاءَ إليها ، فمرَّ بالمقابرِ يوماً فنَعَسَ على فرسه ، فرأى أهلَ القبورِ على أفواهها ، فقالوا : مُطرَفُ أتى الجُمعةَ . فقال : وتعرفونَ يومَ الجُمعةِ ؟ قالوا : نعم ، ونعرفُ ما يقولُ الطَّيرُ فيه . قال : وما يقولون ؟ قالوا : يقولون : سلامٌ سلامٌ ، يومٌ صالحٌ^(١) .

وكان بين مُطرَفٍ وبين رجلٍ من قومه شيءٌ ، فكذَّبَ عليه ، فقال له مُطرَفُ : إن كنتَ كاذباً فعجَّلَ اللهُ حتفَكَ . فماتَ الرَّجُلُ مكانَهُ .

ومن كلامه :

ما مدحني أحدٌ قطُّ إلا تصاغرتُ إليَّ نفسي .

وقال : لو أتاني آتٍ من ربِّي أنِّي في الجنةِ^(٢) ، اخترتُ أنِّي أصيرُ تراباً .

وقال : لأن يسألني ربِّي يومَ القيامةِ ، فيقول : ألا فعلتَ ؟ أحبُّ إليَّ من أن يقولَ لي : لِمَ فعلتَ ؟

وقال : لو أخرجَ قلبي ، فجعلَ في يدي اليسرى ، وجيءَ بالخيرِ ، فجعلَ في

(١) في حلية الأولياء ٢/٢٠٥ : من يوم صالح ، وفي صفة الصفوة ٣/٢٢٣ ليوم صالح .

(٢) كذا في الأصول ، وفي حلية الأولياء ٢/١٩٩ : لو أتاني آتٍ من ربي تعالى فخيرني أفي الجنة أو في النار ، أو أصير تراباً ، اخترت . . .

اليمنى ما استطعتُ أن أُولجَ قلبي منه شيئاً حتى يكونَ اللهُ يضعه^(١).
وقال: لأنَّ أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً أحبُّ إليَّ من أن أبيتَ قائماً، وأصبحَ
مُعجباً.

وكان يقولُ: اللّهُمَّ، إنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ ادَّعَيْتُ الْإِخْلَاصَ فِيهِ، وَأَنْتَ
أُرِيدُ بِهِ وَجْهَكَ.

وقال: أَكْثَرُ النَّاسِ خَطَايَا أَفْرَغُهُمْ^(٢) لِذِكْرِ خَطَايَا النَّاسِ.

وقال: مَنْ تَرَكَ النِّسَاءَ وَالطَّعَامَ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ ظُهُورِ كِرَامَةٍ.

وقال: نَظَرْتُ^(٣) إِلَى الْأَمْوَاتِ فَرَأَيْتُهُمْ جَالِسِينَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَرُدُّوا،
فَقُلْتُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَتَالُوا: رَدُّ السَّلَامِ حَسَنَةٌ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَزِيدَ فِي
الْحَسَنَاتِ.

وقال: لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَصْعَدَ فَيُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْ فَوْقِ الْبُئْرِ وَيَقُولَ: قَدَّرَ، لَكِنْ
يَحْذَرُ وَيَجْتَهِدُ وَيَتَّقِي، فَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ عَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ.

وقال: مَا أُوتِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الْإِيمَانِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ.

وقال: عُقُولُ النَّاسِ^(٤) عَلَى قَدَرِ زَمَانِهِمْ.

وقال: الْمَوْتُ أَفْسَدَ عَلَى أَهْلِ النَّعِيمِ نَعِيمَهُمْ، فَاطْلُبُوا نَعِيمًا لَا مَوْتَ فِيهِ.

وقال: قَطَعَ ذِكْرُ الْمَوْتِ قُلُوبَ الْخَائِفِينَ، فَوَاللَّهِ مَا نَرَاهُمْ إِلَّا وَالْهَيْبِينَ.

وقال: وَجَدْتُ ابْنَ آدَمَ كَالشَّيْءِ الْمُلْتَمَى بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ،

فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَهُ^(٥) اجْتَرَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ خَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ.

(١) فِي (أ): يَصْنَعُهُ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: أَكْثَرُهُمْ.

(٣) فِي (أ): نَزَلْتُ.

(٤) فِي (ب): النِّسَاءِ.

(٥) فِي (أ): يَبْغِيهِ، وَفِي صَفَةِ الصَّفْرَةِ ٢٢٤/٣: يَنْعَشُهُ، وَفِي الْحَلِيَةِ ٢٠١/٢: فَإِنْ

اسْتَشْلَاهُ رَبُّهُ، أَوْ اسْتَنْقَذَهُ نَجَا. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ ٤٤٩/٢ (شَلَا): اسْتَشْلَاهُ

وَاسْتَشْلَاهُ إِذَا اسْتَنْقَذَهُ مِنَ الْهَلَاكَةِ وَأَخَذَهُ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الدَّعَاءِ، يُقَالُ أَشْلَيْتُ الْكَلْبَ =

وقال: لو عَلِمَ الرَّجُلُ متى مَوْتُهُ خِيفَ عَلَيْهِ ذَهَابُ عَقْلِهِ، لَكِنَّهُ تَعَالَى مَنْ عَلَى عِبَادِهِ بِالْغَفْلَةِ عَنِ الْمَوْتِ، وَلَوْلَاهَا^(١) مَا هُنَا لَهُمُ الْعَيْشُ أَبَدًا.

وقال: اجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ، فَإِنْ يَكُنُ الْأَمْرُ كَمَا نَرْجُو مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ كَانَ لَنَا دَرَجَاتٌ، وَإِنْ يَكُنُ شَدِيدًا كَمَا نَخَافُ لَمْ نَقُلْ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [فاطر: ٣٧] نَقُولُ: قَدْ عَمَلْنَا فَلَمْ يَنْفَعْنَا.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْبُنَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ مُغْمَى عَلَيْهِ، فَسَطَعَ مِنْهُ أَنْوَارٌ ثَلَاثَةٌ: نُورٌ مِنْ رَأْسِهِ، وَنُورٌ مِنْ وَسْطِهِ، وَنُورٌ مِنْ رِجْلَيْهِ، فَهَالَهُمْ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَفَاقَ سَأَلُوهُ، فَقَالَ: تِلْكَ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ﴾ سَطَعَ أَوَّلُهَا عَلَى رَأْسِي، وَوَسْطُهَا فِي وَسْطِي، وَأَخْرَجَهَا مِنْ قَدَمِي، وَقَدْ صُوِّرَتْ تَشْفَعُ لِي وَ ﴿تَبَارَكَ﴾ تَحْرُسُنِي^(٢) ثُمَّ مَاتَ حَالًا.

وقال: أَقْبِحُ مَا طُلِبَ بِهِ الدُّنْيَا عَمَلُ الْآخِرَةِ.

وقال: الْغَفْلَةُ الَّتِي أَلْقَاهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ الصَّادِقِينَ رَحْمَةٌ بِهِمْ، وَلَوْ أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِمْ مَا هُنَا لَهُمْ عَيْشٌ.

وقال: إِذَا تَسَاوَتْ سَرِيرَةُ عَبْدٍ وَعِلَانِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ: هَذَا عَبْدِي حَقًّا.

وَكَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، ارْضَ عَنَّا، فَإِنْ لَمْ تَرْضَ عَنَّا فَاعْفُ عَنَّا، فَإِنَّ الْمَوْلَى قَدْ يَعْفُو عَنْ عَبْدِهِ وَهُوَ عَنْهُ غَيْرُ رَاضٍ.

مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

أَسْنَدَ الْحَدِيثَ عَنْ: عَلِيٍّ، وَعُثْمَانَ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَغَيْرِهِمْ.

* * *

= وغيره إذا دعوته إليك. أي إن أغاثه الله ودعاه إليه أنقذه.

(١) في المطبوع: مَنْ عَلَى عِبَادِهِ بِالْغَفْلَةِ الَّتِي أَلْقَاهَا فِي قُلُوبِهِمْ رَحْمَةٌ بِهِمْ وَلَوْلَاهَا... وقد جمع المطبوع بين خبرين، انظر صفة الصفوة ٣/ ٢٢٥.

(٢) في (ب): وقد صورت ﴿يس﴾ تشفع لي، و ﴿تبارك﴾... وفي طبقات ابن سعد ١٤٦/٧: وقد صعدت تشفع لي، وهذه ﴿تبارك﴾ تحرسني. وفي الحلية ٢/ ٢٠٦: وقد صورت تشفع لي، فهذا ثوابها يحرسني.

(١٧٨) مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ (*)

مِسْعَرُ - بكسرِ أوَّلِهِ، وسُكُونِ المُهْمَلَةِ، وفتحِ المُهْمَلَةِ، وآخِرُهُ راءٌ - ابنُ كِدَامٍ - بكسرِ الكافِ، وفتحِ المُهْمَلَةِ - الهِلَالِيُّ العامِرِيُّ الكُوفِيُّ، المُحَدِّثُ الإمامُ، أَحَدُ الأَعْلَامِ، المَعْرُوفُ بالصِّيَامِ والقيَامِ.

كانَ عالِمًا مُتَعَبِّدًا، مُتَنَسِّكًا مُتَزَهِّدًا، مُجْتَهِدًا فِي العِلْمِ والعَمَلِ، مُثَابِرًا عَلى ما يَصِلُ بِهِ إلى الأَمَلِ، سَالِكًا طَرِيقَ التَّصَوُّفِ، مائِلًا إلى العُزَلَةِ وطَرَحِ التَّكَلُّفِ. نَعَم، وكانَ لِلخَلْقِ ناصِحًا ودُودًا، وَفِي عِبَادَةِ رَبِّهِ كادِحًا كَدُودًا، وكانَ يَجْتَهِدُ فِي إخْفَاءِ عَمَلِهِ الصَّالِحِ.

وطلبَ للقضاءِ فأكْرَهُ عَلَيْهِ، فاحتالَ، فخلَصَ. وذلكَ أَنَّهُ لَمَّا أُدْخِلَ عَلى الخَلِيفَةِ، قالَ لَهُ: كَيْفَ طَبِخُكَ، وَكَيْفَ خَمِيرُكَ؟ فقالَ: مَجْنُونٌ، أُخْرِجُوهُ.

وكانَ إِذا فَتَحَ المُصْحَفَ فوجدَ^(١) قِصَّةَ قومٍ قَدْ عَذَّبُوا، قالَ: إلهي، أُدْخِلْتَ رَحْمَتَهُمْ قَلْبِي، فَإِنْ شِئْتَ اغْفِرْ لِي وإلَّا عَذَّبْنِي. وكانَ لا يَخْرُجُ مِنَ المَسْجِدِ إلاَّ لخدمَةِ أُمَّه.

وقيلَ لَهُ: أَتُحِبُّ مَنْ يُبْدي إِلَيْكَ عُيوبَكَ؟ قالَ: أَمَّا مِنْ ناصِحٍ فَنَعَم، وَأَمَّا مِنْ مُؤَبِّخٍ فلا.

(*) طبقات ابن سعد ٦/٣٦٤، تاريخ خليفة ٤٢٦، طبقات خليفة ١٦٨، التاريخ الكبير ١٣/٨، التاريخ الصغير ٢/١١٢، المعارف ٤٨١، الجرح والتعديل ٨/٣٦٨، مشاهير علماء الأمصار ١٦٩، ثقات ابن حبان ٧/٥٠٧، حلية الأولياء ٧/٢٠٩، صفة الصفوة ٣/١٢٩، المختار من مناقب الأخيار ٣٦٨/أ، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٨٩، تهذيب الكمال ٢٧/٤٦١، سير أعلام النبلاء ٧/١٦٣، العبر ١/٢٢٤، تذكرة الحفاظ ١/١٨٨، ميزان الاعتدال ٤/٩٩، تاريخ الإسلام ٦/٢٨٧، تهذيب التهذيب ١٠/١١٣، طبقات الشعراني ١/٥٧، طبقات الحفاظ ٨١، شذرات الذهب ١/٢٣٨.

(١) في (أ): فأبصر.

وقال شُعبَة: ما من أحدٍ إلا وقد أخذَ عليه غير مسعرٍ .

ومن كلامه: أشتَهي أن أسمعَ صوتَ باكيّةِ حَزِينَة .

ودخلَ عليه سُفيانُ الثَّورِيُّ في مَرَضِهِ، وهو جَزَعٌ، فقال: ما هذا الجَزَعُ؟
إني أودُّ لو أموتُ السَّاعَةَ، قال: إنَّكَ إذا لَوِثْتُ بِعَمَلِكَ، لَكُنِّي والله كأنِّي على
شاهقِ جبلٍ، لا أدري أين أهبطُ، فبَكَى سُفيانُ رضي اللهُ عنه .

وكان إذا ظَلَمَهُ رجلٌ قال: اللَّهُمَّ، لا تُمِتَّهُ حتى تجعلَهُ مُحدَّثاً، أو مُفتياً .

وقال: إنَّ لله عِبَاداً لو عَلِمُوا بما يَنْزِلُ القَدْرُ لاستقبلوه استقبالاً حُبّاً لِرَبِّهِمْ
ولقَدَرِهِ، فكيف يكرهونه إذا وَقَعَ؟

وقال: لا يَنْبَغِي أن يُثنى على عَالِمٍ وهو يأخذُ جَائِزَةَ السُّلْطَانِ، ويبني بيتهُ
بالأجرِ .

وقال: مَنْ رَضِيَ بِالخَلِّ والبَقْلِ لم يستعبدِ النَّاسَ^(١) .

وقال: مَنْ أرادَ هذا العِلْمَ لنفسه فليقلِّ منه، وَمَنْ طَلَبَهُ لِلنَّاسِ فليكثرِ؛ فَإِنَّ
مؤونَتَهُمْ شَدِيدَة .

وقال: مَنْ أَهَمَّتْهُ نَفْسُهُ تَبَيَّنَ ذلكَ عليه .

وقال: مَنْ أَبْغَضَنِي جعلَهُ اللهُ مُحدَّثاً .

وقال: هذا الحديثُ يصدِّكم عن ذكرِ اللهِ، وعن الصَّلَاةِ، فهل أنتم مُنتَهون؟

ورُئي في النَّومِ، فقيلَ له: أيُّ شيءٍ وجدتهُ أنفعَ؟ قال: ذِكرُ اللهِ .

وقال: يُنادي مُنادٍ يومَ القِيَامَةِ: يا مادِّحِينَ اللهُ، فلا يَقومُ إلا مَنْ كان يُكثِرُ
قراءةَ سورَةِ الإخْلاصِ .

وكان كثيرَ البُكاءِ، إن خرجَ بَكَى، وإن دخلَ بَكَى، وإن جلسَ بَكَى، فقيلَ له
فيه، فقال: وهل خُلِقَتِ النَّارُ إلا لمِثْلِي؟

وبَكَى يوماً فبَكَتْ أُمُّهُ، فقال: ما أبْكَاكِ يا أُمَّاه؟ قالت: رأيتُكَ تَبْكي

(١) كذا في الأصول، وفي الحلية ٧/٢١٩: لم يستعبده الناسُ .

فبكيَتْ . قال : يا أُمَّهُ لِمِثْلِ ما نَهَجُمُ عليه غداً فليطلِ البكاء . قالت : وما ذاك ؟
فانتَحَبَ ، وقال : القيامةُ وما فيها ، ثم غَلَبَ عليه البُكاءُ ، فقام .

وكان من دُعائِهِ : اللَّهُمَّ ، مَنْ ظَنَّ بِنَا خيراً أو ظَنَّاهُ به فَصَدَّقْ ظَنَّنَا وَظَنَّهُ .

ماتَ سنةَ خمسٍ وخمسين ومئة .

أسندَ الحديثَ عن جماعةٍ كثيرين .

وكان شُعبة يُسمِّيهِ المُصَحَّفَ .

وقال ابنُ سعد : وكان شُعبة وسُفيان إذا اختلفا في شيءٍ قال : اذْهَبْ إلى

الميزانِ مِسعَرٍ .

وكان عندهُ نحو ألفِ حديثٍ .

خَرَجَ له السِّتَّةُ .

قال مُصعب بن المِقْدَام : رأيتُ المصطفى ﷺ في المَنامِ ، وسُفيان الثَّورِيُّ

أَخِذَ بيده وهما يَطوفان ، فقال سُفيان : يا رسول الله ، ماتَ مِسعَرٌ ؟ قال : نعم ،

واستبشَرَ بمَوْتِهِ أهلُ السَّماءِ .

* * *

(١٧٩) معاوية بن قُرَّة (*)

معاوية بن قُرَّة ، المِزَنِيُّ البَصْرِيُّ ، المُحدِّثُ الصُّوفِيُّ ، البَسَّامُ بالنَّهارِ ، البِكاءُ

بالأسْحارِ .

(*) طبقات ابن سعد ٧/٢٢١ ، تاريخ خليفة ٢٥٧ ، طبقات خليفة ٢٠٧ ، التاريخ الكبير

٧/٣٣٠ ، التاريخ الصغير ١/٢٤٠ ، الجرح والتعديل ٨/٣٧٨ ، الثقات لابن حبان

٥/٤١٢ ، حلية الأولياء ٢/٢٩٨ ، صفة الصفوة ٣/٢٥٧ ، المختار من مناقب الأخيار

٣٧٢/ب ، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/١٠٢ ، تهذيب الكمال ٢٨/٢١٠ ، سير أعلام

النبل ٥/١٥٣ ، العبر ١/٢٣٤ ، تاريخ الإسلام ٤/٣٠٤ ، تهذيب التهذيب

١٠/٢١٦ ، شذرات الذهب ١/١٤٧ .

قال: أدرَكْتُ سَبْعِينَ صَحَابِيًّا، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا عَرَفُوا شَيْئًا مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا الْأَذَانَ.

وقال: إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ الْعَبْدَ شَهْرًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَإِنْ أَصْلَحَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ^(١) وَعَاشَ وَعِيَالُهُ بَقِيَّةَ شَهْرِهِمْ بِخَيْرٍ، وَإِنْ أَفْسَدَهُ أَفْسَدَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَعَاشَ وَعِيَالُهُ بَقِيَّةَ شَهْرِهِمْ بِشَرٍّ.

وقال: جَالِسُوا وَجُوهَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُمْ أَحْلَمُ وَأَعْقَلُ.

وقال: إِنَّ الْقَوْمَ لِيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَحُجُّونَ وَلَا يُعْطُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ.

وقال: مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: لَا تُجَالِسْ بِحَلِمِكَ الشُّفَهَاءَ، وَلَا بِسَفَهِكَ الْعُلَمَاءَ.

مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِئَةَ.

حَدَّثَ عَنْ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا.

وَخَرَجَ لَهُ السُّنَّةُ.

* * *

(١٨٠) مَكْحُولُ الدَّمَشْقِيِّ^(*)

إِمَامٌ أَهْلِ الشَّامِ، الْفَقِيهُ الصَّوَّامُ، الْعَابِدُ الْقَوَّامُ، الرَّفِيعُ الْمَقَالِ وَالْمَقَامِ.

أَصْلُهُ مِنْ كَابُلٍ، وَقِيلَ: مِنْ أَوْلَادِ كِسْرَى، ثُمَّ سَكَنَ دِمَشْقَ.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: أَصْلَحَ اللَّهُ عَمَلَهُ عَلَى يَدَيْهِ، وَفِي (أ): أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.
(*) طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٧/٤٥٣، طَبَقَاتُ خَلِيفَةَ ٣١٠، تَارِيخُ خَلِيفَةَ ٢٠٦، ٣٤٥، التَّارِيخُ الْكَبِيرُ ٨/٢١، التَّارِيخُ الصَّغِيرُ ١/٣٠٦، ٣٠٧، الْمَعَارِفُ ٤٥٢، الْجُرُوحُ وَالتَّمْدِيلُ ٨/٤٠٧، الثَّقَاتُ لِابْنِ حَبَانَ ٥/٤٤٦، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ٥/١٧٧، طَبَقَاتُ الشِّيرَازِيِّ ٧٥، الْمُخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ٣٧٥/أ، تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ ٢/١١٣، وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٥/٢٨٠، مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٥/٢٢٤، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٢٨/٤٦٤، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٥/١٥٥، تَذَكُّرَةُ الْحِفَاطِ ١/١٠٧، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ٥/٣، مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ ٤/١٧٧، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٩/٣٠٥، تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ١٠/٢٨٩، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١/٢٧٢، طَبَقَاتُ الْحِفَاطِ ٤٢، طَبَقَاتُ الشُّعْرَانِيِّ ١/٤٥، شُدْرَاتُ الذَّهَبِ ١/١٤٦.

وأخذَ عن : أبي بن كعب ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهما .
وطافَ الأرضَ في طلبِ العلمِ .

ومن كلامه :

إن كان الفضلُ في الجماعةِ فالسلامةُ في العزلةِ .

وقال : مَنْ طابَ ريحُه زادَ عقلُه ، وَمَنْ نَظفَ ثوبُه قلَّ همُّه .

وقال : إذا تكلمَ الفقيهُ بالإعرابِ ذهبَ الخشوعُ من قلبه .

وقال : أرقُّ الناسِ قلوباً أقلُّهم ذنباً .

وقال : يأتي على الناسِ زمانٌ يكونُ عالمُهم أشرَّ من جيفةِ حمار .

وقال لرجلٍ : أتُحِبُّ الجنةَ ؟ قال : وَمَنْ لا يُحِبُّها ؟ قال : فأحبُّ الموتَ ؛

فإنَّك لن تَرى الجنةَ حتى تموتَ .

وقال : وُجِدَ إبليسُ يسجدُ على صفاةٍ ، ودموعُه تسيلُ على خدِّه ، فقيلَ له :

وما يُغنيكَ هذا ؟ قال : أرجو إذا برَّ ربِّي قسمه ، أن يُخرِجني من النارِ^(١) .

وقال : طُولُ الكمدِ أعحبُّ من طولِ الدَمعةِ للخائفين .

وقال : إذا طاشَ العقلُ فُقدتِ الحرقةُ ، وإذا فُقدتِ قلصتِ الدَمعةُ ، وإذا ثبتَ

العقلُ فهِمَ صاحِبُه الموعِظةَ فأحرقتهُ ، فحزِنَ وبكى .

وقال : لا تَبذلُ علمَكَ لِمَنْ لا يسألهُ ؛ فإنه يَسْتَهينُ به .

وقال : أدركنا الناسَ وهم يُسمونَ الدنيا الدَنيةَ ، ولو وُجدوا لها اسماً شراً

منه سمَّوها به .

وقال : كانت أحبارُ بني إسرائيلَ كبيرُهم وصغيرُهم لا يمشي إلا بعصى

خوفَ أن يَخْتالَ في مشيِّه فيمُتَّ .

وقال : مَنْ لم يَنْفَعه علمُه ، ضَرَّه^(٢) جهلُه .

(١) في الحلية ٥ / ١٨٢ : أرجو إذا برَّ بي قسمه . . . قال أبو عمر الدوري : هذا إبليس يرجو
رحمة الله ، فكيف نحن عبيد الله ؟ .

(٢) في المطبوع : لم يضره ، والخبر في الحلية ٥ / ١٧٧ .

وقيل له في مَرَضِهِ: عافاك اللهُ. قال: كَلَّا، اللِّحَاقُ بِمَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ خَيْرٌ مِنَ
الْبَقَاءِ مَعَ مَنْ لَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ.

ولما احتَضِرَ ضَحِكَ، فقيل له فيه، فقيل: كيف لا أضحكُ وقد دنا فراقُ
ما كنتُ أحذَرُهُ، وسُرْعَةُ القُدومِ على مَنْ كنتُ أرجوهُ، وأؤمِّلُهُ.

ماتَ سنةَ ثلاثِ عشرة ومئة.

أسندَ الحديثَ، وخرَجَ له مسلمٌ والأربعة.

* * *

(١٨١) المنذر بن مالك (*)

أبو نَضْرَةَ، مُفِيضُ الدَّموعِ والعَبْرَةِ، وقد قيلَ: التَّصَوُّفُ التَّحْفُظُ مِنَ العَثْرَةِ،
والتَّيَقُّظُ مِنَ الفَتْرَةِ.

ومن كلامه:

يَنْتَهِي القَدَرُ إِلَى هذِهِ الآيَةِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وقال: لولا هَوْلُ المَطْلَعِ لسرَّ رجالاً أن يكونوا قد فارَقوا ما ههنا^(١).

ماتَ سنةَ ثمانٍ ومئة.

(*) طبقات ابن سعد ٢٠٨/٧، تاريخ خليفة ٣٣٩، طبقات خليفة ٢٠٩، التاريخ الكبير
٣٣٥/٧، المعارف ٤٤٩، ضعفاء العقيلي ١٩٩/٤، الجرح والتعديل ٢٤١/٨، ثقات
ابن حبان ٤٢٠/٥، الكامل لابن عدي ٣٦٧/٦، حلية الأولياء ٩٧/٣، أنساب
السمعاني ٣٥٧/٨، ٩١/٩، تهذيب الكمال ٥٠٨/٢٨، سير أعلام النبلاء ٢٩/٤،
تاريخ الإسلام ٢٢٥/٤، العبر ١٣٣/١، ميزان الاعتدال ١٨١/٤، البداية والنهاية
٢٥٩/٩، تهذيب التهذيب ٣٠٢/١٠، شذرات الذهب ١٣٥/١. قال الذهبي في
السير ٥٣١/٤: أورده العقيلي وابن عدي في كتابيهما فما ذكر له شيئاً يدل على لين
فيه.

(١) القول للحسن البصري لما عاد المنذر. انظر الخبر بتمامه في الحلية ٩٨/٣.

وكان من كبار المُحدِّثين، روى عن: أنس، وأبي موسى، وابن عبَّاس، رضي الله عنهم، وغيرهم.
وخرَّج له مُسلمٌ والأربعةُ.

* * *

(١٨٢) مَنْصُورُ بِنِ زَاذَانَ (*)

منصور بن زاذان، زَيْنُ الْقُرَاءِ وَالْفَتِيَانِ، الْمَيْسَرُ لَهُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، كَانَ زَاهِدًا مُتَعَبِّدًا كَبِيرَ الشَّانِ، مِنْ أَكْبَرِ أَوْلِيَاءِ وَاسِطَ.

مَكَثَ يُصَلِّيَ الْفَجْرَ بِوَضُوءِ الْعِشَاءِ عِشْرِينَ عَامًا.

وكان إذا تَوَضَّأَ بَكَى حَتَّى يَرْتَفِعَ صَوْتُهُ، وَيَقُولُ: أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بَيْنَ يَدَي مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، فَلَعَلَّهُ^(١) أَنْ يُعْرِضَ عَنِّي.

وكان عَظِيمَ الْمُجَاهِدَةِ. لَوْ قِيلَ لَهُ: مَلِكُ الْمَوْتِ بِالْبَابِ، مَا كَانَ عِنْدَهُ زِيَادَةٌ فِي الْعَمَلِ.

ومن كلامه:

الْهَمُّ وَالْحُزْنُ يَزِيدَانِ فِي الْحَسَنَاتِ وَالْأَشْرُ وَالْبَطْرُ يَزِيدَانِ فِي السَّيِّئَاتِ^(٢).
وَقَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ النَّارِ يَتَأَذَى أَهْلِهَا^(٣) بِرِيحِهِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ عَالِمًا فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِعِلْمِي.

(*) طبقات ابن سعد ٣١١/٧، طبقات خليفة ٢١٧، ٣٢٥، التاريخ الكبير ٣٤٦/٧، التاريخ الصغير ٣٠/٢، الجرح والتعديل ١٧٢/٨، الثقات لابن حبان ٤٧٤/٧، حلية الأولياء ٥٧/٣، صفة الصفوة ١١/٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٧٦/أ، تهذيب الكمال ٥٢٣/٢٨، سير أعلام النبلاء ٤٤١/٥، تذكرة الحفاظ ١٤١/٢، تاريخ الإسلام ٣٠٣/٥، تهذيب التهذيب ٣٠٦/١٠، شذرات الذهب ١٨١/١.

(١) في المطبوع: فأخاف.

(٢) في الحلية ٥٩/٣: يزيد.

(٣) في (أ): يُؤذَى أهلها.

ولَمَّا مَاتَ شَهِدَ جَنَازَتَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَالْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسُ، كُلٌّ عَلَى حِدَّتِهِ.

مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِئَةَ.

أَسْنَدَ الْحَدِيثِ عَنِ جَمَاعَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * *

(١٨٣) منصور بن المعتمر (*)

الْحَافِظُ الْحُجَّةُ، الصَّائِمُ الْقَائِمُ، الْمُحِبُّ الْهَائِمُ، كَانَ كَبِيرَ الْقَدْرِ، عَلِيَّ الشَّانِ، جَلِيلَ الْمَنَاقِبِ، كَثِيرَ الْبُرْهَانِ، عَظِيمَ التَّأَلُّهِ وَالتَّعَبُّدِ، وَالصَّيَامِ وَالتَّهَجُّدِ، صَامَ سِتِّينَ سَنَةً وَقَامَهَا، لَمْ يُفْطِرْ، وَلَمْ يَنْتَمِ.

وَكَانَ يَبْكِي طَوْلَ لَيْلِهِ حَتَّى يَرَحِمَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى عَمَشَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَيَقُولُ لَهُ أَهْلُهُ: قَتَلْتَ قَتِيلًا؟ فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي.
وَمَنْ رَأَهُ وَهُوَ يُصَلِّي ظَنَّ أَنَّهُ يَمُوتُ حَالًا.

وَمِنْ كَلَامِهِ:

لَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَا ذَنْبٌ إِلَّا حُبُّ الدُّنْيَا اسْتَحَقَّيْنَا أَنْ يُخَسَفَ بِنَا.

وَقَالَ: مِنْ أَعْظَمِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الزُّهْدُ فِي لِقَاءِ النَّاسِ.

وَكَانَ يَقُولُ لِعُلَمَاءِ زَمَانِهِ: إِنَّمَا أَنْتُمْ مُتَلَذِّذُونَ يَسْمَعُ أَحَدُكُمْ الْعِلْمَ وَيَحْكِيهِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ الْعِلْمُ لِلْعَمَلِ، وَلَوْ عَمَلْتُمْ بِعِلْمِكُمْ هَرَبْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ يَبْعَثُ عَلَى بُغْضِهَا.

(*) طبقات ابن سعد ٦/٣٣٧، طبقات خليفة ١٦٤، تاريخ خليفة ٤٠٤، التاريخ الكبير ٧/٣٤٦، التاريخ الصغير ٢/٢٨، الجرح والتعديل ٨/١٧٧، ثقات ابن حبان ٧/٤٧٣، حلية الأولياء ٥/٤٠، صفة الصفوة ٣/١١٢، المختار من كتب الأخيار ٣٧٧/ب، تهذيب الأسماء واللغات ٢/١١٤، تهذيب الكمال ٢٨/٥٤٦، سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٢، تذكرة الحفاظ ١/١٤٢، العبر ١/٢٥٩، تاريخ الإسلام ٥/٣٠٥، طبقات القراء ٢/٣١٤، تهذيب التهذيب ١٠/٣١٢، طبقات الشعراني ١/٤٤، شذرات الذهب ١/١٨٩.

وكان فيه تشييع^(١).

أكرهه عامل الكوفة على القضاء فامتنع، فقيدته، فقيل له: لو نثرت لحمه لم
يل. فخلاه.

وأخرج وكيع عن الثوري قال: أراد ابن هبيرة أن يستعمل منصور بن
المعتمر على القضاء، فقال: ما كنت لألي بعد ما حدثني إبراهيم، قال: وما
حدثك؟ قال: حدثني عن علقمة، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:
«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة، وأعوان الظلمة، وأشباه الظلمة؟
حتى من برى لهم قلماً، أو لاق لهم^(٢) دواة، فيجمعون في تابوت من حديد،
ويرمى بهم في جهنم»^(٣).

مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة رضي الله عنه.

* * *

(*) (١٨٤) مورك العجلي

أبو المعتمر البصري، كان بالحق عن الخلق سالياً، وبالشهود عن الصدود
سالياً.

ومن كلامه:

المتمسك بطاعة الله حين جبن عنها الناس كالكارر بعد الفار.

(١) قال الذهبي في السير ٥/٤٠٧: قلت: تشييعه حب وولاء فقط.

(٢) في (ب): أو ناولهم.

(٣) رواه الديلمي في الفردوس ١/٢٥٥ (٩٨٩) عن أبي هريرة.

(*) طبقات ابن سعد ٧/٢١٣، الزهد لأحمد ٤٢٨، طبقات خليفة ٢٠٩، تاريخ خليفة

٣٣٥، التاريخ الكبير ٨/٥١، المعارف ٤٧٠، الجرح والتعديل ٨/٤٠٣، الثقات

لابن حبان ٥/٤٤٦، حلية الأولياء ٢/٢٣٤، الأنساب ٨/٤٠٠، صفة الصفوة

٣/٢٥٠، المختار من مناقب الأخيار ٣٧٨/أ، تهذيب الكمال ٢٩/١٦، سير أعلام

النبلاء ٤/٣٥٣، العبر ١/١٢٢، تاريخ الإسلام ٤/٢٠٦، تهذيب التهذيب

١٠/٣٣١، شذرات الذهب ١/١٢٢.

وقال: تَعَلَّمْتُ الصَّمْتَ فِي عَشْرِ سِنِينَ، وَمَا قُلْتُ شَيْئاً قَطُّ إِذَا غَضِبْتُ أَنْدَمُ عَلَيْهِ إِذَا ذَهَبَ غَضَبِي.

وقال: مَا تَكَلَّمْتُ شَيْئاً فِي الْغَضَبِ نَدِمْتُ عَلَيْهِ فِي الرَّضَا.

وقال: سَأَلْتُ اللَّهَ حَاجَةً مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَمَا أَعْطَانِيهَا، وَلَا أَيَسْتُ مِنْهَا.

وَكَانَ يَجِدُ نَفَقَتَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ.

وَكَانَ يَقُولُ: مَا فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ فِي مَوْتِهَا أَجْرٌ إِلَّا وَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ مَاتَتْ.

وقال: مَا مِنْ أَمْرٍ يَبْلُغُنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَوْتِ أَحَبِّ أَهْلِي إِلَيَّ.

أَسْنَدَ الْحَدِيثَ عَنْ: أَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعُمَرَ، وَسَلْمَانَ، وَجُنْدَبَ، وَأَنْسَ.

وعنه: العَنْبَرِيُّ.

مَاتَ سَنَةً نَيْفٍ وَمِئَةً.

خَرَجَ لَهُ السَّنَةُ.

* * *

(١٨٥) موسى الكاظم بن جعفر الصادق (*)

سُمِّيَ بِذَلِكَ لكَثْرَةِ تَجَاوُزِهِ وَحَلَمِهِ، وَكَانَ مَعْرُوفاً عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ بِيَابِ قِضَاءِ الْحَوَائِجِ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ أَعْبَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَمِنْ أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ الْأَسْخِيَاءِ.

سَأَلَهُ الرَّشِيدُ: كَيْفَ يَقُولُونَ: نَحْنُ أَبْنَاءُ الْمُصْطَفَى ﷺ وَأَنْتُمْ أَبْنَاءُ عَلِيٍّ؟

فَقَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَعِيسَى﴾ [الأنعام: ٨٤] وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ.

(*) الجرح والتعديل ١٣٩/٨، تاريخ بغداد ٢٧/١٣، صفة الصفوة ١٨٤/٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٧٨/أ، وفيات الأعيان ٣٠٨/٥، تهذيب الكمال ٤٣/٢٩، سير أعلام النبلاء ٢٧٠/٦، ميزان الاعتدال ٢٠١/٤، العبر ٢٨٧/١، تاريخ ابن خلدون ١١٥/٤، تهذيب التهذيب ٣٣٩/١٠، طبقات الشعراني ٣٨/١، شذرات الذهب ٣٠٤/١.

ومن بدائع كراماته: ما حكاه ابن الجوزي^(١)، والرّامهزمزي عن شقيق البلخي رضي الله عنه: أنه خرج حاجاً، فرآه بالقادسيّة منفرداً عن الناس، فقال في نفسه: هذا فتى من الصّوفيّة يُريد أن يكون كلاً على الناس، لأوبّخته، فمضى إليه فقال: يا شقيق ﴿أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّكَ بَعْضُ الظَّنِّ إِنَّ﴾ [الحجرات: ١٢] فأراد أن يُعانيقهُ فغاب عن عينه، ثمّ رآه بعد ذلك على بئرٍ قد سقطت ركوتهُ فيها، فدعا فطف الماء حتى أخذها، فتوضأ وصلّى، ثم مال إلى كُثيبٍ من الرّمْلِ فطرح منه فيها، وشرب، فقلتُ له: أطعمني ممّا رزقك الله، فقال: يا شقيق، لم تزل أنعمُ الله علينا ظاهراً وباطناً، فأحسِن ظنك برّبك، فناولنيها، فشربتُ، فإذا هو سويقٌ وسكّر^(٢)، فأقمتُ أيّاماً لا أشتهي شراباً ولا طعاماً، ثم لم أره إلاّ بمكّة وهو بغلمان وغاشية^(٣)، وأمورُهُ على خلاف ما كان عليه في الطّريق.

ولمّا حجّ الرّشيدُ سعيّ به إليه، وقيل له: إنّ الأموال تُحمَلُ إليه من كلّ جانبٍ حتّى أنّه اشترى ضيعةً بثلاثين ألفَ دينارٍ، فقال له الرّشيدُ حين رآه جالساً عند الكعبة: أنت الذي يُبايعك الناسُ سرّاً؟ فقال له: أنا إمامُ القلوبِ، وأنتُ إمامُ الجُسومِ.

ولمّا اجتمعَا أمامَ الوجهِ الشّريفِ، قال الرّهيدُ: السّلامُ عليك [يا رسول الله] يا ابنَ عمّ [افتخاراً على مَنْ حوله]. فقال الكاظمُ: السّلامُ عليك يا أبتى^(٤). فلم يَحتمِلها، فحملهُ الرّشيدُ إلى بغدادٍ مُقيّداً وحبسه، فلم يَخْرُجْ من حَبسه إلاّ مُقيّداً ميّتا مسموماً.

* * *

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٨٥.

(٢) في المطبوع: سويق ولبن وسكر.

(٣) في صفة الصفوة ٢/ ١٨٥: فإذا له حاشية وأموال.

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من تاريخ بغداد ٣١/١٣، وتتمة الخبر فيه: فتغيّر وجهه هارون، وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً.

(١٨٦) ميمون بن مهران (*)

ميمون بن مهران، الحكيم اليقظان، المكرم بالمعرفة والعرفان، عالم أهل الجزيرة، كان حميد السيرة، سديد^(١) السريرة، وقد قيل: إن التصوف اعتقاد^(٢) السريرة، واحتمال الجريرة.

وهو كاتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

ومن كلامه العذب الوجيز: لا تتخذوا القرآن بضاعة تحترفون بها، اطلبوا الدنيا بالدنيا، والآخرة بأعمالها.

وقال: كراهة الرجل المعصية أثقل في ميزانه من كثرة الطاعة مع ميله للمعاصي.

وقال: حصلوا قوتكم، ثم أغلقوا عليكم بيوتكم.

وقيل له: إن قوماً يقولون: نعد في بيوتنا ويرزقنا الله، فقال: هؤلاء حنقى، هذا لا يصح إلا لمن له يقين كيقين إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

وقال: من أراد أن يعلم منزلته عند الله فليُنظر في عمله؛ فإنه قادم على عمله كائناً ما كان.

(*) طبقات ابن سعد ٤٧٧/٧، طبقات خليفة ٣١٩، تاريخ خليفة ٣٤٧، التاريخ الكبير ٣٣٨/٧، التاريخ الصغير ٣١٩/١، الجرح والتعديل ٢٣٣/٨، الثقات لابن حبان ٤١٧/٥، حلية الأولياء ٨٢/٤، طبقات الشيرازي ٧٧، صفة الصفوة ٩٣/٤، المختار من مناقب الأخيار ٣٧٩/ب، مختصر تاريخ دمشق ٦٠/٢٦، تهذيب الكمال ٢١٠/٢٩، سير أعلام النبلاء ٧١/٥، تذكرة الحفاظ ٩٨/١، العبر ١٤٧/١، تاريخ الإسلام ٨/٥، البداية والنهاية ٣١٤/٩، تهذيب التهذيب ٣٩٠/١٠، طبقات الحفاظ ٣٩، طبقات الشعراني ٤٠/١، شذرات الذهب ١٥٤/١.

(١) في المطبوع: شديد.

(٢) في حلية الأولياء ٨٢/٤: اعتقال.

وقال : إن استطعت أن لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه فافعل .
وقال : أدركت السلف وهم إذا رأوا رجلاً راكباً ورجلاً يتبعه قالوا : قاتله
الله، جبار .

وقال : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبته
شريكه .

^(١) وقال : التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان جائر ، وشريك شحيح .

وقال : من وقع في ظلم أحد وأراد أن يتحلل من مظلمته ، فلم يقدر ،
فليستغفر الله دبر كل صلاة ؛ فإنه يخرج من مظلمته إن شاء الله تعالى ^(١) .

وقال : من رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور ^(٢) .

أسند الحديث عن : ابن عباس ، وغيره .

مات سنة ست أو سبع عشرة ومئة عن نحو ثمانين سنة .

خرج له مسلم ، والأربعة .

* * *

(١٨٧) ماجدة بنت عبد الله العدوية القرشية ^(*)

العابدة الزاهدة ، تسكن البحرين ، كان الغالب عليها قصر الأمل .

ومن كلامها :

سكان دار نودي فيهم بالرحيل ، وهم في لهوهم يلعبون ، كأن المراد

(١-١) ما بينهما من المطبوع .

(٢) كذا بالأصول ، وفي المختار من مناقب الأخيار ، بمختصر تاريخ دمشق ٦٦/٢٦ ،
وتهذيب الكمال ٢٢١/٢٩ : من رضي من صلة الإخوان بلا شيء ، فليؤاخ أهل
القبور .

(*) صفة الصفوة ٧٤/٤ ، المختار من مناقب الأخيار ١٢/١ ، طبقات الشعراني ٦٦/١ ،
الدر المنثور ٤٨١ . وفي (ب) : البدوية بدل القرشية .

غَيْرُهُمْ، وَالنَّدَاءَ لَيْسَ فِيهِمْ، وَالْمَعْنَى سِوَاهُمْ، يَالِهَا مِنْ عُقُولٍ مَا أَنْقَصَهَا!
وَجَهَالَةَ مَا أْتَمَّهَا! ^(١) بُؤْساً لِأَهْلِ الْمَعَاصِي، مَاذَا غَرَّوْا بِهِ مِنَ الْإِمْهَالِ
وَالِاسْتِدْرَاجِ.

وقالت: بَسَطُوا آمَالَهُمْ، وَأَضَاعُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَوْ نَصَبُوا الْآجَالَ، وَطَوَّوْا
الْأَمَالَ، خَفَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَعْمَالُ ^(١).

وقالت: لَوْ رَأَتْ أَعْيُنُ الزَّاهِدِينَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ الْإِعْرَاضِ مِنَ الدُّنْيَا لَذَابَتْ
أَنْفُسُهُمْ شَوْقاً إِلَى الْمَوْتِ، لِيَنَالُوا مَا أَمَلَوْهُ مِنْ فَضْلِهِ.

وقالت: مَا نَالَ الْمُطِيعُونَ مَا نَالُوا مِنْ رِضَا الرَّحْمَنِ، وَحُلُولِ الْجِنَانِ، إِلَّا
بَتَعَبِ الْأَبْدَانِ لِلَّهِ، وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِهِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرِهِ.

وقالت: كَفَى الْمُؤْمِنِينَ طَوْلُ اهْتِمَامِهِمْ بِالْمَعَادِ شُغْلًا.

وقالت: طَوَى أَمَلِي طُلُوعَ الشَّمْسِ وَغُرُوبُهَا، فَمَا مِنْ حَرَكَةٍ تُسْمَعُ، وَمَا مِنْ
قَدَمٍ تُوَضَعُ ^(٢) إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ فِي أَثْرِهَا.

* * *

(١٨٩) مُعَاذَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيَّةُ الْبَصْرِيَّةُ ^(*)

زَوْجَةُ صِلَةَ بْنِ أَشِيمٍ، كَانَتْ زَاهِدَةً.

رَوَتْ عَنْ: عَلِيِّ، وَعَائِشَةَ، وَهَشَامِ بْنِ عَامِرٍ ^(٣) الْأَنْصَارِيِّ.

(١-١) ما بينهما من المطبوع.

(٢) في (أ) و (ب): قدر.

(*) طبقات ابن سعد ٨/٤٨٣، الثقات لابن حبان ٥/٤٦٦، حلية الأولياء ٢/٢٣٩، صفة
الصفوة ٤/٢٢، تهذيب الكمال ٣٥/٣٠٨، سير أعلام النبلاء ٤/٥٠٨، تاريخ
الإسلام ٣/٣٠٣، العبر ١/١٢٢، ٢٥٢، مرآة الجنان ١/٢١١، تهذيب التهذيب
١٢/٤٥٢، طبقات الشعراني ١/٦٥، شذرات الذهب ١/١٢٢، أعلام النساء
٥/٦٠. وفي الأصول المصرية، والتصحيح من مصادر ترجمتها.

(٣) في الأصول: وهشام وعامر، والمثبت من تهذيب الكمال ٣٥/٣٠٨.

وعنها: قَتَادَةَ، وَالجَزْمِي، وَأَيُوبَ، وَغَيْرُهُمْ.

خَرَجَ لَهَا الْجَمَاعَةُ، وَوَثَّقَهَا ابْنُ مَعِينٍ.

وكانت إذا جاء النَّهَارُ قالت: لَعَلِّي أَمُوتُ الْيَوْمَ، فلا تَنَامُ حَتَّى تُمَسِيَ، وإذا جاء اللَّيْلُ قالت: لَعَلِّي أَمُوتُ اللَّيْلَةَ فلا تَنَامُ حَتَّى تُصْبِحَ، وإذا غَلَبَهَا النَّوْمُ قامَتْ فجالَتْ في الدَّارِ وهي تَقُولُ: يا نَفْسُ اصْبِرِي، النَّوْمُ أَمَامَكَ في القَبْرِ.

وكانت إذا جاء البَرْدُ لِبَسَتِ الثِّيَابَ الرَّقَاقَ حَتَّى يَمْنَعَهَا البَرْدُ مِنَ النَّوْمِ.

وكانت تقولُ: عَجِبْتُ لَعَيْنِ تَنَامُ وقد عَرَفَتْ طُولَ الرُّقَادِ في ظِلْمَةِ القُبُورِ.

وكانت أَرْضَعَتْ أُمَّ الأَسْوَدِ العَدَوِيَّةَ، فقالت لها: لا تُفْسِدِي رِضَاعِي بِأَكْلِ الحَرَامِ؛ فَإِنِّي جَهِدْتُ جَهِدِي حِينَ أَرْضَعْتِكِ حَتَّى في أَكْلِ الحَلالِ^(١)، فاجتَهدي أَلَّا تَأْكُلِي إِلَّا حَلالًا، لَعَلَّكَ أَنْ تُوقِّفِي لخدمَةِ سَيِّدِكَ والرِّضَا بقضائه.

وكان وِرْدُها في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ سِتِّ مِئَةِ رَكْعَةٍ، ولم تَرَفَعْ بَصَرَهَا لِلسَّمَاءِ أَرْبَعِينَ عَامًا.

قال ثابتُ البُنانيُّ رضي اللهُ عنه: كان صِلَةُ بِنِ أَشِيمِ رَحِمِهِ اللهُ في مَغزَى، ومعه ابنٌ له، فقال: أَيُّ بَنِي، تَقَدَّمَ فقاتِلْ، لأَحْتَسِبُكَ. فحَمَلَ فقاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فاجتَمَعَتِ النِّسَاءُ عِنْدَ أُمِّه مُعَاذَةَ، فقالت: مُرَحِبًا، إِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِتُهَنِّئِنِّي فَمَرَحِبًا، وَإِنْ كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِغَيْرِ ذَلِكَ فارْجِعْنَ.

ولَمَّا ماتَ زَوْجُها لم تَتَوَسَّدْ فِرَاشًا بَعْدَهُ حَتَّى ماتَتْ.

ماتَتْ في أوائلِ القَرْنِ الثَّانِي رضي اللهُ عنها.

ولَمَّا احتَضِرَتْ بَكَتْ، ثم ضَحِكَتْ، فقليلٌ لها فيه، فقالت: أَمَّا البُكاءُ فلمفارقةِ العِبادةِ، وَأَمَّا الضَّحِكُ فنظرتُ إلى أَبِي الصَّهْبَاءِ - تعني زَوْجَها - وقد أَقْبَلَ في صَحْنِ الدَّارِ وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ خَضِرَاوَتَانِ، فضحكتُ إليه.

* * *

(١) كذا في الأصل، وفي صفة الصفوة: ٣٢/٤: حتى أكلت الحلال.

(١٨٩) مريم المصرية (*)

العابدة الزاهدة، كانت تخدم رابعة العدوية رضي الله عنها، وكانت إذا سمعت علوم المحبة طاشت، فحضر^(١) بعض المذكورين^(٢) فتكلم في المحبة، فماتت حالاً في المجلس.

ومن كلامها: ما اهتممت بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ سمعت قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

* * *

(١٩٠) موفقة (**)

ويقال: موفقة الموصليّة، كانت من أكابر الصوفيّة. حكى فتح الموصلي رضي الله عنه أنها عثرت فسقط إبهامها، فضحك، فقيل لها: يسقط إبهامك وتضحكين؟ فقالت: حلاوة ذكره أزالته عن قلبي مرارة وجعه.

* * *

(١٩١) ميمونة السوداء (***)

المجنونة العاقلة، قال عبد الواحد بن زيد^(٣): سألت الله ثلاث ليالٍ أن

(*) صفة الصفوة ٤/٣٢، وفي (ف) و (خ): البصرية.

(١) في صفة الصفوة: فحضرت.

(٢) كذا في الأصول المذكورين، والمثبت من صفة الصفوة.

(**) صفة الصفوة ٤/١٩١.

(***) حلية الأولياء ٦/١٥٨، عقلاء المجانين ١٢٩، صفة الصفوة ٣/١٩٥، المختار من

مناقب الأخيار ٤١٣/ب، روض الرياحين ١٠١ (الحكاية ٢٧).

(٣) تنسب هذه القصة لأكثر من رجل، ففي عقلاء المجانين صفحة ١٢٩ صاحبها إبراهيم بن أدهم، وبه أيضاً صفحة ١٢٤ صاحبها بلال بن جماعة، وفي روض =

يُرِينِي رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ قَائِلًا يَقُولُ: رَفِيقُكَ فِي الْجَنَّةِ مَيْمُونَةُ السَّوْدَاءِ .
 قُلْتُ: وَأَيْنَ هِيَ؟ قَالَ: بِالْكُوفَةِ. فَخَرَجْتُ، فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقِيلَ: هِيَ تَرعى
 غَنِيمَاتِنَا. فَتَبِعْتُهَا فَإِذَا هِيَ تُصَلِّي وَعَلَيْهَا جُبَّةٌ صُوفِيَّةٌ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: لَا تُبَاعُ
 وَلَا تُشْتَرَى. وَإِذَا الْغَنَمُ مَعَ الذَّنَابِ، فَلَا الذَّنَابُ تَأْكُلُ الْغَنَمَ، وَلَا الْغَنَمُ تَخَافُ
 الذَّنَابَ، فَلَمَّا رَأَتْنِي قَالَتْ: ارْجِعْ يَا ابْنَ زَيْدٍ، لَيْسَ الْمَوْعِدُ هُنَا، إِنَّمَا الْمَوْعِدُ
 ثُمَّ.

فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنِّي ابْنُ زَيْدٍ؟ قَالَتْ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ «الْأَرْوَاحَ جُنُودَ
 مُجَنَّدَةً فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ»^(١). فَقُلْتُ: عِظْنِي. فَقَالَتْ: وَاعْجِبَاهُ لَوْاعِظِ
 يُوعِظُ! ثُمَّ قَالَتْ: يَا ابْنَ زَيْدٍ، إِنَّكَ لَوْ وَضَعْتَ مَعَايِيرَ الْقِسْطِ عَلَى جَوَارِحِكَ
 لَخَبَّرْتُكَ بِمَكْنُونِ مَا فِيهَا، يَا ابْنَ زَيْدٍ، بَلَّغْنِي أَنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ أُعْطِيَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا
 فَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا إِلَّا سَلَبَهُ اللَّهُ حُبَّ الْخَلْوَةِ مَعَهُ؛ وَبَدَّلَهُ بَعْدَ الْقُرْبِ بُعْدًا، وَبَعْدَ
 الْأُنْسِ وَخَشَّةً، فَقُلْتُ: أَرَى هَذِهِ الذَّنَابَ مَعَ الْغَنَمِ، فَلَا الْغَنَمُ تَفْرَعُ مِنَ الذَّنَابِ،
 وَلَا الذَّنَابُ تَأْكُلُ الْغَنَمَ، فَأَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، إِنِّي أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِي، فَأَصْلَحَ بَيْنَ الذَّنَابِ وَالْغَنَمِ.

* * *

(١٩٢) مَيْمُونَةُ السَّوْدَاءِ

العابِدةُ المَصْرِيَّةُ، وَهِيَ غَيْرُ تِلْكَ، لَهَا كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا
 نَزَعَتْ ثِيَابَهَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا الطُّيُورُ تَتَبَّرُكَ بِلِقْطِ هَوَامِهَا.
 مَاتَتْ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَدُفِنَتْ بِالْقَرَّافَةِ بِقُرْبِ قَبْرِ أَشْهَبِ رَحِمَةَ اللَّهِ تَعَالَى
 عَلَيْهَا.

* * *

= الرياحين صفحة ٢٢٧ (الحكاية ١٤٦) صاحبها الربيع بن خيثم.
 (١) رواه البخاري ٣٦٩/٦ (٣٣٣٦) في الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ومسلم
 (٢٦٣٨) في البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة.

(حرف النون)

(١٩٣) النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ (*)

أبو حنيفة، الإمامُ البارِع، البَدْرُ السَّاطِع، وُلِدَ سَنَةَ ثَمَانِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ بِالْكُوفَةِ، وَنَشَأَ بِهَا ثُمَّ نَقَلَهُ الْمَنْصُورُ إِلَى بَغْدَادَ، فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ.

وهو إمامُ أهلِ الْعِرَاقِ؛ الْمُقَدَّمُ فِي الْفِقْهِ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ بِالِاتِّفَاقِ، الْمُنْتَشِرُ مَذْهَبُهُ فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ، الْمَعْرُوفُ بِالْوَرَعِ وَحُسْنِ الْأَخْلَاقِ، الْمَشْهُورُ بِالصِّيَانَةِ وَطَيْبِ الْأَعْرَاقِ، صَاحِبُ السَّبْقِ وَالتَّقَدُّمِ، وَالْحِفْظِ وَالتَّفْهِيمِ، وَالْإِشَارَاتِ اللَّطِيفَةِ، وَالِاسْتِنْبَاطَاتِ الْبَدِيعَةِ الظَّرِيفَةِ، «الْفَقِيهُ الْقَوِيُّ، سَالِكُ السَّمْتِ الْمَرْضِيِّ، بِالْعِلْمِ الْوَاضِحِ الْمُضِيِّ، وَالْحَالِ الزَّائِكِيِّ الرَّضِيِّ، التَّارِكُ لِتَكْلِيفِ الْأَثْقَالِ، الْمُعْتَنِقُ لِتَكْلِيفِ الْوَاجِبِ مِنَ الْأَثْقَالِ، وَقَدْ قِيلَ: التَّصَوُّفُ: تَطَهُّرٌ مِنْ تَكْدُرٍ، وَتَشْمُرٌ فِي تَبَدُّرٍ»^(١).

وكان من أعبَدِ الزُّهَّادِ، وَأَزْهَدِ الْعُبَّادِ، يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ صَلَاةً وَبُكَاءً وَتَضَرُّعاً وَابْتِهَالاً.

(*) طبقات ابن سعد ٦/٦٣٨، ٧/٣٢٢، طبقات خليفة ١٦٧، ٣٢٧، التاريخ الكبير ٨/٨١، التاريخ الصغير ٢/٤١، ٩٣، ضعفاء العقيلي ٤/٢٦٨، الجرح والتعديل ٨/٤٤٩، المجروحين لابن حبان ٣/٦١، الكامل لابن عدي ٧/٥، تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣، جامع الأصول ١٥/٤٣٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٨١/أ، وفيات الأعيان ٥/٤٠٥، تهذيب الكمال ٢٩/٤١٧، سير أعلام النبلاء ٦/٣٩٠، تاريخ الإسلام ٦/١٣٥، تذكرة الحفاظ ١/١٦٨، ميزان الاعتدال ٤/٢٦٥، مرآة الجنان ١/٣٠٩، البداية والنهاية ١٠/١٠٧، تهذيب التهذيب ١٠/٤٤٩، النجوم الزاهرة ٢/١٢، طبقات الشعراني ١/٥٢، شذرات الذهب ١/٢٢٧.

(١-١) ما بينهما من المطبوع.

ورأى في أوّل أمره أنّه نبشَ قبرَ المُصطفى ﷺ، فسأل ابن سيرين^(١) فقال: صاحبُ هذه الرؤيا يُثِيرُ علماً لم يسبقه إليه أحدٌ.

ودخل يوماً على المنصورِ، فقال: هذا عالمُ الدنيا اليوم.

وقال النَّضرُ بنُ شَمَيْلٍ: كان النَّاسُ نياماً عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة رضي الله عنه بما بينه ولخصه.

وكان في زمنه أربعة من الصحابة: أنس، وابن أبي أوفى، وسهل بن سعد، وأبو الطفيل^(٢).

قال الثوريُّ رضي الله عنه: ولم يأخذ عن أحدٍ منهم.

وكان أحمدُ رضي الله عنه إذا ذكره بكى، وترحم عليه.

وأكرهه المنصورُ على القضاء، فأبى فحبسه حتى مات بالسجن، وكان كلُّ قليلٍ يُخرجه فيهدّده ويتوعّده فيقول: والله، ما أنا مأمونٌ في الرضا، فكيف في السُّخط؟ هكذا حكاها بعضهم في سبب موته، ولكن في «تاريخ الشام» ما نصّه: أخرج أبو الشيخ في «التاريخ» بسنده عن زُفر، قال: كان أبو حنيفة رضي الله عنه يجهز أيام إبراهيم بالكلام جهراً^(٣)، فأقول له: ما ترضى إلا أن توضع الجبال في أعناقنا. فلم يلبث أن جاء كتاب المنصور؛ بأن يُحمّل إلى بغداد، فغدوت إليه أودّعه وهو على بغلته، وقد اسودَّ وجهه حتى صار كأنه

(١) كذا في الأصل، وفي تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٥: فبعث من سأل له محمد بن سيرين.

(٢) في الأصل: ابن أبي الطفيل.

(٣) قال ابن حجر الهيثمي في «الخيرات الحسان» صفحة ٦٨: قيل: الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة، وإنما السبب في ذلك أن بعض أعداء أبي حنيفة دس إلى المنصور أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم الخارج عليه بالبصرة، فخاف خوفاً شديداً، ولم يقر له قرار، وأنه قواه بمال كثير، فخشي المنصور من ميله إلى إبراهيم لأنه - أعني أبا حنيفة - كان وجيهاً ذا مالٍ واسع من التجارة، فطلبه لبغداد، ولم يجسر على قتله بغير سبب، فطلب منه القضاء مع علمه بأنه لا يقبله؛ ليتوصل بذلك إلى قتله.

مَسْحٌ^(١)، فَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ، فَعَاشَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، سَقَاهُ، فَقَتَلَهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِئَةَ ا.هـ.

وَكَانَ حَسَنَ الْوَجْهِ، طَيِّبَ الرَّيْحِ، كَرِيمَ النَّفْسِ، يُعَرَفُ بِطَيِّبِ الرَّيْحِ إِذَا أَقْبَلَ فِي ظِلَامٍ.

وَكَانَ يُسَمَّى الْوَتْدَ؛ لِكَثْرَةِ تَهْجُدِهِ قَائِمًا، وَلَمْ يُفِطِرْ مِنْذُ ثَلَاثِينَ، وَصَلَّى خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بَوْضُوءٍ وَاحِدٍ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النَّاسُ عِيَالٌ عَلَيْهِ فِي الْفِقْهِ.

وَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، فَإِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ فِي الْفِقْهِ انْفَتَحَ وَسَالَ كَالْوَادِي.

وَكَانَ عَظِيمَ الْأَمَانَةِ، يُؤَثِّرُ رِضَا اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَوْ أَخَذَتْهُ السُّيُوفُ فِي اللَّهِ لاحتَمَلَهَا.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: مَا سَمِعْتُهُ يَغْتَابُ عَدُوًّا لَهُ قَطُّ، وَلَا يَكَادُ يُسْأَلُ حَاجَةً إِلَّا قَضَاهَا.

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِأَبِي يَوْسُفَ: صِفْ لِي أَخْلَاقَهُ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] هُوَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ، كَانَ شَدِيدَ الذَّبِّ عَنِ الْمَحَارِمِ أَنْ تُؤْتَى، شَدِيدَ الْوَرَعِ أَنْ يَنْطِقَ فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ، يُحِبُّ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى؛ طَوِيلَ الصَّمْتِ، دَائِمَ الْفِكْرِ، عَلَى عِلْمٍ وَاسِعٍ، لَمْ يَكُنْ مِهْذَارًا وَلَا ثَرثارًا، إِنْ سُئِلَ بَدُولًا لِلْعِلْمِ وَالْمَالِ، مُسْتَغْنِيًا بِنَفْسِهِ عَنِ النَّاسِ، لَا يَذْكُرُ أَحَدًا إِلَّا بِخَيْرٍ. فَقَالَ الرَّشِيدُ لِكَاتِبِهِ: اكْتُبْ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

وَاخْتَلَطَتْ غَنَمُ الْكُوفَةِ بِغَنَمِ الْبَادِيَةِ، فَسَأَلَ: كَمْ تَعِيشُ الشَّاةُ؟ قَالُوا: سَبْعَ سِنِينَ. فَتَرَكَ أَكْلَ اللَّحْمِ سَبْعَ سِنِينَ^(٢).

وَكَانَ خَزَازًا يَشْتَرِي الْخَزَّ الْخَامَ، وَيَقْصِرُهُ وَيَبِيعُهُ، فَفَتَحَ غُلَامُهُ رِزْمَةَ خَزٍّ،

(١) فِي (ب): كَانَهُ مَسْحٌ.

(٢) الْخَبْرُ فِي «الْخَيْرَاتِ الْحَسَانِ» صَفْحَةَ ٨: تَرَكَ لَحْمَ الْغَنَمِ لَمَّا فَقَدَتْ شَاةً فِي الْكُوفَةِ إِلَى أَنْ عِلِمَ مَوْتَهَا، لِأَنَّهُ سَأَلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا تَعِيشُ... فَتَرَكَ أَكْلَ لَحْمِهَا سَبْعَ سِنِينَ تَوْرَعًا مِنْهُ لِاحْتِمَالِ أَنْ تَبْقَى تِلْكَ الشَّاةُ الْحَرَامَ فَيَصَادَفُ أَكْلَ شَيْءٍ مِنْهَا فَيُظْلَمَ قَلْبُهُ... .

فإذا الأحمرُّ أحمر، والأصفرُّ أصفر، فقال: نسألُ اللهَ الجنَّةَ. فبكى أبو حنيفة رضي الله عنه حتى اختلجَ صُدغاه، وقال: مثلنا يسألُ اللهَ الجنَّةَ؟ إنما نسألُ العَفْوَ.

وكان لا يَقْعُدُ في ظلِّ شجرةٍ مَنْ له عليه دينٌ، ويقولُ: «كُلُّ قَرْضٍ جَرٌّ نَفْعاً فهو رباً»^(١).

وكان جيرانه يسمعونَ بكاءَهُ بالليلِ فيرحمونهُ.

وختَمَ القرآنَ في المحلِّ الذي مات فيه سبعةَ آلافِ مرَّةٍ.

وسُئِلَ: أيُّهُما أفضلُ الأسودُ أو علقمة؟ فقال: والله ما نحنُ بأهلٍ أن نذكرَهم، فكيف نفاضلُ بينهم؟

وقال: جالستُ النَّاسَ خمسِينَ سنةً فما وجدتُ مَنْ عَفَرَ لي ذنباً، ولا وَصَلَنِي حينَ قَطَعْتُهُ، ولا سَتَرَ عَلَيَّ عَوْرَةً.

وقال: لو لم يكن من صفةِ الدُّنيا إلا أنَّ الحَقَّ يُعَصَى فيها لكفى في بُغْضِهَا.

وقال: لا يَنْبَغِي أن يُتْرَكَ القاضي على القضاءِ أكثرَ من سنة.

وقال: مَنْ هَانَ عَلَيْهِ فرجُهُ هَانَ عَلَيْهِ دينُهُ.

وقال: إذا تكلَّمَ العَبْدُ بما عَلِمَ فلا إثمَ عَلَيْهِ، وإنَّما الإثمُ في الظَّنِّ.

وقال: لا يَنْبَغِي لِمَنْ لا يَعْلَمُ دَلِيلِي أن يُفْتِيَ بكلامي.

وقال: ليس في الدُّنيا أقلُّ من فقيهٍ وَرِعٍ.

وقال: مَنْ طَلَبَ الرِّياسَةَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أوانِهِ لم يَزَلْ في ذُلِّ ما بَقِيَ في طولِ زَمَانِهِ.

وقال: غَوْغَاءُ النَّاسِ هُمُ الْقَصَّاصُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بَوَغْظِهِمُ الدُّنْيَا.

(١) قال المؤلف رحمه الله في «فيض القدير» ٢٨/٥: رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» عن علي أمير المؤمنين. قال السخاوي: إسناده ساقط. وأقول: فيه سوار بن مصعب. قال الذهبي: قال أحمد، والدارقطني: متروك.

وقال له رجلٌ: إني أُحِبُّكَ. قال: وما يَمْنَعُكَ، ولستَ بجارٍ لي، ولا ابنِ عَمٍّ.

ورئي بعدَ موته، فقيلَ له: ما فعلَ بك؟ قال: غفرَ لي. قيلَ: بالعلم؟ قال: هيهات، إنَّ للعلمِ شُروطاً قلَّما يخلُصُ منها، بل بقولِ النَّاسِ فيَّ ما ليسَ فيَّ.

وقال اللَّخميُّ: كنتُ أَستهي أن أرى أبا حَنيفةَ رضي اللهُ عنه في النَّومِ، فرأيتُهُ، فقلتُ: ادعُ لي. قال: بماذا؟ قلتُ: بالجنَّة. قال: على شرطٍ. قلتُ: وما هو؟ قال: تتركُ مُلازمةَ النَّاسِ إلَّا في طلبِ العلمِ، قلتُ: قد فعلتُ. قال: ولكَ ذلك.

ومن كراماته:

أنَّهُ لمَّا ماتَ شريحُ القاضي رحمه اللهُ طُلبَ هو، والثوريُّ، وصِلَّةٌ، وشريكٌ للقبضاء، فقال: أمَّا سُفيانُ فيهرب، وأمَّا أنا فأحبُّسُ، وأمَّا صِلَّةٌ فيتَحَايَلُ ويتخلَّصُ، وأمَّا شريكٌ فيقع. فكانَ كما قال.

ولمَّا منَعَهُ المنصورُ من الإفتاءِ سألتُهُ بنتُهُ ليلًا عن الدَّمِ الخارجِ من بينِ الأسنانِ هل يُنْقِضُ الوضوءَ؟ فقال: سَلِي عَمِّي^(١) حَمَادًا، فَإِنَّ الخَلِيفَةَ مَنَعَنِي أن أفتي، ولم أكنُ ممَّن يَخُونُ إمامَهُ بالغيبِ.

ماتَ سنةَ خَمسين ومئة رضي اللهُ تعالى عنه.

* * *

(١) في (ب): عمك.

(حرف الهاء)

(١٩٤) هارون بن رثاب الأسدي (*)

المُخْفِي لَزُهْدِهِ، الْمُؤَفِّي لِعَهْدِهِ، كَانَ يَسْرُدُ الصَّوْمَ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ تَحْتَ ثِيَابِهِ.

وكان يقول: أوحى الله إلى بعض أنبيائه أن أخبر قومك أنهم عمروا بنيانهم؛ وخرّبوا قلوبهم، وسَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ كما يسمُّنُ الجزورُ ليومِ نحرٍ، فنظرْتُهُمْ فقلّوْتُهُمْ، فدعوني فلم أستجب لهم.

أسند الحديث عن عدّة من الصّحابة منهم أنس.

* * *

(١٩٥) هَرَمُ بِنِ حَيَّانٍ (**)

هَرَمُ بِنِ حَيَّانٍ، الْهَائِمُ الْحَيْرَانُ، الصَّائِمُ الْعَطْشَانُ، عَاشَ فِي حُبِّهِ مُحْتَرِقًا وَلِهَانًا، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّصَوُّفَ: الْإِحْتِرَاقُ حَذْرًا مِنَ الْإِفْتِرَاقِ، وَالِاسْتِيَابُ لِدَارِ الْإِسْتِيَابِ.

(*) طبقات ابن سعد ٧/٢٤٤، التاريخ الكبير ٨/٢١٩، الجرح والتعديل ٩/٨٩، ثقات ابن حبان ٧/٥٧٨، حلية الأولياء ٣/٥٥، تهذيب الكمال ٣٠/٨٢، سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٣، تاريخ الإسلام ٥/١٦٩، تهذيب التهذيب ١١/٤، وتحرف في الأصل إلى رباب.

(**) الزهد لأحمد ٣٣١، طبقات ابن سعد ٧/١٣١، طبقات خليفة ١٩٨، تاريخ خليفة ١٤١، ١٥٩، التاريخ الكبير ٨/٢٤٣، المعارف ٤٣٥، الجرح والتعديل ٩/١٠، ثقات ابن حبان ٥/٥١٣، حلية الأولياء ٢/١١٩، الاستيعاب ٤/١٥٣٧، صفة الصفوة ٣/٢١٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٨٩/أ، أسد الغابة ٥/٥٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٧/٧٥، سير أعلام النبلاء ٤/٤٨، تاريخ الإسلام ٣/٢١١، الإصابة ترجمة (٨٩٤٧)، النجوم الزاهرة ١/١٣٢، طبقات الشعرا ١/٢٩، وهو من رجال الطبقة الأولى فقد ذكر ابن تعزى بردي في النجوم الزاهرة ١/١٣٢ وفاته سنة ٤٦ للهجرة.

كَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَزُهَّادِهِمْ وَمُحَدِّثِيهِمْ .
وُلِدَ لِسِتَيْنِ ، وَقَدْ نَبَتَتْ ثَنَائِيَاهُ فَسُمِّيَ هَرِمًا .

ومن كلامه :

أَخْرِجُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ حُبَّ الدُّنْيَا تَدْخُلُهَا الآخِرَةُ .
وقال : عَلَيْكُمْ بِقِلَّةِ الكَلَامِ ؛ فَإِنَّ المُتَكَلِّمَ إِمَّا أَنْ يُقَصِّرَ فِيخْصِمَ ، أَوْ يُبَالِغَ
فِيأَثَمَ .

وكان إذا أكثر أهلُه الضَّحِكَ أمرهم بالصَّلَاةِ .
وقال : لو قِيلَ لِي إِنِّي مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، لَمْ أَدَعِ العَمَلَ لئَلَّا تَلُومَنِي نَفْسِي ،
فتقول : أَلَا فَعَلْتَ أَلَا صَنَعْتَ ؟

وقال : ما أَثَرَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ حَكِيمٌ ، وَلَا عَصَى اللهُ كَرِيمٌ .
ولَمَّا مَاتَ أَتَتْ سَحَابَةٌ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَظَلَّلَتْ سَرِيرَهُ ، فَلَمَّا دُفِنَ رَشَّتْ عَلَى
القَبْرِ ، وَلَمْ تُصِبْ مَا حَوْلَهُ ، وَنَبَتَ عَلَيْهِ العُشْبُ فِي يَوْمِهِ .

* * *

(حرف الواو)

(١٩٦) وَكَيْعُ بْنُ الْجِرَّاحِ الرَّؤَاسِيُّ^(*)

الكوفيُّ الصُّوفيُّ المُحدِّثُ، كان إماماً في صناعته، كاملاً في براعته، فصيحاً في عبارته، مليحاً في إشارته، من رؤوس الزُّهاد، وأكابر العُباد.

قال أحمدُ بن حنبل رضي الله عنه: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، [و] لو رأيتَ^(١) وَكَيْعاً رأيتَ عَجَباً؛ رأيتَ رجلاً لم ترَّ عيناك مثله قطُّ.

حجَّ أربعين حجَّةً، وربطَ في عبَّادان أربعين ليلةً، وتصدَّق بأربعين ألفاً، وروى أربعة آلاف حديثٍ، وما رؤي واضعاً جنبه بالأرض أربعين سنةً.

ومن كلامه: ما بقي الآن زهدٌ في الدنيا يصيحُ؛ لأنَّ الزهد لا يكون إلا في حلالٍ، والحلالُ فُقد، فأنزلوا الدنيا منزلة الميثة، وخذوا منها ما يُقيمكم.

وقال: طريقُ القومِ بضاعةٌ لا يرتفعُ فيها إلا صادقٌ.

(*) طبقات ابن سعد ٦/٣٩٤، تاريخ خليفة ٤٦٧، طبقات خليفة ١٧٠، التاريخ الكبير ٨/١٧٩، التاريخ الصغير ٢/٢٥٦، المعارف ٥٠٧، الجرح والتعديل ٩/٣٧، الثقات لابن حبان ٧/٥٦٢، حلية الأولياء ٨/٣٦٨، تاريخ بغداد ١٣/٤٩٦، الأنساب ٦/١٧٤، المنتظم ٥/١٩، ٤١، صفة الصفوة ٣/١٧٠، جامع الأصول ١٥/٤٧٤، المختار من مناقب الأخيار ٣٨٦/ب، تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٤٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٦/٢٩٢، تهذيب الكمال ٣٠/٤٦٢، سير أعلام النبلاء ٩/١٤٠، تذكرة الحفاظ ١/٣٠٦، العبر ١/٣٢٤، ميزان الاعتدال ٤/٣٣٥، تاريخ الإسلام ١/١٢٤، تهذيب التهذيب ١١/١٢٣، النجوم الزاهرة ٢/١٥٣، طبقات الشعراني ١/١٦٣، شذرات الذهب ١/٣٤٩.

(١) ما بين معقوفين مستدرك من الحلية ٨/٣٦٨.

وقال: مَنْ تهاوَنَ بالتكبيرِ الأولى فاغسلْ يَدَيْكَ منه .

وقال: الدُّنْيَا حَلالٌ وَحَرَامٌ وَشُبُهَاتٌ، فَالْحَلالُ حِسابٌ، وَالْحَرَامُ عَذابٌ،
وَالشُّبُهَاتُ عِتَابٌ^(١)، فَأَنْزِلْهَا مَنْزِلَةَ المِيتَةِ .

وقال: إِنَّمَا العاقِلُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ أمرَهُ، لیس مَنْ عَقَلَ أمرَ دُنْياهِ .

قال ابنُ مَعین: له من المَصنَّفاتِ ما لا يُعَدُّ، وَمَنْ مِثْلُ وَكیعِ فِي العِلْمِ
وَالحِفْظِ وَالحِلْمِ مع خُشوعٍ وَوَرَعٍ وَزُهْدٍ؟

وَكانَ یصومُ الدَّهْرَ، وَیختَمُ القرآنَ كُلَّ لیلَةٍ، وَكانَ إذا آذاهُ رَجُلٌ رَفَعَ التُّرابَ
عَلی رَأْسِهِ، وَقال: لولا ذَنْبِي لَمَّا سُلِّطَ عَلَيَّ . ثمَّ یأخُذُ فِي الاستِغْفارِ .

ماتَ راجِعاً من الحَجِّ سَنَةً سَبْعٍ وَتسَعینَ وَمئةً عَن سِتِّ وَستینَ سَنَةً .

أَسنادُ الحَدِيثِ عَن: الأعمشِ، وَهشامِ بنِ عروَةَ، وَسفيانِ الثَّورِيِّ، وَخَلْقٍ .
وَعنهُ: أحمدُ بنُ حنبلٍ، وَابنُ راهويهِ، وَآخرونَ .

خَرَجَ لَهُ الجَماعَةُ السُّتَّةُ .

* * *

(١٩٧) وَهَبُ بنِ مُنْبِهٍ (*)

العالمُ العَلِيمُ، العابِدُ الحَلِيمُ، صاِحِبُ الكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَالأنفاسِ الطَّاهِرَةِ
الصَّادِقَةِ، الحافِظُ أبو عبدِ الله الصَّنْعانِي، عالِمُ أَهْلِ اليَمَنِ .

(١) فِي الأُصولِ: عِقابٌ . وَالمُشَبَّهُ مِنَ الحَلِيَةِ ٨ / ٣٧٠ .

(*) الزُّهْدُ لأحمدَ ٣٧١، طَبقاتُ ابنِ سَعَدٍ ٥ / ٥٤٣، تارِيخُ خَلِيفَةِ ٣٤٠، طَبقاتُ خَلِيفَةِ ١٨٧ .
التارِيخُ الكَبيرُ ٨ / ١٦٤، المَعارِفُ ٤٥٩، الجَرَحُ وَالتَعْدِيلُ ٩ / ٢٤، ثَقاتُ ابنِ حبانَ ٥ / ٥١٧ .
حَلِيَةُ الأولِياءِ ٤ / ٢٣، طَبقاتُ الشيرازِيِّ ٧٤، الأَنسابُ ١ / ١٢٢، صَفَةُ الصَّفوةِ ٢ / ٢٩١،
جامعُ الأُصولِ ١٥ / ٤٧٩، المَخْتارُ مِنَ مَنابِ الأَخيارِ ٣٨٤ / ب، مَعجمُ الأَدبائِ ١٩ / ٢٥٩،
تَهذِيبُ الأَسْماءِ وَاللِغاتِ ٢ / ١٤٩، وَفِياتُ الأَعْيانِ ٦ / ٣٥، مَخْتَصِرُ تارِيخِ دِمَشقَ ٢٦ / ٣٨٥،
تَهذِيبُ الكَمالِ ٣١ / ١٤٠، سِيرُ أَعْلامِ النَبِلاءِ ٤ / ٥٤٤، تَذَكُّرَةُ الحِفاظِ ١ / ١٠٠، تارِيخُ
الإِسلامِ ٥ / ١٤، مِيزانُ الاعتِدالِ ٤ / ٣٥٢، البَدائَةُ وَالنِهايَةُ ٩ / ٢٧٦، تَهذِيبُ التَهذِيبِ
١١ / ١٦٦، طَبقاتُ الحِفاظِ ٤١، طَبقاتُ الشِعْرائِي ١ / ٤٠، شَذراتُ الذَّهَبِ ١ / ١٥٠ .

وُلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ، وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ بِحَيْثُ لَمْ يَضَعْ جَنْبَهُ عَلَى الْأَرْضِ
ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَأَخَذَ عَنِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ^(١)، وَغَالِبُ أَخِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

صَارَ مِنْ أَكْبَارِ الزُّهَّادِ، وَرؤوسِ الْعُبَّادِ، وَكَانَ جَدُّهُ أَحَدَ أَكْأَسِرَةِ مُلُوكِ
الْفُرسِ، وَكَانَ مَوْلِدُ وَهْبٍ وَمَنْشُؤُهُ بِصَنْعَاءَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ حِمَيْرٍ، وَرَأَتْ فِي
النُّومِ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ، أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا مِنْ ذَهَبٍ، فَأَوَّلَ بَوْلِهِ عَظِيمِ الشَّانِ.

وَكَانَ فَصِيحًا^(٢) بَلِيغًا لَا يُجَارَى وَلَا يُبَارَى، وَكَانَ وَاعِظًا يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ،
وَكَانَ مَقْصُودًا لِأَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ.

وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ^(٣) قَامَ وَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَلَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ.

وَكَانَ ذَا هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ، صَلَّى الصُّبْحَ بِوَضُوءِ الْعِشَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَكَانَ يَكْرَهُ الْقِيَّاسَ فِي الدِّينِ، وَيَقُولُ: أَخَافُ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَقْيِسَ، فَتَزِلَّ
قَدَمُهُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا.

وَقَالَ: إِذَا تَعَلَّمَ الشَّرِيفُ الْعِلْمَ تَوَاضَعَ، وَإِذَا تَعَلَّمَهُ الْوَضِيعُ تَكَبَّرَ.

وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْمَحْ لِعَدُوِّهِ بِالْمَالِ احْتِجَاجَ لِقِتَالِهِ.

وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالتَّكْسِبِ؛ فَإِنَّهُ مَا افْتَقَرَ أَحَدٌ إِلَّا رَقَّ دِينُهُ، وَقَلَّ عَمَلُهُ^(٤)،
وَذَهَبَتْ مُرُوئُهُ، وَاسْتُخِفَّتْ بِهِ.

وَقَالَ: الْبَلَاءُ لِلْمُؤْمِنِ كَالشَّكَالِ لِلدَّابَّةِ.

وَقَالَ: إِنَّ لِلْعِلْمِ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ الْمَالِ.

وَقَالَ: خُلِقَ ابْنُ آدَمَ أَحْمَقًا، وَلَوْلَا حُمْقُهُ مَا هَتَأَهُ عَيْشٌ.

(١) كذا في المطبوع، وهو في (أ) و (ب) و (ف): أبي حنيفة. ووهب بن منبه لم يأخذ عن
ابن الحنفية، فلم تذكر كتب الرجال ذلك ولا عن أبي حنيفة، ولعل الاسم محرف عن
أبي خليفة البصري. انظر تهذيب الكمال ٣١/١٤٠.

(٢) في (أ): وكان عظيمًا.

(٣) دامت خلافة عبد الله بن الزبير تسع سنين من عام ٦٤ حتى ٧٣ للهجرة.

(٤) في (أ) و (ب): علمه.

وقال له رجلٌ: شَتَمَكَ فلانٌ. فقال: أما وجدَ إبليسُ رجلاً يُرسلُهُ لي غيرَكَ؟

وقال: قرأتُ نيفاً وسبعينَ كتاباً من الكُتُبِ الإلهيَّةِ، فوجدتُ فيها كُلُّها: مَنْ وَكَّلَ إلى نَفْسِهِ شيئاً من المَشِيئَةِ فقد كَفَرَ، يا ابنَ آدمَ ما قُمتَ لي بما يَجِبُ عَلَيْكَ، أَذْكَرُكَ وَتَنسَانِي، وَأَدْعُوكَ وَتَفِرُّ مِنِّي، خَيْرِي إِلَيْكَ نَازِلٌ، وَشَرُّكَ إِلَيَّ صَاعِدٌ.

وقال: في التَّوراةِ علامةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ أن يُخَاصِمَهُ قَوْمُهُ الْأَقْرَبُ فالأقربُ.

وقال: مَنْ كانت بَطْنُهُ وادياً من الأوديةِ كيفَ يَصُحُّ له زُهْدٌ في الدُّنيا؟^(١)

وقال: العِلْمُ كالغَيْثِ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حُلُوقاً صَافِياً فَتَشْرِبُهُ الشَّجَرُ بِعُرُوقِهَا، فَتَحَوُّلُهُ عَلَى قَدْرِ طُعُومِهَا، فَيَزِدَادُ الْمُرُّ مَرَارَةً، وَالْحُلُو حَلَاوَةً، فَكَذَا الْعِلْمُ يَحْفَظُهُ الرَّجَالُ فَتَحَوُّلُهُ عَلَى قَدْرِ هِمَمِهَا وَأَهْوَائِهَا، فَيَزِيدُ الْمُتَكَبِّرُ تَكَبُّراً، وَالْمُتَوَاضِعُ تَوَاضِعاً.

وقال: ابنُ آدمَ، إِنَّمَا بَطْنُكَ بَحْرٌ مِنَ الْبُحُورِ وَلَا يَمْلؤها إِلَّا التُّرابُ، فَارْضَ بِالذُّونِ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَرْضَ بِالذُّونِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَعَ الدُّنْيَا.

وقال: إِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ بِالْعَبْدِ الصَّالِحِ الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ.

وقال: مَا تَخَلَّقَ عَبْدٌ بِخُلُقٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ طَبِيعَةً فِيهِ.

وقال: الدُّنْيَا غَنِيمَةُ الْأَكْيَاسِ، وَحَسْرَةُ الْحَمَقِيِّ.

وقيلَ له: فَلانٌ بَلَغَ مِنَ الْعِبَادَةِ مَا عَلِمْتَ، ثُمَّ رَجَعَ، قَالَ: لَا تَعْجَبْ مِمَّنْ يَرْجِعُ، وَلَكِنْ مِمَّنْ يَسْتَقِيمُ.

وقال: مَنْ بَكَى عَلَى ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا ضَحِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَبِالْعَكْسِ^(٢).

وقال: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَسْرِعْ النَّاسَ مَروراً عَلَى الصَّرَاطِ الَّذِينَ يَرْضُونَ بِحُكْمِي، وَالسَّتُّهُمْ رَطْبَةً مِنْ ذِكْرِي.

(١) الخبر ليس في (ب).

(٢) الخبر ليس في (أ) ولا في (ب).

وقال : من أعظم الذنوب بعد الشرك السُّخْرِيَّةُ بالنَّاسِ .

وقال : مَنْ تَعَبَّدَ زِدَادَ قُوَّةً ، وَمَنْ كَسَلَ زِدَادَ وَهْنًا .

وقال : الإيمانُ عريانٌ ، وثوبُهُ التَّقْوَى ، وزينتهُ الحَيَاءُ .

وقال : علامةُ الخوفِ طاعةُ الله ، وَمَنْ يَعَصِهِ ثُمَّ يَزْعُمُ مَحَبَّتَهُ فَقَدْ كَذَبَ .

وقال : الاعتمادُ على مَنْ يَمُوتُ كَالِاسْتِنَادِ إِلَى بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

وقال : ما يَنْفَعُ التَّدْبِيرُ إِذَا خَالَفَ التَّقْدِيرُ .

وقال : لَأَنْ تَضْحَكُ وَأَنْتَ مُعْتَرِفٌ بِخَطِيئَتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَبْكِي وَأَنْتَ مُدَلٌّ بِعَمَلِكَ ، فَإِنَّ الْمُدَلََّ لَا يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ قَطُّ .

وقال : دخولُ الجمَلِ في سَمِّ الخِيَاطِ أَيْسَرُ مِنْ دُخُولِ الأَغْنِيَاءِ الْجَنَّةِ .

وقال : مَنْ جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمِهِ فَزَعَّ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ .

وقال : التقى ملكان في السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : إِلَى أَيْنَ ؟
قال : أُمِرْتُ بِسُوقِ حَوْتٍ مِنَ الْبَحْرِ اشْتَهَاهُ فَلَانُ الْيَهُودِيِّ . وقال الآخر : أُمِرْتُ
بِأَهْرَاقِ زَيْتٍ اشْتَهَاهُ فَلَانُ الْعَابِدِ ، قال الغزالي^(١) رحمه الله : وهذا تنبيهٌ على أن
تيسيرَ أسبابِ الشَّهَوَاتِ ليس من علاماتِ الخَيْرِ .

وقال : فِي الأَلْوَاحِ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٤٥] يَا مُوسَى اعْبُدْنِي ، وَلَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَإِنَّهُمْ خَلَقِي ، وَأَنَا إِذَا أُشْرِكُ بِي غَضِبْتُ ، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ ، وَاللَّعْنَةُ تُدْرِكُ الْوَلَدَ الرَّابِعَ ، وَإِذَا أُطِعْتُ رَضِيتُ ، وَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ ، وَالبَرَكَةُ تُدْرِكُ الأُمَّةَ بَعْدَ الأُمَّةِ .

وقال : قال عيسى عليه الصلاة والسلام : بِقَدْرِ مَا تَحْرَثُ الأَرْضَ تَلِينُ ، وَبِقَدْرِ مَا تَتَوَاضَعُونَ تُرْحَمُونَ .

وقال : فِي بَعْضِ الكُتُبِ : ابْنُ آدَمَ ، لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجْلِكَ لَزَهَدْتَ

(١) إحياء علوم الدين ٩٢/٣ في كسر الشهوتين ، باب بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن .

في طولٍ ما تَرَجُو مِن أملك، وقصرت من حرصك، وابتغيت الزيادة في عملك؛ وإنما تلقى الندم وقد زلت لك القدم، وأسلمك الأهل والحشم، وانصرف عنك الحبيب، وأسلمك القريب. فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد، فاعمل ليوم القيامة، يوم الحسرة والندامة.

وقيل له: بم زهدت في الدنيا؟ قال بحرفين قرأتهما في التوراة: يا من لا يستتم سروره يومين، يا من لا يأمن على روحه طرفة عين، الحذر الحذر. أسند الحديث عن عدة من الصحابة.

ومات بصنعاء سنة أربع عشرة ومئة، وقيل: عشرين ومئة، عن نحو ثمانين سنة.

وكان يُشبهه كعب الأحماس في زمانه.

روى عن: ابن عباس، وغيره.

وخرَّج له الجماعة سوى ابن ماجه.

* * *

(١٩٨) وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ الْمَكِّيُّ الْمَخْزُومِيُّ (*)

الْوَرَعُ التَّقِيُّ، الضَّرْعُ الْوَفِيُّ، ظَفَرَ بِالْخَيْرِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الضَّيْرِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّصُوفَ: الْأَنِينُ مِنَ الْوَضِيعِ، وَالْحَنِينُ إِلَى الرَّفِيعِ.

وكان رأساً في الزهد، وسبب زهده أنه بينما هو واقفٌ ببطن الوادي إذا برجلٍ أخذ بمنكبيه، وقال: يا وهيب، خف الله لقدرتك عليك، واستحي منه لقربك منك. فالتفت فلم يرَ أحداً.

(*) طبقات ابن سعد ٤٨٨/٥، التاريخ الكبير ١٧٧/٨، الجرح والتعديل ٣٤/٩، مشاهير علماء الأمصار ١٤٨، الثقات لابن حبان ٥٥٩/٧، حلية الأولياء ١٤٠/٨، صفة الصفوة ٢/٢١٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٨٧/أ، تهذيب الأسماء واللغات ١٤٩/٢، تهذيب الكمال ١٦٩/٣١، سير أعلام النبلاء ١٩٨/٩، تاريخ الإسلام ٣١٥/٦، العبر ٢٢٢/١، العقد الثمين ٤١٧/٧، تهذيب التهذيب ١٧٠/١١، شذرات الذهب ٢٣٦/١.

وقال بشر رحمه الله : أربعة وفقهم الله بطيب المطعم ؛ وهيب ، وابن أدهم ،
وابن أسباط ، والخواص .
ومن كلامه :

إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَسْبِقَكَ أَحَدٌ إِلَى اللَّهِ فَافْعَلْ .

وقال : عجباً للعالم عجباً كيف تُجيبُهُ دَوَاعِي قَلْبِهِ إِلَى الضَّحْكِ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ
لَهُ فِي الْقِيَامَةِ رَوْعَاتٍ وَوَقْفَاتٍ وَفَزَعَاتٍ ؟!

وقال : لَا يَجِدُ طَعْمَ الْعِبَادَةِ مِنْ يَعْصِي ، وَلَا مِنْ هَمٍّ بِمَعْصِيَةٍ .

وقال : البناء الذي لا سرف فيه ما سترك من الشمس ، وأكثك^(١) من المطر .

وقال : لَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ فِي كَثْرَةِ الْعَمَلِ ، بَلْ فِي إِحْكَامِهِ وَتَحْسِينِهِ ؛ فَإِنَّ
الْعَبْدَ قَدْ يُصَلِّي وَهُوَ يَعْصِي فِي صَلَاتِهِ .

وقال : الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَيْسَّرَ عَلَى مَا فَاتَكَ ، وَلَا تَفْرَحَ بِمَا آتَاكَ .

وقال : احذر أن تكون صديق إبليس في السرِّ ، وتظهر عداوته في العلانية .

وقال : بينما أنا في الطَّوَّافِ إِذَا بامرأةٍ فِيهِ تَقُولُ : يَا رَبُّ ، ذَهَبَتِ اللَّذَاتُ
وَبَقِيَتِ التَّبَعَاتُ ، يَا رَبُّ ، سُبْحَانَكَ ، وَعَزَّتْكَ إِنَّكَ لِأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، يَا رَبُّ ،
مَالِكٌ عَقُوبَةٌ إِلَّا النَّارُ ؟^(٢) فَقَالَتْ صَاحِبَةٌ لَهَا : أَيَا أُخْتَيْهِ ، دَخَلَتْ بَيْتَ رَبِّكَ الْيَوْمَ ؟
قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَرَى قَدَمِيَّ أَهْلًا لِلطَّوَّافِ حَوْلَ بَيْتِ رَبِّي ، فَكَيْفَ أَرَاهُمَا أَهْلًا أَنْ
أَطَأَ بِهِمَا بَيْتَ رَبِّي فِي الْعِلَانِيَةِ ؟^(٣) .

ومن كراماته :

أَنَّهُ كَانَ يَشْتَهِي الشَّيْءَ فَيَجِدُهُ فِي بَيْتِهِ فِي إِنَاءٍ قَدْ كُفِيَ عَلَيْهِ .

وكان له سويقٌ في جِرَابٍ ، فخرقته الفأرةُ ، فقال : اللَّهُمَّ ، اخزها^(٣) ، فقد

(١) في المطبوع : وأكفك . وفي (أ) : الفكر . والمثبت من (ف) والحلية ١٥٢ / ٨ .

(٢) ما بينهما من المطبوع فقط . ونهاية الخبر في الحلية ١٥٠ / ٨ : أطأ بهما بيت ربي ؟ وقد علمت حيث مشتا ، وإلى أين مشتا .

(٣) في (ب) أخرجها .

أفسدت علينا . فخرجت فاضطربت بين يديه حتى ماتت .
وكان سُفيان الثوري رضي الله عنه يستفيدُ منه ، ويُجلِّه ، وإذا فرغَ يُحدِّثُ (١)
بالمسجد الحرام ، قال : قوموا بنا إلى الطيب .
أسند عن عدّة من التابعين .
ومات سنة ثلاثٍ وخمسين ومئة .
وخرَجَ له مُسلم ، وأبو داود ، والنَّسائي .

* * *

(١) كذا في الأصول ، وفي تهذيب الكمال ١٧١ / ٣١ : إذا حدّث الناس وفرغ من الحديث ،
قال : . . .

(حرف الياء المشناة تحت)

(١٩٩) يحيى بن أبي كثير (*)

يحيى ابن أبي كثير الرّاوي، الخبير الواعي، البصير الطّائي^(١) اليمامي، أحدُ الأعلام الكبار المشاهير، كان ذا بصيرٍ وهُدَى، واجتهادٍ وتُقَى، وكرمٍ وسخا، وقد قيل: إِنَّ التَّصُوفَ: السخاءُ والوفاء، وسلوكُ طريقِ المصطفى ﷺ.

ومن كلامه:

ميراثُ العلم خيرٌ من ميراثِ الذهب.

وقال: ليس شيءٌ من الأهواء أخوفَ على هذه الأمة من الإرجاء.

وقال: العلماءُ كالملح، هو صلاحُ كلِّ شيءٍ، فإذا فسَدَ لم يُصلحْه شيءٌ،

فينبغي أن يوطأ بالأقدام.

وقال: لا يُعجبك حلمُ رجلٍ حتى يَغْضَبَ، ولا أمانتهُ حتى يَطْمَعَ؛ فإنَّكَ

لا تدري على أيِّ شقيه تقع.

وقال: ثلاثٌ لا تكونُ في بيتٍ إلا نزعَت منه البركة: السرفُ، والزنا،

والخيانة.

(*) طبقات ابن سعد ٥/٥٥٥، طبقات خليفة ٢١٥، التاريخ الكبير ٨/٣٠١، التاريخ الصغير ٢/٢٨، ضعفاء العقيلي ٤/٤٢٤، الجرح والتعديل ٩/١٨٢، ثقات ابن حبان ٧/٥٩١، حلية الأولياء ٣/٦٦، صفة الصفوة ٤/٧٥، جامع الأصول ١٥/٥٥٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٠/ب، تهذيب الكمال ٣١/٥٠٤، سير أعلام النبلاء ٦/٢٧، تذكرة الحفاظ ١/١٢٨، ميزان الاعتدال ٤/٤٠٢، العبر ١/٢٣٧، تاريخ الإسلام ٥/١٧٩، تهذيب التهذيب ١١/٢٦٨، شذرات الذهب ١/١٧٦.

(١) في (أ) و (ب): الطاوي.

وقال : يُفسدُ النَّمَامُ في ساعةٍ ما لا يُفسدُهُ السَّاحِرُ في شهرٍ .

وقال : قال سُليمانُ بن داودَ عليهما الصَّلَاةُ والسَّلَامُ : إِيَّاكَ والنَّمِيمَةُ ، فَإِنَّهَا أَحَدُ مِنَ السَّيْفِ ، وَإِيَّاكَ وَغَضَبَ الْمَلِكِ الظُّلُومِ ؛ فَإِنَّهُ الْمَوْتُ ، وَإِيَّاكَ وَالْمِرَاءَ فَإِنَّ نَفْعَهُ قَلِيلٌ ، وَيَهْيِجُ الْعِدَاوَةَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ .

وقال عنه : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَغِيظَ عَدُوَّكَ فَلَا تَبْعِدْ عَصَاكَ عَنِ ابْنِكَ .

وقال عنه : لَا تُكْثِرِ الْغَيْرَةَ عَلَى أَهْلِكَ ، وَلَمْ تَرَ مِنْهَا سِوَاءَ أَهْلِ فُتْرَمَى بِالشَّرِّ مِنْ أَجْلِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْهُ بَرِيَّةً .

وقال عنه : مَا أَقْبَحَ الْفَقْرَ بَعْدَ الْغِنَى ! وَأَقْبَحَ الْخَطِيئَةَ مَعَ الْمَسْكِنَةِ ^(١) ! وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ عَابِدٌ تَرَكَ عِبَادَتَهُ .

وقال : عَلَيْكَ بِخَشْيَةِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهَا غَلَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ .

وقال : مَنْ عَمِلَ بِالسُّوءِ فَبِنَفْسِهِ بَدَأَ .

وقال : لَا تَقْطَعْ ^(٢) أَمْرًا حَتَّى تُشَاوَرَ مُرْشِدًا ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَيْهِ ^(٣) .

وقال : عَلَيْكَ بِالْحَبِيبِ الْأَوَّلِ فَإِنَّ الْآخَرَ لَا يَعْدِلُهُ .

وقال : لَا تَعْجَبْ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ ، بَلْ إِعْجَبْ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا ؟ يَا بَنِي ، لَا غِنَى أَفْضَلَ مِنْ صِحَّةِ جَسْمٍ ، وَلَا نَعِيمَ أَفْضَلَ مِنْ قَرَّةِ عَيْنٍ .

وقال : يَا بَنِي ، إِنْ مِنْ عَيْشِ السُّوءِ نَقَلْنَا مِنْ مَنْزِلٍ إِلَى مَنْزِلٍ .
أَسْنَدَ عَنْ عِدَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ .

* * *

(١) في (أ) : بعد المسكنة .

(٢) في الحلية ٣ / ٧١ : تتطعن .

(٣) في (ب) تندم عليه .

(٢٠٠) يحيى بن سعيد القطان البصري (*)

يحيى بن سعيد القطان، أحدُ الأئمةِ الأعلام، كان رأساً في العلم والعمل، وافرأ في الزهد والورع، نافراً عن الشبه والبدع، مُعرضاً عن العَرَض، مشغولاً بما هو مَسْنُونٌ ومُفْتَرَضٌ.

وناهيك بقولِ أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ما رأْتُ عيناى مثله قطُّ.

وقال غيره: إمامُ أهلِ زمانه حفظاً وورعاً، وزهداً وتَصَوُّفاً.

وكان يقف بين يديه أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وابنُ مَعِين، وابنُ المَدِيني رضي الله عنه يَسْأَلُونه عن الحديثِ هيبَةً له وإِعْظاماً.

وأقام^(١) أربعين سنة يَخْتَمُ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، ولم يَفْتِه الزَّوالُ في المَسْجِدِ أربعين سنةً.

ومن كراماته:

أنَّهُ رُئي قبلَ موته بعشرِ سنين مكتوباً على قميصه: بسم الله الرحمن الرحيم، براءةٌ ليحيى بن سعيد^(٢).

وُبُشِّرَ بأمانٍ من الله تعالى يوم القيامة.

مات سنة ثمان وتسعين ومئة.

(*) طبقات ابن سعد ٢٩٣/٧، تاريخ خليفة ٤٦٨، طبقات خليفة ٢٢٥، التاريخ الكبير ٢٧٦/٨، التاريخ الصغير، ٢٥٨/٢، المعارف ٥١٤، تاريخ أبي زرعة (انظر الفهرس)، الجرح والتعديل ١٥٠/٩، مشاهير علماء الأمصار ترجمة (١٢٧٨)، ثقات ابن حبان ٦١١/٧، حلية الأولياء ٣٨٠/٨، تاريخ بغداد ١٣٥/١٤، الأنساب ١٨٤/١٠، صفة الصفوة ٣/٣٦٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٠/أتهذيب الأسماء واللغات ١٥٤/٢، تهذيب الكمال ٣١/٣٢٩، سير أعلام النبلاء ٩/١٧٥، تذكرة الحفاظ ١/٢٩٨، العبر ١/٣٢٧، ميزان الاعتدال ٤/٣٨٠، تهذيب التهذيب ١١/٢١٦ شذرات الذهب ١/٣٥٥. وسيترجم له المؤلف مرة أخرى في طبقاته الصغرى صفحة ٦٢٨/٤.

(١) في (أ): مكث.

(٢) في تاريخ بغداد ١٤٢/١٤: هذا كتاب براءة من الله ليحيى بن سعيد...

(٢٠١) يزيد بن عبد الله بن الشخير (*)

أخو مُطَرَّف من مشايخ أهل البصرة، وعلمائهم، وصوفيتهم، له في العبادة ذكرٌ مشهور، وكلامه وإن قلَّ مذكور.

فمما حُفِظَ عنه أنه قيل له: ألا نسقفُ مَسْجِدَنَا؟ فقال: أصلحوا قلوبكم يكفيكم^(١).

مات سنة ثمان ومئة على الأصح.

أسند حديثاً كثيراً، وخرَّج له الجماعة.

* * *

(٢٠٢) يزيد بن أبان الرَّقَاشِي (**)

يزيد بن أبان الرَّقَاشِي، العالمُ الباكي، الصائمُ الظَّامي، وقد قيل: التَّصَوُّفُ: تَحْمُلٌ لِلتَّخَفُّفِ، وَتَذَبُّلٌ لِلتَّشْرِفِ.

(*) طبقات ابن سعد ٧/١٥٥، تاريخ خليفة ٣٣٨، طبقات خليفة ٢٠٨، التاريخ الكبير للبخاري ٨/٣٤٥، التاريخ الصغير ١/٢١٧، المعارف ٤٣٦، الجرح والتعديل ٩/٢٧٤، ثقات ابن حبان ٥/٥٣٢، حلية الأولياء ٢/٢١٢، صفة الصفوة ٣/٢٣٢، أسد الغابة ٥/١١٦، جامع الأصول ١٥/٥٦٧، تهذيب الكمال ٣٢/١٧٥، سير أعلام النبلاء ٤/٤٩٣، تاريخ الإسلام ٤/٢١٢، العبر ١/١٣٣، تهذيب التهذيب ١١/٣٤١، الإصابة ترجمة (٩٤٤٥)، النجوم الزاهرة ١/٢٧٠، شذرات الذهب ١٣٥/١.

(١) في المطبوع، و (ب) و (ف) يكفيكم في مسجدكم.

(**) طبقات ابن سعد ٧/٢٤٥، طبقات خليفة ٢١٤، التاريخ الكبير ٨/٣٢٠، التاريخ الصغير ١/٣٤٣، ضعفاء العقيلي ٤/٣٧٣، الجرح والتعديل ٩/٢٥١، المجروحين لابن حبان ٣/٩٨، الكامل لابن عدي ٧/٢٥٧، حلية الأولياء ٣/٥٠، صفة الصفوة ٣/٢٨٩، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٣/أ مختصر تاريخ دمشق ٢٧/٣١٠، تهذيب الكمال ٣٢/٦٤، ميزان الاعتدال ٤/٤١٨، تاريخ الإسلام ٥/١٨٣، تهذيب التهذيب ١١/٣٠٩.

جَوَّعَ نفسه ستين سنة^(١) حتى ذبلَ بدنه، وتغيَّرَ لونه، وكان يقول: غلبتني بطني، فما أقدرُ على حيلةٍ.

وقال: إن المُتجوِّعين لله يومَ القيامة في الرَّعيلِ الأوَّلِ.

وقال: خذوا الكلمة^(٢) الطَّيِّبَةَ ممَّن قالها، وإن لم يعمل بها.

وقال: إنَّما سُمِّيَ نوحٌ نوحاً لطولِ ماناخٍ على نفسه.

أسندَ الحديثَ عن أنسٍ، وغيره.

مات سنة تسعٍ وعشرين ومئة.

* * *

(٢٠٣) اليمان أبو معاوية الأسود^(*)

العارفُ الأَمجد، نَزِيلُ طَرَسُوس، صالحٌ كثيرُ الاجتهاد، غزيرُ الارتباع والارتباد، مُلازماً للتهجُّدِ والتلاوة والاعتكاف، مُتَّصفاً بما للأولياء من الكراماتِ والأوصاف، العابدُ الزاهد، كان للبصرِ فاقداً، وللخير سائراً وناقداً. ومن كراماته العليَّة المِقدار:

أنَّه كان أعمى إذا أرادَ القراءة^(٣) في المصحف، ونشره ليقراً أبصر، فإذا ردَّ المصحفَ عادَ له العمى^(٤).

واستطال عليه رجل فقال^(٥): اللّهُمَّ، اغفرْ لي الذنبَ الذي سلطته عليَّ به.

(١) في (أ) و (ب): جوع نفسه سنين. والخبر في حلية الأولياء ٣/ ٥٠، وتهذيب الكمال ٧٠/ ٣٢.

(٢) في المطبوع: الحكمة.

(*) حلية الأولياء ٨/ ٢٧١، صفة الصفوة ٤/ ٢٧١، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٣/ أ،

مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ١٦١، سير أعلام النبلاء ٩/ ٧٨، طبقات الشعراني ١/ ٦٢.

(٣) في المطبوع: كان إذا أراد القراءة.

(٤) في (أ) و (ب) و (ف): أراد القراءة أبصر، فإذا رد المصحف ذهب بصره.

(٥) في المطبوع: وكان إذا آذاه رجل قال.

وكان يَلْقَطُ الخِرْقَ من المَزَابِلِ، فَيَلْفِقُهَا^(١) ثم يَسْتَرُّ بِهَا، ويقول: أماننا اللُّبْسُ في دارِ البقاءِ.
ومن كلامه:

بادرْ قبلَ نزولِ ما تُحاذِرُ، وقدمْ صالحَ الأعمالِ، ودعْ عنك كثرةَ الإشتغالِ.
وقال: من كانتِ الدُّنيا أكبرَ همِّه طالَ في القيامةِ غمُّه.

وقال: إن كنتَ تُريدُ لنفسك الجزيلَ فلا تنمِ اللَّيْلَ، ولا تَقِيلِ^(٢).
وقال: إخواني كلُّهم خيرٌ مِنِّي؛ لأنَّ كلَّهم^(٣) يرى الفضلَ لي على نفسه،
ومن فَضَّلني على نفسه فهو خيرٌ مِنِّي.

وقال: من خافَ ما بين يديه ضاقَ في الدنيا ذرعه، ومن خافَ الوعيدَ لهي من الدُّنيا عمَّا يُريدُ.

وقال: الصبرُ مِلاكُ الأمرِ، وفيه أعظمُ الأجرِ، فاجعلْ ذكرَ الله تعالى من أجلِّ شأنك.

* * *

(٢٠٤) يوسف بن أسباط^(*)

يوسف بن أسباط، ذو الجدِّ والنشاطِ، والسَّبْقِ إلى الصِّراطِ، وهو أحدُ مشايخِ الطَّرِيقِ، المشهورين بالتَّحقيقِ، كان صاحبَ تعبُّدٍ وأقوالِ، وتجرُّدٍ

(١) في الأصول: فيطبقها. والمثبت من صفة الصفوة ٢٧٣/٤، والمختار من مناقب الأخيار، ومختصر تاريخ دمشق ١٦٢/٢٩.

(٢) في حلية الأولياء ٢٧٢/٨: فلا تنامن من الليل إلا القليل.

(٣) في (أ) لأن كلاً منهم.

(*) تاريخ ابن معين ٦٨٤، التاريخ الكبير ٣٨٥/٨، التاريخ الصغير ٢٤٢/٢، ضعفاء العقيلي ٤٥٤/٤، الجرح والتعديل ٢١٨/٩، مشاهير علماء الأمصار (١٤٩٠) ثقات ابن حبان ٦٣٨/٧، الكامل لابن عدي ١٥٧/٧، حلية الأولياء ٢٣٧/٨، صفة الصفوة ٢٦١/٤، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٥/ب، سير أعلام النبلاء ١٦٩/٩، ميزان الاعتدال ٤٦٢/٤، تهذيب التهذيب ٤٠٧/١١ طبقات الشعراني ٦١/١.

وتنشك وأحوال، ونظام يضرم نار غريم^(١) الغرام، وكلام يُبرئ ما بالقلوب من الكلام.

سمع وروى، وما ضلَّ عن طريقِ القومِ ولا غوى، نعم، وكان العلم والخوف شعارته، والتخلي من فضول الدنيا دثاره، وقد قيل: إنَّ التَّصَوُّف: التخلي للتراقي، والتجلي بالتلاقي^(٢).

وكان شديدَ المُجاهدةِ لنفسه، يصومُ النَّهارَ، ويقومُ الليلَ، ويأكلُ من عمل يده في الخوص.

وله مواعظٌ وحكمٌ عليَّةُ المقدار، وكان من المُحدِّثين الأَخيار.

أخذَ عن: سفيان الثوري رضي الله عنه، وزائدة، ومُحَلِّ^(٣) بن خليفة رضي الله عنهما.

وعنه: المُسيَّب بن واضح، وعبد الله بن خُبَيْق^(٤) الأنطاكي وغيرهما. وكان يكون بالثغر.

ومن كلامه:

اصبر تحت ما قَدَّرَ عليك، فإنه قلما فرَّ إنسانٌ من شرِّ إلا وقع في أشرِّ منه، انظروا إلى عيسى عليه الصَّلَاةُ والسلام لما فرَّ من خضوع بني إسرائيل له، وهرب إلى البرية عبده من دون الله تعالى، فكان مكثه بينهم أولى.

وقال: من قرأ القرآن ثم مال إلى الدنيا اتَّخذ آياتِ الله هُزواً ولعباً.

وقال: لا يكون العالمُ عالماً حتى يكون خيراً أعماله أضرَّ عليه من ذنوبه.

وقال: إياكم ولذَّة إقبالِ النَّاسِ عليكم؛ فإنَّها مُصيبة.

وقال: لا تفرح بما أقبلَ، ولا تأسف على ما أدبر.

(١) في المطبوع: عظيم.

(٢) في الحلية ٢٣٧/٨: التحلي للتراقي، والتخلي للتلاقي.

(٣) في الأصول مغلد بن خليفة، والمثبت من كتب الرجال.

(٤) في (أ) و (ب) و (ف): عبد الله بن حسن الأنطاكي. وفي المطبوع: عبد الله بن الأنطاكي

والمثبت من الجرح والتعديل ٤٦/٥. وانظر ترجمته صفحة ٦٧٦ في هذا الجزء.

وقال: التواضع ألا ترى أحداً إلا رأيتُهُ خيراً منك .

وقال: الدنيا جيفةٌ، من أرادها فليصبرْ على مخالطة الكلاب^(١) .

وقال: خلقَ اللهُ القلوبَ مساكنَ للذِّكرِ فصارتْ مساكنَ للشَّهواتِ، ولا يمحو الشَّهواتِ منها إلا خوفٌ مُزعجٌ، أو شوقٌ مُقلقٌ .

وقال: أدركتُ أقواماً فساقاً كانوا أشدَّ إبقاءً^(٢) على مُرورِهم من قرءاء هذا الزمان على دينهم .

ونظر إلى رجلٍ بيده دفترٌ، فقال: تزيّنوا بما شئتم، فلن يزيدكم اللهُ إلا اتضاعاً .

وقال: اعمل عملَ رجلٍ لا يُنجيه إلا عمله، وتوكلْ توكلَ رجلٍ لا يُصيبُهُ إلا ما كُتِبَ له .

وقال: قلت لوكيع رضي الله عنه: ربّما عرضَ لي بالليلِ شيءٌ فداخِلني رُعبٌ . فقال: من خافَ اللهُ خافَ منه كلُّ شيءٍ . فما خفتُ بعدها شيئاً .

وقال: من دعا لظالمٍ بالبقاء فقد أحبَّ أن يُعصى اللهُ .

وقال: انتبه من رقدة الموتى، وشمِّرِ للسباق؛ فإنَّ الدُّنيا ميدانُ السابقين^(٣)، ولا تَغترَّ بمن أظهرَ التُّسكَّ، وتشاغلَ بالوصفِ، وتركَ العملَ بالموصوف .

وقال الزُّهدُ في الرياسة أشدُّ من الزُّهدِ في الدنيا .

وقال: يُرزقُ الصَّادقُ ثلاثة: الحلاوة، والملاحة، والمهابة .

وأُتي بباكورةٍ فقَبَّلها، ووضعها بين يديه، ثم قال: إنَّ الدُّنيا لم تُخلقْ لينظَرَ إليها، بل لينظَرَ بها إلى الآخرة .

(١) القول لعلِّي بن أبي طالب رواه يوسف بن أسباط عنه حلية الأولياء ٢٣٨/٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٦/أ .

(٢) في الأصول: بغياً. والمثبت من حلية الأولياء ٢٣٩/٨ .

(٣) في (أ): المتسابقين .

وقال : العلمُ الأكبرُ خشيةُ الله .

وقال : لا تُؤمِّرَنَّ التَّسْوِيفَ على نفسك ، ولا تُمكنهُ من قلبك ؛ فإنه محلُّ الضَّلالِ ، وفيه تنقطعُ الآجالُ ، فبادرْ فإنَّك مُبادرٌ بك ، وأسرعْ فإنَّك مسرَّوعٌ بك ، وجدَّ فإنَّ الأمرُ جدَّ .

وقال : مَنْ كان طلبُ الفضائلِ أهمَّ إليه من الذُّنوبِ فإنه مَخدوعٌ ، وربَّما كان خيراً أعمالنا أضرَّ علينا من ذنوبنا .

وقال : احذرِ القراءِ المتصنِّعين ، والعلماءِ المتجبرين الذين جثوا بطرقِ الهلكة ، وصدُّوا الناسَ عن سبيلِ الهدى .

وقال : خضعوا لما طمعوا في نائلهم ، وسكتوا عمَّا سمعوا من باطلهم ، وداهنَ بعضهم بعضاً .

وقال : أوحى اللهُ إلى إبراهيمَ : تَدْرِي لِمَ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً ؟ لأنَّكَ تُعْطِي الناسَ ولا تأخذُ من أحدٍ شيئاً .

وقال : إذا رأيتَ الرَّجُلَ قد أَشِرَّ وبَطَرَ فلا تَعْظُهُ ، فليسَ للوعظِ فيه موضعٌ .

وقال : ذهبَ من يُؤنسُ به ، ويُستراحُ إليه ، وإنَّ علمَ اللهُ منك الصَّدقَ ، رجوتُ أن يصنعَ لك ، وإن كان الصَّدقُ رُفِعَ من الأرضِ .

وكتبَ إلى حُذيفةَ المَرعشي رحمةَ اللهِ : ما ظنُّكَ بمن بقي لا يجدُ أحداً يذكرُ اللهُ معه إلاَّ كان آثماً ، وكانت مُذاكرتهُ معصيةً .

قال الغزالي رحمةَ اللهِ : وصدقَ ؛ فإنَّ مُخالطَ النَّاسِ لا يَنفكُ عن غيبةٍ أو سماعها ، وأحسنُ أحواله أن يَفيدَ علماً ، ولو تأمَّلَ عَلِمَ أنَّ المُستفيدَ إنما يُريدُ جعلَ ذلك آلةً لطلبِ الدنيا ، ووسيلةً للشرِّ ، فيكونُ مُعيناً له ، كبائعِ السَّيفِ لقاطعِ الطَّرِيقِ .

وكتبَ إليه أيضاً : أوصيكَ بتقوى اللهِ ، والعملِ بما علَّمَكَ ، والمراقبةِ حيثُ لا يَراك إلاَّ هو ، والاستعدادِ إلى ما ليسَ لأحدٍ فيه حيلةٌ ، ولا يَنفَعُ النَّدمُ عندَ نزوله ، فاحسِرْ عن رأسِكَ قِناعَ الغافلين ، وانتبهْ من رقدةِ الموتى ، وشمِّرْ

للسباق^(١) غداً، واعلم أنه لا بدّ لي ولك من الوقوف بين يديه^(٢) يسألني ويسألك عن وساوس الصدور، ولحظات المعيون، وإنه لا يُجزى من العمل القول، ولا من البذل العِدَّة، ولا من الفعل الصِّفة، ولا من التوقي التلاوم، وقد صرنا في زمانٍ هذه صفةُ أهله، فمن كان كذلك فقد تعرّضَ للمهالك.

أسند الحديث عن الأعلام كسفيان الثوري رضي الله عنه، وأضرابه.

مات سنة ثنتين وتسعين ومئة، وكانت جنازته حافلة بأرباب الدولة والعلماء

والصوفية.

* * *

وهذا آخر الطبقة الثانية ويلها الطبقة الثالثة فيمن تُوفي بعد المئتين إلى آخر القرن الثالث، وهم ثمانية وسبعون رجلاً منهم إمامنا الشافعي رضي الله عنه.

* * *

(١) في المطبوع: للسؤال.

(٢) في حلية الأولياء ٢٤١/٨، وصفة الصفوة ٢٦٣/٤ والمختار من مناقب الأخبار: ٣٩٥/ب: بين يدي الله عز وجل يسألنا فيه عن الدقيق الخفي، وعن الجليل الجلي، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وساوس

الطبقة الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الإعانة

الحمدُ لله مانح العطاء، وكاشفٍ عن بصائر أوليائه الغطاء، الذي منح أهل وده أنواع اللطائف، وعمر أفئدتهم بأنواع الذكر والمعارف، فوردوا موارد الأوراد، وصدروا مصادر الإسعاد والإرشاد، والصلاة والسلام على قطب دائرة الوجود، وبحر علم الجود، الذي أسري به حتى جاوز السبع الطباق، وآله وصحبه وتابعيهم مفاتيح الإغلاق.

وبعد: فهذه هي الطبقة الثالثة من الكواكب الدررية فيمن توفي بعد المئتين إلى آخر القرن الثالث وهم ثمانية وسبعون رجلاً.

حرف الهمزة: إبراهيم الخواص. إبراهيم العلوي. إبراهيم الهروي.
إبراهيم الخراساني. إبراهيم الحربي. إبراهيم الخزاز. إبراهيم القصار. الإمام أحمد بن حنبل، أحمد أبو الحسين النوري، أحمد بن أبي الورد، أحمد بن مسروق، أحمد بن عاصم الأنطاكي. أحمد بن خضرويه البلخي، أحمد بن أبي الحوار، أحمد بن نصر الخزاعي، أبو إبراهيم السائح، أبو تراب النخشي، أبو جعفر المحوّلي، أبو بكر الهلالي، أبو قاسم المنادي، أبو حمزة الخراساني، أبو عبد الله الديلمي، أبو هاشم الزاهد، أبو عبد الله البراثي، إسماعيل الديلمي، أيوب الحمّال، أم هارون الشّامية.

حرف الباء: بشر الحافي، بقي بن مخلد، بُهلول المجنون.

حرف الجيم : أبو القاسم الجُنيد، جبلة الصدفي .

حرف الحاء : الحارث المُحاسبي، حاتم الأصم، حمدون القصار، حبيب العجمي، الحسن الفلاس .

حرف الخاء : خير النساج .

حرف الذال : ذو النون المصري .

حرف الزاي : زهراء الوالهة .

حرف السين : السّري السّقطي، سعيد الحيري، سعيد النباجي، سعيد الرّازي، سمنون الخواص، سهل التّستري، سهل الفرخان .

حرف الشين : سُقران المغربي .

حرف الطاء : طيفور أبو يزيد البسطامي، الطيب الدّهلي .

حرف العين : عبد الرحمن أبو سُليمان الداراني، عبد الله بن خُبيق الكوفي، عبد الله الحداد، عبد الله بن داود الخُرَيْبي، علي بن الموفق، علي بن موسى الرضي، علي بن سهل الأصبهاني . علي بن الصائغ الدّينوري، عمر أبو حفص النيسابوري، عمرو بن عثمان المكي .

حرف الفاء : فتح أبو نصر الكشي، فاطمة النيسابورية .

حرف القاف : القاسم بن عثمان الجوعي .

حرف الميم : محمد بن أبي الورد، محمد البغدادي، محمد القنطري، محمد بن يوسف البناء . محمد بن المبارك الصّوري، مضاء الشامي، معروف الكرخي، ممشاد الدّينوري، منصور بن عمّار .

حرف النون : نفيسة السيدة بنت الحسن .

حرف الياء : يحيى بن مُعاذ الرازي

(حرف الهمزة)

(٢٠٥) إبراهيم الخوَّاص (*)

إبراهيم بن أحمد الخوَّاص المشهورُ بين العامِّ والخاصِّ، أُوحدُ مشايخِ وقته، وأجلُّ أصحابِ التوكلِ في سمته، وهو من أقرانِ العارفِ الجُنيدِ رضي الله عنه.

عارفٌ كثرتْ فوائده، وحسنتْ أخلاقُه ومقاصده، وانتفعَ به الطُّلابُ، وارتفعَ قدرُه بين ذوي الألبابِ، له في التوكلِ الحالُ المشهورُ، والذِّكْرُ المنشورُ، والرِّياضةُ التامةُ، والسِّياحةُ العامةُ.

قال الغزالي رحمه الله: كان لا يُقيم في بلدٍ أكثر من أربعين يوماً، وكان رأساً في التوكلِ، يرى الإقامةَ اعتماداً على الأسبابِ قاذحةً في التوكلِ، قال: وكانت عادته أن يَخوضَ مع المُريد في كلِّ رِيَاضةٍ، والقويُّ إذا اشتغلَ بالرِّياضةِ واصلاحِ الغيرِ لزمه النزولُ إلى حدِّ الضُّعفاءِ تشبُّهاً بهم، وتلطُّفاً في سياقهم إلى السعادةِ؛ وهذا ابتلاءٌ عظيمٌ للأنبياءِ والأولياءِ. انتهى.

وكان يوماً في السِّياحةِ، وإذا بعفريتٍ صفعةً، فرفعَ رأسه إلى السماءِ، وقال: هكذا يُفعلُ بمن يمشي^(١) في خفارتك؟ فاستقبله ملكٌ برأسِ العفريتِ.

(*) طبقات الصوفية ٢٨٤، حلية الأولياء ٣٢٥/١٠، تاريخ بغداد ٧/٦، الرسالة القشيرية ١٤٧/١ المنتظم ٤٥/٦، صفة الصفوة ٩٨/٤، المختار من مناقب الأخيار ٣٨/أ، الوافي بالوفيات ٣٠٣/٥، طبقات الأولياء ١٦، النجوم الزاهرة ١٣٢/٣، طبقات الشعراني ٩٧/١، جامع كرامات الأولياء ٢٣٣/١.

(١) في المطبوع: عن عيشي.

قال الخطيب^(١) رضي الله عنه : له كتبٌ مُصنَّفة .

ومن فوائده : من لم يصبر لم يظفر .

وقال : عقوبة القلوب أشدُّ العقوبات ، ومقامها أعلى المقامات ، وذكرها أشرف الأذكار ، وبذكرها تُستجلب الأنوار ، وعليها وقع الخطاب ، وهي المخصوصة بالتنبيه والعتاب .

وقال : من أراد الله لله بذل له نفسه فأدناه من قربه ، ومن أرادَه لنفسه أشبعه من جنانه ، وأرواه من رضوانه .

وقال : الناسُ رجلان : حرٌّ وعبدٌ ، فالحرُّ مَهْمومٌ بتدبير نفسه ، ومَتَعوبٌ بالسَّعي في مصلحته ، والعبدُ طرَحَ نفسه في ظلِّ الرُّبوبية ، والمتوكِّلون الوثاقون بضمانه غابوا عن الأوهام ، وعيون الناظرين ؛ فعظم خطر ما أوصلهم إليه ، وجلَّ قدر ما حملهم عليه ، وعظمت منزلتهم لديه ، فيطيب عيش لو عُقل ، ويا لذة وصل لو كشف ، ويا رفعة قدر لو وُصف .

وكان عامَّةً مُناجاته إلى الصباح .

بَرِحَ الخَفَاءُ وفي التَّلَاقِي رَاحَةٌ هل يَشْتَفِي خِلٌّ بغيرِ خَلِيلِهِ

وتأوّه ، فقليل له : ما هذا التأوّه ؟ فقال : كيف يُفلح من يسرّه ما يضرّه ؟!

وأنشد :

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ وأحوجني طولُ البلاءِ إلى الصَّبْرِ

وقطعتُ أطماعي^(٢) من النَّاسِ آيساً لِعِلْمِي بَصْنَعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

وقال : انتهيتُ إلى رجلٍ صرعه الشَّيْطَانُ ، فجعلتُ أُؤذَنُ في أذنه ، فنَاداني

الشَّيْطَانُ مِنْ جَوْفِهِ : دعني أقتله ؛ فإنه يقولُ : القرآن مخلوق .

وقال : جُعْتُ في البادية جوعاً شديداً ، فاستقبلني أعرابيٌّ فقال [يا رغب

(١) تاريخ بغداد ٧/٦ .

(٢) في الحلية ١٠/٣٣٠ ، وطبقات الأولياء ٢٠ : أيامي .

البطن، قلت: يا هذا، فإني لم آكل مذ أيام. فقال: [١] الدَّعوى تهتكُ سِتْرِ المُدَّعين، فمالك والتوكل؟

وقال: رأيتُ بطريق الشَّامِ شاباً حسنَ المراعاة، فقال: هل لك في الصَّحبة؟ قلتُ: إنني أجوع. قال: أجوعُ معك، فبقينا أربعة أيام، ففُتِحَ علينا بشيءٍ فقلت: هلمَّ. قال: عقدت أن لا آخذُ بواسطة. قلت: دققت (٢)، قال: لا تُبهرج؛ فإنَّ الناقدَ بصير، مالك والتوكل! أقلُّه أن تردَّ عليك مواردُ الفاقات، فلا تسمو نفسُك إلا إلى من إليه الكفايات.

وقال: العالمُ مَنْ عَمَلَ بعلمه وإن قلَّ.

وقال: بقدر إعزازِ المؤمن لأمر الله يُلبسه من عزِّه، ويقيمُ له العزَّ في قلوبِ الناس.

وقال: شرطُ الفقيرِ استواءُ أوقاته في الانبساط.

وقال: شيثان عزيزان: عالمٌ يَعْمَلُ بعلمه (٣)، ومُريدٌ لا طمعَ عنده.

وقال: لقيتُ الخضرَ عليه السَّلام ببادية، فسألني الصُّحبة، فخفتُ أن يُفسدَ عليَّ توكلِّي بالسُّكون له، ففارقتَه.

وقال: المفاخرةُ والمُكاثرةُ يمنعان الراحة، والعُجبُ يمنعُ معرفةَ عيوبِ النفس، والتكبرُ يمنعُ معرفةَ الصَّواب، والبُخلُ يمنعُ الورع.

وقال: من ذمَّ الدُّنيا علانيةً، وأعتنقها سرًّا كمل (٤) مقتُّه.

وقال: الهالكُ من ضلَّ أو اخرَ عمره حين قاربَ المنون.

وقال: أعظمُ ما يؤتى على المُريدين قلةُ الوفاءِ بالعهد.

وقال: التَّسليمُ أن تعلمَ أنه تعالى أشفقُ عليك من نفسك.

(١) ما بين معقوفين مستدرك من تاريخ بغداد ٨/٦.

(٢) في (ب): دعيت.

(٣) في (ب) يعمل بعمله وإن قلَّ.

(٤) في المطبوع: تحمل.

وقال: أشدُّ ما يعذبُ اللهُ به عباده مُفارقةُ حضرته .

وقال: اجتمع رأي سبعين صدِّيقاً على أنَّ كثرة النَّومِ من كثرةِ شربِ الماء .

وقال: لا تطمع في لين القلب مع فُضولِ الكلام، ولا في حبِّ الله مع حبِّ المال والشَّره، ولا في الأُنس بالله مع الأُنس بالمخلوقين .

وقال: رأيتُ الخَضِرَ عليه السَّلَام فقلت له: بماذا رأيتُك؟ قال: ببرِّك لأُمَّك .

وقال: دواءُ القلبِ خمسةٌ: قراءةُ القرآن بالتدبير، وخلاءُ البطن، وقيامُ اللَّيل، والتضرُّعُ عند السَّحر، ومُجالسةُ الصالحين .

وقال: المحبَّةُ محو الإرادات، واحتراقُ جميع الصفات والحاجات .

وقال: آفةُ المؤمن ثلاثةٌ: حبُّ الدُّنيا، وحبُّ النِّساء، وحبُّ الرِّياسة .

وقال: إذا تحرَّك عبدٌ لإزالةِ مُنكرٍ، فحالتُ دونه موانعُ، فإنَّما ذاك لفسادِ العقدِ بينه وبين الله .

وقال: من شربَ من كأسِ حُبِّ الرِّياسة خرجَ من إخلاص^(١) العبودية .

وقال: سلكتُ في البادية إلى مكة سبعةَ عِشرَ طريقاً؛ منها طريقٌ من ذهبٍ، وطريقٌ من فضَّةٍ .

وقال: نمتُ في البادية على حجَرٍ، فإذا بشيطانٍ جاء، وقال: قُم من هنا،

قلت: اذهب، قال: إني أَرُفُسُك فتهلك، قلتُ: افعلْ . فرفسني، فوقعتُ رجلهُ

عليَّ كأنَّها خرقةٌ، فقال: أنت وليُّ الله، من أنت؟ قلتُ: [أنا إبراهيم]^(٢)

الخوَّاص . قال: يا إبراهيم، معي حلالٌ وحرام، أمَّا الحلالُ فرمَّانٌ من الجبل

الفلاي^(٣)، وأمَّا الحرام فحيتانٌ من البحر، مررتُ على صيادَيْنِ فتخاونا،

فأخذتُ الخيانةَ، فكلَّ الحلالَ، ودعِ الحرام .

(١) في (أ) أخلاق .

(٢) ما بين معقوفتين مستدرَك من صفة الصفوة ٤/ ١٠٠ .

(٣) في (أ) المباح .

وقال: طلبتُ المعاشَ لأكلِ الحلالِ، فاصطدتُ السمكَ، فيوماً وقعَ بالشبْكةِ سمكةً، فأخرجتها، وطرحْتُ الشبْكةَ، فوقعتُ أُخرى، فهتفَ بي هاتفٌ: لم تجدَ معاشاً إلا أن تأتي مَنْ يذكُرنا فتقتله؟! فقطعتُ الشبْكةَ وتركتُ الاصطيادَ.

وقال: دخلتُ في سياحتي مَوْضِعاً، فإذا بسَبْعِ عَظِيمٍ، فخفتُه، فهتفَ بي هاتفٌ: اثبتْ، فإنَّ حولك سبعين ألفَ مَلِكٍ يحفظونك.

ولقيه في سياحته رجلٌ فوجده وَحْدَهُ، فطمعَ أن يسلبه ثوبه، فجاءه وقال: انزع ما عليك. فقال له: مُرَّ في حفظِ الله. فقال الثانية، والثالثة، فقال: لا بدَّ؟ قال: لا بدَّ، قال: لا بدَّ؟ قال: لا بدَّ، فأشارَ بأصبعيه إلى عينيه فسقطتا فوراً.

وسُئِلَ: ما بالُ الإنسانِ يتحرَّكُ عند سماعِ غيرِ القرآنِ، ويجدُ ما لا يجدُ في سماعه؟ فقال: إنَّ سماعَ القرآنِ صدمةٌ لا يُمكنُ لأحدٍ أن يتحرَّكَ فيه لشِدَّةِ غلبته وعظمتِه، وسماعُ القولِ ترويحٌ، فيتحرَّكُ فيه.

وقال: دخلتُ الباديةَ، فوجدتُ نصرانياً في وسطه زنازاً، فسألني الصُّحبةُ، فمشينا سبعةَ أيامٍ، قال: يا راهبَ الحنيفيةَ، هاتِ كرامةً ممَّا عندك، فقد جعنا^(١)، فقلت: إلهي، لا تفضحني مع هذا الكافر، وإذا بطبقٍ عليه خبزٌ وشواءٌ ورُطْبٌ، وكوز ماءٍ، فمشينا سبعةَ أيامٍ، وقلت له: يا راهبَ النصرانيةِ، انتهتِ النَّوبةُ، فهاتِ ما عندك. فاتَّكأَ على عَصاهُ، ودعا، فإذا بطبقينِ عليهما أضعافُ ما على طبقِي، فتحيَّرتُ، ولم آكلُ منه، فألحَّ عليَّ، فلم أجبهُ، قال: كُلْ، فإنِّي مُبشركُ ببشارتينِ، أني قد أسلمتُ، وحلَّ الزُّنارُ، وقد قلتُ: اللّهُمَّ، إن كان لهذا العبدِ خطرٌ، وهو على الحقِّ فافتحْ عليَّ. ففُتِحَ بهذا.

ومكثَ خادمُه حامدُ الأسودِ معه سبعةَ أيامٍ في الباديةِ فضَعفتُ قوَّتُه وجلسَ، فالتفتَ إليه، وقال: أيُّما أحبُّ إليك، الماءُ أو الطَّعامُ؟ قال: الماءُ، قال: هو وراءك. فالتفتَ إليه فإذا بحرٌ كاللبنِ، فشرَبَ وتطهَّرَ، ولم يقربه الشَّيخُ، فأرادَ أن يحملَ منه، فزجره الشَّيخُ، وقال: ليس هذا ممَّا يُتزودُ منه.

(١) في (ب) جعت.

وقال: ركبْتُ البحرَ، وفي المركبِ يهوديٌّ لم أَره يأكلُ ولا يتحرَّكُ من مكانه، ولا يتطهَّرُ، ولا يشتغلُ بشيءٍ، وهو مُلتفتٌ بعباءةٍ، فكلمتهُ فوجدتهُ مُتجرِّداً متوكِّلاً، يتكلَّمُ فيه بأحسنِ كلامٍ، ويأتي بأكملِ بيانٍ، فأنسَ بي، وقال: يا أبا إسحاق، إن كنتَ صادقاً في دَعواكَ التَّوَكُّلِ فالبحرُ بيننا حتى نعبَرَ السَّاحلَ، وكُنَّا في اللُّجِّ، فقلت: قم. فزَجَّ نفسه في البحرِ، ورمىْتُ بنفسِي خلفه، فعبرنا السَّاحلَ، فقال: نصطحبُ، على شرطِ أَنْ لا نأويَ المساجدَ ولا البيعَ، ولا الكنائسَ، فقلت: لك ذلك، فأتينا مدينةً، فأقمنا على مَزبلةٍ ثلاثةَ أيَّامٍ، ففي الثالثِ أتاه كلبٌ وفي فمه رَغيفان، فطرحهما له وانصرفَ، فأكلَ، ثم أتاني شابٌ حسنُ الوجه، ظريفٌ طيبُ الرِّيحِ بطعامٍ نظيفٍ، فوضعه، وقال: كُلْ. وغابَ عنَّا، فأسلمَ اليهوديُّ، وقال: يا إبراهيم، طريقنا صحيحٌ، لكنَّ الذي لكم أحسنٌ وأصلحٌ، وحسنٌ إسلامه، وصار من أصحابنا المُتَّصِفِينَ بالتَّصوِّفِ. كذا ذكر هذه الحكاية عنه جماعةٌ.

وقوله: (طريقنا صحيح) غير صحيح^(١).

ونظيرُ هذه الحكاية ما ذكره الشَّيْخُ ابن حَجَر الهيثمي رحمه الله: أَنَّ الكُفْرَ قد يَصحبُه نورٌ باطني، يَنشأُ عن الرِّياضةِ والاجتهادِ في السُّلوكِ، قال: ألا ترى أن يهودياً قدِمَ مصرَ، فكان لانكشافِ الكونِ له يُتحدَّثُ بالمغيباتِ، حتى كادَ أن يفتنَ أهلها، فتلطَّفَ به بعضهم، حتى قال له: ما سببُ ذلك؟ قال: سببهُ أَني لازمتُ الرِّياضةَ التَّامةَ، وخالفتُ نفسي في كلِّ شيءٍ حدَّثتني به، فألَّ أمرِي إلى ما ترى. قال له: اعرضُ عليها الإسلامَ. قال: قد أبثُّ. قال خالفها، فتأمَّلْ ساعةً، ثم أسلمَ، فهذا بتمامِ الرِّياضةِ، ومُخالفةِ النَّفسِ تنوَّرَ باطنه حتى صارَ إذا وجَّهَ همتهُ إلى شيءٍ لم يُحجب^(٢) عنه.

ولنرجعُ إلى كلامِ الخوَّاصِ رضي الله عنه:

وقال: إِنَّ لأبليسَ وثاقينِ ما أوثقَ بني آدمَ بأوثقَ منهما: خوفَ الفقرِ، والطمعِ.

(١) في الحلية ١٠/٣٣٠: أصلنا صحيح.

(٢) في (أ): ترجع.

وقال: الحِكْمَةُ تنزلُ من السَّماءِ فلا تسكن قلباً فيه أربعةٌ: الركون إلى الدنيا، وهمُّ غدٍ، وحبُّ الفضول، وحسدُ أخٍ.

وقال: لا يكمل فقيرٌ حتى يكونَ نظرُ الله إليه في المنع أفضلَ من نظره له في العطاء. وعلامةُ صدقه فيه أن يجدَ للمنع من الحلاوة ما لا يجدُ للعطاء، فلا يرى سوى مَلِيكِهِ، ولا يملك إلا ما كان من تَمَلِيكِهِ.

وقال: مَنْ لم تبك الدنيا عليه، لم تضحك الآخرةُ إليه^(١).

وقال: الورعُ ألا يتكلمَ العبدُ إلا بالحقِّ، غَضِبَ أو رضي.

وقال: العلمُ كلُّه في كلمتين؛ لا تتكلَّف ما كُفيت، ولا تضيِّع ما استكفيت.

وقال: عطشتُ لما تهتُّ بطريقِ الحجاز، فإذا بفارسٍ عليه ثيابُ خضرٍ، وعمامةٌ صفراءُ، وبيده قدحٌ أظنه من ذهبٍ أو جوهرٍ، فسقاني وأردفني خلفه، ثم قال: هذا نخلُ المدينة، أقرىء صاحبها السَّلام، وقلْ له: أخوك الخضرُ يُسلمُ عليك.

ومكثَ سبعينَ سنةً لم يرفع رأسه إلى السماء، حياءً من الله تعالى، وحيرةً بما وجد.

وكان رضي الله عنه يقبضُ على لحيته ويقول:

هذا ولهي وكم كتمتُ^(٢) الولها
صوناً لحديثٍ من هوى النفس لها
يا آخرَ محنتي ويا أولها^(٣)
أيام عنائي فيك ما أطولها^(٤)

وجاءته امرأةٌ فشكت تغيراً وجدته في قلبها وحالها. فقال: عليك بالتفقدِ. فقالت: تفقدتُ، فما رأيتُ شيئاً. قال: أتذكرين ليلةَ المشعلِ؟ فهذا التغيرُ منه. فبكت، وقالت: نعم، كنتُ أغزلُ فمرَّ مشعلُ السُّلطان، فغزلتُ فيه خيطاً. ونسجتُ من المغزلِ قميصاً فلبسته. ثم نزعته فتصدَّقتُ به، فعاد صفاءً قلبها.

(١) في المطبوع: تضحك الآخرة له.

(٢) في (ب): وقد كتمت.

(٣) في (ب): ويا يا أولها.

(٤) انظر الحاشية (٣) صفحة ٢٢٣/١، وفي وفيات الأعيان: أيام غرامي فيك من أولها.

واضطجع يوماً بالبادية ومعه رفيقه، فجاءته السباع فأحاطت به، فلم يُبالِ بها فقراً صاحبه، وصعد شجرة، وبات الليلة الثالثة فسقطت بعوضة على يده فجزع، وتألم، فقال له صاحبه: ما جزعت من الأسد، وجزعت من بعوضة؟! قال: كان نزل في القلب البارحة سلطان الجلال، فبقوته لم أبال بجميع الملكوت، والآن غاب فظهر العجز.

ومن شعره:

صبرتُ على بعضِ الأذى خوفاً كلّه ودافعتُ عن نفسي لنفسي فقرتُ
وجزعتها المكروه حتى تدرّبتُ ولو جزعته جملةً لاشمأزتُ
ألا ربّ ذلٌّ ساقٍ للنفسِ عزةً ويا ربّ نفسٍ بالتدليلِ عزّتُ

ولم يزل على حالته هذه حتى فقد الوجود، وترك العيون عليه بالدموع تجود، سنة إحدى وتسعين^(١) أو أربع وثمانين ومئتين.

مرض بالرّي لقلّة^(٢) القيام^(٣)، وكان إذا قام يدخل الماء ويغتسل، ويعود فيصلي ركعتين، فقام ليغتسل فخرجت روحه في وسط الماء، رحمة الله تعالى عليه، ونفعنا به.

* * *

(٢٠٦) إبراهيم بن سعد العلوي (*)

العابد الزاهد، من أهل بغداد، ثم انتقل عنها إلى الشام. وكان حسنيًا، يُقال له: الشّريفُ الزاهد، وكان يُقصدُ بالزيارة، ويؤم لحسن التربية والسفارة،

(١) في الأصول: وستين. والمثبت من طبقات الصوفية ٢٨٤، وتاريخ بغداد ١٠/٦، والمنتظم ٤٥/٦ والنجوم الزاهرة ٣/١٣٢.

(٢) كذا في الأصول، ولعل الصواب: لعلّة.

(٣) قال القشيري في رسالته ١/١٤٧: كان مبطوناً، فكان كلما قام توضع.

(*) إبراهيم بن سعد: حلية الأولياء ١٠/١٥٥، تاريخ بغداد ٦/٨٦، صفة الصفوة ٢/٤٢٩،

المختار من مناقب الأخيار ٥٠/٥٠، مختصر تاريخ دمشق ٤/٥٠ طبقات الأولياء ٢٤.

وتلتمسُ بركاته، وتُستدعى دعواته، وترشدُ إلى طريقِ الهدى مقالاته، وله مقاماتٌ وأحوالٌ خارقة، وكراماتٌ باهرة، منها:

أنه كان إذا صلى بسطَ رداءه على البحرِ، ووقفَ عليه، وصلى على الماء.

قال أبو الحارث الأولاسي: خرجتُ من حصن أولاس^(١) أريد البحرَ، فقال بعض إخواني: هيأتُ لك عجةً، فقعدتُ وأكلتُ معه، ونزلت السَّاحلَ فإذا إبراهيم العلوي رضي الله عنه قائماً يُصلي على الماء، فقلت في نفسي: إن قال لي: امشِ معي على الماء لأمشينَّ معه، فما استحكَمَ الخاطرُ حتى سلَّم، ثم قال لي ذلك، فقلت: نعم. فذهبت لأمشي فغاصت رجلي، فقال: يا أبا الحارث، العجةُ أخذتُ رجلك.

وكان لا يأكلُ إلا في كلِّ ثلاثة أيامٍ سفةً خُرَنوب.

ولقيته امرأةً، وقد سخرَ جنديٌّ حماراً لها، فاستغاثت به، فكلَّمهُ العلويُّ، فلم يفد. فدعا عليه، فخرَّ الجنديُّ والحمارُ والمرأةُ، ثم أفاقَتِ المرأةُ، ثم أفاقَ الحمارُ، ثم ماتَ الجنديُّ.

ومن كلامه:

عليك بالرِّمالِ، والتخلي في بطون الجبال، ووارِ نفسَكَ ما أمكنكَ، حتى يشغلك بذكره عن ذكر سواه، وعليك بالثقله من الدنيا ما استطعت حتى يأتيك اليقين.

وقال: إذا نزل بك أمرٌ من الله تعالى فاستعملِ الرضا؛ فإنَّ الله مُطَّلِعٌ عليك، يعلمُ ما في ضميرك، فإن رضيتَ فلك الثوابُ. وأنت في رضاك وسخطك لا تقدرُ أن تزيدَ في الرِّزقِ المقسومِ والأمرِ المكتوبِ، فإن لم تجدُ إلى الرضا سبيلاً فاستعملِ الصبر؛ فإنه رأسُ الإيمانِ، فإن لم تجدُ فعليك بالتحمُّلِ، فإذا اضطربتَ وقلَّ صبرُك فالجأ إليه بهمَّك. واشكُ إليه بثَّك، واحذر أن تستبطئه، أو تُسيءَ به ظنًّا، فإنَّ كلَّ شيءٍ بسببٍ، ولكلِّ سببٍ أجلٌ، ولكلِّ

(١) حصن أولاس: على ساحل بحر الشام، من نواحي طرسوس، فيه حصن يسمَّى حصن الزهاد. معجم البلدان ١/ ٢٨٢.

أجلِ كتاب، ولكلِّ همٍّ من الله فرجٌ. ومن علمَ أَنَّهُ بعينِ الله استَحيا أن يراه يَرجو سواه، ومن أيقنَ بنظرِ الله إليه أسقطَ اختيارَ نفسه، ومن علمَ أَنَّ الله الضَّارُّ النافعُ أسقطَ مَخاوفَ المخلوقِ من قلبه، فراقبِ اللهَ في قُربه، واطلبِ الأمرَ من معدنه، واحذر أن تَعتمدَ على مخلوقٍ أو تُعلقَ قلبكَ به تعليقَ خوفٍ أو رجاءٍ، أو تُفشي إليه سرًّا، أو تشكو إليه شيئاً، أو تعتمد على إخوانه، أو تستريح إليه استراحةً فيها شكوى بثٌّ؛ فإنَّ غنيهم فقيرٌ في غناه، وفقيرهم ذليلٌ في فقره، وعالمهم جاهلٌ في علمه، فاجرٌ في فعله، إلا القليل ممَّن عصمَ الله.

وقال: اتق الفاجرَ من العلماء، والجاهلَ من العُباد، فإنَّهم فتنةٌ إلى كلِّ مَفْتون.

وقال: احفظْ حدودَ الله، وارحمْ خلقه.

رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

* * *

(*) (٢٠٧) إبراهيم الهروي

المعروف بستنبة من أقران أبي يزيد، صحبَ إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه وغيره، وهو من المذكورين بالتوكل والتجريد الكبير.

أقام في البادية مدةً طويلة لا يأكل ولا يشرب ولا يشتهي شيئاً، فحدثته نفسه بأن له مع الله رتبة، فلم يشعر حتى كلمه رجلٌ عن يمينه فقال: يا إبراهيم، تُرائي الله في سرِّك؟! لي ثمانون يوماً لم آكل ولم أشرب ولم أشته شيئاً، وأنا زَمِنٌ^(١) مطروحٌ، وأنا أستحي من الله أن يَقَعَ لي خاطرك، ولو أقسمتُ على الله أن يجعلَ لي هذا الشجرَ ذهباً لفعل.

(*) حلية الأولياء ٤٣/١٠، المختار من مناقب الأخيار ٥٢/ب، الطبقات الكبرى للشعراني ٦٥/١.

وسيرجم له المؤلف رحمه الله في طبقاته الصغرى باسم: أبو إسحاق الهروي ٩٥/٤.

(١) الزمن: من به آفة أو عاهة. اللسان (زمن).

ومن كلامه :

طَرِيقُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ: سُكُونُ الْقَلْبِ لوعودِ اللَّهِ، والرِّضَا بالقضاء، وإخْلَاصُ الْعَمَلِ فِي جَمِيعِ النَّوَافِلِ.

وقال: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغَ الشَّرْفَ كُلَّ الشَّرْفِ فَلْيَخْتَرْ سَبْعاً عَلَى سَبْعٍ، فَإِنَّ الْأَوْلِيَاءَ اخْتَارُوهَا فَبَلَّغُوا سِنَامَ الْأَمْرِ: الْفَقْرَ عَلَى الْغِنَى، وَالْجُوعَ عَلَى الشَّبَعِ، وَالذُّونَ عَلَى الْمُرتَفَعِ، وَالذُّلَّ عَلَى الْعِزِّ، وَالتَّوَضُّعَ عَلَى الْكِبَرِ، وَالْحُزْنَ عَلَى الْفَرَحِ، [والموتَ على الحياة] ^(١).

وقال: مَنْ أَصَابَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ أَصَابَ الشَّرْفَ فِي الدَّارَيْنِ أَوْلَاهَا: فَتَحَ الْقَلْبَ - يَعْنِي يَفْتَحُ اللَّهُ قَلْبَهُ فَيَجْعَلُهُ مَأْوَى الذِّكْرِ - وَالثَّانِي: غَنِيمَةَ الْبِرِّ، فَكُلُّ رِزْقٍ رَزَقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَقْبَلُهُ بِالْمِنَّةِ، وَيَحْفَظُهُ بِالْخَوْفِ، وَيُتَمِّمُهُ بِالْخَشْيَةِ، وَالصَّبْرِ، وَالثَّلَاثُ: يَجِدُ الظَّفَرَ عَلَى عَدُوِّهِ فَيَسْتَقِيمُ عَلَى الطَّاعَةِ.

مات بقزوين.

* * *

(٢٠٨) إبراهيم بن علي الخراساني (*)

صَاحِبُ الْخَوَارِقِ الْقَاطِعَةِ، وَالْكَرَامَاتِ السَّاطِعَةِ، لَزِمَ الْجِدَّ وَالْاجْتِهَادَ، فِي خِدْمَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، مَا يُوَصِّلُهُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَلَبَسَ مِنْ أَثْوَابِ الثَّوَابِ مَا يَرْفُلُ بِهِ فِي مَنَازِلِ السُّعُودِ.

قال إبراهيم الخوَّاص: نزلتُ إلى دِجْلَةَ، وَكَانَ الْمَاءُ مَدًّا، وَالرَّيْحُ تَلَعَبُ بِالْمَوْجِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا بَيْنَ الْمَوْجِ، يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، فَسَجَدْتُ، وَجَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَلَّا أَرْفَعَ رَأْسِي حَتَّى أَعْلَمَ مِنَ الرَّجُلِ. فَلَمْ أُطِلِ السُّجُودَ حَتَّى حَرَكَنِي،

(١) ما بين معقوفين مستدرك من حلية الأولياء ٤٤/١٠، والمختار: ٥٢/ب.

(*) صفة الصفوة ٤/١٣٢، المختار من مناقب الأخيار ٥١/ب، روض الرياحين ١١٣ (حكاية ٢٥٩)، جامع كرامات الأولياء ١/٢٣٥.

وقال: قُمْ، ولا تُعاوِدْ، أنا إبراهيمُ الخُراساني .

وقال: احتَجْتُ يوماً إلى الوضوءِ، فإذا أنا بكوزٍ من جَوْهَرٍ، وسِوَاكِ من فِضَّةٍ، رأسُهُ أَلْيَنُ من الخَزِّ، فاستَكْتُ بالسِّوَاكِ، وتوضَّأتُ بالماءِ، وتركتُهُما، وانصرفتُ .

وقال: بينما أنا في سياحتي، وبقيتُ أياماً لم أرَ أحداً من النَّاسِ ولا طائراً ولا ذا روحٍ، وكنتُ مُستَقِلاً بلا طعامٍ، ولا شرابٍ، فوقعَ في نفسي أنني في مَعْنَى^(١)، فخرَجَ عَلَيَّ شَخْصٌ مع الخاطِرِ، لا أدري من أينَ خرَجَ، فقال: إبراهيمُ، ذلك المُرَّائي تعرفُهُ؟ فقلتُ: أنا هو . وكان بجنبي شجرةٌ، فقال: قُلْ للشَّجرةِ تحملِ دنانيرَ، فقلتُ لها: احملي [دنانيرَ، فلم تحمِلْ، ثمَّ قالَ لها: احملي]^(٢) فإذا بشماريخ^(٣) دنانيرَ معلقةً، فاشتغلتُ أنظرُ إليها، ثم التفتُ فلم أره .

وقال: بينما أنا في يومٍ صائِفٍ، إذ عدلتُ إلى مغارةٍ، فدخلتها، فما لبثتُ أن دخلَ عَلَيَّ ثعبانٌ كأنَّهُ نخلةٌ، فجعلَ ينظرُ إليَّ، فقلتُ: لعلِّي رزقٌ له، فخرَجَ ثم أقبلَ إليَّ، وفي فيه رَغيفٌ حوَّاري، قد ذهبَ منه عَضَّةٌ^(٤)، فوضعهُ عندي، ورجعَ فتطوَّقَ ببابِ المغارةِ، فأكلتُ الرَغيفَ، فلما برَدَ النَّهارُ خرَجْتُ، فسِرْتُ، فلقيني رِفْقَةٌ، فقالوا: من أين؟ قلتُ: من هذا المَغَارِ . قالوا: هل رأيتَ ما رأينا؟ قلتُ: وما هو؟ قالوا: اعترضنا ثعبانٌ، وقامَ على ذنَبِهِ، ونفَّخَ، فقلنا: لعله جائِعٌ، فرَمينا له رَغيفاً، فأخذهُ ومَضَى .

* * *

(١) المعنى: النفع والكفاية . أساس البلاغة (غني) واللفظة في المطبوع: معين .

(٢) ما بين معقوفين مستدرَك من صفة الصفوة ١٣٣/٤ .

(٣) شماريخ: جمع شمروخ وشمراخ، وهو العِشْكال أو العنقود عليه تمر أو عنب . اللسان (شمرخ، عشكل) .

(٤) في المطبوع: بعضه، وفي (أ) و (ف) بعضه عضة . والمثبت من صفة الصفوة ١٣٤/٤، والمختار .

(٢٠٩) إبراهيم بن بشير الحزبي (*)

إبراهيم بن بشير الحزبي، براء قبلها حاءٌ مهملةٌ نسبةً لقريةٍ من قرى بغداد اسمها حزبيّة، وأصله من مرو، ولد سنة ثمانٍ وتسعين ومئة. وصار إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، عارفاً بالعلل والرجال، قائماً بالأدب، جامعاً للعفة، له التصانيفُ المفيدة في علومٍ عديدة، وكان مطبوعاً على الزهد، أقام ثلاثين سنة يتقوّت كلَّ يوم برغيفٍ، وكانت نفقته في الشهر نحو درهمين.

وأرسل له المعتضد بعشرة آلاف، فردّها، فعاد الرسولُ إليه، وقال: فرّقها لجيرانك. فقال: قلّ لأمير المؤمنين هذا مالٌ لم نشتغل بجمعه، فلا نشتغل بتفرّقه، فقال: لا بدّ. فقال: إن تركنا وإلاّ تحوّلنا عن جواره.

ومن فوائده:

أجمع عقلاء كلِّ أمةٍ على أنّه من لم يجر مع القدر لم يتهنّ له عيشٌ.
مات سنة خمسٍ وثمانين ومثتين.

* * *

(*) تاريخ بغداد ٢٧/٦، طبقات الحنابلة ٨٦/١، الأنساب ١٠٠/٤، المنتظم ٣/٦، صفة الصفوة ٤٠٤/٢، معجم الأدباء ١١٢/١، المختار من مناقب الأنبياء ٤٩/أ، إنباه الرواة ١٥٥/١، سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٣، تذكرة الحفاظ ٥٨٤/٢، العبر ٧٤/٢، فوات الوفيات ١٤/١، مرآة الجنان ٢٠٩/٢، الوافي بالوفيات ٣٢٠/٥، طبقات السبكي ٢٥٦/٢، البداية والنهاية ٧٩/١١، طبقات الحفاظ ٢٥٩، بغية الوعاة ١٧٨، شذرات الذهب ٥/١.

(٢١٠) إبراهيم بن عيسى (*)

وقيل: أحمد بن عيسى أبو سعيد الخزاز البغدادي، شيخ الطائفة المُجاهد المُرَاقِب، عارِفٌ يُضْرَبُ به المَثَل، خَبِيرٌ بالأدواء، بَصِيرٌ بالعِلَل، ناصِرٌ للتَّصَوُّفِ وأهله، قائمٌ برفعِ منارِ الدِّين^(١) وجمعِ شَمَلِه.

قال الخطيب^(٢): كان أحدَ المشهورينَ بالوَرَعِ والمُرَاقِبَةِ وحُسنِ الرِّعَايَةِ و حَدَّثَ يَسِيرًا.

صَحِبَ: السَّقَطِيَّ، وذا التُّونِ وغيرَهُما.

قال الجُنَيْد^(٣): لو طالَبنا اللهَ بحَقِيقَةِ ما عليه أبو سَعِيدٍ لَهَلَكْنَا، أَقامَ كذا وكذا سَنَةً [يَخْرُزُ]، ما فَاتَهُ ذِكْرُ الحَقِّ تَعَالَى بينَ الخَرَزَتَيْنِ^(٤).

وقال السُّلَمي: الخَرَّازُ إمامُ القَوْمِ في كُلِّ فَنٍّ من عُلُومِهِم، وأحسَنُهُم كَلامًا خَلا الجُنَيْدَ فَإِنَّه الإمامُ الأَكْبَرُ، ولذلك كان الطَّرَسوسِيُّ وغيرُهُ يَقولونَ: الخَرَّازُ قَمَرُ الصُّوفِيَّةِ. فَأفادَ أَنَّ أمثلَهُم مُطلقًا الجُنَيْدُ، ثُمَّ الخَرَّازُ، فذاك الشَّمسُ وهذا القمرُ.

وكان عَظِيمَ المُرَاقِبَةِ، جاءَهُ في باديةِ الموصِلِ أسدانِ من ورائه، فلم يَلْتَفِتْ، فقربا منه، وتعلَّقا به ولحسا خَدَّيه، ونزلا عنه، وهو لا يعبأ بهما.

(*) طبقات الصوفية ٢٢٨، حلية الأولياء ٢٤٦/١٠، تاريخ بغداد ٢٧٦/٤، الرسالة القشيرية ١٤٠/١، الأنساب ٦٥/٥، تاريخ ابن عساكر ١١٠/٧، المنتظم ١٠٥/٥، صفة الصفوة ٤٣٥/٢، المختار من مناقب الأخيار ٥٨/ب، اللباب ٣٥١/١، مختصر تاريخ دمشق ٢٠٤/٣، سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٣، مرآة الجنان ٢١٣/٢، الوافي بالوفيات ٢٧٥/٧، البداية والنهاية ٥٨/١١، طبقات الأولياء ٤٠، الطبقات الكبرى للشعراني ٩٢/١، شذرات الذهب ١٩٢/٢.

(١) في المطبوع: الذكر.

(٢) تاريخ بغداد ٢٧٦/٤.

(٣) في (أ): الذهبي، والخبر في تاريخ بغداد ٢٧٦/٤، وتاريخ ابن عساكر ١١١/٧.

(٤) ما بين معقوفين مستدرك من تاريخ بغداد ٢٧٧/٤، والمختار ٥٨/ب.

ودخلَ باديةً مرّةً بغيرِ زادٍ، فأصابتهُ فاقةٌ، فرأى المَرَحَلَةَ^(١) من بعيدٍ فسُرَّ بوصولهِ، ثمَّ تفكَّرَ أَنَّهُ اتَّكَلَّ على غيرِ الله، وسَكَنَ إلى الخَلْقِ، فأقسَمَ أَنَّهُ لا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَحْمُولاً، فحَفَرَ لهُ في الرَّمْلِ إلى صَدْرِهِ، ووارى جَسَدَهُ فيه، فسمعوا صَوْتاً في اللَّيْلِ: إِنَّ لهُ وَلِيّاً حَبَسَ نَفْسَهُ في الرَّمْلِ فَالْحَقْوَهُ، فلحقوه فجاؤوه فأخْرَجُوهُ وحملوه إلى القرية.

ومن فوائده: جَعَلَ اللهُ العِلْمَ دَلِيلاً عَلَيْهِ لِيُعْرَفَ، وجَعَلَ الحِكْمَةَ^(٢) رَحْمَةً مِنْهُ على عِبَادِهِ [ليؤَلَّفَ]، فالعِلْمُ دَلِيلٌ إِلَيْهِ، والمعرفةُ دَالَّةٌ عَلَيْهِ.

وقال: للعارفينَ خزائنُ أودَعوها عُلُوماً غَرِيبَةً، وأنباءً^(٣) عَجِيبَةً، يتكَلَّمُونَ فيها بلسانِ الأبديةِ، ويخبرون عنها بعبارةِ الأزليَّةِ. أي لأنَّهم ينطقون بالله، كما قال في الحديثِ القُدسيِّ: «فبي يسمعُ وبي ينطقُ»^(٤) وهو العِلْمُ اللدنيُّ الذي أُوتيه الخَصِرُ.

وقال: المعرفةُ تأتي إلى القلبِ من عينِ الجُودِ^(٥) وبذَلِ المَجْهُودِ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾^(٦) [العنكبوت: ٦٩].

وقال: عَلامَةُ الفَناءِ ذهابُ الحَظِّ من الدَّارينِ.

وقال: لا يَكُونُ شَرِيفاً أبداً مَنْ لا يَسْكُنُ جوعُهُ إِلَّا بِالغذاءِ، فإذا صارتِ الأذكارُ هي الغداءُ فقد حَصَلَ الشَّرَفُ الأعلى، ومُجِي الوَصفِ الأدنى.

-
- (١) في الأصول: قافلة. والمثبت من تاريخ دمشق ١٢١/٧، والمختار ٦٠/ب.
(٢) في الأصول: الحلم، والمثبت من طبقات الصوفية ٣٣٠، والمختار ٥٨/أ.
(٣) في المطبوع: وأشياء.
(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وقد تقدم معناه ٣/١: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد أذنته بحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها...»
(٥) في (أ) والمطبوع: الوجود.
(٦) لعل الآية إضافة من المؤلف، ولا توجد في مصادر الخبر. الحلية ٢٤٧/١٠، والمختار ٥٩/أ، وصفة الصفة ٤٣٧/٢.

وقال: ليس في طبع المؤمن قول (لا).

وقال: ليكن فرحك عند العطاء بالمعطي سبحانه لا بالعطاء، وتنعّمك بالمنعم لا بالنعمة.

وقال: التوكل اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب.

وقال: من ادعى أنه مغلوب في السماع فعلامته الصحيحة أن لا يبقى في ذلك المجلس مُحِقُّ إلا أنس به، ولا مُبطل إلا استوحش منه.

وقال: من ظن أنه ببذل الجهد يصل فهو مُتَعَنٌّ، ومن ظن أنه بغير بذل يصل فهو مُتَمَنِّنٌ.

قال الغزالي: وقال الخراز لابن له عند موته: يا بُنَيَّ عِظْنِي. قال: لا تُخَالِفِ اللَّهَ فِيمَا يُرِيدُ. قال: زِدْنِي. قال: لا تُطِيقُ ذَلِكَ. قال: قُلْ. قال: لا تَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ قَمِيصاً. فما لبس قميصاً ثلاثين سنة^(١).

وقال: إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم.

وقال: العافية سترت البر والفاجر، إذا جاءت^(٢) البلوى تبين عندها الرجال.

وقال: كان لي معلم يعلمني الخوف من الله، فقال يوماً: إنني معلمك خوفاً يجمع كل شيء، مراقبة الله في كل حال.

وقال: رأيت إبليس في النوم يمرُّ عني ويذهب ناحية، قلت: تعال. قال: أيسر أعمل بكم؟ طرحتم عن أنفسكم ما أُخادِعُ به الناس. قلت: وما هو؟ قال: الدنيا^(٣).

(١) كذا الخبر في الأصول، وهو في تاريخ دمشق ١١٢/٧ عن الجلاء قال: بلغني أن أبا سعيد الخراز كان مقيماً بمكة، وكان من أفقه الصوفية، وكان له ابنان، فمات أحدهما قبله، فرآه في المنام فقال له: يا بني أوصني...

(٢) في الأصول: وقال إذا جاءت. والمثبت من صفة الصفوة ٤٣٨/٢، والمختار ٥٩/أ.

(٣) الخبر في طبقات الصوفية ٢٣٢، وتاريخ ابن عساكر ١١٤/٧، ١١٥، والمختار ٥٩/أ، وتنمته: فلما ولي عني، التفت إليّ، فقال: غير أنني لي فيكم لطيفة. قلت: =

وقال: إِنَّ اللَّهَ عَجَّلَ لِأَرْوَاحِ أَوْلِيَائِهِ التَّلَذُّذَ بِدَوَامِ ذِكْرِهِ، وَالْوَصُولَ لِقُرْبِهِ، وَعَجَّلَ لِأَبْدَانِهِمْ عَظِيمَ النَّعْمَةِ، مِمَّا نَالُوهُ مِنْ عِبَادَتِهِ.

وقال: الأُنْسُ اسْتِبْشَارُ الْقُلُوبِ بِذِكْرِ مَوْلَاهَا، وَسُرُورُهَا بِهِ، وَسَيْرُهَا إِلَيْهِ، وَأَمْنُهَا مَعَهُ.

وقال في معنى الحديث: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»^(١):
وَاعْجَبَاهُ لِمَنْ يَرَى مُحْسِنًا غَيْرَ اللَّهِ، كَيْفَ لَا يَمِيلُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَيْهِ؟!

وقال: كُلُّ بَاطِنٍ يُخَالِفُ ظَاهِرَ الْعِلْمِ فَهُوَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْعِلْمَ طَرِيقًا إِلَيْهِ لِيُعْرَفَ.

وقال: الْمُحِبُّ يَتَعَلَّلُ إِلَى مَحْبُوبِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَتَسَلَّى عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَيَتَّبِعُ آثَارَهُ، وَلَا يَدَعُ اسْتِخْبَارَهُ.

وقال: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوَالِيَ عَبْدًا فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ ذِكْرِهِ، فَإِذَا اسْتَلَذَّ بِالذِّكْرِ فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْقُرْبِ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى مَجَالِسِ الأُنْسِ، ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ الْحُجُبَ، ثُمَّ أَدَخَلَهُ دَارَ الْفَرْدَانِيَّةِ، وَكَشَفَ لَهُ حِجَابَ الْعَظْمَةِ وَالْجَلَالِ، فَبَقِيَ بِلَا هُوَ، فَصَارَ زَمَنًا فَانِيًا، فَوَقَعَ فِي حِفْظِهِ سُبْحَانَهُ.

وقال: كُنْتُ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ يَظْهَرُ لِي كُلَّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ شَيْءٌ أَكَلُهُ وَأَسْتَقِيلُ بِهِ، فَمَضَى ثَلَاثَ لَيَالٍ لَمْ يَظْهَرْ لِي شَيْءٌ، فَضَعَفْتُ وَقَعَدْتُ، فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تُعْطَى قُوَّةٌ أَوْ سَبَبٌ؟ قُلْتُ: قُوَّةٌ، فَقَمْتُ فَوْرًا، وَمَشَيْتُ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا لَمْ أَذُقْ^(٢) شَيْئًا وَلَمْ أَضْعَفُ.

= وما هي؟ قال: صحبة الأحداث. قال أبو سعيد: وَقَلَّ مِنْ تَخَلَّصَ مِنْ هَذَا مِنَ الصَّوْفِيَّةِ.

(١) الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/١٢١، والبيهقي في شعب الإيمان ١/٣٨١، والخطيب في تاريخ بغداد ١١/٩٤، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٥٢٠، وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله... وذكر المناوي في فيض القدير ٣/٣٤٥ عن أحمد ويحيى بن معين أنه ليس له أصل، وهو موضوع.

(٢) في المطبوع: أرزق.

وقال: كنتُ بباديةٍ فجعتُ شديداً، فغلبتني نفسي أن أسأل الله [طعاماً، فقلتُ: ليس هذا من فعالِ المتوكلين. فطالبتني أن أسأل الله] (١) صبراً، فسمعتُ هاتفاً يقولُ:

ويزعمُ أنه منّا قريبٌ وأنا لا نُضيعُ من أتانا
ويسألنا القوى (٢) جهداً وصبراً كأننا لا نراه ولا يرانا
فأخذني الاستقلالُ، فقمْتُ ومشيتُ.

وقال: النَّفسُ كماءٍ واقِفٍ طاهرٍ صافٍ، فإذا حرَّكتَهُ ظهرَ ما تحتهُ من الحمأةِ والتغيُّرِ، وكذا النَّفسُ تظهرُ عند المِحْنِ والفاقةِ والمُخالفةِ.

وقال: رأيتُ فقيراً بالمسجدِ الحرامِ وعليه خِرقتان، فقلتُ في سِرِّي: هذا وشبههُ كلُّ على الناسِ، فناداني: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَخَذُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] فاستغفرتُ اللهَ في سِرِّي، فناداني: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] ثمَّ غابَ عني فلم أره.

وقيلَ له: بِمَ عرفتَ اللهَ؟ قال: بجمعه بين الضَّدين - أي في صنعه - ثم تلا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وقال: إذا غرقتِ العقولُ في الأذكارِ ضعفتِ النفوسُ.

وقال: كنتُ بمكةَ فجزتُ على بابِ بني شَيْبَةَ، فرأيتُ شاباً حسناً ميتاً، فنظرتُ في وجهه فتبسَّم وقال: يا أبا سعيد، أما علمتَ أنَّ الأحياءَ (٣) أحياءٌ وإن ماتوا؟ وإنما يُنقلون من دارٍ إلى دارٍ.

وقال: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ، كَيْفَ يَعْرِفُ رَبَّهُ؟ وسمعَ النَّاسَ يَقولونَ يومَ عيدٍ: تقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ. فقال: هذه غفلةٌ وقلةٌ رِعايَةٍ، كيفَ يقولُ الرَّجُلُ ذلكَ ولا يدري أعمَلُهُ مَرْضِيٌّ أم لا؟ إنما اللَّائِقُ سؤالُ العَفْوِ، والتَّجاوزِ عن التَّقصيرِ اللَّازِمِ، ولا أبلغُ في طلبِ العَفْوِ من الإقرارِ

(١) ما بين معقوفين مستدرَك من تاريخ دمشق ٧/ ١٢٠.

(٢) في مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٠٩: القِرَى.

(٣) في المطبوع: أن الأحياء.

بالعجزِ والذَّلَّةِ والافتقارِ، مع بذلِ الجُهدِ في الإخلاصِ .

وقال : مَنْ شَهِدَ صُنْعَ الرُّبُوبِيَّةِ فِي إِقَامَةِ العُبُودِيَّةِ فَقَدْ انْقَطَعَ إِلَى رَبِّهِ، وَحِينَئِذٍ يَسْلَمُ مِنَ الاسْتِدْرَاجِ .

وقال : الزُّهْدُ أَنْ لَا يَرْغَبَ قَلْبُكَ فِي مَفْقُودِ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْكُنَ لِمَوْجُودِهَا .

وقال : إِذَا أَرَادَ اللهُ مُوَالَاةَ عَبْدٍ فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ ذِكْرِهِ، ثُمَّ قَرَّبَهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ لِمَجَالِسِ الأَنْسِ، ثُمَّ أَجْلَسَهُ عَلَى كُرْسِيِّ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ سَوَّاهُ عَلَى عَرْشِ الصَّفَاءِ، ثُمَّ حَجَبَ عَنْهُ حُجُبَ النَّفْسِ وَالْهَوَى، ثُمَّ أَدْخَلَهُ دَارَ الْفَرْدَانِيَّةِ، وَكَشَفَ لَهُ عَنِ الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ، فَإِذَا شَاهَدَ ذَلِكَ فَنِيَ عَنِ نَفْسِهِ، وَحِينَئِذٍ يُرْفَعُ فِي حِفْظِ اللهِ وَكَلَاءَتِهِ .

وقال : حَقِيقَةُ المَحَبَّةِ تَقْطِيعُ الفُؤَادِ، وَتَشْتِيتُ المُرَادِ، وَلَوْلَا لُطْفُ اللهِ بَعْبِدِهِ مُوسَى أَصَابَهُ أَعْظَمُ مِمَّا أَصَابَ الجِبَلَ حَالَ التَّجَلِّيِ .

وقال : المَحَبَّةُ أَنْ لَا تَرَى الإِحْسَانَ إِلاَّ مِنْ مَحْبُوبِكَ، وَلَا تُطِيعَ إِلاَّ مَطْلُوبَكَ .

وقال : كُنْتُ بِالصَّحْرَاءِ فَإِذَا نَحَوُ عَشْرَةَ كِلَابٍ مِنْ كِلَابِ الرُّعَاةِ شَدُّوا عَلَيَّ فَلَمَّا قَرَبُوا مِنِّي جَعَلْتُ أَسْتَعْمَلُ المُرَاقَبَةَ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ كَلْبٌ فَحَمَلَ عَلَيَّ الكِلَابِ فَطَرَدَهُمْ عَنِّي، وَلَمْ يُفَارِقْنِي حَتَّى بَعَدْتُ عَنْهَا .

وقال : رَأَيْتُ المُصْطَفَى ﷺ، فَقُلْتُ : اعْذِرْنِي ؛ فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ شَغَلْتَنِي عَنْ مَحَبَّتِكَ، فَقَالَ : يَا مُبَارَكَ، مَنْ أَحَبَّ اللهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي .

مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَلَمَّا احْتَضَرَ كَانَ كَثِيرَ التَّوَالُجِدِ عِنْدَ المَوْتِ، فَقِيلَ ذَلِكَ لِلْجُنَيْدِ فَقَالَ : لِمَ يَكُنُّ بَعْجِيْبٌ أَنْ تَطِيرَ رُوحُهُ اسْتِيَاقًا .

* * *

(٢١١) إبراهيم بن داود (*)

أبو إسحاق القَصَّارُ الرَّقِّيُّ . كان من أكابر القوم ، وسادات الصُّوفِيَّةِ ، من أقرانِ الجُنَيْدِ ، وابنِ الجَلَاءِ .

عَمَّرَ وَصَحِبَ أَكْثَرَ صُوفِيَّةِ الشَّامِ . وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ ، وَرَحَلَ إِلَى الْبِلَادِ ، وَقَطَعَ لَيْلَ التَّحْصِيلِ بِالشُّهَادِ .

وَأَخَذَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَشَايخِ ، وَتَعَلَّقَ مِنْ هَذَا الشَّانِ بِالطُّوْدِ الشَّامِيخِ .

ومن كلامه :

المعرفةُ إثباتُ الرَّبِّ خَارِجاً عَنْ كُلِّ مَوْهُومٍ .

وقال : الأَبْصَارُ قَوِيَّةٌ ، وَالبَصَائِرُ ضَعِيفَةٌ ، وَمَنْ اكْتَفَى بِغَيْرِ الْكَافِيِ افْتَقَرَ مِنْ حَيْثُ اسْتَغْنَى .

وقال : الكِفَايَةُ تَصِلُ إِلَيْكَ بِلا تَعَبٍ ، وَالشُّغْلُ وَالتَّعَبُ فِي الْفُضُولِ .

وقال : أضعفُ الخَلْقِ مِنْ ضَعْفٍ عَنْ رَدِّ شَهْوَتِهِ ، وَأقْوَاهُمْ مَنْ قَوِيَ عَلَى رَدِّهَا .

وقال : قِيَمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ بِقَدْرِ هِمَّتِهِ ، فَمَنْ هَمَّتُهُ الدُّنْيَا فَلَا قِيَمَةَ لَهُ ، وَمَنْ هَمَّتُهُ رِضَا اللَّهِ فَلَا يُمَكِّنُ إِدْرَاكَ غَايَةِ قِيَمَتِهِ .

وكان مُلَازِماً لِلْفَقْرِ ، مُتَجَرِّداً فِيهِ ، مُحِبِّاً لِأَهْلِهِ .

مات سنة ستِّ وعشرين وثلاث مئة (١) .

* * *

(*) طبقات الصوفية ٣١٩ ، الحلية ١٠ / ٣٥٤ ، الرسالة القشيرية ١ / ١٥٤ ، صفة الصفوة ٤ / ١٩٧ ، المنتظم ٦ / ٢٩٤ ، المختار من مناقب الأخيار ٤٩ / ب ، طبقات الأولياء ٥٩ ، غاية النهاية ١ / ١٤ ، الطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٠٢ .
(١) في المطبوع : ومثنين ، والمثبت من مصادر الترجمة ، وحقه أن يكون من رجال الطبقة التالية .

(٢١٢) أحمد بن حنبل (*)

أحمد بن محمد بن حنبل، الإمامُ المُبجَّل، والهُمامُ المُفضَّل، عَلمُ الزُّهاد، وقَلمُ الثُّقاد، اِمتُحنَ فكان في المِحنةِ صَبوراً، واجتُبِيَ فكان للنَّعمةِ شُكوراً، عُرِضَتْ عليه الدُّنيا فأبأها، والبِدَعُ فنفاها، وكان للحِلمِ والعِلمِ واعياً، وللِفهمِ والفِكرِ^(١) راعياً، وقد قيل: إِنَّ التَّصَوُّفَ التحلِّيَ بالآثار، والتخلِّيَ عن الأَكَدار.

وقد ترجمَهُ بعضُ أربابِ المعاني فقال: هو الصَّدِيقُ الثَّاني، المروزي ثم البغدادي الصَّابِرُ على المِحنةِ، النَّاصِرُ للسُّنَّةِ، شيخُ العِصابةِ، ومُقتدى الطَّائفةِ، وإمامُ الدُّنيا.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ وستينَ ومئةٍ ببغداد، وتفقهَ على الشَّافعيِّ، وأخذَ الحديثَ عن عبد الرزَّاق، ويَزيد بن هارون، ومَن لا يُحصى.

وعنه: البُخاريُّ، ومسلم، وأبو داود.

ولمَّا خرجَ الشَّافعيُّ من بغداد قال: ما خَلَّفْتُ بها أفقَه ولا أورَعَ ولا أزهَدَ ولا أعلمَ منه.

وكان يَحفظُ ألفَ ألفِ حديث.

وقيل لابن المُبارك: تَضَمُّ أحمدٌ إلى التَّابعينَ؟ قال: إلى كبارِهِم.

(*) طبقات ابن سعد ٣٥٤/٧، التاريخ الكبير ٥/٢، التاريخ الصغير ٣٤٥/٢، الجرح والتعديل ٢٩٢/١، و ٦٨/٢، حلية الأولياء ١٦١/٩، تاريخ بغداد ٤١٢/٤، طبقات الحنابلة ٤/١، تاريخ ابن عساكر ٢١٨/٧، المختار من مناقب الأخيار ٦٠/ب، صفته الصفوة ٣٣٦/٢، تهذيب الأسماء واللغات ١١٠/١، مختصر تاريخ دمشق ٢٤٠/٣، وفيات الأعيان ٦٣/١، تهذيب الكمال ٤٣٧/١، سير أعلام النبلاء ١٧٧/١١، الوافي بالوفيات ٣٦٣/٦، مرآة الجنان ١٣٢/٢، البداية والنهاية ٣٢٥/١٠، غاية النهاية ١١٢/١، تهذيب التهذيب ٢٢/١، طبقات الحفاظ ١٨٦، الطبقات الكبرى للشعراني ٥٤/١.

(١) في المطبوع: والذكر.

وقد سارت بزهده وورعه، وتقلله من الدنيا الرُكبان، واتفق عليه الأعيان.

ومن فوائده:

رأيتُ رَبَّ العِزَّةِ في المَنامِ، فقلتُ له: بما يتقرَّبُ إليك المُتقرَّبون؟ قال:
بكلامي. قلتُ: بفهمٍ أو بغير فهم؟ قال: بفهمٍ أو بغير فهم.
وكان مجلسه خاصاً بالحديث، وبأمور الآخرة، لا يذكر فيها شيئاً من
شؤون الدنيا إلا لضرورة.

وكان أكثر إدامه الخَلِّ، وإذا اشتهى الطَّعامَ طبَّخوا له عدساً وشحمًا في
فخَّارة.

وكان يُحيي اللَّيْلَ كُلَّهُ، ويميلُ إلى العزلة، ويؤثرها حتى كان لا يرى إلا
بالمسجد، أو بجنائزة، أو عيادة مريض^(١)، وحجَّ خمسَ حجَّاتٍ، ثلاثة منها
ماشياً، وأنت «مُسند» وهو أصلٌ من أصول هذه الأمة.

ورأى الشَّافعيُّ في النَّومِ المُصطفى ﷺ فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله،
فاقرأ عليه السَّلام، وقُلْ له: سُمَّتَحَن، وتُدعى إلى القول بخلق القرآن، فلا
تُجِبُّهُم، فيرفعُ اللهُ لكَ علماً إلى يوم القيامة، فكتبَ إليه بذلك كتاباً، وجَهَّزَهُ مع
الرَّبِيعِ، فلمَّا وصلهُ الكتابُ، قال له الرَّبِيعُ: البِشارة. فخلَعَ أحمدُ قميصَهُ،
فأعطاهُ إيَّاه. فلمَّا عادَ للشَّافعيِّ قال: ما أعطاك؟ قال: قميصُهُ. قال:
لا نفعك فيه، لكن اغسلهُ^(٢) وادفع الماءَ إليَّ لأتبرَّكَ به.

وقد قامَ في تلك المحنة مقامَ الصديقين، وحسبَ ثمانية عشرَ شهراً، وضربَ
حتى غابَ عقلُهُ، ثم خُلِّيَ عنه.

ومن كلامه:

طوبى لمن أحملَ اللهُ ذكرَهُ.

وقال: زُهدُ العوامِّ عن الحرام، وزُهدُ الخواصِّ عن الفضولِ من الحلال،

(١) في (ب): أو عيادة.

(٢) في (أ): لكن بله.

وَزُهْدُ الْعَارِفِينَ فِي تَرْكِ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللَّهِ .

وقال : لأن تَطْلُبَ الدُّنْيَا بِالذُّفِّ وَالْمِزْمَارِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَطْلُبَهَا بِدِينِكَ .

وقال : مَا أَوْقَعَنِي فِي بَلِيَّةٍ إِلَّا صُحْبَةٌ مَنْ لَا أَحْتِشِمُهُ .

وقال : سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَفْتَحَ عَلَيَّ بَاباً مِنَ الْخَوْفِ ، فَفَتَحَ فَخَفْتُ عَلَى عَقْلِي ، فَقُلْتُ : يَا رَبُّ ، عَلَى قَدْرٍ مَا أَطِيقُ ، ففَعَلَ ذَلِكَ فَسَكَنْتُ .

وقال : الْفِتْوَةُ تَرُكُ مَا تَهْوَى لِمَا تَخْشَى .

وقال الطَّرَسُوسِي : ذَهَبْتُ أَنَا وَيَحْيَى بْنُ الْجَلَاءِ - وَكَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ - إِلَى أَحْمَدَ ، فَسَأَلْنَاهُ : بِمَا تَلِينُ الْقُلُوبَ ؟ فَقَالَ : بِأَكْلِ الْحَلَالِ ، فَمَرَرْنَا مِنْ عِنْدِهِ إِلَى بَشْرَ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقَالَ : ﴿ أَلَا يَذِكُرُ اللَّهُ تَطْمِينُ الْقُلُوبِ ﴾ [الرعد : ٢٨] فَقُلْتُ : إِنَّ أَحْمَدَ سَأَلْتَهُ ، فَقَالَ : أَيُّشَ قَالَ ؟ فَقُلْتُ : قَالَ : بِأَكْلِ الْحَلَالِ . قَالَ : جَاءَ بِالْأَصْلِ ، الْأَصْلُ مَا قَالَهُ أَحْمَدُ .

وقال : إِذَا كَانَ فِي الرَّجُلِ مِئَةُ خَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ ، وَكَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ مَحْتَهَا كُلَّهَا .

وَرَهَنَ سَطْلًا لَهُ عِنْدَ بَقَالٍ بِمَكَّةَ ، فَجَاءَ يَفْكُهُ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ سَطْلَيْنِ ، فَقَالَ : أَحَدُهُمَا لَكَ . فَقَالَ : أَشْكَلَ عَلَيَّ سَطْلِي ، هُوَ لَكَ وَالذَّرَاهِمُ . قَالَ : سَطْلُكَ هَذَا ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَخْتَبِرَكَ . قَالَ : لَا آخُذُهُ . وَتَرَكَهُ وَمَضَى .

وقيل له : مَا تَقُولُ فِيمَنْ جَلَسَ بَيْتَهُ أَوْ مَسَجِدَهُ وَقَالَ : لَا أَعْمَلُ ، وَيَأْتِينِي رِزْقِي ؟ فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ جَهْلَ الْعِلْمِ ، أَمَا سَمِعَ قَوْلَ الْمُصْطَفَى ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي »^(١) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا ٩٨/٦ فِي الْجِهَادِ ، بَابُ مَا قِيلَ فِي الرَّمْحِ ، قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» : هُوَ طَرَفٌ مِنْ حَدِيثِ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَنِيبِ الْجَرَشِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو بَلْفِظَ : «بَعَثَ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَعَ السِّيفِ ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي ، وَجَعَلَتِ الذَّلَّةُ وَالصُّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، وَمَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، وَهُوَ شَاهِدٌ مَرْسَلٌ بِإِسْنَادِ حَسَنِ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ . . . وَلِلْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ رِسَالَةٌ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ بِعَنْوَانِ «الْحَكْمُ الْجَدِيدَةُ بِالْإِذَاعَةِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : بَعَثَ =

وكان بينه وبين يحيى بن معين صحبة أكيدة، فهجره لقوله: لا أسأل أحداً شيئاً، ولو أعطاني الشيطان شيئاً لأكلته، حتى اعتذر، وحلف أنه كان مازحاً، فقال: تمزح في الدين! أما علمت أن الأكل من الحلال قدمه الله على العمل الصالح؟ فقال: ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ...﴾^(١) [المؤمنون: ٥١].

ومن كراماته: ما أخرجه الطبراني: أنه كان لرجل أمّ مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت له: اذهب إلى أحمد، وسله يدعولي. فأتاه، فدق الباب، فلم يفتح له، وقال: من هذا؟ فقال: أمي مقعدة، وتسا لك الدعاء. فقال: نحن أحوج أن تدعوا لنا، فرجع فوراً إلى الباب، فخرجت له أمه على رجليها تمشي من ساعتها^(٢).

وأخرج أيضاً: أن رجلاً دخل عليه، وعنده جمع، فقال: من منكم أحمد بن حنبل؟ فقال أحمد: ها أنا، ما حاجتك؟ قال: جئت من أربع مئة فرسخ بزا وبحراً، أتاني^(٣) آت فقال: تعرف أحمد بن حنبل؟ فقلت: لا. فقال: إئت بغداد، وسل عنه، فإذا رأيت فقل له: الخضر يقرئك السلام، ويقول لك: إن ساكن السماء الذي على عرشه استوى راض عنك، والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله^(٤).

وقد أفرّد جمع مناقبه بالتأليف منهم: البيهقي، وابن الجوزي^(٥).

وأخرج السلفي في «الطيوريات»^(٦) عن العتيقي عن الطرسوسي عن

= بالسيف بين يدي الساعة.

(١) وتمة الآية: ﴿واعملوا صالحاً﴾.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢١٢/١١ بعد سرد هذا الخبر: هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس الدوري.

(٣) في المطبوع: من واد أتاني.

(٤) من قوله: ومن كراماته - إلى هنا ليس في (أ).

(٥) مناقب أحمد بن حنبل طبعه في مصر سنة ١٣٤٩ هـ محمد أمين الخانجي. انظر

مؤلفات ابن الجوزي ص ١٧٥.

(٦) «الطيوريات» كتاب انتخبه أحمد بن محمد السلفي من أصول كتب الشيخ أبي الحسين =

الطبراني عن عبد الله بن أحمد، قال: سمعتُ أبي يقول، وقد قيل له: إنَّ هؤلاء الصُّوفيَّة قُعودٌ في المساجدِ على التوكُّلِ بغيرِ عِلْمٍ، قال: العِلْمُ أَعَدَّهُمْ. قيل له: إنَّ هِمَّتَهُمْ كسرةٌ وخرقةٌ، قال: لا أعلمُ أعظمَ عذراً^(١) ممَّن هذه صفته. قيل: فإنَّهم إذا سمِعوا السَّماعَ يقومونَ فيرقصون. قال: دَعَهُمْ يفرحوا برَبِّهم.

وكان مع سُمُوِّ مقامه يتردَّدُ إلى بعض الصُّوفيَّة، فقيل له: أتردَّدُ مع جَلالةِ قَدْرِكَ إلى زاويةِ هذا الشَّيخِ؟ قال: عندهُ رأسُ الأمرِ تقوى الله، أو قال: معرفةُ الله.

مات سنةً إحدى وأربعينَ ومئتينَ، وارتجَّتِ الدُّنيا لموتِهِ، وأغلقت بغداد لمشهده، ومُسِحَّتِ الأرضُ المبسوطةُ التي وقفَ النَّاسُ للصَّلَاةِ عليها، فحصر مقادير النَّاسِ بالمساحةِ ستِّ مئة ألف.

وكان يقولُ للمبتدعة: بيننا وبينكم يومُ الجنائز.

وأسلمَ يومَ موتِهِ من اليهودِ، والنَّصارى، والمَجوسِ، عشرةُ آلاف^(٢).

قال ابن أبي الوَرْدِ: رأيتُ المصطفى ﷺ، فقلتُ: ما شأنُ أحمد؟ قال: سيأتيك موسى فاسأله، فإذا بموسى، فقلتُ: يا نبيَّ الله، ما شأنُ أحمد؟ قال: بلي في السَّرِّاءِ والضَّرِّاءِ فوجدَ صادقاً، فألحقَ بالصَّديقين.

وذكرَ ابنُ عربي أنَّه رأى المصطفى عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، فأمرهُ أنَّهُ إذا كان البردُ أن يُسخِّنَ الماءَ للغُسلِ من الجَنَابَةِ، ولا يُصبِحُ على جَنَابَةِ. قال: ورأيتُهُ

= المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري. وفي الظاهرية نسخة مخطوطة منه برقم ٣٢٩ حديث، وتقع في ٢٨٦ ورقة. انظر المنتخب من مخطوطات الحديث للشَّيخ محمد ناصر الدين الألباني صفحة ٣٠٢.

(١) في المطبوع: كسيرة... أعظم قدراً.

(٢) قال الإمام الذهبي في السير ٣٤٣/١١: هذه حكاية منكورة تفرد بنقلها محمد بن عباس المكي عن الوركاني... ثم العادة والعقل تحيل وقوع مثل هذا، وهو إسلام ألوف من الناس لموت وليِّ الله، ولا ينقل ذلك إلا مجهولاً لا يعرف، فلو وقع ذلك لاشتهر ولتواتر لتوفر الهمم والدواعي على نقل مثله، بل لو أسلم لموته مئة نفس لقضي من ذلك العجب، فما ظنك!؟

يشكرُ على الجِماعِ، ويستحسِنُهُ من فاعِلِهِ، ثمَّ رأيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ في تلكَ اللَّيلةِ، فذكرتُ له ذلكَ فقالَ لي: هكذا ذكرَ البخاريُّ أنَّه رأى رسولَ اللهِ ﷺ في النَّومِ فأمرَهُ بذلكَ. كذا في «الفتوحات».

* * *

(٢١٣) أحمد بن محمد النُّوريُّ (*)

أحمد بن محمد الثُّوري، أبو الحُسَيْن، بغدادِي المَوْلِدِ والمَنْشَأ، بغويُّ الأصل، كان عليَّ الهِمَمِ، عَظِيمَ الكَرَمِ، وقد قيلَ: التَّصَوُّفُ كَفٌّ فارغٌ، وَقَلْبٌ طَيِّبٌ.

وهو من أقرانِ الجُنَيْدِ، صَحْبِ السَّرِيِّ، وابنِ أبي الحَوَارِي، نَعَمَ وكان كبيرَ الشَّانِ، عَجِيبَ المنطقِ^(١) والبيانِ، ذا رِياسَةَ في الفُنونِ، وسيادَةَ في التَّصَوُّفِ، وتفتَّنَ في عُلومِ الحَقائِقِ، وجَدَّ واجتهدَ في طَلَبِ خَيْرِ الطَّرائِقِ، بلغَ به من السُّمُوِّ الحُسنى وزيادَةَ.

انتهت إليه رِياسَةُ الصُّوفِيَّةِ في عَصْرِه، وسيادَةُ أهلِ الطَّرِيقِ في مِصره، وكان الجُنَيْدُ يُعَظِّمُهُ جِدًّا.

ذُكِرَ أَنَّ بَعْضَهُم رأى الثُّوريَّ في رِياسَتِهِ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَسألُ النَّاسَ، فاستقبحَ ذلكَ، وأخبرَ الجُنَيْدَ رحمه اللهُ، فقالَ: لا يُعَظَّمُ عَلَيْكَ ذلكَ، فَإِنَّه لم يَسألِ النَّاسَ إِلَّا لِيُعْطِيَهُم في الآخِرَةِ - أي الثَّوابِ - ثم وَزَنَ الجُنَيْدُ مِئَةَ دِرْهَمٍ بِمِيزانِ، وَقَبَضَ قَبْضَةً وَألقاها عليها، وقالَ: احمِلْها إِلَيْهِ. فقالَ الرَّجُلُ في نَفْسِهِ: إِنَّمَا

(*) طبقات الصوفية ١٦٤، حلية الأولياء ٢٤٩/١٠، تاريخ بغداد ١٣٠/٥، الرسالة القشيرية ١٢٣/١، الأنساب ١٥٥/١٢، صفة الصفوة ٤٣٩/٢، المنتظم ٧٧/٦، المختار من مناقب الأخيار ٦٦/ب، اللباب ٢٤٢/٣، سير أعلام النبلاء ٧٠/١٤، البداية والنهاية ١٠٦/١١، طبقات الأولياء ٦٢، النجوم الزاهرة ١٦٣/٣، طبقات الشعراني ٨٧/١.

(١) في المطبوع: عجيب الفطنة عظيم البيان.

وَزَنَ الْمِئَةَ لِيَعْرِفَ قَدْرَهَا، فَكَيْفَ خَلَطَ بِهَا الْمَجْهُولَ وَهُوَ حَكِيمٌ؟ فَذَهَبَ بِهَا إِلَى الثُّورِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، فَوَزَنَ مِئَةَ، وَقَالَ: رُدَّهَا عَلَيَّ، وَقُلْ لِي: لَا أَقْبَلُ مِنْكَ شَيْئاً. وَأَخَذَ مَا زَادَ، فزَادَ تَعْجُبُ الرَّجُلِ، فَسَأَلَ الثُّورِيَّ عَنِ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ الْجُنَيْدَ يُرِيدُ أَخْذَ الْجَبَلِ بِطَرْفِيهِ، وَزَنَ مِئَةَ لِنَفْسِهِ طَلِباً لِلثَّوَابِ، وَطَرَحَ عَلَيْهَا قَبْضَةً بِلَا وَزَنِ اللهُ، فَأَخَذْنَا مَا لَنَا وَرَدَدْنَا مَا جَعَلَهُ لِنَفْسِهِ. فَرَدَّهَا عَلَى الْجُنَيْدِ وَأَخْبَرَهُ، فَبَكَى وَقَالَ: أَخَذَ مَا لَنَا وَرَدَّ مَا لَنَا (١).

قال الخطيب البغدادي (٢): وهو أعلمُ العراقيين بلطائفِ [علم] القوم.

واعْتَلَّ الثُّورِيُّ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْجُنَيْدُ بَصْرَةَ دِرَاهِمٍ، فَرَدَّهَا، ثُمَّ اعْتَلَّ الْجُنَيْدُ فَعَادَهُ الثُّورِيُّ، وَقَعَدَ عِنْدَهُ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَعُوفِيَ فَوْرًا، فَقَالَ لِي: إِذَا عُدْتَ إِخْوَانَكَ فَارْفَقْهُمْ (٣) بِمِثْلِ هَذَا الْبُرِّ.

وَلَمَّا سَعَى غُلامُ الْخَلِيلِ بِالصُّوفِيَّةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، فَأَحْضَرُوا، وَأَحْضَرَ السِّيَافُ، فَبَادَرَ إِلَيْهِ الثُّورِيُّ، فَقَالَ السِّيَافُ: تَدْرِي لِمَ تُبَادِرُ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَضَرْبِ الْعُنُقِ؛ أَوْثِرُ أَصْحَابِي بِحَيَاةٍ لِحِظَةٍ، فَتَحْيِرَ السِّيَافُ، وَرَمَى السِّيْفَ، وَأَخْبَرَ الْخَلِيفَةَ، فَرَدَّ أَمْرَهُمْ لِقَاضِي قُضَاةِ بَغْدَادِ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ مَسَائِلَ، فَالْتَفَتَ الثُّورِيُّ يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ أَطْرَقَ، ثُمَّ أَجَابَ فَأَعْجَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ لِي عِبَادًا يَقُومُونَ بِاللَّهِ، وَيَرْوَحُونَ بِاللَّهِ، وَيَنْطِقُونَ بِاللَّهِ (٤)، وَيَحْيُونَ بِاللَّهِ، وَيَمُوتُونَ بِاللَّهِ، وَيَرْجِعُونَ فِي كُلِّ أَمْرِهِمْ إِلَيْهِ، وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ، وَيَثِقُونَ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ إِلَيْهِمْ. فَبَكَى الْقَاضِي، وَقَالَ لِلْخَلِيفَةِ: إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ زَنَادِقَةً فَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ، فَأَطْلَقَهُمْ، وَسَأَلَهُ الْقَاضِي عَنِ التَّفَاتِيهِ فَقَالَ: سَأَلْتُ صَاحِبَ الْيَمِينِ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ، وَصَاحِبَ الشَّمَالِ فَقَالَ كَذَلِكَ، فَسَأَلْتُ قَلْبِي فَأَخْبَرَنِي عَنْ رَبِّي، فَأَجَبْتُ.

(١) الخبر من (ف) فقط.

(٢) تاريخ بغداد ٥/١٣٠، وما بين معقوفين مستدرَك منه.

(٣) في (ب): فارقههم. وفي المطبوع: فارزقهم. والخبر في المختار ٦٦/ب، وتاريخ بغداد ٥/١٣٢.

(٤) جملة: ينطقون بالله من (أ).

وكان شديداً في تغيير المنكر، ولو كان فيه تلفه. نزل الدجلة يوماً يتوضأ، فرأى زورقاً فيه ثلاثون دناً خمراً، فسأل عنها، فقيل: للخليفة المعتضد، وكان قليل الرحمة جداً، فأخذ المُردي^(١) فكسرها إلا واحداً، فقبض عليه، وأحضر إلى المعتضد، وكان يسبق سيفه كلامه، فلما رآه قال: مَنْ أَنْتَ؟ قال: مُحْتَسِبٌ^(٢)، قال: مَنْ وَلَاكَ الْحِسْبَةَ؟ قال: الذي وَلَاكَ الإمامة. فأطرق ثم قال: ما الذي حملك على ذلك؟ قال: الشفقة عليك. قال: كيف تركت دناً واحداً؟ قال: أعجبتني نفسي عند وصولي إليه، فتركته، فخللاً سبيله^(٣).

ومن فوائده:

التَّصَوُّفُ تَرْكُ كُلِّ حَظٍّ لِلنَّفْسِ.

وقال: أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا: عَالِمٌ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ، وَعَارِفٌ يَنْطِقُ عَنْ حَقِيقَةٍ.

وقال: كَانَتِ الْمُرَقَّعَاتُ غِطَاءً عَلَى الدَّرِّ، فَصَارَتْ مَزَابِلَ عَلَى الْجِيفِ.

وسُئِلَ عَنِ الرَّضَا فَقَالَ: عَنِ وَجْدِي تَسْأَلُونَ أَوْ عَنِ وَجْدِ الْخَلَائِقِ؟ قَالُوا: عَنِ وَجْدِكَ، قَالَ: لَوْ كُنْتُ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ كُنْتُ أَرْضَى مِمَّنْ هُوَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى.

وقال: لَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ مَقَامُ الْمُشَاهِدَةِ وَفِيهِ نَظَرٌ لغيرِ اللَّهِ، وَمَتَى طَلَعَ الصَّبَاحُ اسْتَغْنَى عَنِ الْمِصْبَاحِ.

وساح، فجاع في البادية أياماً، فهتف به هاتف: أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ سَبَبٌ أَوْ كِفَايَةٌ؟ قَالَ: كِفَايَةٌ لَيْسَ فَوْقَهَا نِهَايَةٌ^(٤)، فَقَعَدَ بَعْدَهُ بَضْعَةَ عَشْرَ يَوْمًا لَا يَأْكُلُ.

(١) المُردي: خشبة تدفع بها السفينة، تكون في يد الملاح. اللسان (ردى). وفي الأصول: مدراة والمثبت من المختار من مناقب الأخيار ٦٧/ب.

(٢) الحسبة: من وظائف الدولة الإسلامية (مولدة) يراد بها مراقبة السوق في موازينه ومكاييله وأسعاره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحتسب من يتولى هذا. متن اللغة (حسب).

(٣) في (أ): عند وصولي إليه فخليته.

(٤) في المطبوع: ليس فوقها كفاية.

وقال: الجمعُ بالحقِّ تفرقةٌ عن غيره، والتفرقةٌ عن غيره جمعٌ به.

وقال: مَنْ وَصَلَ إِلَى وَدَّهٍ أَنْسَ بِقُرْبِهِ، وَمَنْ تَوَصَّلَ^(١) بِالْوِدَادِ فَقَدْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ.

وقال: مَنْ عَقَلَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِاللَّهِ فَرَجوعُهُ فِي كُلِّ حَالَتِهِ إِلَيْهِ.

وقال: الْفَقِيرُ الصَّادِقُ مَنْ لَا يَتَّهِمُ اللَّهَ فِي الْأَسْبَابِ؛ وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ الشَّبْلِيُّ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَوَجَدَهُ سَاكِنًا لَا يَتَحَرَّكُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَيْنَ أَخَذْتَ هَذِهِ الْمُرَاقَبَةَ وَالسُّكُونَ؟ قَالَ: مِنْ سِتُورِ لِي، إِذَا أَرَادَ الصَّيْدَ لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ شَعْرَةٌ.

وقال: لَا تَصِلُ إِلَى أَوَائِلِ أَوَّلِ^(٢) مَبْدَأِ حَوَاشِي عِلْمٍ بَدَأَ الْمَعْرِفَةَ حَتَّى تَخُوضَ إِلَى اللَّهِ سَبْعَةَ بَحَارٍ، أَشَدُّ مِنَ النَّيْرَانِ، بَحْرًا بَعْدَ بَحْرٍ، فَعَسَى بَعْدَ ذَلِكَ يَقَعُ لَكَ أَوَائِلُ بَدَأِ الْمَعْرِفَةِ.

وقال: نَعْتُ الْفَقِيرِ السُّكُونَ عِنْدَ الْعَدَمِ، وَالْبَدَلُ وَالْإِيثَارُ عِنْدَ الْوَجْدَانِ.

وقال: أَبَاحَ اللَّهُ الْعِلْمَ لِجَمِيعِ الْعَامَّةِ، وَخَصَّ بِالْمَعْرِفَةِ أَوْلِيَاءَهُ، وَبِالْمُكَاشَفَةِ أَصْفِيَاءَهُ، وَبِالْمُشَاهَدَةِ أَحِبَّاءَهُ، وَاحْتَجَبَ بِرَبوبِيَّتِهِ عَنْ جَمِيعِ بَرِيَّتِهِ، فَإِذَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ عَرَفُوا تَحَيَّرُوا، وَإِذَا تَوَهَّمُوا أَنَّهُمْ كُوشِفُوا احْتَجَبُوا، فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْرُهُ عَجِيبٌ.

وَسَمِعَ رَجُلًا يُؤذَنُ، فَقَالَ: طَعْنَةُ وَسَمِّ الْمَوْتِ، وَسَمِعَ كَلْبًا يَنْبَحُ، فَقَالَ لَهُ: لَبَيْكَ وَسَعْدِيكَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: الْمَوْذَنُ ذَكَرُهُ عَلَى رَأْسِ غَفْلَةٍ، وَالْكَلْبُ يُسَبِّحُهُ حَقِيقَةً ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وَكَانَ يَكْرَهُ ظُهُورَ الْكِرَامَةِ عَلَيْهِ، وَأَتَى لَيْلَةَ دِجْلَةَ لِيَعْدِي، فَالتَصَّقَ لَهُ الشَّطُّ

(١) في طبقات الصوفية ١٦٦: ومن توسل.

(٢) في المطبوع: أوائل... مبدأ.

بالشَّطِّ، فوقفَ، وقال: وعِزَّتِكَ وجلالِكَ لا أُعْبِرُ على دجلةَ في هذه اللَّيلةِ إلاَّ على زورقٍ بقيراطٍ.

ونزلَ في الماءِ ليغتَسِلَ، فجاءَ لِصِرِّ فأخذَ ثيابهُ ومَضَى، فرجعَ بعدَ ساعةٍ بالثيابِ وقد جَفَّتْ يَداهُ، فقال: إلهي، كما رَدَدْتَ عليَّ ثيابي فازدُدْ عليه يَدِيهِ^(١)، فعُوفِي.

وقال بعضهم: احتبسَ على أهلي الولدُ، فجِئْتُه بجامٍ أتبرَّكُ بخطِّه، فكتب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، فانفلقَ الجامُ وسقطَ مُغمى عليه، فأتيتهُ بآخر، فكان كذلك، ثم ثالِثٍ، ورابعٍ، وخامسٍ وهكذا، والحالُ الحال، فقال: يا هذا، اذهبْ إلى غيري، فلو جِئْتَ بما أمكَنَ أن تجيءَ به لم يكن إلاَّ ما رأيتَ؛ فإنِّي عبْدٌ إذا ذكرتُ مولاي ذكرتهُ بهيبةً وحُضورٍ.

وسببُ موته أنه سمعَ قائلاً يقول:

لازلتُ أنزلُ من وِدادِكَ منزِلاً

تتحيرُ الألبابُ عندَ نزولِهِ

فتواجَدَ، وهامَ في الصَّحراءِ، فوقعَ في أجمةٍ قصبٍ قطعَ وبقيتُ أصولُهُ كالسِّيفِ، فمضى عليها، ولم يشعرَ، فسألَ الدَّمُ من بدنه، ثم وقعَ كالسكران^(٢)، ومات.

ولمَّا احتضِرَ قيلَ له: ما تشتهي؟ فرفعَ رأسَهُ، وقد انكسرَ لسانُهُ، وقال: أشتهي شهوةً كبيرةً. قيل: وما هي؟ فقال: رؤيةَ الله، ثم تنفَسَ نفساً عالياً كالمتواجِدِ، وفارقَ الدُّنيا سنةَ خمسٍ وتسعينَ ومئتين.

ولمَّا حُمِلَتْ جنازتهُ، صاحَ الشُّبليُّ خلفَهُ: أضرموا على الأرضِ النَّارَ؛ فقد رُفِعَ العِلْمُ.

وقيلَ له عندَ النَّزعِ: قُلْ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فقال: أليسَ إليه نعودُ؟! *

* * *

(١) في حلية الأولياء ١٠/٢٥١: ربِّ، قدرَدَ عليَّ ثيابي فردَّ عليه يمينه.

(٢) في (أ): ثم وقع كالسكران، فتورم ومات.

(٢١٤) أحمد بن أبي الورد (*)

من أكابر مشايخ الوقت المعدودين، ورؤوس زهاد البغداديين، جاهد نفسه حتى صفت بعد الكدر، وعالج طبعه حتى انقاد وانقهر، وقد قيل: التصوف: صفة القرب بعد كدورة البعد.

نعم، وكان من أصحاب العطايا والمواهب، له من الكرامات عجائب، يحملها الصبا والتجائب.

صحب: السري السقطي، والمحاسبي، وغيرهما، وأخذ الحديث عن جمع.

ومن كلامه:

إنما بسط بساط الأنس للأولياء ليأنسوا به، ويدفع^(١) به عنهم حشمة بديهة المشاهدة، وبسط بساط الهيبة للأعداء ليستوحشوا من قبائحهم، لعلهم يرجعون^(٢).

وقال: ولي الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.

وقال: التواضع أحد مصائد الشرف، وكل نعمة يحسد عليها صاحبها إلا التواضع.

وقال: وصل القوم بخمس: بلزوم الباب، وترك الخلاف، والنفاذ في

(*) طبقات الصوفية ٢٤٩، حلية الأولياء ٣١٥/١٠، تاريخ بغداد ٦٠/٥، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار ١٨/ب، صفة الصفة ٣٩٥/٢، المنتظم ٤٢/٥، المختار من مناقب الأخيار ٦٦/أ، ميزان الاعتدال ١٤٨/١، طبقات الأولياء ٣٧٢، طبقات الشعراني ٩٨/١.

(١) في طبقات الصوفية ٢٥٠: بسط بساط المجد للأولياء ليأنسوا به، وليرفع عنهم...
(٢) في طبقات الصوفية ٢٥٠: ليستوحشوا من قبائح أفعالهم، فلا يشاهدوا ما يستروحون منه إليه في المشهد الأعلى.

الخدمة، والصَّبْرُ على المصائب، وصِيَانَةُ الكرامات.

وقال: المُرِيدُ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ، فِيرَى زِيَادَةَ عَمَلِهِ وَنُقْصَانَهُ، وَالْمُرَادُ يَعْمَلُ بِعِلْمِ اللَّهِ فِيهِ^(١)، وَلَا يُشَاهِدُ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِهِ، بَلْ يُشَاهِدُ جَرِيَانَ الْحَقِّ عَلَيْهِ.

وَكَانَ الْمُسَوِّحِيُّ يَقُولُ^(٢): مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدِمَ الْفُقَرَاءَ فَلْيَخْدِمْ خِدْمَةَ ابْنِي أَبِي الْوَرْدِ، خِدْمَانِي عَشْرِينَ سَنَةً فَمَا سَأَلَانِي قَطُّ.

وَقَالَ السُّلَمِيُّ: كَانَ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدُ ابْنَا أَبِي الْوَرْدِ مِنْ أَجَلَّةِ مَشَايخِ بَغْدَادِ، وَأَحْمَدُ أَصْغَرُ، وَمَاتَ قَبْلَ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ^(٣).

* * *

(٢١٥) أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُوقٍ (*)

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْرُوقِ الطُّوسِيِّ، الْمُسْتَأْنَسُ بِالْحَقِّ، الْمُسْتَوْجِشُ مِنَ الْخَلْقِ، كَانَ مُفَوَّضاً مُسْتَرِيحاً، وَمُسَامِحاً سَمِيحاً^(٤)، سَكَنَ بَغْدَادَ وَصَحِبَ الْمُحَاسِبِيَّ، وَالسَّقَطِيَّ.

وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ كَثِيرِينَ، وَهُوَ مِنْ أَجَلَّةِ عُلَمَاءِ الْقَوْمِ، وَكَانَ مَعْرُوفاً بِالْخَيْرِ، مَذْكُوراً بِالْفَضْلِ، مَتِينَ الدِّيَانَةِ، مُتَوَشِّحاً بِالصِّيَانَةِ، مَعْرُوفاً بِالْعِفَّةِ

(١) فِي (أ): بِعَمَلِ اللَّهِ.

(٢) فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ٦١/٥، وَالْمَخْتَارِ ٦٦/أ: وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّبَاجِي. وَفِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ ٣٩٦/٢: وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّاجِي.

(٣) تَارِيخِ بَغْدَادِ ٦٠/٥، ٦١.

(*) طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ ٢٣٧، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ: ٢١٣/١٠، تَارِيخِ بَغْدَادِ ١٠٠/٥، الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ ١٤٢/١، صِفَةُ الصَّفْوَةِ ١٢٨/٤، الْمُنْتَظَمُ ٩٨/٦، الْمَخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ٦٥/أ، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ٤٩٤/١٣، مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ ١٥٠/١، الْعَبْرُ ١١٠/٢، مِرَاةُ الْجَنَانِ ٢٣١/٢، طَبَقَاتُ الْأَوْلِيَاءِ ٨٩، لِسَانُ الْمِيزَانِ ٢٩٢/١، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٧٧/٣، طَبَقَاتُ الشُّعْرَانِيِّ ٩٣/١، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٢٧/٢، هَدِيَّةُ الْعَارِفِينَ ٥٦، ٥٥/١.

(٤) فِي (أ) وَ(ف): شَحِيحاً.

والأمانة، وكان إذا وَعَظَ في بقعة أخذت زُحرفها وازَّيَّنت، وُعِدَّت من الخيراتِ وتعيَّنت.

ومن فوائده:

كثرة النَّظَرِ إلى ما سوى الله تُذهِبُ معرفةَ الحقِّ من القلبِ.

وقال: مَنْ لَمْ يَحْتَرِزْ بعقله من عقله هَلَكَ عقله.

وقال: المؤمنُ يقوى بذكرِ الله، والمُنافِقُ بالأكلِ والشُّربِ.

وقال: الحُبُّ قَيْدُ المُحِبِّينَ إذا صَحَّ، وزِمَامُ المُحِبُّوبِينَ إلى المُحِبِّينَ.

وقال: مَنْ تَرَكَ التَّدْبِيرَ عاشَ في راحةٍ.

وقال: مَنْ كَانَ سُورُهُ بغيرِ الحقِّ فسورُهُ يُورثُ الهُمومَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَنْسُهُ

في خِدْمَةِ رَبِّهِ فهو من أَنْسِهِ في وَحْشَةٍ.

وقال: متى طَلَبْتَ الإرادةَ قَبْلَ تصحيحِ مَقَامِ التَّوْبَةِ فأنتَ في غفلةٍ عَمَّا

تَطْلُبُهُ.

وسُئِلَ عَنِ التَّصَوُّفِ، فقال: خُلُوْا الأسرارِ مِمَّا مِنْهُ بُدٌّ، وتعلُّقُها بما ليس منه

بُدٌّ.

وقال: رأيتُ القيامةَ قَامَتْ، والخَلْقُ مجتمعون، إذ نادى مُنادٍ: الصلاةُ

جامعة، فاصطفَّ النَّاسُ صُفُوفاً، فأتاني مَلَكٌ عرضُ جبهته ميلٌ في ميلٍ، فقال:

تقدَّم، فصلَّ بالنَّاسِ، فتأمَّلتُ فإذا مَكْتُوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ: جبريلُ الأمينُ. فقلتُ:

أين رسولُ الله ﷺ؟ قال: مَشغولٌ بِنَصْبِ الموائدِ لِإخوانِهِ الصُّوفِيَّةِ، قلتُ: وأنا

منهم؟ قال: نعم، لكنْ شَغَلَكَ كَثْرَةُ الحَدِيثِ.

وقال: قَدِمَ علينا شيخٌ، فكانَ يتكلَّمُ علينا في هذا الشَّانِ بكلامٍ حَسَنِ، وكانَ

عَذَبَ الكلامِ، جيَّدَ الخاطِرِ، فقالَ لنا: كلُّ ما وَقَعَ في خاطِرِكُمْ فتقولوه لي.

فوقَعَ في قلبي أَنَّهُ يهوديٌّ، وكانَ الخاطِرُ يَقوى ولا يَزول، فذكرتُهُ للجريريِّ

فكَبَّرَ^(١) عليه، فقلتُ: لا بُدَّ أَنْ أُخْبِرَهُ، فأخبرتهُ، فقال: صدقتُ، وتشهدُ، ثمَّ

(١) في (ب): فقوي.

قال: مارستُ جميعَ المذاهبِ، وكنتُ أقولُ إنَّ كانَ مع قومٍ شيءٌ فمع هؤلاء، فصحبْتُكم لأختبرُكم، وأنتم على الحقِّ.

وقال: دخلتُ على أبي الفضلِ الهاشميِّ وهو عليلٌ، وكان ذا عيالٍ، ولا سببَ له، فقلتُ في نفسي: من أين يأكلُ هذا الرَّجلُ؟ فصاح: يا أبا العباسِ، رُدَّ هذه الهِمَّةُ الدنِّيَّةُ، فإنَّ لله الطافاً خفيَّةً.

ماتَ سنةَ ثمانٍ، أو تسعٍ وتسعينَ ومثتين.

* * *

(٢١٦) أحمد بن عاصم الأنطاكي (*)

الإمامُ الزَّاهدُ، العالمُ العابدُ، صدَّرَ حوى أسراراً من العلوم، وصوفيٌّ ظهرَ في أهلِ قطره كالبدْرِ بينَ الثُّجوم، سَلَكَ طريقَ الزَّهَادَةِ والصَّلَاحِ، وطارَ إلى أوطارِ المعارفِ بجناحِ النَّجاحِ، وكان للهوى قاصِماً، ولشُّرورِ النَّفسِ هاشِماً، يلوِّمُ الثُّوَامَ، وينقُمُ على الثُّوَامِ^(١)، وكان يُسمَّى جاسوسَ القلوبِ^(٢). ومن فوائده البديعةِ النَّظام: إذا صارتِ المعاملةُ إلى القلبِ استراحتِ الجوارحُ.

وقال: غنيمَةٌ باردةٌ: أصلحُ فيما بقى، يغفرُ لك ما مضى.

وقال: الخَيْرُ كُلُّهُ^(٣) في حرفين: تُزوى عنكَ الدُّنيا، ويُمَنُّ عَلَيْكَ بالقنْعِ،

(*) الجرح والتعديل ٢/٦٦، الثقات لابن حبان ٨/٢٠، طبقات الصوفية ١٣٧، حلية الأولياء ٩/٢٨٠، الرسالة التفسيرية ١/١١١، صفة الصفوة ٤/٢٧٧، المختار من مناقب الأخيار ٥٨/أ، مختصر تاريخ دمشق ٣/١٢٧، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٨٧، ١١/٤٠٩، ميزان الاعتدال ١/١٠٦، البداية والنهاية ١٠/٣١٨، طبقات الأولياء ٤٦، الطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٣.

(١) في حلية الأولياء: يديم القيام، وينقم على اللوام.

(٢) جاء في المختار ٥٨/أ: كان أبو سليمان الداراني يُسمِّيه: جاسوس القلوب، لجِدَّةِ فراسته.

(٣) الخبير في حلية الأولياء ٩/٢٨٢، ومختصر تاريخ دمشق ٣/١٢٩ بلفظ: الخير كله في =

وَيُصْرَفُ عَنْكَ وَجْوهُ النَّاسِ، وَيُؤْمَنُ عَلَيْكَ بِالرِّضَا.

وقال: التَّزْيِينُ اسْمٌ لثَلَاثَةِ مَعَانٍ: مُتَزَيِّنٌ بِعِلْمٍ، وَمُتَزَيِّنٌ بِجَهْلِ، وَمُتَزَيِّنٌ بِتَزَكِ التَّزْيِينِ، وَهُوَ أَعْمَضُهَا^(١) وَأَحَبُّهَا إِلَى إِبْلِيسَ.

وقال: ما وجدتُ في الشَّرِّ نَوْعاً أَكْثَرَ ضَرراً مِنَ الْغِيْبَةِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ.

وقال: احذِرِ الْغِيْبَةَ كَمَا تَحْذَرُ عَظِيمَ الْبَلَاءِ، فَإِنَّهَا إِذَا ثَبَتَتْ فِي الْقَلْبِ أَتَتْهَا أَخْوَاتُهَا مِنَ النَّمِيمَةِ، وَالْبَغْيِ، وَسُوءِ الظَّنِّ، وَالْبُهْتَانِ، وَهِيَ مُجَانِبَةٌ لِلْإِيمَانِ.

وقال: كُلُّ نَفْسٍ مَسْؤُولَةٌ فَمُرْتَهَنَةٌ أَوْ مُتَخَلِّصَةٌ، وَفِيكَائِ الْمَرْهُونِ بَعْدَ قَضَاءِ الدُّيُونِ، فَإِذَا غَلِقَتْ^(٢) الرُّهُونَ أَكَّدَتْ الدُّيُونَ فَاسْتَوْجَبُوا الشُّجُونَ.

وقال: ارْجِعْ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ عَلَى شُرُورِ هَذِهِ الْأَنْفُسِ، وَمُخَالَفَةِ هَذِهِ الْأَهْوِيَةِ، وَمُجَاهَدَةِ هَذَا الْعَدُوِّ.

وقال: يَسِيرُ الْيَقِينِ يُخْرِجُ كُلَّ شَكٍّ مِنَ الْقَلْبِ، وَيَسِيرُ الشَّكِّ يُخْرِجُ الْيَقِينَ كُلَّهُ مِنَ الْقَلْبِ.

وقال: قِلَّةُ الْخَوْفِ مِنْ قِلَّةِ الْحُزْنِ فِي الْقَلْبِ، وَإِذَا قَلَّ الْحُزْنُ فِي الْقَلْبِ خَرِبَ كَمَا أَنَّ الْبَيْتَ إِذَا لَمْ يُسَكَّنْ خَرِبَ.

وقال: ما من عَافِيَةٍ إِلَّا وَقَدْ تَقَدَّمَهَا عَفْوٌ، وَلَوْلَا الْعَفْوُ لَجَاءَتْ الْبَلِيَّةُ.

وقال: مَنْ قَلَّ صَبْرُهُ عَلَى عِلَاجِ عَدُوِّهِ سَاعَدَ عَدُوَّهُ عَلَى مُجَاهَدَتِهِ، فَهُوَ أَهْلٌ لِأَنَّ يَضْحَكَ مِنْهُ الضَّاحِكُونَ.

وقال: كَفَى بِالْعَبْدِ عَاراً أَنْ يَدْعِيَ دَعْوَةً لَا يُحَقِّقُهَا بِفِعْلِهِ، أَوْ يَجْعَلَ لِغَيْرِ رَبِّهِ مِنْ قَلْبِهِ نَصِيباً، أَوْ يَسْتَوْجِشَ مَعَ ذِكْرِهِ.

وقال: مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ.

وقال: إِذَا جَالَسْتُمْ أَهْلَ الصِّدْقِ فَجَالِسُوهُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّهُمْ جَوَاسِيسُ

= حرفين، قلت: وما هما؟ قال: تزوي عنك الدنيا، ويمن عليك بالقنوع.

(١) في حلية الأولياء ٢٨٩/٩: وهو أعمقها.

(٢) يقال غلق الرهن إذا استحقه المرتهن. القاموس (رهن).

القلوب، يَدْخُلُونَ قُلُوبَكُمْ وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَحْسُونَ .
وكانَ من أكابرِ المُحدِّثينَ روى عن: أبي مُعاويةَ الضَّريرِ، والهِثمِ بنِ
جميلِ، ومَخَلدِ بنِ حَسينِ، وغيرَهُم .

وعنه: محمود بن خالد، وأبو زرعة النَّصري، وجماعة .

* * *

(٢١٧) أحمد بن خضرويه البلخي (*)

وَلِيٌّ عَارِفٌ، سَخِيٌّ بِيَذَلِ التَّالِدِ وَالطَّارِفِ، عَلِيُّ الْمِقْدَارِ، جَلِيٌّ الْأَنْوَارِ،
عَجِيبُ الشَّانِ، مِنْ كِبَارِ شُيُوخِ خُرَاسَانَ، أَيْسَ مِنْ الْفُضُولِ فَأُونِسَ بِالْوَصُولِ،
وَقِيلَ: إِنَّ التَّصَوُّفَ تَطْهِيرٌ مِنَ الْأَدْنَسِ، وَتَشْمِيرٌ لِلْإِينَسِ .

لَقِيَ: النَّخْشَبِيَّ، وَالْأَصَمَّ، وَأَبَا يَزِيدَ، وَغَيْرَهُم .

وكانَ يَجْلِبُ الْقُلُوبَ بِوَعْظِهِ الَّذِي يَنْفُثُ فِي الْعُقَدِ، وَيُنْبَهُ بِزَوَاجِرِهِ مَنْ أَغْفَى
وَمَنْ رَقَدَ، مَا رَأَهُ فقيهُ جاحِدٌ أو مُكابِرٌ مُنتَقِدٌ إِلَّا اعْتَرَفَ، وَوَقَفَ عَلَى شَاطِئِ
التَّسْلِيمِ وَرُبَّمَا اغْتَرَفَ .

ومن كلامه:

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَعَ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ فَلْيَلْزِمِ الصِّدْقَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّادِقِينَ .

وقال: الْقُلُوبُ جَوَالَةٌ، فَإِذَا أَنْ تَجُولَ حَوْلَ الْعَرْشِ، أَوْ تَجُولَ حَوْلَ
الْحَشِّ .

وقال: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ رِعَايَةَ السَّرِّ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ .

(*) طبقات الصوفية ١٠٣، حلية الأولياء ٤٢/١٠، تاريخ بغداد ١٣٧/٤، الرسالة القشيرية
١٠٣/١، صفة الصفوة ١٦٣/٤، المختار من مناقب الأخيار ٥٧/أ، سير أعلام النبلاء
٤٨٧/١١، الوافي بالوفيات ٣٧٣/٦، طبقات الأولياء ٣٧، النجوم الزاهرة ٣٠٣/٢،
طبقات الشعراني ٨٢/١ .

وقال: القلوب أوعى، فإذا امتلأت من الحق فاضت زيادة^(١) أنوارها على الجوارح، أو من الباطل ظهرت زيادة^(٢) ظلماتها على الجوارح.

وقال: الصبر زاد المضطربين، والرضا درجة العارفين، فمن صبر على صبره فهو من الصابرين، لا من صبر وشكا.

وقال: حقيقة المحبة معرفته تعالى بالقلب، وذكره باللسان مع الحضور والاحترام، ورفع الهمة عن كل ما سواه، والمغبون من رضي بسواه.

وقال: لا نوم أثقل من نوم الغفلة، ولا ريق أملك من ريق الشهوة، ولا غبن أشد من رضي العبد بغير مولاه.

وقال: أمث نفسك بالمجاهدة حتى^(٣) تحيها بالمجاهدة.

ومن كراماته: أنه كان يلبس في شدة البرد قميصاً واحداً، وهو مع ذلك يعرق، وكان إذا تكلم على الناس يفرش بساطه على وجه نهر جيحون ويجلس عليه، ويجلس معه أربع مئة رجل.

وكان عليه سبع مئة دينار ديناً، وحضر غرماؤه وهو في النزاع، فنظر إليهم، وقال: اللهم، إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الديون، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم، فأد عني. فدق داق الباب، فقال: هذه دار أحمد بن خضرويه؟ قالوا: نعم، قال: أين غرماؤه؟ فخرجوا، ففضى دينه، فخرجت روحه فوراً.

مات سنة أربع ومئتين، وقيل: أربعين ومئتين.

وأسند الحديث: عن محمد بن عبدة المروزي، وغيره.

* * *

(١) في طبقات الصوفية ١٠٥: أظهرت زيادة.

(٢) في طبقات الصوفية ١٠٥: أظهرت زيادة.

(٣) لفظة (حتى) ليست في (أ).

(٢١٨) أحمد بن أبي الحواري (*)

أحمد بن أبي الحواري، بفتح الرّاء، وكسرِها. قال في «البستان»^(١):
والكسرُ أشهر، والفتحُ سمعتهُ من شيخنا الحافظ أبي البقاء يحكيه عن أهل
الإتقان.

وهو السيّد الجليل، المتخلّق بكلّ خلقٍ جميل، الزاهد في الأموال
والسراري، التابذ للنساء والجواري، العابد في القفار والبراري، كان لفُصول
الدنيا قالياً، وعن الملاذّ سالياً، وفي مكين الأحوال عالياً، ولصحيح الآثار
حاوياً.

نعم، وكان شريفَ الجلال، مُنيفَ الخلال، وارِفَ الظلال، صارِفَ
الملال، طودَ حلم، وبحرَ علم، يتموجُ بفضائل، ويتبرجُ ببراهين ودلائل،
بذهن يتوقّد، وقريحة تدورُ على قطب الصواب كالفرقد.

صحب الداراني، وابن عيّنة، وغيرهما.

قال القشيري^(٢): هو ربحانة أهل الشام.

وقال يحيى بن معين: أهل الشام به يُمطّرون.

وقال مرّةً أخرى: يسقيهم الله الغيث به.

وقال محمود بن خالد: ما بقي على وجه الأرض مثله.

(*) الجرح والتعديل ٤٧/٢، الثقات لابن حبان ٢٤/٨، طبقات الصوفية ٩٨، حلية
الأولياء ٥/١٠، الرسالة القشيرية ١٠٥/١، طبقات الحنابلة ٧٨/١، صفة الصفوة
٢٣٧/٤، المختار من مناقب الأخيار ٥٥/ب، مختصر تاريخ دمشق ١٤٢/٣، تهذيب
الكمال ٣٦٩/١، سير أعلام النبلاء ٨٥/١٢، مرآة الجنان ١٥٣/٢، البداية والنهاية
٣٤٨/١٠، طبقات الأولياء ٣١، تهذيب التهذيب ٤٩/١، طبقات الشعراني ٨٢/١،
شذرات الذهب ١١٠/٢.

(١) بستان العارفين صفحة (٦٣).

(٢) الرسالة القشيرية ١٠٥/١، والقول للجنيد في ابن أبي الحواري.

ومن كراماته :

أنه كان بينه وبين الداراني عقداً لا يخالفه، فجاءه وهو يتكلم بمجلسه، وقال: يا سيدي، التور قد سُجِرَ، فما تأمر؟ وكزّره فلم يُجبه، فكَرَّره، فقال له: اذهب فاقعد فيه، كأنه ضاق به صدره، وتغافل ساعةً طويلةً، ثم قال: اطلبوه من التور؛ فإنه على عقدي لا يخالفني. فنظروا، فإذا هو داخله لم يحترق منه شعرة^(١).

ومن كلامه :

مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ مَحَبَّةً أَخْرَجَ اللهُ نُورَ اليَقِينِ وَالزُّهْدِ مِنْ قَلْبِهِ .
وقال : ما ابْتَلِي عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ القَسْوَةِ والغَفْلَةِ .

وقال : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْرَفَ بِشَيْءٍ مِنَ الخَيْرِ ، أَوْ يُذَكَّرَ بِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَتِهِ .

وقال : مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا زَهْدًا فِيهَا ، وَمَنْ عَرَفَ الآخِرَةَ رَغْبًا فِيهَا ، وَمَنْ عَرَفَ اللهَ آثَرَ رِضَاهُ ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ فَهُوَ مِنْ دِينِهِ فِي غُرُورٍ .
وقال : إِنْ دَخَلْتَ القَبْرَ وَمَعَكَ الإِسْلَامَ فَأُبَشِّرْ .

وقال : إِنَّ الرِّجْلَ لَيَنْقَطِعُ إِلَى مُلُوكِ الدُّنْيَا فَيَرَى أَثْرَهُمْ عَلَيْهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَنْقَطِعُ إِلَى اللهِ ؟

وقال : مَنْ أَيْقَنَ بِمَا بَعْدَ المَوْتِ شَدَّ مِثْرَ الخَذِرِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلدُّنْيَا عِنْدَهُ خَطَرٌ .

وتال : العذابُ على العارفين أهونُ من العصيانِ .

وقال : الدُّنْيَا مَزْبَلَةٌ وَمَجْمَعُ الكِلَابِ ، وَأَقْلٌ مِنَ الكِلَابِ مَنْ عَكَفَ^(٢) عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّ الكَلْبَ يَأْخُذُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَيُفَارِقُهَا ، وَمُحِبُّهَا لَا يُفَارِقُهَا .

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٩٣/١٢ : حكاية منكرة . وانظر إلى ما قاله الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله معقباً على هذه الحكاية في السير أيضاً .

(٢) في الأصول : عطف ، والمثبت من طبقات الصوفية ١٠٢ ، والمختار ٥٦/أ .

وقال: مررتُ براهبٍ نحيفٍ فقلتُ: أنتَ عليلٌ؟ قال: نعم. قلتُ: منذُ كم؟ قال: منذُ عرَفْتُ نَفْسِي، قلتُ: فنداويك؟ قال: قد أعيانى الدَّواءُ، وقد عَزَمْتُ على الكَيِّ. قلتُ: وما الكَيُّ؟ قال: مُخَالَفَةُ النَّفْسِ.

قال: رأيتُ في النَّومِ جاريةً، وَجْهَها كالبَدْرِ، قلتُ: ما أنورَ وَجْهَك! قالت: تذكرُ ليلةً بَكيتَ فيها؟ قلتُ: نعم. قالت: حَمِلْتُ دَمْعَتَكَ إِلَيَّ، فَمَسَحْتُ بِها وَجْهِي، فَصارَ كما تَرى.

وقال: في بعضِ الكُتُبِ الإلهيَّةِ أَنَّ بَدَنَ آدمَ خُلِقَ مِنَ الأَرْضِ، وَرُوحَهُ مِنَ مَلَكوَتِ السَّماءِ، فإذا أَجاعَ بَدَنُهُ وَأَعراهُ^(١) وَأَسهَرَهُ وَأَقمأه^(٢) نازَعَ الرُّوحَ إلى المَوضِعِ الَّذي خَرَجَ مِنْهُ، وإذا أَطعمَهُ وَسَقاهُ، وَنَعَمَهُ وَنَوَمَهُ أَخَلَدَ إلى المَوضِعِ الَّذي خُلِقَ مِنْهُ، فلم يَكُنْ شَيءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنيا.

وقال: شَكَوتُ لِلدَّارِانيِّ قَسوَةً قَلْبِي فقال: بما كَسَبْتَ يَدَاكَ، شَهوَةٌ أَصَبَتْها. وَرَمَى بِكُتُبِهِ فِي البَحْرِ، وَقَالَ: نَعَمَ الدَّلِيلُ كُنْتُ، وَالإشْتغالُ بالدَّلِيلِ بَعْدَ الوَصولِ مُحالٌ.

وفي رواية: أَنَّهُ طَلَبَ العِلْمَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَلَمَّا بَلَغَ حَمَلَ كُتُبَهُ إِلَى البَحْرِ، فَغَرَّقَها، وَقَالَ: يا عِلْمُ، لِمَ أَفَعَلْتُ بِكَ هَذا؟ هَوَاناً بِكَ، وَلا اسْتِخفافاً بِحَقِّكَ، لَكِنْ كُنْتُ أَطَلُبُ لِأَهْتَدِيَ بِكَ إِلَى رَبِّي، وَالآنَ اسْتَغْنَيْتُ عَنْكَ.

وقال: لا دَلِيلَ عَلى اللهِ سِواهُ، وَإِنَّمَا يُطَلَبُ العِلْمُ لِأَدابِ الخِدْمَةِ. وَقَالَ: ثَلَاثُ هُنَّ أَخَذَةٌ لِلْمَتَعَبِّدِ: المَرَضُ، وَالْحَجُّ، وَالتَّزْوِيجُ، فَمَنْ ثَبَّتَ عِنْدَهُنَّ فَقَدْ ثَبَّتَ.

وقال: عَلامَةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ ذِكرِهِ.

وقال: إذا حَدَّثتَكَ نَفْسُكَ بِتَرِكِ الدُّنيا عِنْدَ إِدبارِها فَهُوَ خُدَعَةٌ، وإذا حَدَّثتَكَ بِتَرِكِها عِنْدَ إِقبالِها فَذاك.

(١) فِي المَطبوعِ: وَأَعراهُ وَأَشقاها وَأَسهَرَهُ.

(٢) أَقْمأه: صَغَّرَهُ، وَذَلَّلَهُ. اللِّسانُ (قما).

وقال: إذا قرأ ابنُ آدمَ القرآنَ ثمَّ خلطَ، ثم عادَ يقرأ، يقولُ اللهُ: ما لك ولكلامي؟

وقال: قلتُ لراهبٍ: أيُّ شيءٍ أقوى ما تجدونه في كُتُبِكُمْ؟ قال: ما نجدُ شيئاً^(١) أقوى من أن تجعلَ قُوَّتَكَ كُلَّها في محبَّةِ الخالقِ.

وقال: علامةُ الرِّضا أن لا تختارَ إلا ما يختاره مولاك.

وقال: قلتُ للدارانيِّ: كنتُ لبعضِ الأولياءِ قبلَ اليومِ أشدَّ حُبًّا. فقال: إنما يُتَقَرَّبُ إليه بحُبِّ أوليائه أولاً، ثم تأتي بعدُ منزلةٌ تشغلُ القلبَ.

وقال: ما تفرَّغَ عبدٌ لله ساعةً، إلا نظرَ اللهُ إليه بالرحمةِ.

وقال: إذا وصلوا إليه لم يرجعوا عنه، إنما رجعَ مَنْ رجَعَ من الطريقِ.

وقال: القلبُ بمنزلةِ القمعِ يُصبُّ فيه الزيتُ أو العسلُ، فيخرجُ منه، وتبقى فيه لطاختهُ.

وقال: قيلَ لموسى عليه السَّلامُ: إنما مثلُ كتابِ أحمدَ في الكتبِ بمنزلةِ وعاءٍ فيه لبنٌ كُلُّما مَخضتُهُ أخرجتَ زبدهً.

وقال: كنتُ جالساً ببيتِ المقدسِ، وإذا بشابٍّ طلعَ عَلينا، والصبيانُ حوله يُقدِّفونه بالحجارةِ، ويقولونَ: مجنون. فدخلَ المسجدَ، وهو يقولُ: اللَّهُمَّ، ارمني من هذه الدَّارِ التي لا أرى فيها إلا الأكدارَ، فقلتُ له: هذا كلامٌ حكيمٍ، يا هذا من أين لك هذه الحكمةُ؟ قال: مَنْ أخلصَ له الخِدمةَ أورثهُ طرائقَ الحكمةِ، وأيدَهُ بأسبابِ العِصمةِ، وما بي جنونٌ وزلقٌ، بل قلقٌ في فرقٍ. فقلتُ: غلطَ مَنْ سَمَّاكَ مجنوناً، فولى هارباً.

وقال: إذا صارَ ابنُ آدمَ في قبرِهِ لم يبقَ شيءٌ كان يخافُهُ دونَ اللهُ إلا مُثَّلَ له في قبرِهِ^(٢). يُفزعُهُ؛ لأنَّه خافُهُ في الدُّنيا دونَ اللهُ.

وقال: كنتُ بالمدينةِ فأتيتُ مسجدَ محمدٍ ﷺ بليلٍ، فإذا شابٌّ يتهجَّدُ بين

(١) في الأصول: ما تجعل شيئاً. والمثبت من حلية الأولياء ٨/١٠.

(٢) في (أ): لحدّه.

القبرِ والمِنْبَرِ، فلمَّا طَلَعَ الفجرُ استلقى على جنبِهِ، وقال:

عند الصُّباحِ يَحْمَدُ القومُ الشُّرَى^(١)

فقلتُ: يا ابنَ أخي، لك ولأصحابِكَ لا للجَمالينِ.

وقال: ابنُ آدمَ، ليس لما بقيَ في الدُّنيا من عُمرِكَ ثمنٌ.

والتقى يوماً هو وأحمدُ بنُ حنبلٍ بمكَّةَ، فقال ابنُ حنبلٍ: حدِّثنا بحكايةٍ

سمعتها من أستاذِكَ الدَّارانيِّ، فقال: يا أحمدُ، قُلْ سبحانَ الله بلا عَجَبٍ. فقال

ابنُ حنبلٍ: سبحانَ الله - وطوَّلها - بلا عَجَبٍ.

قال: سمعتُ أبا سُلَيْمانَ يقولُ: إذا عَقَدتِ^(٢) التُّفوسُ على تَرْكِ الآثامِ

جالتُ في المَلَكوتِ، وعادتُ إلى ذلك العَبْدِ بطرائِفِ الحِكْمَةِ من غيرِ أنْ يؤدِّي

إليها عالِمٌ علماً. فقامَ أحمدُ ثلاثاً، وجلسَ ثلاثاً، وقال: ما سمعتُ في الإسلامِ

حِكَايةً أعجَبَ إليَّ منها.

وقال: قال عيسى عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: طوبى لمن تَرَكَ شَهوةً حاضِرةً

لموعدٍ غيبٍ لم يَرَهُ.

وقال: لأنْ أتَرَكَ من عَشائِي لُقْمَةً أَحَبُّ إليَّ من أنْ أَكُلها وأقومَ من أوَّلِ اللَّيْلِ

إلى آخِرِهِ.

وقال: إذا عُرِضَ لك أمرانِ لا تَدري في أيِّهِما الرِّشادُ، فانظُرْ إلى أَقربِهِما

إلى هَواكَ فخالِفهُ، فإنَّ الحقَّ في مُخالِفَةِ الهَوى.

وقال: ما أَخلَصَ عَبْدٌ قَطُّ إلا أَحَبَّ أنْ يكونَ في جُبِّ^(٣) لا يُعرَفُ، ومنْ

أدخَلَ فُضولاً من الطَّعامِ أخرجَ فُضولاً من الكلامِ.

وقال: إنَّ أهلَ العقلِ لم يَزَالوا يَعُودونَ بالذِّكْرِ على الفِكرِ، وبالفِكرِ على

الذِّكْرِ، حتَّى استيقَظتْ قُلوبُهُم، فنطقتْ بالحِكْمَةِ، وورثوا السَّرَّ.

(١) بيت شعر أول من قاله خالد بن الوليد رضي الله عنه، فأرسله مثلاً يضرب للرجل
يحمل المشقة رجاء الراحة. مجمع الأمثال ٣/٢، لسان العرب (سرا).

(٢) في حلية الأولياء ١٤/١٠: اعتقدت.

(٣) في الأصول: حب، والمثبت من حلية الأولياء ١٨/١٠.

وقال: الزُّهُدُ إعطاءُ المَجْهُودِ، وَخَلْعُ الرِّاحَةِ، وَقَطْعُ الأَمَانِي^(١).

وقال: قال هرم بن حَيَّان لأُويَسَ القُرْنِي^(٢): أوصني. فقال: عليك بالأسيافِ^(٣)، يعني ساحلَ البَحْرِ. قال: فمن أين المعاشُ؟ قال: أُمَّ أُمَّ، خَالَطَ الشُّكَّ الموعِظَةَ، تفرَّ إلى الله بدينك^(٤)، وتَتَّهَمُهُ في رِزْقِكَ.

وقال: إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا أَفَادَهُمْ فِي اليَقَظَةِ والمَنَامِ، لأنَّهم طَلَبُوا رِضاهُ فِي اليَقَظَةِ والمَنَامِ.

وقال: مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَسُرَّ بِهَا نُزِعَ خَوْفُ الآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ.

وقال: واللهِ لولا ما جَرَى مِنَ السُّنَّةِ، وَسَارَ فِي النَّاسِ مِنْ تَقَدِّمَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ ما قَدَّمْنَا عَلَيَّ أَحَدًا، رواه عنه تمام، وابنُ عساکر^(٥).

أسند ابنُ أبي الحَوَارِي عن الأعلام والمشاهير ما لا يُعَدُّ كَثْرَةً.

قال الذَّهَبِيُّ: كابن عساکر وهو أحد^(٦) الثَّقاة.

ومات سنة ستِّ ومئتين، وقيل ستِّ وأربعين ومئتين.

* * *

(٢١٩) أحمد بن نصر الخُزاعي (*)

العالمُ العابدُ الزَّاهدُ، الصَّائِمُ الرَّايِعُ السَّاجِدُ، ذو الجنانِ واللِّسانِ والثِّباتِ، وإن اضطربَ المُهَنَّدُ والسُّنَانُ والثِّباتِ، وإن ملأت نارُ الفِتنَةِ كُلَّ مَكَانٍ.

-
- (١) في المطبوع: الآمال.
(٢) في الأصول: قال أويَسَ القُرْنِي لهرم بن حيان. والخبر تقدم صفحة ٢١٣/١، وهو نحي حلية الأولياء ٢٠/١٠، والمثبت منهما.
(٣) الأسياف: الساحل، أو ساحل البحر خاصة. متن اللغة (سيف).
(٤) في الأصول: بذنبك، والمثبت من الحلية ٢٠/١٠.
(٥) انظر مختصر تاريخ دمشق ٣/١٤٣.
(٦) في المطبوع: آخر.
(*) التاريخ الصغير ٢/٣٣١، تاريخ الطبري ٩/١٣٥، و ١٩٠، الجرح والتعديل ٢/٧٩، الثقات لابن حبان ٨/١٤، تاريخ بغداد ٥/١٧٣، طبقات الحنابلة ١/٨٠، الأنساب =

كان شيخاً جليلاً قَوَّالاً بالحقِّ، آمراً بالمعروفِ، ناهياً عن المنكرِ، مُتصدياً للإفتاءِ والإفادَةِ، راغباً في تحصيلِ الحُسنى وتكميلِ الزيادةِ^(١).

امتحنَ بالقولِ بخلقِ القرآنِ على يدِ الواثقِ، قيلَ له: ما تقولُ في القرآنِ؟ قال: كَلَامُ اللهِ. وَأَصْرٌ، فقال بعضُ الحاضرين: هو حلالُ الدَّمِ. وقال ابنُ أبي دُوَادٍ: يا أميرَ المؤمنين، شيخٌ مُختلٌّ، لعلَّ به عاهةٌ أو تغيَّرَ عقلُ، يُؤخِّرُ أمرَهُ ويُستتابُ. فقال الواثقُ: ما أراه إلا كافرأ. ثمَّ قامَ إليه بالسيفِ، وقال: لا يقومُ معي أحدٌ؛ فإنِّي أحسبُ خطاي^(٢) إلى هذا الكافرِ. فضربَ عنقه بيده، فصارتِ الرَّأسُ بعدَ سُقوطِها تقولُ بلسانِ فصيح: اللهُ اللهُ، لا إلهَ إلا اللهُ، ثمَّ نُصبَ الرَّأسُ ببغدادِ أياماً، فصارتِ لسانُهُ يقرأُ القرآنَ، ومن جملةِ ما سُمِعَ منه: ﴿الْمَرْءَ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢-١].

ماتَ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ ومئتينَ، وقيلَ: سنةَ بضعَ عشرةَ ومئتينَ.

ورُئيَ في النَّومِ، وعلى رأسِهِ تاجٌ، فقيلَ له: ما فعلَ اللهُ بك؟ قال: أدخلني الجنةَ، لكنِّي كنتُ مغموماً ثلاثةَ أيَّامٍ، فمرَّ بي المصطفى ﷺ، فلمَّا بلغَ خَشْبَتِي حَوَّلَ وجهَهُ عَنِّي، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، قُتِلْتُ على الحقِّ أم على الباطلِ؟ قال: على الحقِّ، لكنَّ قتلَكَ رَجُلٌ من أهلِ بَيْتِي، فلمَّا بلغتُ إليك استحييتُ منك.

ورآه آخرُ فقال: ما فعلَ اللهُ بك؟ فقال: ما كانتِ إلا غفوةً حتى لقيتُ اللهُ عزَّ وجلَّ فضحكَ إليَّ.

* * *

= ١٠٦/٥، صفة الصفوة ٢/٣٦٣، المختار من مناقب الأخيار ٧٠/ب، تهذيب الكمال ١/٥٠٥، سير أعلام النبلاء ١١/١٦٦، العبر ١/٤٠٨، طبقات الشافعية للسبكي ٢/٥١، الوافي بالوفيات ٨/٢١١، البداية والنهاية ١٠/٣٠٣، تهذيب التهذيب ١/٨٧، شذرات الذهب ٢/٦٩. وفي المطبوع ذكر اسمه أحمد بن أبي نصر.

(١) في (أ): وطلب الزيادة.

(٢) في المطبوع: خطاياي.

(٢٢٠) أبو إبراهيم السَّائِح (*)

كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الصَّالِحِينَ، وَوَجْهَ الْعَابِدِينَ، سَالِكاً طَرِيقَ التَّصَوُّفِ، جَارِياً عَلَى مِنْهَاجِ التَّنَشُّكِ وَالتَّقَشُّفِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: كَانَ فِي دِهْلِيْزِ أَبِي دُكَّانٍ، فَإِذَا جَاءَهُ إِنْسَانٌ يُرِيدُ أَنْ يَخْلُوَ بِهِ أَجْلِسَهُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا كَلَّمَهُ قَائِماً، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، وَقَالَ: قُلْ لَه: أَبُو إِبْرَاهِيمَ السَّائِحِ. فَخَرَجَ، فَجَلَسَ مَعَهُ، وَقَالَ لِي: سَلِّمْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ وَكِبَارِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَه: حَدَّثَنِي يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: خَرَجْتُ إِلَى مَحَلٍّ كَذَا، بِقُرْبِ الدَّيْرِ الْفُلَانِي، فَأَصَابَنِي مَرَضٌ مَنَعَنِي مِنَ الْحَرَكَةِ، فَقَلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كُنْتُ بِقُرْبِ الدَّيْرِ لَعَلَّ مَنْ فِيهِ مِنَ الرُّهْبَانِ يُدَاوِينِي، فَإِذَا أَنَا بِسَبْعِ عَظِيمٍ قَصَدَنِي، حَتَّى جَاءَنِي فَاحْتَمَلَنِي عَلَى ظَهْرِهِ، حَتَّى أَلْقَانِي عَلَى بَابِ الدَّيْرِ، فَنظَرَ الرُّهْبَانُ إِلَى حَالِي مَعَ السَّبْعِ، فَأَسْلَمُوا وَهُمْ أَرْبَعُ مِائَةِ رَاهِبٍ.

وَقَالَ: بَيْنَا أَنَا أَطُوفُ وَإِذَا بِجَارِيَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، تَقُولُ: بِحُبِّكَ لِي إِلَّا رَدَدْتَ عَلَيَّ قَلْبِي، فَقَلْتُ: مَنْ أَيْنَ لَكَ (١) أَنَّهُ يُحِبُّكَ؟ قَالَتْ: بِالْعِنَايَةِ الْقَدِيمَةِ، فَإِنَّهُ جَيْشٌ فِي طَلْبِي الْجُيُوشِ، وَأَنْفَقَ الْأَمْوَالَ حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ بِلَادِ الشُّرْكِ، وَأَدْخَلَنِي فِي الْمُوَحِّدِينَ، وَعَرَّفَنِي نَفْسَهُ بَعْدَ جَهْلِي إِيَّاهُ، فَهَلْ هَذَا إِلَّا بِالْعِنَايَةِ وَالْمَحَبَّةِ؟ قُلْتُ: فَكَيْفَ حُبِّكَ لِلَّهِ؟ قَالَتْ: أَرَقُّ مِنَ الشَّرَابِ، وَأَحْلَى مِنَ الْجَلَابِ. ثُمَّ وَلَّتْ وَتَرَكَتْنِي.

* * *

(*) صفة الصفوة ٢/٤١١، المختار من مناقب الأخيار ٥٥/أ، روض الرياحين ١٣٩ (حكاية ٦٠)، واسمه فيه إبراهيم بن المهلب السائح.
(١) في (أ): من أين تعلمين. وفي المطبوع: من أنى لك.

(٢٢١) أبو تراب النخشي (*)

أبو تراب النخشي، بفتح الثون، وسكون الخاء، وفتح الشين المعجمتين، نسبة إلى نخشب بلدة بما وراء النهر، عرّبت فقليل لها: نسف، واسمه عسكر بن حصين، ولم يشتهر إلا بكنيته حتى كاد لا يُعرف إلا بها.

وكان شيخ عصره بالاتفاق، جامعاً بين العلم والدين، والزهد والتصوف بلا شقاق، متقشفاً متوكللاً، متخشعاً متبتلاً، قد أضاء في سماء المعالي بذرّه، واشتهر في الآفاق حسنه وذكره، وخدمه أكابر الصوفية، وتطفلوا عليه لهيمته السرية، وخضع المریدون له ودانوا، وتطامنوا لرفعته واستكانوا، له الرياضات المذكورة، والسياحات المشهورة.

صحب حاتماً الأصم، والخوَّاص، والطبقة.

وكتب الحديث الكثير، وتفقه على مذهب الشافعي.

وأخذ عنه: أحمد بن حنبل، وابن الجلاء، وآخرون من الأجلّاء.

قال ابن الجلاء: لقيت ستّ مئة شيخ، ما رأيت فيهم مثل أربعة: أولهم أبو

تراب^(١).

ووقف خمساً وخمسين وقفه بعرفة.

ومرّ به بعض الأمراء وهو يحلق رأسه، فأعطاه ألف دينار، فقال له: ادفعها

(*) طبقات الصوفية ١٤٦، تاريخ أصبهان ١٤٦/٢، حلية الأولياء ٤٥/١٠ و ٢١٩، تاريخ

بغداد ٣١٥/١٢، الرسالة القشيرية ١٠٨/١، طبقات الحنابلة ٢٤٨/١، الأنساب

١٢/٦٠، صفة الصفوة ٤/١٧٢، المختار من مناقب الأخيار ٩٣/أ، مختصر تاريخ

ابن عساكر ١٧/٥٠، سير أعلام النبلاء ١١/٥٤٥، العبر ١/٤٤٥، طبقات السبكي

٢/٣٠٦، طبقات الأولياء ٣٥٥، النجوم الزاهرة ٢/٣٢١، طبقات الشعراني ١/٨٣،

شذرات الذهب ٢/١٠٨.

(١) والثلاثة الآخرون: أبوه يحيى الجلاء، وأبو عبيد البصري، وذو النون المصري. طبقات

الشافعية ٢/٣٠٧.

للمُزَيْنِ، فَرَدَّهَا الْمُزَيْنُ، فَرَدَّهَا أَبُو تُرَابٍ.

وكان إذا وجد من أتباعه فترة جدد توبة، وقال: بشؤمي وقعوا فيما وقعوا [لأن الله تعالى يقول] (١): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال: لقيتُ غلاماً في التيه يمشي بلا زاد، فقلتُ في نفسي: إن لم يكن معه يقينٌ هلك، فقلتُ: يا غلام، في مثل هذا الموضع بلا زاد؟ قال: يا شيخ، ارفع رأسك، هل ترى غير الله؟ قلتُ: الآن اذهب حيثُ شئتُ.

ومن فوائده العليّة المقدار:

إنَّ الله تعالى يُنطقُ العلماءَ في كُلِّ وَقْتٍ بما يُشاكلُ أعمالَ أهلِ ذلك الزَّمنِ.
وقال: إذا تواترتُ على أحدكم النعمُ فليبتك على نفسه، فإنه قد سلك به غيرُ منهجِ الصُّلحاء؛ فإنَّ أشدَّ النَّاسِ بلاءَ الأنبياء، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ (٢).
وقال: العارفُ الذي لا يُكدرُهُ شيءٌ، ويصفو به كُلُّ شيءٍ.

وقال: النَّاسُ يُحِبُّونَ ثَلَاثَةً، وليستُ لهم: النَّفْسُ، والرُّوحُ، وهما لله، والمالُ وهو للورثة، ويطلبون اثنتين، ولا يجدونهُما: الفرحُ، والرَّاحةُ، وهما في الجنة.

وقال: لا بدُّ للأستاذِ من أربعةِ أشياء: تمييزِ فعلِ الله من فعلِ الخلقِ، ومعرفةِ مقاماتِ العُمَّالِ، ومعرفةِ الطَّبائعِ والنُّفوسِ، وتمييزِ الخِلافِ من الاختلافِ.

وقال: لا أعلمُ شيئاً أضرَّ بالمُرَيدِينَ من أسفارِهِم على مُتَابَعَةِ نُفوسِهِم، وما فَسَدَ مَنْ فَسَدَ مِنَ المُرَيدِينَ إِلَّا بِالأسفارِ الباطلةِ.
ونظرَ إلى صوفيٍّ مَدَّ يدهُ إلى قُشورِ البَطِيخِ، وكان قد طوى ثلاثةَ أَيَّامٍ،

(١) ما بين معقوفين مستدرك من حلية الأولياء ٤٦/١٠.

(٢) إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ عن سعد رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء»، ثمَّ الأمثلُ، فالأمثلُ» رواه الترمذي ٦٠١/٤ (٢٣٩٨). قال الترمذي: هذا حديث حسن.

فقال: تمدُّ يدك إلى هذا؟! لا يصلحُ لك التصوُّف، الزمِ الشوق.

وقال: عُرِضَ عليّ طعامٌ فامتنعتُ، فبليتُ بالجوعِ أربعةَ عشرَ يوماً فعلمتُ أنه عُقوبَةٌ.

وقال: إذا ألفتِ القلوبُ الإعراضَ عنِ اللهِ صحبتها^(١) الوقيعةُ في الأولياءِ.

وقال: مثلُ الدنيا مثلُ ظِلِّكَ إن طلبتهُ تباعدَ، وإن تركتهُ تتابعَ.

وقال: حَقِيقَةُ الغِنَى أن تَسْتَغْنِيَ عن مَنْ هو مِثْلُكَ، وحَقِيقَةُ الفَقْرِ أن تَفْتَقِرَ إلى مَنْ هو مِثْلُكَ.

وقال: إذا صَدَقَ العَبْدُ في العَمَلِ وَجَدَ حَلاوَتَهُ قَبْلَ أن يعمَلَهُ، وإذا أَخْلَصَ فيه وَجَدَ حَلاوَتَهُ قَبْلَ مُباشِرَتِهِ.

وقال: الفَقِيرُ قُوَّتُهُ ما وَجَدَ، وَلِبَاسُهُ ما سَتَرَ، وَمَسْكَنُهُ حيثُ نَزَلَ.

وقال: مَنْ شَغَلَ مَشغولاً باللهِ أَدْرَكَهُ المَقْتُ لِلوَقْتِ^(٢).

وقال: شَرَطُ التَّوَكُّلِ طَرْحُ البَدَنِ في العُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقُ القَلْبِ بالرُّبُوبِيَّةِ، وَالصُّمَانِيَّةُ إلى الكِفَايَةِ، فَإِن أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِن مُنِعَ صَبَرَ.

وقال: صَحِبْتُ مئةَ شَيْخٍ ما نَفَعَنِي شَيْءٌ مِثْلُ سَدِّ رَأْسِ الجِرابِ. يعني القنغ والتقلُّلُ مِنَ الدُّنْيَا.

وكانَ يُكثِرُ ذَكَرَ أَبِي يَزِيدِ البِسطامِيِّ، ويقولُ لتلميذِهِ حَظِي عِنْدَهُ: لو رَأَيْتَهُ، فَقَالَ: قد أَكثَرْتُ مِنَ ذَكَرِ أَبِي يَزِيدِ البِسطامِيِّ، مَنْ يَتَجَلَّى لَهُ الحَقُّ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ، ما يَصْنَعُ بأبي يَزِيدَ؟ فَقَالَ: لو رَأَيْتَهُ لَرَأَيْتَ مَرَأَى عَظِيمًا، فلم يَزَلْ يُشَوِّقُهُ حَتَّى ارْتَحَلَ إِلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ في الغَيْضَةِ مَعَ السَّبَاعِ، وكان يَأوي إليها، فَقَعَدَ على طَرِيقِهِ، فعَندما وَقَعَ بَصَرُ الفَتَى عَلَيْهِ خَرَّ مَيِّتًا، فَعَجِبَ أَبُو ثَرابٍ مِنَ ثبوتهِ لِتَجَلِّيِ الحَقِّ دونِ رُؤيةِ أَبِي يَزِيدَ، فَقَالَ أَبُو يَزِيدَ: كانَ الحَقُّ يَتَجَلَّى لَهُ كُلَّ يَوْمٍ على حَسَبِ ما عِنْدَهُ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ تَجَلَّى لَهُ الحَقُّ على قَدْرِي فلم يُطِقْ، فلا عَجَبَ.

(١) في (أ): ألفتها.

(٢) في طبقات الصوفية ١٤٩، والحلية ١٠/٥٠: أدركه المقت في ساعته.

وقال ابن المنير^(١): واصطلاح أهل الطريق معروف في التجلي، وحاصله رتبة من المعرفة جليّة، وحالة بين اليقظة والنوم سويّة^(٢)، والإيمان يزيد وينقص، ولا تظنّهم يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى على خصوصيته: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] والتي قيل فيها على العموم: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإذا فهمت أن مرادهم الذي أثبتوه غير المعنى الذي حصل الناس منه على اليأس^(٣) في الدنيا، ووعد به الخواص في الآخرة، فلا ضير عليك ولا طريق لسوء^(٤) الظن إليك، والله يتولى السرائر.

قال الشبكي^(٥): وكلامه - أعني ابن المنير - في تفسير التجلي يقرب من قول شيخه ابن عبد السلام في «قواعده»: التجلي والمشاهدة عبارة عن العلم والعرفان، واعلم أن القوم لا يقتصرون في تفسير التجلي على العلم، ولا يعنون به [إياه]، ثم لا يفصحون بما يعنون، بل يلوّحون تلويحاً، [ثم يصرّحون بالبراءة مما يوجب سوء الظن تصرّيحاً]^(٦)، ولم يفصح القشيري في «رسالته»^(٧) بتفسيره، ولعله خاف على فهم من ليس من أهل الطريق.

وحاصل ما قاله متأخروهم أن التجلي ضربان:

ضرب للعوام: وهو أن يكشف صورة، كما جاء جبريل في صورة دحية^(٨)،

-
- (١) وهو القاضي ناصر الدين بن المنير المالكي في كتابه «المقتفى». انظر طبقات السبكي ٣١١/٢.
- (٢) كذا في الأصول، وفي طبقات السبكي ٣١١/٢: سرية سنية.
- (٣) في طبقات السبكي ٣١١/٢: على الناس في الدنيا.
- (٤) المثبت في متن طبقات السبكي ٣١١/٢: لسبق الظن.
- (٥) طبقاته: ٣١٢/٢.
- (٦) ما بين معقوفين مستدرك من طبقات السبكي ٣١٢/٢.
- (٧) في باب الستر والتجلي ٢٤٣/١، وباب المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة ٢٤٥/١.
- (٨) أخرج أحمد في «مسنده» ١٠٧/٢ عن ابن عمر قال: وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية. قال الشيخ شعيب حفظه الله في سير أعلام النبلاء ٥٥٣/٢ عن سند الحديث: وهذا سند صحيح. وكان دحية بن خليفة الكلبي جميلاً.

وكما جاء في حديث: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابٍّ»^(١) قالوا: وهذا تجلّي الصّفة، ويضربون له مثلاً المرأة، فأنت تنظرُ وجهك فيها، وليست محلّاً لوجهك، ولا وجهك حالاً فيها، وإنما هناك مثال، تعالى الله أن يكون له مثال، وحديث: «في صورة شابٍّ أمرّد» موضوع.

وضربٌ للخواصّ: وهو تجلّي الذاتِ نفسها، ويذكرون هناك لتقريبِ الفهم الشمس، فإنك ترى ضوءَ النهار فتحكمُ بوجودها وحضورها برؤية الضوء، وهذا تقريبٌ، فنورُ الباري لو سَطَعَ لأحرقَ الوجودَ بأسره.

وقال: وقد سألتُ العارِفَ الأزديلي عن الذي يراه العارِفُ في الدُّنيا: أهو الذي وعدهُ الله في الآخرة؟ قال: نعم. قلتُ: فيمَ تميّزُ رؤيةُ [الله] يومَ القيامة؟ قال: بالبصر، فالرؤيةُ في الدُّنيا إنما هي بالبصيرة لا بالبصر، ثمّ ضربَ مثلَ المرأة، فقلتُ: هذا نوعٌ من الحُلُولِ، وهو كُفْرٌ. قال: لا، فإنّ الحُلُولَ معناه أنّ الذاتَ تحلُّ في ذاتٍ أُخرى، والمرأة لا يحلُّ فيها إلا صورةً، قلتُ: فالمُشاهدةُ غيرُ التجلّي؟ قال: المُشاهدةُ دَوامٌ تجلّي الذاتِ، والتجلّي يكونُ معه مُشاهدةً، وهو ما إذا دام، وقد لا، انتهى.

[وأقول]^(٢): وإذا تبرّأ القومُ من تفسيرِ التجلّي بما لا يُمكن ولا يجوزُ وصفُ الرّبِّ به فلا لومَ عليهم، ولا اعتراض.

ومن كراماته:

أنّه لما حجَّ قال له بعضُ أصحابه: أنا عطشان. فضربَ بيده الأرضَ، وناولهُ قَدْحاً من زُجاجٍ أبيض، كأحسنِ ما رأيتُ، فشربَ وأسقاَهُم، وما زال القَدْحُ معهم لمكّة.

ومنها: أنّه حجَّ مرّةً أُخرى فأصابَ أصحابهُ جُوعٌ، فعدَلَ عن الطّريقِ،

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٢١٤/١١، وأورد الهندي في كنز العمال ٢٢٨/١، وسينصُّ المؤلف على وضعه بعد أسطر، وانظر ما قاله المناوي في فيض القدير ٦/٤، والعجلوني في كشف الخفا ٤٣٦/١ (١٤٠٩).

(٢) القول للسبكي في طبقاته ٣١٤/٢.

وأَخْرَجَ لَهُمْ مَوْزَاً، وَعِنْباً وَقِثَاءً، وَكَانَ مَعَهُ مُحَمَّدُ الْبِنَاءِ^(١)، فَقَالَ لَهُ: كُلْ، قَالَ:
الَّذِي أَعْتَقِدُهُ تَرَكْتُ الْمَعْلُومَاتِ، وَصَرْتُ أَنْتَ مَعْلُومِي، فَلَا أَصْحَبُكَ. فَقَالَ: كُنْ
مَعَ مَا وَقَعَ لَكَ.

مَاتَ أَبُو تُرَابٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتِينَ بِالْبَادِيَةِ، قِيلَ نَهَشَتْهُ السَّبَاعُ،
وَقِيلَ: بَلْ وُجِدَ بِهَا قَائِماً مَيْتاً لَا يَمْسُكُهُ شَيْءٌ، فَأَرَادَ بَعْضُ صَاحِبِيهِ حَمَلَهُ
لِيُوَارِيهِ، فَمَا أَمَكَّنَهُ، وَسَمِعَ هَاتِفاً يَقُولُ: دَعْ وَلِيَّ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ بِلَا تَكُلْفِ.

* * *

(٢٢٢) أَبُو جَعْفَرِ الْمُحَوَّلِيِّ (*)

كَانَ عَالِماً عَارِفاً صُوفِيّاً مُرْتَفِعاً عِمَادُهُ، مُتَّصِلَةً أَسْبَابُ تَرْبِيَّتِهِ ثَابِتَةً أَوْتَادُهُ.
وَمِنْ كَلَامِهِ: حَرَامٌ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ يُحِبُّ الدُّنْيَا أَنْ يَسْكُنَهُ الْوَرَعُ الْخَفِيُّ،
وَحَرَامٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ عَلَيْهَا رِيَاءِيَّةُ النَّاسِ أَنْ تَذُوقَ حَلَاوَةَ الْآخِرَةِ، وَحَرَامٌ عَلَى
كُلِّ عَالِمٍ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ أَنْ يَتَّخِذَهُ الْمُتَّقُونَ إِمَاماً.
وَمِنْ مَنَاجَاتِهِ: إِلَيْكَ أَشْكُو بَدَناً غُذِيَ بِنِعْمَتِكَ، ثُمَّ تَوَثَّبَ عَلَى مَعَاصِيكَ.
وَقَالَ: إِذَا جَاعَ الْعَبْدُ صَفَا قَلْبُهُ، وَرَقَّ بَدَنُهُ، وَهَطَلَتْ دَمْعَتُهُ، وَأَسْرَعَتْ إِلَى
الطَّاعَةِ جَوَارِحُهُ، وَعَاشَرَ فِي الدُّنْيَا كَرِيماً.
وَذَكَرَ عِنْدَهُ الْفَالُودَجُ، فَقَالَ: إِنَّ قَلْباً يَتَفَرَّغُ لِصِنْعَةِ الْفَالُودَجِ حَتَّى يَأْكُلَهُ قَلْبٌ
فَارِغٌ جِداً، ثُمَّ بَكَى.

* * *

(١) الْخَبِيرُ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْبِنَاءِ، وَقَوْلُ أَبِي تُرَابٍ إِنَّمَا كَانَ لِشَابِّ كَانَ مَعَهُمْ فِي
سَفَرِهِمْ. انْظُرِ الْمُخْتَارَ ٩٤/أ، وَمُخْتَصِرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٧/٥٣.

(*) حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ١٠/١٤٤، تَارِيخُ بَغْدَادَ ١٤/٤١٠، الْأَنْسَابُ ١١/١٧٥، الْإِكْمَالُ
٧/٣١٠، صِفَةُ الصَّفْوَةِ ٢/٣٩٠، الْمُخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ١٠٨/أ.

وَالْمُحَوَّلِيُّ نَسَبُهُ إِلَى الْمُحَوَّلِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَى فَرَسَخِينَ مِنْ بَغْدَادَ، وَهِيَ إِحْدَى
مَنْزَلَاتِهَا. (الْأَنْسَابُ).

(۲۲۳) أبو بكر الهلالي (*)

من مشايخ الشام، وأكابر القوم الكرام، ذو عزيمة في التجرد أغصانها
باسقة، وهمة في التعبُّد عُقودها مُتناسقة.

ومن كلامه:

مَنْ عُنِيَ بِمُجَاهِدَةِ الْأَسْرَارِ اشْتَغَلَ عَنِ الْحِكَايَاتِ وَالْأَخْبَارِ.

وقال: رَمُوا^(١) بِهِمَّهِمْ إِلَى أَعْلَى الْفَضَائِلِ، وَضَيَّعُوا الْفِرَائِضَ، فَلَا إِلَى
هِمَّهِمْ وَصَلُّوا، وَلَا قَامُوا بِقَلِيلٍ مَا بِهِ وَكَلُوا، وَمَنْ قَامَ بِقَلِيلٍ مَا وَكَّلَ بِهِ أَوْ تَمَنَّى
عَلَى الْكَثِيرِ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ بِقَلِيلٍ مَا وَكَّلَ بِهِ لَمْ يُؤْتَمَنَّ عَلَى كَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ.

وأشار إلى شجرة في منزله، فقال: هذه الشجرة ما نظرتُ إليها نظرةً فرجعَ
طرفي إلا بعقوبةٍ وتوبيخٍ في سرِّي، يُقال لي: تكونُ بين أيدينا، فتنظرُ إلى
سوانا؟!!

وتمنَّى على الله أن يُريه الخضرَ، فلمَّا كان بعدَ مُدَّةٍ دُقَّ البابُ، فقال: مَنْ؟
قال: الخضرُ الذي تمنَّيته. قال: الذي طلبناك^(٢) له قد وجدناه، ارجعْ بسلام.

* * *

(۲۲۴) أبو يعقوب الهاشمي (**)

من أكابر أصحابِ ذي الثون.

قال: كنتُ مع ذي الثونِ في يومِ عيدٍ، فوجدتُ النَّاسَ خَارِجِينَ مِنْ صَلَاتِهِمْ،
قال: هؤلاء يفرحونَ ظانِّينَ أَنَّهُمْ قَدْ أَدُّوا أَمَانَتَهُمْ - أو قال: صومَهُمْ - ومن أين

(*) صفة الصفوة ۲/ ۲۴۳، المختار من مناقب الأخيار ۹۱/ ب.

(١) في المطبوع: رقوم.

(٢) في الأصول: طلبناه. والمثبت من صفة الصفوة ۲/ ۲۴۴، والمختار ۹۱/ ب.

(**) نفحات الأنس: ۱۰۷/ أ. وسيرجم له المؤلف في الطبقات الصغرى ۴/ ۱۹۵.

لهم ذلك؟ فحقُّهم البُكاء، ثم جلسَ فبكى هو وصحبُه.

قال الهَرَوِيُّ: هذا كلامٌ كالجَوهر، فإنَّ اللَّائِقَ بِذلك اليومِ هو الاستغفارُ من التَّقصيرِ الواقعِ في شهرِ الصَّومِ.

وقال لي سباع الموصلي^(١)، قال: يا ربِّ، أنتَ أمرتَنا أن نغسلَ أعضاءنا الظَّاهِرَةَ في الوضوءِ بالماءِ، فنغسلُ قَلبَنا بماذا؟ فقيلَ له: غَسَّلِ القَلبَ بالهُمومِ والأحزانِ. قال أبو يعقوب: فلا يُمكنُ غَسْلُ القَلبِ إلا بهذا الطَّرِيقِ!؟

* * *

(٢٢٦) أبو القاسم المُنَادِي^(*)

كان كَبِيرَ الشَّانِ، عَلِيَّ البُرْهَانِ، وهو من أَجَلِ مَشايخِ نيسابور، ومن أكبرهم حالاً وعِلماً.

صَحِبَ الكَثِيرَ من ذَوِي الخَوَارِقِ والفَضَائِلِ، بل وأقامَ على عرفانِهِ مَنْ عَرَفَهُ أَوْضَحَ الدَّلَائِلِ، وله أحوالٌ ظاهِرَةٌ، وكراماتٌ باهِرَةٌ، منها:

أنَّهُ مَرِضَ فعادَهُ أبو الحسن البُوشنجي، والحسنُ الحَدَّادُ، واشتريا بنصفِ درهمٍ تَفاحاً في الطَّرِيقِ نَسِيئَةً، وحملاًةً، فلمَّا قَعَدَا، قال لهُما: ما هذه الظُّلْمَةُ؟! فخرَّجا وتفكَّرا فيما فعَلا، فذَكَرا أَنَّهُما لم يَفيا ثَمَنَ التَّفاحِ، فوفَّياهُ، وعادا إليه، فنظرَ إليهما، وقال: أَيْمِكنُ الإنسانُ أن يخرُجَ من الظُّلْمَةِ بهذه السُّرْعَةِ؟ أخبراني عن شأنِكُما، فذَكَرا له القِصَّةَ، فقال: نعم، كان يعتَمِدُ كُلُّ منكما على صاحِبِهِ في دَفْعِ الثَّمَنِ، والبائعُ يَسْتحي منكما في التقاضي، وأنا السَّبَبُ، فرأيتُ ذلك فيكما.

* * *

(١) في الأصل شارح، والمثبت من حلية الأولياء ٢٩٢/٨، ونفحات الأنس الترجمة رقم ٦.

(*) الرسالة القشيرية ٤٨٢/٢ و ٤٨٧، في باب الفراسة، جامع كرامات الأولياء ٢٨٧/١.

(٢٢٦) أبو حمزة الخراساني (*)

أصله من محلة مُلقاباذ^(١).

من أقران أبي تراب، والجُنيد، والخِرَّاز، وكان ورِعاً زاهداً، صُوفيّ وقته، آيةً في حُسْنِ سِيرَتِهِ وَسَمْتِهِ، وكان بالأوامرِ مُتكفياً، وعن الزَّوَجِرِ مُنتهياً، تاركاً لتكَلُّفِ الأثقالِ، مُغْتَبِطاً لِتَحْصِيلِ الواجِبِ من الأفعالِ.

وكان ابنُ حنبلٍ يُجِلُّهُ وَيُعْظِمُهُ.

ومن كلامه: مَنْ اسْتَشَعَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ - أَي: اتَّخَذَهُ شِعَاراً - حُبَّ إِلَيْهِ كُلِّ بَاقٍ، وَبُغْضَ إِلَيْهِ كُلِّ فَانٍ.

وقال: العارِفُ يُدافِعُ عَيْشَهُ يَوْمَ بَيَوْمٍ، وَيَأْخُذُ عَيْشَهُ يَوْمَ بَيَوْمٍ.

وقال: علامةُ الصُّوفيِّ الصَّادِقِ أَنْ يَفْتَقِرَ بَعْدَ الْغِنَى، وَيَذَلَّ بَعْدَ الْعِزِّ، وَيَخْفَى بَعْدَ الشُّهْرَةِ.

وَسَمِعَ بَعْضَ إِخْوَانِهِ يَلُومُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ^(٢) عَلَى إِظْهَارِ وَجْدِهِ، وَغَلْبَةِ الْحَالِ، وَإِظْهَارِ سِرِّهِ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ بَعْضُ الْأَضْدَادِ، فَقَالَ: اقْصِرْ يَا أَخِي، فَالْوَجْدُ الْغَالِبُ يُسْقِطُ التَّمْيِيزَ، وَيَجْعَلُ الْأَمَاكِنَ كُلَّهَا مَكَاناً وَاحِداً، وَالْأَعْيَانَ عَيْناً وَاحِداً، فَلَا لَوْمَ عَلَى مَنْ غَلَبَهُ الْوَجْدُ، فَاضْطَرَّ إِلَى إِبْدَائِهِ.

(*) طبقات الصوفية ٢٩٥، ٣٢٦، حلية الأولياء ١٠/٣٢٠، تاريخ بغداد ١/٣٩٠، الرسالة القشيرية ١/١٥٠، طبقات الحنابلة ١/٢٦٨، المنتظم ٥/٦٨، صفة الصفوة ١/٢٦، ٢٧، ٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٣١/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢١/٣٤٩، و ٢٨/٢٤٣، سير أعلام النبلاء ١٣/١٦٥، الوافي بالوفيات ١/٣٤٤، طبقات الأولياء ١٥٠، ١٥٥، النجوم الزاهرة ٣/٤٦، طبقات الشعراني ١/٩٩، و ١٠٣، جامع كرامات الأولياء ١/٢٧٠، وسترده ترجمته في هذا الجزء صفحة (٦٩٧): محمد بن إبراهيم، وفي الطبقات الصغرى ٤/١٢٧.

(١) ملقاباذ: محلة بأصبهان، وقيل بنيسابور. (معجم البلدان).

(٢) في (أ) و (ب): سمع بعض أصحابه يلوم بعض إخوانه.

وسئِلَ: هل يتفرَّغُ المُحبُّ لشيءٍ سِوى مَحَبوبه؟ فقال: لا، لأنَّه بلاءٌ دائمٌ،
وسُرورٌ مُنقطعٌ، وأوجاعٌ مُتصلةٌ، لا يَعْرِفُها إلا مَنْ باسَرها.

وقال له رجلٌ: أوصني. قال: هيئْ زادَكَ للسَّفَرِ الذي بينَ يَدَيْكَ.

وكان يقول: في بدايتي بقيتُ مُحرمًا في عِباءٍ، أسافرُ ألفَ فرسخٍ^(١) في كلِّ
سنةٍ، كلِّما حَلَلتُ أحرمتُ. أي كلِّما أتيتُ شهوةً من الشَّهواتِ أتوبُ منها^(٢).

ومن كراماته: أنَّه حجَّ فسقطَ في الطَّرِيقِ في بئرٍ، قال: فنازعَتني نَفسي أن
أستغيثَ، فقلتُ: لا واللهِ، فما تمَّ الخاطرُ حتى مرَّ رجلانِ، فقال أحدهما
للآخر: نسدُّ رأسَ هذا البئرِ؛ لئلا يقعَ فيها إنسانٌ. فطمسَ رأسها بباريةٍ
وقصَّبَ، فهَمَمْتُ أن أصيحَ، قلتُ: ألجأ إلى مَنْ هو أقربُ إليَّ منهما، فسكْتُ،
فجاءَ شيءٌ فكشَفَ البئرَ، وأدلى رجله، وهمهمَ، فتعلَّقتُ بها، وأخرجَني، فإذا
هو سَبْعٌ.

قالوا: وكان حَسَنَ الكلامِ، فتكلَّمَ يوماً، فأحسنَ، فهتَفَ به هاتِفٌ: تكلَّمتَ
فأحسنْتَ، بقي أن تسكْتَ فتُحسِنَ، فما تكلَّمَ بعدها حتى ماتَ بعدَ نحو أسبوعٍ
سنةً تسعينَ ومثتين.

* * *

(٢٢٧) أبو عبد الله الدَّيْبِلِيُّ (*)

كان من رؤوسِ العُبَّادِ، وأكابرِ الزُّهَّادِ، وكانَ من أربابِ الخُطوةِ، وَيَطِيرُ في
الهواءِ، فكلَّمَهُ بعضُ إخوانه أن يشتريَ لعياله داراً، ففعلَ، فقُصَّ جناحُه، فبعثَ
إليه بعضُ إخوانه: أن إلقنا في موضعِ كذا. على مسافةٍ بعيدةٍ، فبعثَ إليه: قد

(١) في المطبوع: وكان يقول: في بدايتي أقيم مُحرمًا في عِباءة ألف فرسخ. والمثبت من
مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٢٤٤.

(٢) الخبر من المطبوع فقط.

(*) صفة الصفة ٧١/٤. وفي الأصول: الديبلي تحريف. ودَيْبِل: مدينة على ساحل بحر
الهند (معجم البلدان).

قُصَّ جَنَاحِي، فَادْعُ لِي، فَبِعَثِّ إِلَيْهِ: صِلُهُ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي انْقَصَ . فَخَرَقَ (١)
الصَّكَّ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا ذَهَبَ مِنْهُ .

* * *

(٢٢٨) أَبُو الْأَسْوَدِ الْمَكِّي (*)

كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الصُّوفِيَّةِ، دَخَلَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، إِنِّي
أُحِبُّكَ، فَصَعَقَ، ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ، فَأَقَامَ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَلَمْ يَرَ أَحَدًا .

* * *

(٢٢٩) أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّرْعِيُّ (**)

كَانَ مِنْ مَشَايخِ الصُّوفِيَّةِ، أَرَادَ أَنْ يَسِيحَ فِي الْبَادِيَةِ، فَمَلَأَ مَطَهْرَتَهُ مَاءً، ثُمَّ
سَاحَ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَوَضَّأَ صَبَّ مِنْهَا مَاءً، وَإِنْ أَرَادَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ صَبَّ
مِنْهَا لَبَنًا .

* * *

(٢٣٠) أَبُو هَاشِمِ الزَّاهِدِ (***)

كَانَ إِلَى الْحَقِّ وَافِدًا، وَعَنِ الْخَلْقِ عَائِدًا، وَفِيمَا سِوَى الْحَقِّ زَاهِدًا .
وَمِنْ كَلَامِهِ: إِنَّ اللَّهَ وَسَمَ الدُّنْيَا بِالْوَحْشَةِ لِيَكُونَ أَنْسُ الْمُرِيدِينَ بِهِ دُونَهَا،
وَلِيُقْبَلَ الْمُطِيعُونَ إِلَيْهِ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، فَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ فِيهَا مُسْتَوْحِشُونَ،
وَإِلَى الْآخِرَةِ مُشْتَاقُونَ .

(١) فِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ: فَحَرَقَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(*) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الطَّبَقَاتِ الصَّغْرَى ٩٦/٤ . وَتَرْجُمَتُهُ هُنَا مِنَ الْمَطْبُوعِ فَقَطْ .

(**) لَمْ أَجِدْ لَهُ تَرْجُمَةً فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي الطَّبَقَاتِ الصَّغْرَى ٩٧/٤،
وَتَرْجُمَتُهُ هُنَا مِنَ الْمَطْبُوعِ فَقَطْ .

(***) حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ١٠/٢٢٥، تَارِيخُ بَغْدَادَ ١٤/٣٩٧، صِفَةُ الصَّفْوَةِ ٢/٣٠٦، الْمَخْتَارُ مِنْ
مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ٣٨٩/ب .

وقال: قلغ^(١) الجبال بالإبرِ أيسرُ من إخراجِ الكبرِ من القلوبِ .
 وقال: لو أن الدنيا قُصورٌ وبساتينٌ، والآخرة كيمانٌ ومزابيلٌ^(٢) كانت الآخرةُ
 أهلاً لأن نُؤثِرَ عليها، لبقاء تلك، ونفادِ هذه .

* * *

(٢٣١) أبو عبد الله البرائي^(*)

العابدُ الزاهد، كان ذا طريقةٍ محمودةٍ، وسيرةٍ بالشكرِ مقصودةٍ، صاحبُ
 أحوالٍ وكراماتٍ، وخوارقٍ ومُكاشفاتٍ .
 ومن فوائده:

لَنْ يَرِدَ الْقِيَامَةَ أَرْفَعُ دَرَجَةً مِنَ الرَّاظِينَ عَنِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمَنْ وَهَبَ لَهُ
 الرِّضَا فَقَدْ بَلَغَ أَفْضَلَ الدَّرَجَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ عَلَى حَقِيقَةٍ كَانَتْ مَوْنَتُهُ خَفِيفَةً، وَمَنْ
 لَمْ يَعْرِفْ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ ثَقَلَتْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

ومن مُناجاته: كَرُمُكَ أَطْمَعُنَا فِي عَفْوِكَ، وَجُودُكَ أَطْمَعُنَا فِي فَضْلِكَ،
 وَذَنُوبُنَا تُؤَيِّسُنَا مِنْ ذَلِكَ، وَتَأْبَى قَلُوبُنَا لِمَعْرِفَتِهَا بِكَ أَنْ تَقْطَعَ رَجَاءَهَا مِنْكَ،
 فَتَفْضَلْ أَيْهَا الْكَرِيمِ، وَجُدْ بِعَفْوِكَ يَا رَحِيمِ .

* * *

(١) في (ب): قطع .
 (٢) كذا في الأصول، وفي الحلية، والمختار: أكواخ ومزابيل .
 (*) حلية الأولياء ١٣٧/١٠ و ٣٢٣، تاريخ بغداد ٤٠٣/١٤، الأنساب ١١٨/٢، حلية
 الصفوة ٣٨٨/٢، المختار من مناقب الأبرار ٣٠٨/ب. معجم البلدان ٣٦٣/١،
 روض الرياحين ٢٥٨ (حكاية ١٩١) وفي الأصول: أبو شعيب البرائي . وقد ساق
 المؤلف أخبار أبي عبد الله، فصححت نسبة الأقوال لصاحبها، وانظر أخبار أبي شعيب
 في حلية الأولياء ٣٢٣/١٠، وصفة الصفوة ٣٨٨/٢ . والبرائي نسبة إلى برائنا موضع
 ببغداد متصل بالكرخ . الأنساب ١١٧/٢ . وسيرتجم له المؤلف ٥٣/٢، و ١٥٦/٤ .

(٢٣٢) إسماعيل بن يوسف الدَّيْلَمِيُّ (*)

كان من أكابر العباد، ورؤوس الزُّهاد، جامعاً بين العلم والعمل، مُبلغاً أهل الحديث والتَّصوُّف من فضله غاية الأمل، جمع بين التَّصوُّف والفقه والحديث، وأكثر السَّماع حتى كان يُذكرُ بسبعين ألف حديث.

له من الكرامات ما قال: اشتهيتُ حلواء، وأبلغت شهوته إليّ، فخرجتُ من المسجد بالليل لأبول، فإذا بجنبتني الطَّرِيق أخاوين^(١) من الحلواء، فنوديتُ: يا إسماعيل، هذا الذي اشتهيتَه، وإن تركته فهو خيراً لك، فتركته.

* * *

(٢٣٣) إسرائيل المغربي (**)

كان من سادات الصُّوفيَّة، وله كلامٌ كثيرٌ في الزُّهد والتَّوَكُّل.

سأله بعضهم عن ستِّ مئة مسألة منها: هل تُعذبُ الأشرار قبل الزَّلَلِ؟ فقال: أمهلني ثلاثة أيَّام، فأتاه في اليوم الرَّابِع فقال له: يُمكنُ العذاب قبل الزَّلَلِ، والثَّواب قبل العمل، فصعق، ثم مات.

* * *

(*) تاريخ بغداد ٢٧٤/٦، طبقات الحنابلة ١٠٧/١، صفة الصفوة ٤١٢/٢، الوافي بالوفيات ٢٤٥/٩، المختار من مناقب الأخيار ٧٤/أ، جامع كرامات الأولياء ٣٥٥/١.

(١) في المطبوع: قرابين، وفي (أ) ترابين، وفي (ب) قوارير. والمثبت من طبقات الحنابلة، وصفة الصفوة، والمختار. والأخاوين: جمع خوان، وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. النهاية (خون).

(**) حلية الأولياء ٣٤٦/٩، نفحات الأنس ترجمة رقم (٣). وسيترجم له ثانية في الطبقات الصغرى ٢٢٣/٤.

(٢٣٤) أيوب الحمّال (*)

كان من العابدين المُجاهدين المُجتهدين، تميّز عن أعيان صوفيّة مصره، وترجّح على كثير من أكابر عصره، وهو من أقران بشر، وسريّ، صحبه سهل بن عبد الله التّستري.

قال: عقدتُ على نفسي أن لا أمشي غافلاً، ولا أمشي إلاّ ذاكراً، فمشيتُ مشيةً فأخذتني عرجةٌ، فعلمتُ من أين أتيتُ، فبكيْتُ واستعفيتُ واستغفرتُ، فزالت العلةُ، فرجعتُ إلى الموضع الذي غفلتُ فيه، فرجعتُ إلى الذّكر فمشيتُ سالمًا.

وحكى الجُنيد قال: حججتُ مع أيوبَ، فلما ظعنّا^(١) في البادية إذا عصفورٌ يحومُ علينا وحوّلنا، فرفعَ أيوبُ إليه رأسه، وقال: جئتُ إلى هنا؟ ففتّ خُبزاً في كفه، فوقع العصفورُ عليه، فأكل، فقال له: اذهبِ الآن، ثم رجّع من الغدِ، ففعلَ أيوبُ مثلَ ذلك، ثم لم يزل يفعلُ به ذلك إلى آخرِ السّفرِ^(٢).

واشترى أحمدُ بن حنبلٍ دقيقاً، فوافى أيوبَ الحمّال، فحمله معه إلى بيته، فوجد فيه خُبزاً، فرآه أيوبُ، فقال أحمد: يا صالحُ، أعطه رغيفين. فناوله رغيفين، فردّهما وذهب، فقال أحمد لابنه: الحقّة بهما. ففعل، فأخذهما، فعجبَ صالحُ، فقال أحمد: لا تعجّب، استشرفتُ نفسه للخُبز حين رآه فردّه، فلما ذهبَ أيس، فأعطيه فقَبِلَ^(٣).

(*) حلية الأولياء ٣١٣/١٠ وفيه (أبو أيوب) تاريخ بغداد ٨/٧، الأنساب ٢٠٦/٤، صفة الصفوة ٣٩٣/٢، المختار من مناقب الأخيار ٧٩/ب. جاء اسمه في (ب): أبو أيوب الجمال.

(١) في المطبوع: طفنا.

(٢) تنمة الخبر في الحلية ٣١٣/١٠: ثم قال أيوب: تدري ما قصة هذا العصفور؟ كان يجيئني في منزلي كل يوم، فكنت أفعل به ما رأيت، فلما خرجنا تبعنا يقتضي مني ما كنت أفعل به.

(٣) الخبر ليس في (أ) ولا في (ب) وانظر الخبر بتمامه في المختار.

(٢٣٥) أم هارون الشَّامِيَّة (*)

أم هارون الشَّامِيَّة، العابدةُ الزَّاهِدةُ الصُّوفِيَّة، كانت من الخائفاتِ القانتاتِ،
العابِداتِ الوَرِعاتِ، قد أنزلتِ الدُّنيا منزلتها، ووجَّهتْ إلى الآخرةِ طلبتها.
وكانت تصومُ الدهرَ^(١)، وتُفطر على الخبزِ وحده، وتقولُ: ما أطيبه^(٢)!
وخرجتْ تُريدُ موضعاً، فصاحَ صبيٌّ بصبيٍّ: خذوه، فسقطتْ مُغمى عليها،
فوقعتْ على حجرٍ فدميت.

قال الدَّارانيُّ: ما أرى أنَّ في الشَّامِ مثلها.

وكانت لما تكشفتُ وجهها يُضيء كالقمر.

وكان يعرضُ لها الأسدُ فتمشي نحوه، فإذا قرُبَتْ منه، نظرتْ إليه وقالت:
تعال يا كلب، إنَّ كان لك رزقٌ فيَّ فكلني، فإذا سمعَ كلامها أقعى، ثمَّ ولى
راجعاً.

وقيل لها: أتحبِّين الموتَ؟ قالت: لا؛ لأنَّك لو عصيتِ آدميًّا ما أحببتِ
لقاءه، فكيف أحبُّ لقاءَ اللهِ وقد عصيتهُ؟! .

* * *

(*) تاريخ دمشق (النساء) ٥٥٢، صفة الصفوة ٤/٣٠٣، المختار من مناقب الأخيار

٤١٤/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/٢٠٩، طبقات الشعرا ١/٦٦.

(١) في المطبوع: تصوم النهار الدهر.

(٢) كذا في الأصول، وفي صفة الصفوة، والمختار: كانت تأكل الخبز وحده، وقالت بأبي

الليل ما أنيبه، إني لأعتم بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمت أوله

(حرف الباء الموحدة)

(٢٣٦) بشر بن الحارث (*)

بشر بن الحارث الحافي، المُكْتَفِي بِكَفَايَةِ الْكَافِي، اِكْتَفَى فَاشْتَفَى، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التَّصَوُّفَ الْاِكْتِفَاءُ لِلْاِعْتِلَاءِ، وَالْاِشْتِفَاءُ مِنَ الْاِبْتِلَاءِ.

كَانَ كَبِيرَ الشَّانِ، عَظِيمَ الْمِقْدَارِ، عَلِيَّ الْمَنْزِلَةِ، رَفِيعَ الْمَنَارِ، لَطِيفَ الْإِشَارَةِ، عَذْبَ الْكَلَامِ، طَلَّقَ الْعِبَارَةَ، عَدِيمَ النَّظِيرِ زُهْدًا وَوَرَعًا وَصَلَاحًا، كَثِيرَ الْحَدِيثِ، لَكِنَّهُ كَرِهَ الرَّوَايَةَ آخِرًا.

قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: وَهُوَ ثَقَّةٌ، لَا يَرُوي إِلَّا حَدِيثًا صَحِيحًا.

وَأَصْلُهُ مِنْ رُؤْسَاءِ مَرَوْ، ثُمَّ سَكَنَ بَغْدَادَ، وَأَخَذَ عَنِ الْفُضَيْلِ، وَتَلَّكَ الطَّبَقَةَ. وَكَانَ أَسْفَلَ قَدَمِهِ أَسْوَدٌ مِنَ التُّرَابِ مِنْ كَثْرَةِ الْمَشْيِ حَافِيًا، وَسَبَبُ حِفَائِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَائِهِ فِي لَهْوٍ وَلَعِبٍ، فَجَلَسَ مَعَ رَفَقَائِهِ لِذَلِكَ، فَدَقَّ رَجُلٌ بَابَهُ، فَخَرَجَتِ الْجَارِيَةُ، فَقَالَ: صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ حَرٌّ أَمْ عَبْدٌ؟ قَالَتْ: حُرٌّ. قَالَ: صَدَقْتَ، لَوْ كَانَ عَبْدًا لَأَسْتَعْمَلَ أَدَبَ الْعِبُودِيَّةِ، وَتَرَكَ اللَّهْوَ. ثُمَّ وَلَّى، فَدَخَلَتِ الْجَارِيَةُ، فَأَخْبَرَتْهُ فَخَرَجَ يَعدُو خَلْفَهُ حَافِيًا حَتَّى أَدْرَكَهُ، وَقَالَ: أَعِدِ الْكَلَامَ، فَأَعَادَهُ، فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ حَافِيًا حَتَّى عُرِفَ بِالْحَفَاءِ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لَا تَلْبِسُ نَعْلًا؟

(*) طبقات ابن سعد ٧/٣٤٢، طبقات الصوفية ٣٩، المعارف ٥٢٥، الجرح والتعديل ٢/٣٥٦، الثقات لابن حبان ٨/١٤٣، حلية الأولياء ٨/٣٣٦، تاريخ بغداد ٧/٦٧، الرسالة القشيرية ١/٧٣، الأنساب ٤/٢٧، تاريخ ابن عساكر ١٠/٣٥، صفة الصفوة ٢/٣٢٥، المختار من مناقب الأخيار ٨١/أ، وفيات الأعيان ١/٢٧٤، مختصر تاريخ دمشق ٥/١٩١، تهذيب الكمال ٤/٩٩، سير أعلام النبلاء ١٠/٤٦٩، العبر ١/٣٩٩، مرآة الجنان ٢/٩٢، الوافي بالوفيات ١٠/١٤٦، البداية والنهاية ١٠/٢٩٧، شذرات الذهب ٢/٦٠.

فقال: ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ، فلا أزولُ عن هذه الحالة.

وقيل: إنما سببه أنه انقطعَ أحدُ نعلَيْه، فطلبَ من إسكافٍ شِسْعاً، فقال:
ما أكثرَ كلفتكم على الناس! فألقاهُ وحلفَ لا يلبسُ نعلًا أبداً.

وقال محمد بن الصَّلْت: كان اسمه بين الناسِ كأنه اسمُ نبيٍّ؛ وسببه أنه
وجدَ ورقةً فيها البسملَةُ بالطَّرِيقِ فرفعها وطبَّها بغالية، فقيل له: طبَّبتها،
لأطبِّبَنَّ اسمَكَ في الدُّنيا والآخرة.

قال الغزالي: وكان بشرٌ من الورعين، فقيل له: من أين تأكلُ؟ فقال: من
حيثُ تأكلون، لكن ليسَ مَنْ يأكلُ وهو يبكي كَمَنْ يأكلُ وهو يضحك، ويدُّ
أقصرُ من يدٍ، ولقمةٌ أقصرُ من لقمةٍ.
وبكى حتى ذهبَتْ أشْفارُ عينيه.

وكان لا يشربُ من الأنهارِ التي حفرها الأمراءُ، فيقول: التَّهْرُ سببٌ لجريان
الماء، ووصوله إليه وإن كان الماءُ مُباحاً في نفسه.

وبلغَ من رفيعِ قدره أنَّ الخليفةَ المأمونَ تشفَّعَ بأحمد بن حنبلٍ في أن يأذنَ له
في زيارته فأبى.

^(١) ورأى شاباً عليه مُرَقَّعةٌ، فقال له: ثوبُ شهرةٍ، يُكرمك النَّاسُ لأجلها.
فقال: إنِّي لبيستها لأعلمَ النَّاسَ أنَّني عبدٌ لله فيكرموني لأجله. فقال له بشرٌ:
أحسنْتَ، مثلكَ مَنْ يصلحُ له لبسُ المُرَقَّعة.

وقيل له: لِمَ لا تتزوَّج؟ فقال: المرأةُ لا تصلحُ إلا للرجال، وأنا لم أبلغ
مبلغَ الرجال، فللقومِ أو أن يعرفون به أو أن استحقاقِ التزويج، قال الخواص:
وأوانه أن يبلغَ إلى حدٍّ لا يشغله عن الله شاغلٌ، فَمَنْ لم يبلغْ هذا الحدَّ لا ينبغي
له التزوُّجُ.

قال الشعْراني: ويتعيَّنُ حملُ هذا على من لم تتقُ نفسه إلى التزوُّج، ولم
يخفِ الفتنةَ بقرائنِ الأدلَّةِ الشرعيَّةِ، وإلا فيستحبُّ له التزوُّجُ. انتهى ^(١).

(١-١) ما بينهما ليس في (أ) ولا في (ف).

وقيل له: لِمَ تُؤنسُ بالقدسِ؟ قال: لِأَنَّهُ يُذْهِبُ بِالْهَمِّ، وَلَا تَسْتَعْلِي النَّفْسُ بِهَا.

وقال: مَا بَقِيَ عِنْدِي مِنَ لَذَاتِ الدُّنْيَا إِلَّا اسْتِلْقَاءُ عَلِيٍّ جَنَبِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ^(١).

وَمِنْ كَلَامِهِ:

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُلَقِّنَ الْحِكْمَةَ فَلَا يَعْصِي اللَّهَ.

وقال: إِذَا قَصَرَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَةِ سَلَبَهُ اللَّهُ مَنْ يُؤْنِسُهُ.

وقال: مَا اتَّقَى اللَّهَ مَنْ أَحَبَّ الشُّهْرَةَ.

وقال: لَا تَعْمَلْ لِتُذَكَّرَ.

وقال: إِذَا أَعْجَبَكَ الْكَلَامُ فَاصْمُتْ، أَوْ السُّكُوتُ فَتَكَلَّمْ.

وقال: إِنَّمَا أَنْتَ مُتَلَذِّذٌ تَسْمَعُ وَتَحْكِي، إِنَّمَا الْمُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْعَمَلُ، تَعَلَّمْ وَاعْمَلْ، وَاعْلَمْ وَاهْرُبْ.

وقال: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا يَسْأَلُهُ طَوْلَ الْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وقال: الزُّهْدُ مَلَكٌ لَا يَسْكُنُ إِلَّا قَلْبًا مُخْلَى^(٢).

وقال: مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِالصَّدَقِ اسْتَوْحَشَ مِنَ النَّاسِ.

وقال: لَوْ تَفَكَّرَ النَّاسُ فِي عِظْمَةِ اللَّهِ لِمَا عَصَوْهُ.

وقال: انظُرْ خَبْزَكَ مِنْ أَيْنَ هُوَ؟ وَلَا تُعَرِّضْ لِحَمَّكَ لِلنَّارِ.

وقال: كَانُوا يَكْرَهُونَ سَمَاعَ عِلْمِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ.

وقال: مَا أَعْرِفُ رَجُلًا أَحَبَّ أَنْ يُعْرَفَ إِلَّا ذَهَبَ دِينُهُ وَافْتَضِحَ.

وقال: لَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الْآخِرَةِ رَجُلٌ أَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ.

وقال: سَلِّمُوا عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بَتْرِكِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ.

(١) الخبير من المطبوع فقط.

(٢) في المختار ٨٥/أ: إلا في قلب متق.

وقال: مَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ بِالْعِلْمِ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِيغْضِهِ، فَإِنَّهُ مَقْتُ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ.

وقال: أَقَلُّلْ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ
تَكُنْ فَضِيحَةً كَانَ مَنْ يَعْرِفُكَ قَلِيلًا.

وقال: الْعِبَادَةُ مِنَ الْفَقِيرِ كَعَقْدِ جَوْهَرٍ عَلَى جِيدٍ حَسَنَاءِ، وَمِنَ الْغَنِيِّ كَشَجَرَةٍ
خَضِرَاءَ عَلَى مَرْبَلَةٍ.

وقال: نَعَمَ الْمَنْزَلُ الْقَبْرِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ.

وقال: الْغَنِيُّ الْمَحَبُّ لِلدُّنْيَا الْمَتَعَبَّدُ كَرَوْضَةٍ عَلَى مَرْبَلَةٍ، وَالْفَقِيرُ الزَّاهِدُ
الْمَتَعَبَّدُ كَعَقْدِ جَوْهَرٍ فِي جِيدِ الْحَسَنَاءِ.

وقال: سَكُونُ النَّفْسِ إِلَى الْمَدْحِ أَضْرُّ عَلَيْهَا مِنَ الْمَعَاصِي.

وقال: مَنْ حُرِمَ الْمَعْرِفَةَ لَا يَجِدُ لِلطَّاعَةِ حَلَاوَةً.

وقال: النَّظْرُ إِلَى مَنْ تَكَرَّهُ حَمَى بَاطِنَهُ.

وقال: فَضَّلَ عَلِيٌّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ بِثَلَاثٍ: طَلِبَ الْحَلَالَ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، وَأَنَا
أَطْلُبُهُ لِنَفْسِي فَقَطْ، وَأَتَسَاعَى فِي النِّكَاحِ، وَضِيقِي عَنْهُ، وَكَوْنَهُ نُصَّبَ إِمَامًا
لِلْعَامَّةِ.

وقال: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا إِلَّا مُبْتَلَى: رَجُلٌ بَسَطَ اللَّهُ رِزْقَهُ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ شُكْرُهُ،
وَرَجُلٌ قَبَسَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ صَبْرُهُ.

وقال: قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي. قَالَ: حَتَّى أَشَاءَ.

وقال: التَّوَكُّلُ اضْطِرَابٌ بِلا سَكُونٍ، وَسَكُونٌ بِلا اضْطِرَابٍ^(١).

وقال: قَلْ لِمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا تَأْهَبُ لِلذُّلِّ.

(١) تَمَّةُ الْخَبَرِ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٨/٣٥١: فَقَالَ الْمَازِنِيُّ: لَيْسَ نَفَقَهُ هَذَا... قَالَ بَشْرٌ:
اضْطِرَابٌ بِلا سَكُونٍ رَجُلٌ يَضْطَرِبُ بِجَوَارِحِهِ، وَقَلْبُهُ سَاكِنٌ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى عَمَلِهِ،
وَسَكُونٌ بِلا اضْطِرَابٍ، فَرَجُلٌ سَاكِنٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِلا حَرَكَةٍ، وَهَذَا عَزِيزٌ، وَهُوَ مِنْ
صِفَاتِ الْأَبْدَالِ.

وقال: لا يجدُ عبدٌ حلاوةَ العبادةِ حتَّى يجعلَ بينه وبينَ الشهواتِ حائطاً من حديد.

وقال: لو سقطت قلنسوةٌ من السماء لما سقطت إلا على رأسٍ من لا يريدُها.

وقال: يأتي على الناس زمانٌ تكونُ الدولة فيه للحمقى على الأكياس.

وقال: النَّظْرُ إلى البخيل يُقتسي القلبَ.

وقال: هَبْ أَنْكَ ما تخافُ، أما تشتاقُ؟

وقال: ليس طلبُ الحديثِ من عدَّةِ الموتِ، فقليل له: قد خرجتَ إلى أبي نُعَيْمٍ، قال: أتوبُ إلى الله من ذهابي.

وقال: قد شهَرَني ربِّي في الدُّنيا فليته لا يفضحني في القيامةِ.

وقال: غنيمةُ المؤمنِ غفلةُ الناسِ عنه.

ورآه رجلٌ سكران، فأقبلَ عليه يُقبِّله، وبشرٌ لا يدفعُهُ عن نفسه، فلما ولى تغرَّغرت عيناه، وقال: رجلٌ أحبُّ رجلاً على خيرٍ توهمهُ فيه، ولعلَّ المُحبَّ نجا، والمحبوبَ لا يُذرى ما حالُهُ.

وقال: تُدعى الأمم يومَ القيامةِ بأسمائها^(١)، ويقال للمحبِّين: يا أولياءَ الله، فتكادُ قلوبُهم تنخلعُ فرحاً.

وقال: ليسَ من المُرورةِ أن تُحبَّ ما يُبغضُ حبيبك.

وقال: إِيَّاكَ والاعتزازَ بالسترِ، والاتكالَ على حُسنِ الذكرِ.

وقال: اللَّيْلُ والنَّهارُ حثيثانِ يعملانِ فيك، فاعمَلْ فيهما.

وقال: ليسَ المتوكِّلُ من يتوكَّلُ على الله ليُكفى، ولو حلَّتْ هذه الصِّفةُ بقلوبِ المتوكِّلين لضجُّوا إلى الله بالتَّوبةِ منها، بل المتوكِّلُ تحلُّ بقلبه الكفايةُ من الله، ويصدِّقه فيما ضمن.

(١) في المطبوع: بأبيائها.

وقال: أفضلُ أعمالِ البرِّ الصَّبْرُ على الفقرِ.

وقال: حقيقةُ المحبَّةِ تركُ مُخالفةِ المحبوبِ بكلِّ حالٍ، والتَّسليمُ إليه في الحالِ والمآلِ.

وقال: المحبَّةُ ذُلٌّ في عزِّ المحبوبِ، ومُشاهدةٌ للحتفِ المجلوبِ مع امتناعِ المطلوبِ.

وقال: القربُ من الأغيارِ بُعدٌ من الحبيبِ، والأنسُ بهم وحشةٌ منه.

وقال: عانِقِ الفقرَ، وتوسَّدِ الصَّبْرَ، وعادِ الهوى، وخالفِ الشَّهواتِ، وضيقِ الدُّنيا عليك كحلقةِ خاتمٍ، فهذا يطيَّبُ السَّيرَ إلى الله.

وقيل له: لِمَ لا تَدْخُلُ الجامعَ تعِظُ النَّاسَ؟ قال: إنَّما يَدْخُلُ الجامعَ جامعٌ.

وقيل له: أَلَا تُصَلِّي في الصَّفِّ الأوَّلِ؟ فقال: إنَّما يريدُ قُرْبَ القلوبِ لا قُرْبَ الأجسامِ.

وقال: مَنْ طَلَبَ الدُّنيا فليتهيأ للذُّلِّ.

وقال: عقوبةُ العالِمِ في الدُّنيا أن يعمى بصَرِّ قلبه.

وقال: لقيَ حكيمٌ حكيماً فقال: لا رَأَى اللهُ عند ما نهاكَ عنه، ولا فقدَكَ حيثُ أمرَكَ.

وقال: أشدُّ الأعمالِ ثلاثة: الجودُ في القِلَّةِ، والورعُ في الخَلْوَةِ، وكلمةُ الحقِّ عند مَنْ يُخافُ ويرجى.

وقال: دخلتُ داري فرأيتُ رجلاً طويلاً يُصَلِّي، فراعني لكونِ المفتاحِ معي، فلما سلَّم قال: أنا الخَضِرُ. قلتُ: علِّمني ما يَنْفَعُنِي، قال: قل: أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ كُلِّ عَهْدٍ نَقَضْتُهُ، وَمِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ اسْتَعَنْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِهِ.

وقال: رأيتُ الخَضِرَ، فقلتُ: ادعُ لي. قال: هوَنَّ اللهُ عليك طاعتهُ، قلتُ: زدني. قال: وستَرها عليك.

وقال: الفقراءُ ثلاثة: فقيرٌ لا يسألُ، وإن أُعطي لا يأخذُ، فذاك من الرُّوحانيين، وفقيرٌ لا يسألُ، وإن أُعطي قَبِلَ، فذاك من أوسطِ القومِ، وفقيرٌ

اعتقد الصبر، ومدافعة الوقت، فإذا طرقت الحاجة خرج لإخوانه، وقلبه إلى الله بالسؤال، فكفارة مسأله صدقه في السؤال^(١).

وقال: علماء زماننا إنما هم متلذذون بالعلم، يسمعونه ويحكونه فقط.

وقال: كل حرف من العلم يدل صاحبه على الهرب من الدنيا.

وقال: إنني لأجل الله أن أذكره عند من لا يجله^(٢).

وقال: أمس قد مات، واليوم في النزع، وغداً لم يولد، فبادروا بالعمل الصالح وقتكم.

وقال: إذا كتبت لأخيك كتاباً فلا تُخرِفُه بحسن الألفاظ، فإنني كتبت كتاباً، فعرض لي كلامٌ إن كتبتُه حسن الكلام وكان كذباً، وإن تركتُه سمج وكان صدقاً، فذكرت السمج الصدق، فناداني مُنادٍ: ﴿يُشِيتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وقال: مَنْ طلب أن يكون عزيزاً في الدنيا، سليماً في الآخرة فلا يحدث، ولا يشهد، ولا يؤم، ولا يأكل لأحد طعاماً.

وطلب منه الناس التحديث، وألحوا، فأبى، فقالوا: ما تقول لربك إذا قال لك: لِمَ لا تحدث عبادي بحديث نبيي؟ قال: أقول: أمرتني بمخالفة نفسي، ونفسي كانت تحب التحديث والرياسة فخالفتها.

وكان من الذين إذا رؤوا ذكروا الله؛ فصلّى يوماً فأطال وأحسن، ورجلٌ يُصلّي خلفه، ففطن به بشر، فقال: لا يُعجبك ما رأيت مني، فإبليس عبد الله مع الملائكة دهرأ، ثم صار إلى ما صار إليه.

وقال: لا تؤثروا على حذف العلائق شيئاً؛ فإنني لو أحببت نفسي بكل ما تشتهي، خفت أن أكون مكاساً، أو شرطياً.

(١) انظر الخبر كاملاً في طبقات الصوفية ٤٧.

(٢) بداية الخبر: قيل له: ألا تخوف السلطان بالله عز وجل؟ فقال: ... المختار ٨٥/أ.

وقال: مَنْ لَمْ يَحْتَجِ إِلَى النِّسَاءِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلَا يَأْلَفْ أَفْخَاذَهُنَّ^(١)، ولو جمعَ رجلٌ بين أربعِ نِسوةٍ يَحْتَاجُهُنَّ لَمْ يُسْرِفْ.

وقال: صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَارِ، وَصُحْبَةُ الْأَخْيَارِ تُورِثُ حُسْنَ الظَّنِّ بِالْأَشْرَارِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِمَ حَسَنْتَ ظَنَّاكَ بَعِبَادِي؟

وقال: لَا يُفْلِحُ مُرِيدٌ، يَقُولُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَكُلُ خُبْزِي؟

وقال: أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ، وَفِيهِمْ ثَلَاثُ خِصَالٍ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَالزُّهْدُ، وَأَكْلُ الْحَلَالِ، وَلَا نَرَى فِيهِمْ الْيَوْمَ وَاحِدَةً مِنْهَا، فَلِذَلِكَ لَا يُعْبَأُ بِهِمْ.

وقال: مَنْ يَأْكُلُ الدُّنْيَا بِالْعِلْمِ كَمَنْ يَغْسِلُ يَدَهُ مِنَ الزَّهْمَةِ^(٢) بِمَاءٍ تَنْظِيفِ السَّمَكِ الْقَدِيدِ.

وقال: إِذَا قَصَرَ الْعَبْدُ فِي الْعَمَلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ سَلَبَهُ مَنْ كَانَ يُؤْنِسُهُ مِنْ أَخٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ حَالٍ^(٣).

وقال: التَّصَوُّفُ اسْمٌ لثَلَاثِ مَعَانٍ: أَنْ لَا يُطْفِئَ نَوْرَ عِرْفَانِهِ نَوْرَ وَرَعِهِ، وَأَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِبَاطِنٍ يَنْقُضُهُ ظَاهِرٌ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ، وَأَنْ لَا تَحْمِلُهُ الْكِرَامَةُ عَلَى هَتِكِ الْأَسْتَارِ.

كَانَ إِذَا رَأَى أَحَدًا يَضْحَكُ يَقُولُ: احْذَرِ أَنْ يَأْخُذَكَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْبَرْدِ جَدًّا فَوَجَدَهُ عَرِيانًا يَرْعُدُ، فَلَامَهُ، فَقَالَ: ذَكَرْتُ الْفُقَرَاءَ وَمَا هُمْ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي مَا أُوَاسِيهِمْ بِهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُوَافِقَهُمْ بِنَفْسِي فِي مُقَاسَاةِ الْبَرْدِ.

وَتَعَلَّقَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَبِيَدِهِ سَكِينٌ، لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا عَقَرَهُ وَهِيَ تَصِيحُ فِي يَدِهِ، فَمَرَّ بِهِ بَشْرٌ فَحَكَ كَتْفَهُ بِكَتْفِ الرَّجُلِ^(٤) فَسَقَطَ الرَّجُلُ، وَخَلَصَتِ الْمَرْأَةُ،

(١) فِي (أ) وَ (ب): اتَّخَاذَهُنَّ.

(٢) الزَّهْمَةُ: رَائِحَةُ الشَّحْمِ. انْظُرْ مَتْنَ اللُّغَةِ (زَهْم).

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ: مَالٍ.

(٤) فِي (أ) وَ (ب): كَتَفَهَا. وَالْمُشْبِتُ مِنَ الْمُخْتَارِ: ٨٥/أ.

فسألوه: ما حالك؟ فقال: ما أدري، لكن حاكني شيخ، وقال: الله ناظرٌ إليك، فوَقَعْتُ من هيبته، وحُمَّ الرَّجُلُ من وقته، فماتَ اليومَ السَّابعَ.

وكان يقولُ في مرضه: إلهي، رفعتني فوق قَدْرِي وشَهَرْتَنِي بين النَّاسِ بِالصَّلاحِ ولستُ صالحاً، فأسألك بوجهك الكريم أن لا تفضحني يومَ الحسابِ.

وفي «الإحياء» عن بعضهم: ما خرجَ أحدٌ من الدُّنيا كما دخلها غير بشر، أتاه رجلٌ في مرضٍ، فشكا إليه الحاجةَ، فنزعَ قميصَهُ فأعطاهُ، فاستعارَ ثوباً فماتَ فيه.

وفي «الفتوحات» عن بعض الصَّالحين أَنَّهُ لقي الخَصِرَ، فقال له: ما تقولُ في الشَّافعيِّ؟ قال: من الأوتاد، قال: فأحمد بن حنبل؟ قال: صدِّيق. قال: فبشر الحافي؟ قال: ما تَرَكَ بعده مثله.

ماتَ سنةَ سبعٍ وعشرين ومئتين ببغداد، وأُخْرِجَتْ جنازتهُ عَقِبَ الصُّبْحِ، فلم يصلْ إلى المقبرةِ إلا في اللَّيْلِ، فصار التَّمَارُ، وابن المديني يصيحان في الجنازة: هذا والله شرفُ الدُّنيا قبلَ شرفِ الآخرةِ.

وقيلَ له: ما فَعَلَ بك؟ قال: غَفَرَ لي، ولكلِّ مَنْ شِيعَ جنازتي، أو أَحَبَّنِي، إلى يومِ القيامةِ.

ورآه آخر، فقال له: ما فَعَلَ اللهُ بك؟ قال: غَفَرَ لي، وقال: يا بشر، ما عبدتني على قدر ما نَوَّهْتُ باسمك.

ورآه آخر فسأله، فقال: غَفَرَ لي، وجعلَ يذكُرُ ما فعلَ به من الكرامةِ، فقال له: قال لك شيئاً؟ قال: نعم، قال: يا بشر، ما استحيتَ مِنِّي، تخافُ ذلكَ الخوفَ كلَّهُ، على نفسِ هي لي؟.

ورآه آخر ماشياً، فقال له: من أين؟ قال: من عِلِّيِّين. قال: ما فَعَلَ أحمدُ بن حنبل؟ قال: تركتهُ السَّاعةَ يأكلُ ويشربُ، ويتنعمُ بين يدي الله. قال: فانت؟ قال: عَلِمَ اللهُ قِلَّةَ رغبتي في الطَّعامِ، فأباحني النَّظَرَ إليه.

ورآه آخر فقال: ما فَعَلَ بك؟ قال: غَفَرَ لي، وقال: يا بشر، لو سجدتَ لي

على الجمرِ ما كافات ما جعلتُ لك في قلوبِ عبادي .

وجاءت أخته إلى ابنِ حنبلٍ فقالت: إننا نغزِلُ على سطوحِنا، فتمرُّ المشاعِلُ، فيقعُ الشُّعاعُ علينا، فهل لنا أن نغزِلَ في شعاعِها؟ فقال: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا أُختُ بِشْرِ. فبكى حتى أبكى مَنْ حوله، وقال: من بيتكم خرجَ الورعُ، لا تغزلي في شعاعِها^(١).

* * *

(٢٣٧) بقيُّ بنُ مَخْلَدٍ (*)

بقيُّ بن مَخْلَدِ بن يَزِيدٍ^(٢)، أبو عبد الرَّحْمَنِ الأندُلُسيُّ، كان عابِداً زاهِداً مُفسِّراً مُحدِّثاً، فقيهاً صوفيّاً، مُجابَ الدَّعوةِ، صَنَّفَ «المسندَ» روى فيه [عن] نحو ألفٍ وثلاثمئة شيخ^(٣).

قال ابنُ عساکر^(٤): وتفسيرُهُ أقطعُ قطعاً لا أستثني أنَّهُ لم يؤلَّفْ في الإسلامِ مثله، لا تفسير [محمد] بن جرير [الطبري]، ولا غيره.

(١) الخبر من المطبوع.

(*) تاريخ علماء الأندلس ٩١/١، طبقات الحنابلة ١٢٠/١، الصلة لابن بشكوال ١١٦/١، بغية الملتبس ٢٢٩ (٥٨٤)، الجذوة ١٦٧، تاريخ ابن عساکر ٢٢٠/١٠، المنتظم ١٠٠/٥، معجم الأدباء ٧٥/٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٣٥/٥، سير أعلام النبلاء ٢٨٥/٣، العبر ٥٦/٢، تذكرة الحفاظ ٦٢٩/٢، مرآة الجنان ١٩٠/٢، الوافي بالوفيات ١٨٢/١٠، البداية والنهاية ٥٦/١١، النجوم الزاهرة ٧٥/٣، طبقات الحفاظ ٢٧٧، طبقات المفسرين ١١٦/١، نفح الطيب ٥١٨/٢، شذرات الذهب ١٦٩/٢. والترجمة بتمامها ليست في (أ).

(٢) في المطبوع: مزيد.

(٣) قال ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢٢٣/١٠ عن مصنفه: رتبه على أسماء الصحابة... رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه، وأبواب الأحكام فهو مصنف، ومسند، وما أعلم لأحد هذه الرتبة قبله مع ثقته وضبطه وإتقانه... اهـ. وما بين معقوفين مستدرک منه.

(٤) تاريخ دمشق ٢٢٣/١٠.

وقال ابن عبد البر: كان دينا عابداً فاضلاً تقيّاً قواماً صواماً مجاهداً زاهداً منقطع القرين في مصره، مُنفرداً عن التّظير في عصره، رحل في طلب العلوم وأخذ عن أهل الحَرَمين، ومصر، والرُّوم، وعسقلان، والقدس، والرَّملة، ودمشق، وحلب، والرَّقّة، وحرّان، والجزيرة، وحُلوان، والبصرة، والكوفة، وواسط، وبغداد، وخراسان^(١)، وعدن، والإسكندرية، والقيروان، ثم حسده أهل الأندلس، وثاروا، وأتهموه بالزندقة، وشهدوا عليه، وأرادوا قتله^(٢)، فلم يساعدهم سلطانها على ذلك.

وله كرامات منها: أنّ امرأة جاءتُه، فقالت له: إنّ ابني في أسير، ولا حيلة لي، فلو أشرت إلى مَنْ يَفديه؛ فإنّي وإلهة، فقال: نعم، انصرفي حتى أنظر في أمره، ثم أطرق وحرّك شفّتيه، فبعد مدّة جاءت المرأة بابنها، فقال: كنتُ في يد بعض ملوك الرُّوم في الأسارى، فبينما أنا في العمل انفكّ قيدي وسقط، وذكر اليوم والساعة، فوافق وقت دعاء الشيخ، قال: فصاح عليّ المرسم بنا، ثمّ نظّر وتحير، وأحضر الحداد، وقيدوني، فلمّا فرغ ومشيتُ سقطت القيود، فأعادوا، فسقطت، فبهتوا ودّهشوا، ودّعوا رهبانهم فقالوا: دعوة أجيبّت، فلم يمكنكم من تقييده أبداً، فزوّدوه، وأطلقوه.

مات سنة ستّ وسبعين ومثتين.

* * *

(١) تعقب الذهبي قول ابن عبد البر هذا في سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٠ بقوله: كذا قال، فغلط، ولم يصل إلى خراسان، بل ولا إلى همدان، وما أدري هل دخل الجزيرة أم لا؟ ويظهر ذلك لمن تأمل شيوخه.

(٢) وذلك أن بقيّاً أول من كثر الحديث بالأندلس ونشره، وهاجم به شيوخ الأندلس، فثاروا عليه، لأن علمهم كان بالمسائل ومذهب مالك، وكان بقيّ يفتي بالأثر، فشذّ عنهم شذوذاً عظيماً. انظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٠، ٢٩١.

(۲۳۸) بُهْلُولُ الْمَجْنُونِ (*)

كان عظيم الشأن .

مرَّ به السَّرِيُّ السَّقَطِي وقد دلَّى رجليه في قبرٍ، وهو يلعبُ بالترابِ، فقال :
أنت هنا ؟ قال : نعم أنا عند قومٍ لا يزدرونني ، وإن غبتُ عنهم لا يغتابوني^(۱) ،
قلتُ له : تجوع^(۲) ؟ فولى ، وأنشأ يقول :

تَجُوعُ فَإِنَّ الْجُوعَ مِنْ عِلْمِ التَّقَى وَإِنَّ طَوِيلَ الْجُوعِ يَوْمًا سَيْشَبَعُ
فقلتُ له : إِنَّ الْخُبْزَ قَدْ غَلَا ، فقال : ما أبالي ولو بلغتُ حَبَّةً بِمِثْقَالِ ، علينا
أن نعبدَهُ كما أمرَ ، وعليه أن يرزقنا كما وَعَدَ ، ثمَّ ولى وهو يقولُ :
أَفَّ لِلدُّنْيَا فليستُ لي بدارُ إِنَّمَا الرَّاحَةُ فِي دَارِ الْقَرَارِ

* * *

«

(*) البيان والتبيين ۲/ ۲۳۰ ، صفة الصفوة ۲/ ۵۱۶ ، المختار من مناقب الأخيار ۹۲/ أ ،
روض الرياحين ۹۴ ، ۱۰۷ ، ۱۳۴ (الحكايات : ۱۹ ، ۳۳ ، ۵۶) ، فوات الوفيات
۱/ ۲۲۸ ، الوافي بالوفيات ۱۰/ ۳۰۹ ، طبقات الشعراني ۱/ ۶۸ .

(۱) في صفة الصفوة ، والمختار : يؤذونني .
(۲) في المطبوع و (ب) : يحرم . وفي صفة الصفوة ، والمختار : لا تكون جائعاً ؟ .

(حرف الجيم)

(٢٣٩) جَبَلَةُ بن حَمُود (*)

ابن عبد الرحمن الصَّدْفِيُّ، أبو يوسف الإفريقي ..
سمع من سَحْنُون وغيره، ثم غلبَ عليه التَّنْسُكُ والزُّهْدُ.
قال أبو العرب: صالحٌ، ثقةٌ، زاهدٌ، سيِّدُ أهل زمانه، وأزهدُهم.
وقال سَحْنُون: سيكونُ له نبأٌ.
وما مدحَ الدُّنيا ولا ذمَّها.
وقال القَطَّان: لو فاخرنا بنو إسرائيلَ بعبادهم لفاخرناهم به.
وقال [بعضهم]: اشتَهيتُ يوماً تيناً، وكان في غير زمنه، [فذكرتُ له ذلك]
فأخرجَ لي من قلَّةِ خمسِ [تيناتِ خضراء] (١).
 واجتمع بالخضر.
وكان لا يُبصرُ شيئاً من دُنياه ولا يشتغلُ بأخبارها.
ماتَ سنةَ سبعٍ وتسعينَ ومثتين (٢).

* * *

- (*) الإكمال ١٣٢/٢، الأنساب ٤٤/٨، الديباج المذهب ١٠٣، شجرة النور الزكية ٧٣ (٩٩)، وفي الأصول: محمود، والتصحيح من مصادر ترجمته.
(١) ما بين معقوفين مستدرَك من الديباج المذهب.
(٢) كذا في الديباج أيضاً، وفي الإكمال، والأنساب: توفي سنة سبع وتسعين.

(٢٤٠) الجُنَيْدُ (*)

أبو القاسم بن محمد، المُزَيَّنُ بفنون العلم، المتوسِّحُ بجلايب (١) التَّقوى والحلم، المنوَّرُ بخالص الإيقان، المؤيَّدُ بثابت الإيمان، العالمُ بمؤدَّوع الكتاب، العامِلُ بمُحكَمِ الخِطاب، الموقِّقُ فيه للبيانِ والصَّوابِ.

كان كلامه بالنصوصِ مربوطاً، وبيانه بالأدلةِ منوطاً مبسوطاً، وهو نهاونديُّ الأصلِ، بغدادِيُّ المنشأ، القواريريُّ الزجَّاج نسبةً لحرفة أبيه، سيِّدُ الطائفةِ، ومقدِّمُ الجماعة، وإمامُ أهلِ الخِرقةِ، وشيخُ طريقِ التصوُّفِ، بهلوانُ العارفينِ، مرجعُ أهلِ السُّلوكِ في زمنه فمن بعده، رُزِقَ من القبولِ وصوابِ القولِ ما لم يقعَ لغيره؛ بحيثُ كان إذا مرَّ بشارعِ بغداد وقفَ النَّاسُ له صُفوفاً كالملوكِ، ولم يُرَ في عصره مَنْ اجتمعَ له علمٌ وحالٌ غيره، وكُنْتَ إذا رأيتَ علمه رجَّحتَهُ على حاله، وعكسه، وناهيكُ بجعلهم (٢) من العقائدِ الدِّينيَّةِ، والأصولِ الإسلاميَّةِ أن نعتقدَ أنَّ طريقَهُ وصحبه طريقٌ مقومٌ.

وقال ابن عربي في «الفتوحات»: هو سيِّدُ هذه الطائفةِ.

وكان من الفقهاء المعتقدين (٣) الشَّافعيَّةِ، تفقَّه على أبي ثور، وكان يُفتي بحضرته، وهو ابنُ عشرين سنةً، ولم تزلْ أعناقُ الفريقينِ له خاضعين، وعلى

(*) طبقات الصوفية ١٥٥، حلية الأولياء ٢٥٥/١٠، تاريخ بغداد ٢٤١/٧، الرسالة القشيرية ١١٦/١، طبقات الحنابلة ١٢٧/١، الأنساب ٢٥٤/١٠، صفة الصفوة ٤١٦/٢، المنتظم ١٠٥/٦، المختار من مناقب الأخيار ١٠١/أ، وفيات الأعيان ٣٧٣/١، سير أعلام النبلاء ٦٦/١٤، دول الإسلام ١٨١/١، العبر ١١٠/٢، مرآة الجنان ٢٣١/٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢٦٠/٢، البداية والنهاية ١١٣/١١، طبقات الأولياء ١٢٦، النجوم الزاهرة ١٦٨/٣، طبقات الشعراني ٨٤/١، شذرات الذهب ٢٢٨/٢.

(١) في المطبوع: بجلايب.

(٢) في (أ): بجبلهم.

(٣) في (أ): المعتدين، وفي (ب): المقتدين.

تبجيله مُجتمعين في كلِّ عصرٍ وحين .

وقد نقلَ شيخُ الشَّافعيَّة في «الروضة»^(١) عنه قُبيل الصَّيام : أنَّ أخذَ المُحتاجِ من صدقةِ التطوُّعِ أفضلُ من أخذِهِ من الزَّكاةِ .

أخذَ التَّصوُّفَ عن خاله السَّرِيِّ ، وحرثِ المُحاسبي ، قال : قال لي شيخِي السَّرِيُّ : إذا قمتَ من عندي فمَنْ تُجالس ؟ قلتُ : المُحاسبي ، قال : نعم ، خُذْ من عِلْمِه وأدبه ، ودَعْ عنكَ تشقيقَهُ للكلامِ ، وردَّه على المتكلِّمين ، ثمَّ لَمَّا وَلَّيْتُ سمعتهُ يقول : جعلكَ اللهُ صاحبَ حديثٍ صوفيًّا ، ولا جعلكَ صوفيًّا صاحبَ حديثٍ .

قال الغزالي : أشارَ إلى أنَّ من حصَّلَ الحديثَ والعلمَ ثمَّ تصوَّفَ أفلحَ ، ومَنْ تصوَّفَ قبلَ العلمِ خاطَرَ بنفسه . انتهى .

وكان يقولُ : عِلْمُنَا هَذَا مَقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

قال ابنُ عربي : يُريدُ أَنَّهُ نَتِيجَةٌ عَنِ الْعَمَلِ عَلَيْهِمَا ، وَهُمَا الشَّاهِدَانِ الْعَدْلَانِ . وَصَحِبَ الْجُنَيْدَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ أَرْبَعَ طَبَقَاتٍ ، كُلُّ طَبَقَةٍ ثَلَاثُونَ رَجُلًا ، وَانْتَهتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ .

وكان صائمَ الدَّهْرِ ، لَا يُفْطِرُ إِلَّا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ إِخْوَانُهُ فَيَفْطِرُ ، فَيَأْكُلُ مَعَهُمْ ، وَهُوَ سَاكِتٌ ، وَيَقُولُ : لَيْسَتْ الْمَسَاعِدَةُ مَعَ الْإِخْوَانِ بِأَقْلَ مِنْ فَضْلِ الصَّوْمِ .

وأقامَ عشرينَ سنةً لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنَ الْأَسْبُوعِ إِلَى الْأَسْبُوعِ ، وَوَرَدُهُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مِئَةِ رَكْعَةٍ .

وكانتِ الكُتُبُ يَحْضُرُونَ مَجْلِسَهُ لِأَلْفَاظِهِ ، وَالْفُقَهَاءُ لِتَقْرِيرِهِ ، وَالْفَلَّاسِفَةُ لِذِقَّةِ نَظَرِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَالْمَتَكَلِّمُونَ لِتَحْقِيقِهِ ، وَالصُّوفِيَّةُ لِإِشَارَاتِهِ وَحَقَائِقِهِ .

دَخَلَ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ نَقِيبٍ ، وَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ أُخْدِمَكَ بِلَا أُجْرَةٍ . فَقَالَ لَهُ : افْعَلْ ، فَأَقَامَ يَخْدُمُهُ عَشْرَ سِنِينَ ، فَلَمْ يَجِدْ قَلْبَهُ غَافِلًا عَنِ رَبِّهِ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَطَلَبَ الْإِنْصِرَافَ ، وَقَالَ لَهُ : أَنَا إِبْلِيسُ . فَقَالَ : عَرَفْتُكَ مِنْ أَوَّلِ مَا دَخَلْتَ ،

(١) روضة الطالبين للإمام النووي ٢ / ٣٤٤ (المكتب الإسلامي).

وإنما استخدمتكَ عقوبةً لك؛ فإنه لا ثوابَ لأعمالك في الآخرة، فقال:
ما رأيتُ قُوَّتَكَ يا جُنيد^(١)! فقال له: اذهب يا ملعون، أتريدُ أن تُدخِلَ عليَّ
الإعجابَ بنفسِي؟ ثمَّ خرجَ خاسِئاً.

وكان إذا طلبَ أحدٌ منه الطَّرِيقَ يقول: اذهب فاخدم المملوك، ثمَّ تعال؛ فإنَّ
بدايةَ طريقنا نهايةُ مقامِ بعضِ المملوك.
ومن فوائده وحكمه:

لو أقبلَ صادقٌ على الله ألفَ سنةٍ، ثمَّ أعرَضَ لحظةً كان ما فاتهُ أكثرَ ممَّا
نالهُ^(٢).

وقال: مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الحديثَ، وَيُجالِسَ الفقهاءَ، وَيأخذُ أدبَهُ عن
المتأدِّبينَ، أَفسدَ مَنْ اتَّبَعَهُ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾
[يوسف: ١٠٨].

وقال: العارِفُ مَنْ نطقَ عن سرِّكَ، وأنتَ ساكِتٌ.

وقال: ما أخذنا التَّصَوُّفَ عن القليلِ والقال، بل عن الجوع، وترك الدنيا،
وقطعِ المألوفِ^(٣).

(١) كذا الأصل، ولعل العبارة: ما رأيت أشد من قوتك يا جنيد.

(٢) قال الشُّبكي في طبقاته ٢/٢٦٥: والناس يستشكلون هذه الكلمة، ويتطلبون تقريرها،
وسألت عنها بعض العارفين بالتصوف، فقال: معناها يظهر بضرب مثل، وهو أن
الغواص إذا غاص في البحر مُنقِباً على نفيس الجواهر إلى أن قارب قراره، وكاد يحظى
بمراده أعرض وترك، وكان ما فاته أكثر مما ناله.

(٣) قال الإمام الذهبي معقباً على قوله في سير أعلام النبلاء ٦٩/١٤، قلت: هذا حسن،
ومراده: قطع أكثر المألوفات، وترك فضول الدنيا، وجوعٌ بلا إفراط. أما من بالغ في
الجوع كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا، ومألوفات النفس من الغذاء والنوم
والأهل، فقد عرَّض نفسه لبلاءٍ عريضٍ، وربَّما حولط في عقله، وفاته بذلك كثير من
الحنيفية السَّمحة، وقد جعل الله لكل شيءٍ قدرًا، والسعادة في متابعة السنن، فزِنِ
الأمور بالعدل، وضمِّم وأفطر، ونمِّ وقم، والزم الورع في القوت، وارض بما قسم الله
لك، واصمت إلا من خير، فرحمة الله على الجنيد، وأين مثلُ الجنيد في علمه
وحاله؟

وسُئِلَ: ما الفرقُ بين المُريدِ والمُرادِ؟ فقال: المُريدُ تولَّتهُ سياسةُ العِلمِ،
والمُرادُ تولَّتهُ رعايةُ الحقِّ، فإنَّ المُريدَ يسيرُ، والمُرادَ يطيرُ، وأين السائرُ من
الطائرِ؟

وقال: الإخلاصُ سرٌّ بين العبدِ وبين الله لا يعلمُه مَلَكٌ فيكُتبهُ، ولا شيطانٌ
فيُفسدُه، ولا هوى فيُهلكُه^(١).

وقال: الصَّادِقُ ينقلبُ في اليومِ أربعينَ مرَّةً، والمُرائيُ يثبتُ على حالةٍ
أربعينَ سنةً.

وقال: الاستئناسُ بالنَّاسِ حجابٌ عن الله، والطَّمعُ فيهم فقرُ الدَّارينِ.

وقال: لا يُسمَّى عبدٌ عاقلاً حتى لا يظهرَ على جوارحه شيءٌ ذمَّه ربهُ.

وقال: بُنيَ الطَّرِيقُ على أربع: لا تتكلَّمُ إلاَّ عن وجودٍ، ولا تأكلُ إلاَّ عن
فاقةٍ، ولا تنمُ إلاَّ عن غلبةٍ، ولا تسكُتُ إلاَّ عن خشيةٍ.

وقال: صفاءُ القلوبِ على حسب^(٢) صفاءِ الذِّكرِ، وخلوصه من الشَّوائبِ.

وقال: كلامُ الأنبياءِ عن حضورِ، والصَّديقين عن مشاهدة.

وقال: مَنْ زعمَ أنَّه يعرفُ اللهَ وهو كاذبٌ ابتلاه بالمِحَنِ، وحجبَ ذكره عن
قلبه، وأجراه على لسانه، فإنَّ تنبَّهَ وانقطعَ إليه وحده كشفَ عنه المِحَنَ، وإنَّ
داومَ السُّكونَ إلى الخلقِ نزعَتْ من قلوبهم الرَّحمةُ عليه، وألبسَ لباسَ الطَّمعِ
فيهم، فتصيرُ حياته عجزاً، وموته كمداً، وآخرته أسفاً، نعوذُ بالله من الرُّكونِ
لغيره.

وسُئِلَ عن العارِفِ، فقال: لونُ الماءِ لونُ إنائه، أي هو بحكمِ وقته.

وقال: مُكابدةُ العزلةِ أشدُّ من مداواة الخلطة.

وقال: التَّصديقُ بعلمنا هذا ولاية، وإذا فاتتكَ المِنَّةُ في نفسك فلا تُفتك أنْ

تُصدِّقَ بها في غيرك. ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

(١) في طبقات السبكي ١/ ٦٥: ولا هوى فيُميله.

(٢) كلمة: حسب، من (أ).

وقال: يجعلُ أحدكم بينه وبين قلبه مِخْلَافَةً من الطَّعامِ، ويُريدُ أن يجدَ حلاوةَ المُنَاجاةِ.

وقال: كنتُ بين يديَّ السَّرِيِّ أَلْعَبُ وأنا ابنُ سبعٍ، والجماعةُ يتكَلَّمونَ في الشُّكْرِ، قال: يا غلامُ، ما الشُّكْرُ؟ قلتُ: أن لا يُعصى الله بنعمه. فقال: ما أحسنَ هذا، أخشى أن يكونَ حظُّكَ من الله لسانَكَ، فلا أزالُ أبكي على هذه الكلمة.

وسُئِلَ: ما بالُ أصحابِكَ إذا سمعوا القرآنَ، لا يتواجدون ولا يتحرَّكون، بخلافِ ما إذا سمعوا الرُّباعِيَّاتِ؟ فقال: لأنَّ القرآنَ كلُّه أحكامٌ ومواعِظٌ، كُلفوا بالعملِ بها، ومن كُلفَ بشيءٍ لا يطربُّ به، ولا كذلك الرُّباعِيَّاتِ؛ فإنَّها كلامٌ جنسهم، وممَّا عملته أيديهم، بخلاف القرآن، فإنَّه حقٌّ صدرَ عن حقٍّ، فلا مجانسةَ بينها وبينه^(١).

وقال: ما أخرجَ اللهُ علماً إلى الأرضِ، وجعلَ للخَلْقِ إليه سبيلاً إلا وجعلَ لي فيه حظًّا ونصيباً.

وقال: القرآنُ كلامُ الله، وهو صعبُ الإدراكِ، والرُّباعِيَّاتُ كلامُ المُحبِّينَ المَخْلوقينَ.

وقال لأبي بكرِ الشُّبلي: إنَّ خطرَ ببالِكَ من الجمعةِ إلى الجمعةِ غيرُ الله فلا تُعدُّ ثانياً؛ فإنَّه لا يجيبيُّ منكَ شيءٌ في الطَّرِيقِ.

وقال: لو رأيتُم الرَّجُلَ قد ترَبَّعَ في الهواءِ، ومَشى على الماءِ، فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروه عند الأمرِ والنَّهي، فإنَّ كانَ عامِلاً بالأمرِ، مُجتنباً لما نُهيَ عنه فاعتقدوه.

وقال: مَنْ ادَّعى أنَّ له حالاً مع الله أسقطَ عنه التَّكليفَ، وهو حاضرُ العقلِ، فهو كاذبٌ، ومَنْ يسرقُ ويَزني أحسنُ حالاً ممَّن يقولُ ذلك.

(١) بداية الخبر في (أ): وقال: إنما يطرب الفقراء لسماع القرآن لأنه كله أحكام ومواعظ.....

وقال: ما بلغ أحدُ درجةَ الحقيقةِ إلا وجبَ عليه التَّقيدُ بحقوقِ العبوديةِ وحقيقتها، وصارَ مُطالباً بأدابٍ كثيرةٍ لم يُطالبِ اللهُ بها غيرهَ .
وقال: الرُّوحُ شيءٌ استأثرَ اللهُ بعلمه، ولا تجوزُ العبارةُ عنه بأكثرَ من موجود.

وقال: لو كنتُ ذا سلطانٍ لضربتُ عنقَ كلِّ مَنْ يقولُ: ما ثمَّ إلا اللهُ، لأنَّه يلزمُ من ظاهرِ مقالتهِ هذه نفيُ الخلقِ ونفيُ جميعِ الشرائعِ المتعلقةِ بهم^(١).
وقال: أقلُّ ما في الكلامِ سقوطُ هيبةِ الرَّبِّ جَلَّ جلالُه من القلبِ، والقلبُ إذا عَرِيَ من الهيبةِ عُرِيَ من الإيمان.

وقال: مادامَ الشَّاكِرُ يَطْلُبُ من اللهِ المزيدَ بشكرِه فهو غريقٌ في حظِّ نفسه، إنَّما الشُّكْرُ أن يرى العبدُ أنَّه ليس بأهلٍ أن تنالهُ الرَّحمةُ لشهوده كثرةَ معاصيه .
وقال: إذا صدقَ المُريدُ أغناهُ اللهُ عن حفظِ التُّقُولِ بنورٍ يجعلُه في قلبه يُفَرِّقُ به بين الحقِّ والباطل.

وقال: الطَّرِيقُ مَسدودٌ إلا على المقتفين^(٢) آثارَ المصطفى ﷺ.

وقال: طريقُ التَّصَوُّفِ عنوةٌ لا صلحَ فيها^(٣).

وقال: التَّوْحِيدُ الخالِصُ أن يَرِجَعَ آخِرُ العبدِ إلى أوَّلِه، فيكونَ كما كانَ قَبْلَ أن يكونَ.

وقال: التَّوْحِيدُ الذي انفردَ به الصُّوفِيَّةُ إفرادُ القديمِ عن الحدوثِ^(٤)، والخروجُ عن كلِّ محبوبٍ يقطعُهم عن اللهِ، وتركُ الاعتمادِ على كلِّ ما علمَ وجهل، وأن يكونَ الحقُّ مكانَ الكلِّ، لا يُعوَّلُ إلا عليه.

وقال: قد طوَّيَ عِلْمُ التَّوْحِيدِ مُنذُ زمانٍ، وإنَّما النَّاسُ يتكلَّمونَ في حواشيه.

(١) من قوله صفحة ٥٧٤: وقال لأبي بكر الشبلي - إلى هنا من المطبوع.

(٢) في المطبوع: المتبعين.

(٣) في هامش (أ) ما نصه: أي مع النفس.

(٤) في الأصول: انفرد القدم من الحدث. والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٤ / ٦٩.

وقال: سبب اضطراب القلب والجوارح عند السَّماعِ أَنَّهُ تعالى لَمَّا خَاطَبَ الذَّرَّ في الميثاقِ الأولِ بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] استفرغَتْ عذوبةُ سماعِ كلامه الأرواحَ، فإذا سمعوا نغمًا طيبًا حرَّكَهُم لذكره.

وقال: تنزِلُ الرَّحمةُ على الفقراءِ في ثلاثةِ مواطنَ: عند السَّماعِ، والطَّعامِ، ومُجاراةِ العِلْمِ.

وقيلَ له: ممَّن استفدتَ هذا العِلْمَ الذي لم يُسمع من مشايخك؟ قال: من قعودي تحتَ تلكَ الدَّرَجَةِ ثلاثينَ سنةً.

وقال: لا يصفو قلبٌ لعملِ الآخرةِ إلا إن تجرَّدَ عن حُبِّ الدُّنيا.

وقال: حقيقةُ المُشاهدةِ وجودُ الحقِّ مع فقدانِكَ.

وقال: المُشاهدةُ إدراكُ الغيوبِ بأنوارِ الأسرارِ عند صفاء^(١) القلبِ من الدَّنَسِ وخُلوصِهِ من الأضدادِ والأغيارِ في مراقبةِ الجَبَّارِ، فيصيرُ كأنَّهُ ينظرُ إلى الغيبِ من وراءِ سترٍ رقيقٍ من صفاءِ المعرفةِ وبردِ اليقينِ.

وقال: العِبادةُ على العارفينَ أحسنُ من التَّيجانِ على رؤوسِ المُلوكِ.

وقال: لولا أَنَّهُ رُوِيَ أَنَّهُ يَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ زعيمُ القومِ أرذلهم، ما تكلمتُ عليكم^(٢).

وقال: إن بدتْ ذرَّةٌ من عَيْنِ الكَرَمِ والجودِ ألحقتِ المُسيءَ بالمُحسنِ، وبقيتْ أعمالهم فضلًا لهم، فقال ابنُ عطاء: متى تبدو؟ فقال: هي باديةٌ، قال تعالى: «سبقت رحمتي غضبي»^(٣).

(١) في المطبوع: عن صفاء.

(٢) كذا في الأصول، وطبقات السبكي ٢/٢٦٣، وفي سير أعلام النبلاء ١٤/٦٩: وعن الجنيد: سألت الله أن لا يعذبني بكلامي، وربَّما وقع في نفسي: أن زعيم القوم أرذلهم. وكذا هو في الحلية ١٠/٢٦٣: ربما وقع في قلبي...

(٣) رواه البخاري ١٣/٤٤٠ (٧٤٥٣) في التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿لقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»، ومسلم (٢٧٥١) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه عن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ: =

وقال: لو كان العلم الذي أتكلّمُ به من عندي لفني، لكن من حقّ بدا، وإلى الحقّ يعود.

وقال: من الأعمال ما لا يطلعُ عليه الحنّظة، وهو ذكرُ الله بالقلب، وما طويّت عليه الضمائرُ من الهيبة والتّعظيم لله، واعتقادِ الخوف، وإجلالِ أوامره ونواهيه.

وقال: الخشوعُ تذللُ القلوبِ لعلامِ الغيوب.

وقال: التواضعُ خفضُ الجناح، ولينُ الجانب.

وقال: أشرفُ المجالسِ وأعلاها الجلوسُ مع الله في ميدانِ فكر التوحيد^(١).

وقال: احفظوا ساعاتكم؛ فإنّها زائلةٌ غيرُ راجعة، والحسرةُ على الغنلة من فوّتها واقعة، وصلُّوا أورادكم تجدوا نفعها في دارِ الإقامة، ولا يشغلكم عن الله قليلُ الدنيا. فإنّ قليلها يشغلُ عن كثيرِ الآخرة.

وقال: حكاياتُ الصّالحينَ جندٌ من جنودِ الله تُقوّمُ بها أحوالُ المرّيدين^(٢)، وتحيي معالِمَ أسرارِ العارفين، وحقّةُ ذلك من الكتاب ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ...﴾ [هود: ١٢٠] الآية.

وقال: مَنْ فارقَ الجماعةَ بجسمه وقعَ في الضلال، ومن خالط^(٣) النَّاسَ بسِرِّه افتتنَ بهم، ومن افتتنَ حُجِبَ عن الحقِّ بالطَّمعِ في الخلق.

وقال: أوّلُ مقامِ التوحيدِ قولُ المصطفى ﷺ: «أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه»^(٤).

= «قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي». والترمذي ٥٤٩/٥ (٣٥٤٣) في

الدعوات، باب رقم ١٠٠. والحميدي في «مسنده» ٤٧٨/٢ (١١٢٦).

(١) في (أ): ذكر التوحيد.

(٢) في طبقات السبكي ٢/٢٦٥: يقوي بها قلوب المرّيدين.

(٣) في المطبوع: خالص.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٣٢/٢، وأبو نعيم ١١٥/٦، وذكره الغزالي في الإحياء

١١٠/٣ وقال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، والطبراني، ورجاله ثقات، وفيه انتقطاع.

وقال : مؤاكلة الإخوان رضاعٌ ، فانظروا مَنْ تُواكلون .

وقال : لا يصلحُ السؤالُ إلا لمن العطاءُ عندهُ أحبُّ إليه من الأخذ .

قال : الشَّفقةُ على النَّاسِ أن تُعطِيَهُم من نَفْسِكَ ما يَطْلِبُونَ ، ولا تُحْمَلُهُم ما لا يطيقون ، ولا تُخاطبُهُم بما لا يعلمون .

وقال : قد يُنقلُ العبدُ من حالٍ إلى حالٍ أرفعَ منها ، وقد بقي عليه من التي نُقلَ عنها بقيَّةٌ فيشرفُ عليها من الحالةِ الثَّانيةِ فيصحَّحها .

وكان إذا سأله سائلٌ عن مسألةٍ يُجيبُهُ ، ثم يسألهُ آخرُ عنها ، فيُجيبُهُ بجوابٍ آخر ، ويقول : على قَدْرِ السَّائِلِ يكونُ الجواب .

وقال : مَنْ شاركَ السُّلطانَ في عزِّ الدُّنيا ، شاركه في ذلِّ الآخرة .

وقال : إذا أرادَ اللهُ عبداً للمحبَّةِ كشفَ له عن قِدمِ إنعامه عليه ، وبرِّه إليه ، وكثرةِ الأيادي القديمة عنده .

وقال : تنتهي عبادةُ أهلِ المعرفةِ إلى الظَّفْرِ بنفوسهم .

وقال : على العاقلِ أن لا يفقدَ نفسَهُ من ثلاثةِ مواطنَ : موطنٍ يعرفُ فيه حاله أفي زيادةٍ أم نقصٍ ؟ وموطنٍ يستحضرُ فيه عقْلَهُ لرؤيةِ مجاري التدبيرِ عليه ، وكيف تغلبُ عليه الأحكامُ ؟ وموطنٍ يخلو فيه بتأديبِ نفسه ، وإلزامها ما لزمها .

وقال : إنَّ اللهَ كشفَ لعبادهِ معايِبَهُم في ذكرِ الطَّيْنِ لهم ، وعرَّفَهُم مقاديرَهُم بذكرِ التُّنْفَةِ ، وأشهدَهُم على عجزِهِم في تقلُّبِهِم ، ليعرفوا فاقَتَهُم إليه في كلِّ حال .

وقال لابنُ شريح : طريقُنا أقربُ إلى الحقِّ من طريقِكُمْ ، فطالبهُ بالبرهان ، فقال الجنيدُ لرجلٍ : ارمِ حجراً في حلقةِ الفقراءِ ، فرماه ، فصاحوا كلُّهم : الله ، ثمَّ قال : ألقيه في حلقةِ الفقهاءِ ، فألقاهُ ، فقالوا : حرامٌ عليك ، أزعجتنا . فقبل رأسَهُ واعتذر .

وقال : لا يرتقي في الدرجاتِ مَنْ لم يحكم فيما بينه وبين الله أول

البداية^(١)، وهي الفروض الواجبة، ثم الأوراد الزاكية، ومطايا الفضل، وعزائم الأمر، فمن أحكمها من الله عليه بما بعدها.

وقال: التَّصَوُّفُ تَجُنُّبُ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ، واستعمالُ كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ، وأنَّ تَعَمَّلَ اللهُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةِ الْعَمَلِ.

وقال: مَنْ سَكَنَ، أَوْ شَكَا إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، ابْتِلَاهُ اللهُ بِحَجَبِ سِرِّهِ عَنْهُ.

وقال: أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْآفَاتِ أَكْثَرُهُمْ آفَةً.

وقال: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَطَاعَهُ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ سَاءَ بِهَا ظَنُّهُ، وَخَافَ عَلَى حَسَنَاتِهِ أَنْ لَا تُقْبَلَ.

وزاره الجريري فوجده يُصَلِّي، فأطال، فلامه فقال: طريق عرّفنا بها ربنا لا نقتصر على بعضها.

فَالنَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ

وَالصَّلَاةُ صَلَةٌ، وَالسُّجُودُ قُرْبَةٌ، وَمَنْ تَرَكَ طَرِيقَ الْقُرْبِ أَوْشَكَ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَ الْبُعْدِ.

وقال: لَا تَيْسُرُ مِنْ نَفْسِكَ مَا دَمْتَ تَخَافُ مِنْ ذَنْبِكَ، وَتَنْدَمُ عَلَيْهِ.

وقال: الْوَرَعُ فِي الْكَلَامِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الْكَسْبِ.

وقال: الْعِلْمُ يُوجِبُ لَكَ اسْتِعْمَالَهُ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَعْمَلْهُ فِي مَرَاتِبِهِ، كَانَ عَلَيْكَ لَا لَكَ.

وقال: الْمَرْءُ لَا يُعَابُ بِمَا فِي طَبْعِهِ^(٢).

وسئل: الْعِنَايَةُ قَبْلُ أَمْ الْبَدَايَةُ؟ فَقَالَ: الْعِنَايَةُ قَبْلَ الطَّيْنِ وَالْمَاءِ.

وقال: أَعْلَى دَرَجَةِ الْكِبَرِ وَأَشَدُّهَا أَنْ تَرَى نَفْسَكَ، وَأَدْنَاهَا فِي الشَّرِّ أَنْ تَخْطُرَ نَفْسُكَ بِبَالِكَ.

وقال: إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْقُلُوبَ مَنْ بَرَّهَ بِحَسَبِ مَا أَخْلَصَتْ لَهُ فِي ذِكْرِهِ.

وقال: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي أَتَكَلَّمُ عَلَى النَّاسِ، فَجَاءَ مَلَكٌ، فَقَالَ: مَا أَقْرَبُ

(١) في (أ): أوائل البدايات.

(٢) في المطبوع: بطنه. وانظر الحلية ١٠/٢٦٩.

ما يتقربُ به المُتقربون إلى الله ؟ قلتُ : عملٌ خفيٌّ، بميزانٍ وفِيٍّ، فولِّي، وهو يقولُ : كلامٌ موفقٌ .

وقال : لقد مشى رجالٌ باليقين على الماء، وماتَ بالعطشِ أفضلُ منهم يقيناً .

وقيلَ له : متى يستوي عندَ العبدِ حامدُهُ وذامُهُ ؟ قال : إذا تحقَّقَ أَنَّهُ عبدٌ مخلوقٌ .

وقال : الغفلةُ عنِ اللهِ أشدُّ من دخولِ النارِ .

وقال : بلغني أن يونسَ عليه السَّلام بكى حتى عمِيَ، وقامَ حتى انحنى، وصلَّى حتى أقعدَ، ثمَّ قال : وعزَّتِكَ، لو كان بيني وبينك بحرٌ من نارٍ لخضتُهُ شوقاً إليك .

وقال : لا تقومُ بما عليك حتى تتركَ جميعَ ما لك، وليس شيءٌ أعزُّ من الدُّنيا^(١) .

وقال : اليقينُ استقرارُ العلمِ الذي لا يحول ولا يتغيَّرُ في القلبِ .

وقال : إذا صدقتَ اللهَ فأصدقهُ في سِرِّكَ ؛ فإنَّه تعالى جعلَ لإبليسَ على كلِّ شيءٍ طريقاً، إلَّا على صدقِ الأسرارِ .

وقال : ما رأيتُ مَنْ عَظَمَ الدُّنيا فقرَّتْ عَيْنُهُ بها، وما حقَّرَها أحدٌ إلَّا أتته وهي راغمةٌ .

وقال : التَّواضعُ عندَ أهلِ التَّوحيدِ تكبُّرٌ .

قال الغزالي : ولعلَّ مُرادَهُ أَنَّ المُتواضعَ يثبتُ نفسَهُ أولاً ثم يضعُها، والموحِّدُ لا يثبتُ نفسَهُ ولا يراها شيئاً، حتى يضعُها ويرفعُها .

وقال : أتيتُ مسجدَ الشُّونيزيَّة^(٢)، فوجدتُ جَمْعاً من الفقراء يتكلَّمونَ في الآياتِ، فقال فقيرٌ : أعرفُ رجلاً لو قال لهذه الأُسطوانة : كوني ذهباً، كانت كذلك . فصارتُ .

(١) في المطبوع : أغر .

(٢) الشُّونيزيَّة : مقبرة ببغداد، بالجانب الغربي . معجم البلدان .

وقال: أحتاجُ إلى الجِماعِ كما أحتاجُ إلى القوتِ، فالزَّوجةُ على التَّحقيقِ قوتٌ، وسببٌ لطهارةِ القلوبِ.

وقال: حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المُقرَّبينَ، ثمَّ أنشدَ:

طَوَارِقُ أَنْوَارِ تَلَوُّحٍ إِذَا بَدَتْ فَتُظْهِرُ كِتْمَانًا وَتُخْبِرُ عَنِ جَمْعِ
وَسُئِلَ عَنِ الْعِشْقِ، فَقَالَ: لَا أُدْرِي مَا هُوَ، لَكِنْ رَأَيْتُ رَجُلًا أَعْمَى عَشِقَ
صَبِيًّا، وَكَانَ الصَّبِيُّ لَا يَنْقَادُ لَهُ، فَقَالَ الْأَعْمَى: يَا حَبِيبِي، أَيُّشِ تُرِيدُ مِنِّي؟
فَقَالَ: رَوْحَكَ. فَفَارَقَ رَوْحَهُ حَالًا.

ومرَّ ببعضِ دُرُوبِ بَغْدَادِ فَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ:

مَنَازِلُ كُنْتَ تَهْوَاهَا وَتَأَلَّفَهَا^(١) أَيَّامَ كُنْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مَنصُورًا^(٢)

فبَكَى، وَقَالَ: مَا أَطْيَبَ مَنَازِلَ الْأَلْفَةِ وَالسُّرُورِ، وَأَوْحَشَ مَقَامَاتِ
الْمُخَالَفَةِ؛ لِأَزَالُ أَحْسَنُ إِلَى بَدَايَتِي، وَجِدَّةَ سَعْيِي، وَرَكُوبِي الْأَهْوَالَ طَمَعًا فِي
الْوَصُولِ، وَأَنَا فِي أَيَّامِ فِتْرَةٍ أَتَأَسَّفُ عَلَى أَوْقَاتِي الْمَاضِيَةِ.

وَسُئِلَ: عَلَى مَاذَا يَتَأَسَّفُ الْمُحِبُّ مِنْ أَوْقَاتِهِ؟ قَالَ: عَلَى زَمَانِ بَسْطِ أَوْرَثِ
قَبْضًا، أَوْ زَمَانِ أَنْسِ أَوْرَثِ وَحْشَةً.

وقال: مَنْ لَمْ يَصِلْ عِلْمَهُ بِالْيَقِينِ، وَيَقِينَهُ بِالْخَوْفِ، وَخَوْفَهُ بِالْعَمَلِ، وَعَمَلَهُ
بِالْإِخْلَاصِ، وَإِخْلَاصَهُ بِالْمُجَاهِدَةِ، فَهُوَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

وقال: الْيَقِينُ أَنْ لَا تَهْتَمَّ لِرِزْقِكَ الَّذِي كُفَيْتَهُ، وَتُقْبَلَ عَلَى عَمَلِكَ الَّذِي
كُلَّفْتَهُ؛ فَإِنَّ الْيَقِينَ يَسُوقُ إِلَيْكَ الرِّزْقَ سَوَقًا حَيْثَا.

وقال: الْمَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَهَجْرُ الْخَلْقِ
فِي جَنْبِ الْحَقِّ شَدِيدٌ، وَالْمَسِيرُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى اللَّهِ صَعْبٌ شَدِيدٌ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ
أَشَدُّ.

وقال: الصَّبْرُ تَجْرُعُ الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْبِيسٍ، وَالرِّضَا رَفْعُ الْإِخْتِيَارِ.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: تَهْوَاهَا وَتَنْزَلُهَا.

(٢) فِي رَوْضِ الرِّيَاحِينَ ٢٦٦ (حِكَايَةٌ ٢٠٣): أَيَّامَ أَنْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مَنصُورٌ.

وقال: الفتوة كف الأذى، وبذل الندى.

وقال: الزهد استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب.

وقال وقد سأله جمع: أنطلب الرزق؟ قال: إن علمتم أي محل هو فاطلبوه، قالوا: فنسأل الله فيه؟ قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، قالوا: فندخل البيت ونتوكل؟ قال: التجربة شك، قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

وقال: اليقين ارتفاع الريب في مشهد^(١) الغيب.

ولما جلس يتكلم على الناس بأمر المصطفى ﷺ كان أول مجلسه أن وقف عليه غلام نصراني متكرراً، فقال: ما معنى قول النبي: «اتقوا فراسة المؤمن»^(٢)؟ قال: معناه أنك تسلم، فقد حان وقت إسلامك. فأسلم.

وكان يقول في مجلسه: لولا أنه عليه الصلاة والسلام قال: «يكون في آخر الزمان زعيم القوم أركلهم» ما تكلمت عليكم^(٣).

وسئل عن التوحيد، فأجاب بكلام لم يفهم، فقيل له: أعد الجواب، فإننا ما فهمنا، فقال جواباً آخر، فقيل له: هذا أغمض، فأمله علينا حتى ننظر فيه ونعلمه، فقال: إن كنت أجريه فأنا أمليه.

وقال ابن عربي: أشار إلى أنه لا تعمّد له فيه، إنما هو بحسب ما يلقي الله مما يقتضيه وقته، ويختلف الإلقاء باختلاف الأوقات، والقوم إنما يوردون ما يعطيه الكشف، ويملية الحق.

وقيل له: أبو يزيد يقول: سبحاني، أنا ربّي الأعلى. فقال: الرجل استهلك فنطق ما هلك به، لذهوله في الحق عن رؤيته إياه، فلم يشهد في الحق إلا الحق.

(١) في المطبوع: مشاهدة. وفي (ب): مشاهد.

(٢) رواه الترمذي ٢٩٨/٥ (٣١٢٧) في التفسير، باب ومن سورة الحجر، وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف، والطبراني في الكبير ١٠٢/٨ (٧٤٩٧).

(٣) تقدم القول صفحة ٥٧٦، وانظر الحاشية (٢) منها.

وقال: صَحِبْتُ قوماً بالبصرة، فأكرموني، فقلتُ يوماً مرّةً: أين إزارِي؟ فسقطتُ من أعينهم.

ودخلَ عليه الشُّبليُّ مُتواجِداً، فقال: إن كنتَ ترى نفسَكَ في حضرةِ الله فهذا سوءُ أدبٍ، وإن كنتَ خارجَها، فماذا حصَلتَ حتى تتواجد؟ فقال: التَّوبَةُ يا إمام.

وقال: أَرِقتُ ليلةً فقمْتُ لوزدي، فلم أجد ما أجدُ من الحلاوة، فأردتُ النَّومَ فلم أقدر، فأردتُ القعودَ فلم أُطِقْ، ثمَّ ارتجَّ البيتُ للسُّقوطِ، فخرجتُ، فإذا برجلٍ مُلتفٍّ بُبُرِدٍ مَطروحٍ بالطَّرِيقِ، فرفعَ رأسَه وقال: إلى السَّاعةِ يا أبا القاسم؟ قلتُ: بغيرِ موعِدٍ يا سيِّدي؟ قال: بلى، سألتُ مُحَرِّكَ القُلوبِ أن يُحرِّكَ قلبَكَ للخروجِ، ففعل، قال: متى يصيرُ داءُ النَّفسِ دواءها؟ قلتُ: إذا خالفتُ هواها، قال: اسمعي اسمعي يا نفسُ، قد أجبتُكَ بهذا سَبْعاً فأبيتِ أن لا تسمعيه إلا من الجُنيدِ، ثمَّ انصرفَ فلم أعرفه.

وقال: لا أتَبَشَّعُ^(١) ما يَرُدُّ عليَّ من العالمِ؛ فإنِّي أصَلتُ أصلاً هو أن الدَّارَ دارُ غَمٍّ وبلاءٍ وفِتْنَةٍ، والعالمُ كلُّه شَرٌّ، فحكَّمه أن يلقاني بكلِّ ما أكره، فإن تلقاني بما أحبُّ فهو فَضْلٌ، وإلا فالأصلُ الأوَّلُ.

وقال له أبو عمرو الزَّجَّاجي: أريدُ الحجَّ، فأعطاه دِرهماً فشدَّهُ على مِئزره، فمازالَ في سعةٍ حتى رجعَ والدَّرهمُ معه، فمدَّ يدهُ وتناولَ الدَّرهمَ.

وجاءهُ رجلٌ في وقتِ كدره، فقال: ادعُ لي، فقال: جمعَ اللهُ همَّكَ، ولا شَتَّ سِرِّكَ، وقطَعَكَ عن كلِّ قاطعٍ يَقطَعُكَ عنه، ووصلَ بكَ إلى كلِّ واصلٍ يُوصلُكَ إليه، وجعلَ غِناءَكَ في قلبِكَ، وشغَلَكَ به عَمَّن سِواه، ورزَقَكَ أدباً يَصِلُحُ لمجالسته، وأخرجَ من قلبِكَ ما لا يَرْضَى به، وأسكنَ في قلبِكَ رِضاها، وذلكَ عليه من أقربِ الطُّرُقِ إليه.

وقيلَ له عند النَّزعِ: قُلْ: لا إلهَ إلا اللهُ. فقال: ما نَسِيتُهُ فأذكره.

(١) في صفة الصفوة ٢/٤٢٠: ليس يتبشع علي، وفي طبقات السبكي ٢/٢٦٤: ليس بشنيع ما يرد.

مات ببغداد سنة سبع ، أو ثمانٍ وتسعين ومئتين ، وأحزرَ من صلى عليه
فكانوا نحو ستين ألفاً .

ورئي في النَّومِ فقيلَ : ما فعلَ بك ؟ قال : طاحتْ تلكَ الإشاراتُ ، وغابتْ
تلكَ العباراتُ ، وفنيتْ تلكَ العلومُ ، وبليتْ تلكَ الرُّسومُ ، وما نفعنا إلا رُكيعاتُ
كُنَّا نركعُها في السَّحرِ .

قال الإمامُ الرَّازي : فكلُّ أحدٍ يظنُّ أنَّ ما معه من العلوم والأعمال وسيلةٌ
إلى وجدانِ مُلكِ الجنَّةِ ، والوصولِ إلى عتبةِ حضرةِ الحقِّ تعالى ، فإذا جاء وقتُ
الموتِ بطلتْ تلكَ الأوهامُ ، وزالتْ تلكَ الأفكارُ ، وبقي المسكين على تُرابِ
الجِرمانِ وموضعِ الذَّلَّةِ والعجزِ . انتهى .

ووقعَ له - أعني الجنيد - أنه قال : الأرضُ مُحتاجةٌ للمطرِ . فلما مات قيلَ
له : ما فعلَ بك ؟ قال : خيراً ، لكنَّه عاتبني على كلمةٍ قُلْتُها فذكرها ، وقال :
أتنبَّئني بأرضي وتقول : مُحتاجةٌ للمطرِ ؟ وأنا العليمُ الخبيرُ ﴿ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : ٢١] .

* * *

(حرف الحاء المهملة)

(٢٤١) الحارث بن أسد (*)

الحارث بن أسد المُحَاسِبِيُّ البَصْرِيُّ، عَلمُ العارفين في زمانه، وأستاذُ السَّائرين في أوانه، عالمٌ سارَ نبأُ فضلِه، وصوفيٌّ طار نبل نبله، برعَ في عِدَّةِ فنون، وتكلمَ على النَّاسِ فأراهم الجَوهَرَ المَكنون، وأحيا القلوبَ بوَعظه، وشَتَّفَ الأسماعَ بَدُرَ لفظه، تصانيفُه مُدَوَّنَةٌ مَسْطُورَةٌ، وأقوالُه مُبَوَّبَةٌ مَشْهُورَةٌ، وأحوالُه مُصَحَّحَةٌ مذكورة، وكان في عِلمِ الأُصولِ راسِخاً راجِحاً، وعن الخوضِ في الفضولِ جانِحاً، وللمخالفين الزائغين قامعاً وناطحاً^(١)، وللمُرِيدِينَ مُرَبِّياً وناصِحاً، وقد قالوا: التَّصَوُّفُ: الأخذُ بالأُصولِ وتركُ الفضولِ، واختيارُ ما اختاره الرَّسولُ.

سُمِّيَ بِالمُحَاسِبِيِّ لكَثْرَةِ مُحَاسِبَةِ نَفْسِه، أو لِأَنَّهُ كان لَه حَصِي يَعُدُّها وَيحسُبُها حالَ الذِّكْرِ، أو لِغَيْرِ ذلك.

(*) طبقات الصوفية ٥٦، حلية الأولياء ٧٣/١٠، تاريخ بغداد ٢١١/٨، الرسالة القشيرية ٧٨/١، الأنساب ١٥١/١١، طبقات الفقهاء لابن الصلاح ٤٣٨/١، صفة الصفوة ٣٦٧/٢، المختار من مناقب الأخيار ١١٧/أ، الكامل لابن الأثير ٨٤/٧، وفيات الأعيان ٥٧/٢، سير أعلام النبلاء ١١٠/١٢، العبر ٤٤٠/١، ميزان الاعتدال ٤٣٠/١، مرآة الجنان ١٤٢/٢، الوافي بالوفيات ٢٥٧/١١، طبقات السبكي ٢٧٥/٢، طبقات الإسنوي ٢٦/١، البداية والنهاية ٣٠٣/١٠، طبقات الأولياء لابن الملقن ١٧٥، النجوم الزاهرة ٣١٦/٢، الطبقات الكبرى للشعراني ٧٥/١، شذرات الذهب ١٠٣/٢، مفتاح السعادة ١٧٢/٢.

(١) في (أ): ناصحاً.

صَحِبَ الشَّافِعِيَّ، وَقِيلَ: بَلْ عَاصِرَهُ فَقَطْ.

قَالَ التَّمِيمِيُّ^(١): هُوَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْفِقْهِ، وَالتَّصَوُّفِ، وَالْحَدِيثِ،
وَالكَلَامِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَهُ الْمُصَنَّفَاتُ النَّافِعَةُ الْجَمَّةُ، بِحَيْثُ تَبْلُغُ نَحْوَ مِثْقَالِ مِثْقَالِ مُؤَلَّفِ،
وَنَاهِيكَ بِرِعَايَتِهِ، وَكُتِبَ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ أَصُولٌ لِمَنْ صَنَّفَ فِيهَا.

قَالَ فِي «الْإِحْيَاءِ»: الْمُحَاسِبِيُّ خَيْرُ الْأُمَّةِ^(٢) فِي عِلْمِ الْمُعَامَلَةِ، وَلَهُ السَّبْقُ
عَلَى جَمِيعِ الْبَاحِثِينَ عَنِ عِيُوبِ النَّفْسِ، وَأَفَاتِ الْأَعْمَالِ، وَأَعْوَارِ الْعِبَادَاتِ،
وَكَلامُهُ جَدِيدٌ بَأَن يُحْكِي عَلَى نَفْسِهِ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ.

وَمِنْ فَوَائِدِهِ الْبَدِيعَةُ:

مَنْ صَحَّحَ بَاطِنَهُ بِالْمُرَاقَبَةِ وَالْإِخْلَاصِ، زَيَّنَ اللَّهُ ظَاهِرَهُ بِالْمُجَاهِدَةِ وَاتِّبَاعِ
السُّنَّةِ.

وَقَالَ: أَكْمَلُ الْعَارِفِينَ مَنْ أَقَرَّ بِالْعَجْزِ أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ.

وَقَالَ: لَوْ أَنَّ نِصْفَ الْخَلْقِ تَقَرَّبُوا مِنِّي مَا وَجَدْتُ بِهِمْ أُنْسًا، وَلَوْ أَنَّ النِّصْفَ
الْآخَرَ أَعْرَضُوا عَنِّي مَا اسْتَوْحِشْتُ لُبُعْدِهِمْ.

وَقَالَ: مَكَّثْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَا يَسْمَعُ لِسَانِي إِلَّا مِنْ سِرِّي، ثُمَّ ثَلَاثِينَ لَا يَسْمَعُ
سِرِّي إِلَّا مِنْ رَبِّي.

وَقَالَ فِي حَدِيثٍ: «خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي»^(٤) هُوَ قُوَّةُ يَوْمٍ بِيَوْمٍ، لَا تَهْتَمُّ
لِرِزْقِ غَدٍ.

(١) هُوَ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنِ طَاهِرِ التَّمِيمِيِّ، أَبُو مَنْصُورٍ. انظُرْ طَبَقَاتِ ابْنِ الصَّلَاحِ ٤٣٩/١.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: خَيْرُ الْأُمَّةِ.

(٣) فِي (أ): وَأَعْوَارِ الْعِبَادَاتِ... عَلَى وَجْهِهِ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٧٢/١، وَ ١٨٠، وَابْنُ حِبَانَ، الْإِحْسَانُ ٩١/٣ (٨٠٩)، وَأَبُو يَعْلَى

(٧٣١)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعْبِ (٥٥٣). وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَلَهُ شَاهِدٌ بِلَفْظِ: «خَيْرُ

الرِّزْقِ الْكِفَافُ» عِنْدَ وَكَيْعٍ فِي «الزَّهْدِ» عَنِ الْحَسَنِ مَرْسَلًا.

وقال: فقدنا ثلاثة أشياء: حُسنَ الوَجْهِ مع الصَّيَانَةِ، وحُسنَ القَوْلِ مع الدِّيَانَةِ، وحُسنَ الإخَاءِ مع الأمانَةِ.

وقال: كلُّ زَاهِدٍ زُهْدُهُ على قَدْرِ معرفته، ومعرفتهُ على قَدْرِ عقله، وعقله على قَدْرِ قُوَّةِ إيمانه.

وقال: العِلْمُ يُورَثُ المخافَةَ، والزُّهْدُ يُورَثُ الرَّاحَةَ، والمعرفةُ تُورَثُ الإنابَةَ.

وقال: أصلُ الطَّاعَةِ الوَرَعُ، وأصلُ الوَرَعِ التَّقْوَى، وأصلُ التَّقْوَى مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ، وأصلُ مُحَاسَبَتِهَا الخَوْفُ والرَّجَاءُ، وأصلُهُمَا معرفةُ الوَعْدِ والوَعِيدِ.

وقال: قال اللهُ لداود: إذا رأيتَ لي طالباً فكنْ له خادِماً.

وقال: حُسنُ الخُلُقِ احتمالُ الأذى، وقِلَّةُ الغضبِ، وبَسْطُ الوجه^(١)، وطيبُ الكلام.

ولكلِّ شيءٍ جَوْهَرٌ، وجَوْهَرُ الإنسانِ العقلُ، وجَوْهَرُ العقلِ الصَّبْرُ.

والعملُ بحركاتِ القلوبِ في مُطالعاتِ الغُيُوبِ أشرفُ من العملِ بحركاتِ الجوارحِ.

وقال: إذا لم تسمِعْ نداءَ اللهِ فكيف تُجيبُ دُعَاءَهُ؟

ومَنْ استغنى بشيءٍ دونَ اللهِ جَهِلَ قَدْرَهُ.

والظَّالِمُ نادِمٌ وإن مدَّحَهُ النَّاسُ، والمَظْلُومُ سَالِمٌ وإن ذَمَّهُ النَّاسُ، والقانعُ غنيٌّ وإن جاعَ، والحريصُ فقيرٌ وإن ملكَ.

ومَنْ لم يشكُرِ اللهُ على النِّعمَةِ فقد استدعى زوالها.

وقال: خَيْرُ النَّاسِ مَنْ لا تشغلهُ آخِرَتُهُ عن دُنْيَاهُ، ولا دُنْيَاهُ عن آخِرَتِهِ.

وقال: الشَّوْقُ سِرَاجُ نورٍ من نورِ المحبَّةِ غيرَ أنَّه يَزِيدُ على نورِها.

وقال: المتوكِّلُ يَلْحَقُهُ طَمَعٌ من طريقِ الطَّبَعِ، لكنَّه خَطَرَاتٌ لا تَضُرُّهُ.

(١) في المطبوع: وبسط الرحمة.

وقال: بليّة طالب الدنيا تعطيل قلبه عن ذكر الآخرة.

وقال: مَنْ خرج من سلطان الخوف إلى عزة الأمان اتسعت به الخطا إلى مواطن الهلكة.

وقال: تفاوت الناس في الزهد على قدر صحة العقول وطهارة القلوب، فأفضلهم أعتقهم وأفهمهم عن الله.

وقال: الرضى سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

وقال: عملت كتاباً في المعرفة وأعجبت به فيينا أنا أنظره مستحسناً، إذ دخل عليّ شابّ وسلّم، وقال: يا أبا عبد الله، هل المعرفة حقّ للحقّ على الخلق، أو عكسه؟ قلت: حقّ للحقّ على الخلق، قال: هو أولى أن يكشفها لمستحقّها، قلت: بل حقّ للخلق على الحقّ. قال: هو أعدل من أن يظلمهم. ثمّ سلّم وخرج، فغسلته^(١) وقلت: لا أتكلّم في المعرفة بعدها أبداً.

وكان بينه وبين أحمد بن حنبل وُخشة؛ فإنّ أحمد كان يُشدّد التّكير على مَنْ يتكلّم في علم الكلام، والحدّارث يتكلّم فيه، فهجره لذلك، واتفق أنّه أمر بعض صحبه أن يجلسه بحيث يسمع كلام الحدّارث ولا يراه، ففعل، فتكلّم الحدّارث في مسألة في الكلام، وأصحابه يسمعون، كأنّما على رؤوسهم الطير، فمنهم مَنْ بكى، ومنهم من صفّق^(٢)، فبكى أحمد حتى أغمى عليه، وقال لصاحبه: ما رأيت كهؤلاء، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرّجل، ومع ذلك لا أرى لك صحبتهم.

قال السّبيكي^(٣): إنّما قال له ذلك لقصور الرّجل عن مقامهم، فإنّهم في مقام ضيق، لا يسلكه كلُّ أحد.

مات ببغداد، سنة ثلاث وأربعين ومئتين.

* * *

(١) في المختار ١١٨/أ: وحرّفته.

(٢) في طبقات السبكي ٢٧٩/٢: فمنهم من يبكي، ومن من يحن، ومنهم من يزعم.

(٣) طبقاته ٢٧٩/٢.

(٢٤٢) حاتم البلخي (*)

المعروف بحاتم الأصم^(١) المؤثر للأدوم والأعم، تحقق فسكن، وأيقن فركن، وقد قيل: التصوف التنقي من الشكوك، والتوقي في السلوك.

وهو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي.

صحب شقيقاً البلخي ثم اعتزل الناس في قبة ثلاثين^(٢) سنة لا يكلمهم إلا جواباً لضرورة. وهو من أجل مشايخ خراسان.

ومن كلامه:

من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله، أولها الثقة بالله، فالتوكل، فالإخلاص، فالمعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة.

وقال: تعهد نفسك في ثلاث: إذا عملت فاذكرُ نظرَ الله إليك، وإذا تكلمت فاذكرُ سمعَ الله إليك، وإذا سكت فاذكرُ علمَ الله فيك.

وقال: من مرَّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه، ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم.

ودخل عليه بعض الأمراء، فقال: ألك حاجة؟ قال: أن لا تراني ولا أراك.

وقال: من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب: من ادعى حبَّ الله بغير ورع،

(*) الجرح والتعديل ٣/ ٢٦٠، طبقات الصوفية ٩١، حلية الأولياء ٨/ ٧٣، تاريخ بغداد ٨/ ٢٤١، الرسالة القشيرية ١/ ٩٩، الأنساب ١/ ٢٩٤، صفة الصفوة ٤/ ١٦١، المختار من مناقب الأخيار ١١٤/ أ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٦، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٤، العبر ١/ ٤٢٤، الوافي بالوفيات ١١/ ترجمة ٣٣١، مرآة الجنان ٢/ ١١٨، طبقات الأولياء ١٧٨، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٠، طبقات الشعراني ١/ ٨٠، شذرات الذهب ٢/ ٩٣.

(١) لقب بالأصم لأن امرأة سأله مسألة، فخرج منها صوت ريح، فحجلت، فقال لها: ارفعي صوتك. وأراها من نفسه أنه أصم، حتى سكن ما بها، فغلب عليه الأصم. المختار ١١٤/ أ.

(٢) في الأصول: منذ ثلاثين. وأثبت ما يناسب السياق. انظر حلية الأولياء ٨/ ٧٤.

وَمَنْ ادَّعى حُبَّ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِنْفاقٍ، وَمَنْ ادَّعى حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِغَيْرِ حُبِّ الْفُقَرَاءِ^(١).

وقال: رأسُ الزُّهْدِ الثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَوَسْطُهُ الصَّبْرُ، وَآخِرُهُ الْإِخْلَاصُ.

وقال: اصْحَبِ النَّاسَ كَمَا تَصْحَبُ النَّارَ، خُذْ نَفْعَهَا، وَاحْذَرُ أَنْ تَحْرِقَكَ.

وقال: مَنْ دَخَلَ فِي مَذْهَبِنَا فَلْيَجْعَلْ فِي نَفْسِهِ أَرْبَعَ خِصَالٍ: مَوْتًا أبيضَ وَهُوَ الْجُوعُ، وَمَوْتًا أسودَ وَهُوَ تَحْمُلُ الْأَذَى، وَمَوْتًا أَحْمَرَ وَهُوَ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ، وَمَوْتًا أَخْضَرَ وَهُوَ طَرْحُ الرَّقَاعِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.

وقال: أَصْلُ الطَّاعَةِ ثَلَاثَةٌ: الْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالْحُبُّ، وَأَصْلُ الْمَعْصِيَةِ ثَلَاثَةٌ: الْكِبْرُ، وَالْحَسَدُ، وَالْحِرْصُ.

وقال: الْكَسْلُ عَوْنٌ عَلَى الزُّهْدِ^(٢).

قال له رجلٌ: عِظْنِي. قال: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ عَصِيانَ مَوْلَاكَ فَاعْصِهِ فِي مَوْضِعٍ لَا يَرَاكَ.

وقال: لَا تَغْتَرَّ بِمَوْضِعِ صَالِحٍ؛ فِي الْجَنَّةِ لَقِيَ آدَمُ مَا لَقِيَ، وَلَا بِكثْرَةِ عِبَادَةٍ؛ فِإِبْلِيسُ بَعْدَ طَوْلِ تَعْبُدِهِ لَقِيَ مَا لَقِيَ، وَلَا بِكثْرَةِ عِلْمٍ؛ فِبلعام^(٣) كَانَ يَعْرِفُ الْأَسْمَاءَ الْأَعْظَمَ، لَقِيَ مَا لَقِيَ، وَلَا بِرُؤْيَةِ الصُّلْحَاءِ، فَلَا أَعْظَمَ مِنْ خَاتَمِ الرُّسُلِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِلِقَائِهِ نَاسٌ كَثِيرٌ حَتَّى مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ.

وقال: الزَّاهِدُ يُذِيبُ كَيْسَهُ قَبْلَ نَفْسِهِ، وَالْمُتَزَهِّدُ بَعْكَسِهِ.

وقال: لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ، وَزِينَةُ الْعِبَادَةِ الْخَوْفُ، وَعِلَامَةُ الْخَوْفِ قِصْرُ الْأَمَلِ.

أَسْنَدُ الْحَدِيثِ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ.

(١) فِي (أ): حَقُّ الْفُقَرَاءِ. وَانظُرْ طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ٩٧.

(٢) إِنَّمَا هُوَ قَوْلُ شَتِيقِ يَرْوِيهِ حَاتِمٌ. انظُرْ سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١١/٤٨٥.

(٣) بِلْعَامِ بْنِ بَاعُورِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ] [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] انظُرْ خَبْرَهُ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ١/٣٢٢، وَكُتِبَ التَّفَاسِيرُ.

قال في «روض الرياحين»^(١) وقد اجتمع به أحمد بن حنبل، وسأله، فأجابته، فاستحسن جوابه، وهو من كبار المشايخ.

* * *

(٢٤٣) حمدون القصار النسابوري^(*)

حمدون القصار، أحد الأئمة الكبار، مواعظه سديدة، وكلماته مفيدة، وديانته وافية وافرة، وشمس مناقبه وكراماته باهية باهرة سافرة، وهو شيخ الملامتية^(٢). صَحِبَ التَّخَشُّبِيَّ وَغَيْرَهُ.

ومن كلامه:

كفايتك تُساقُ إليك من غيرِ تعبٍ ولا نصبٍ، وإنما التعبُ في الفضول.
وقال: إذا رأيتَ سكرانَ فاعدِلْ عنه، وتمايَلْ لئلاَّ تبغي^(٣) عليه، فتبتلى بمثل ذلك.

وقال: لا يجزَعُ من المصيبةِ إلا من اتَّهَمَ رَبَّهُ.

وقال: لا أحدَ أدونُ ممَّن يتزَيَّنُ إلى دارِ فانيةٍ، ويتدلَّلُ إلى مَنْ لا يملكُ له ضرًّا ولا نفعاً.

وقال: مَنْ نظَرَ في سيرةِ السَّلفِ عَرَفَ تقصيرَهُ وتخلُّفَهُ عن درجاتِ الرِّجالِ.

وقال: إنَّما كان كلامُ السَّلفِ أنفعَ من كلامنا لأنَّهم تكلموا لعزِّ الإسلامِ،

(١) روض الرياحين صفحة: ٥٢.

(*) طبقات الصوفية ١٢٣، حلية الأولياء ٢٣١/١٠، الرسالة القشيرية ١١٤/١، طبقات الصوفية ١٢٢/٤، المنتظم ٨٢/٥، المختار من مناقب الأخيار ١٣١/أ، سير أعلام النبلاء ٥٠/١٣، الوافي بالوفيات ١٦٥/١٣، طبقات الأولياء ٣٥٩، طبقات الشعراني ٨٤/١.

(٢) الملامتية: تخريب الظاهر، وعمارة الباطن، مع التزام الشريعة. سير أعلام النبلاء ٥٠/١٣.

(٣) في طبقات الصوفية ١٢٦: لئلا تنبغي.

ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا، ورضا الخلق.

وقال: مَنْ ظَنَّ نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْ نَفْسِ فِرْعَوْنَ فَقَدْ أَظْهَرَ الْكِبْرَ. أَي لَأَنَّ خَاتَمَتَهُ مُغَيَّبَةٌ.

وقال: أَنْتَ عَبْدٌ مَا لَمْ تَطْلُبْ مَنْ يَخْدُمُكَ، فَإِذَا طَلَبْتَهُ خَرَجْتَ مِنْ حَدِّ الْعِبَادَةِ.

وقال: إِذَا اجْتَمَعَ إبليسُ وجنوده لم يفرحوا بشيءٍ كفرحهم بثلاثة: مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت كافراً، وقلب فيه خوف الفقر.

وقال: اصْحَبِ الصُّوفِيَّةَ فَإِنَّ لِلْقَبِيحِ عِنْدَهُمْ وَجوهاً مِنَ الْأَعْذَارِ، وَلَيْسَ لِلْحَسَنِ عِنْدَهُمْ مَقْدَارٌ.

وقال: كُلُّ مَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مُسْتَوْرًا مِنْكَ، وَلَا تُحِبُّ أَنْ يُفْشَى عَلَيْكَ فَلَا تُفْشِهِ عَلَى غَيْرِكَ.

وقال: مَا دَمْتَ لَا تَعْرِفُ عَيْبَ نَفْسِكَ فَأَنْتَ مُحْجُوبٌ.

وقال: شُكْرُ النِّعْمَةِ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ فِيهَا طُفِيلًا.

وقال: أَوْصِيكُمْ بِصُحْبَةِ الْعُلَمَاءِ، وَاحْتِمَالِ الْجُهَّالِ، وَمَنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ خِصْلَةً مِنَ الْخَيْرِ فَلَا تُفَارِقُوهُ.

وقال: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصْبِحَ مُفَوَّضًا لَا مُدَبِّرًا فَافْعَلْ.

وقال: مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَعْمَى عَنِ نَقْصَانِ نَفْسِهِ فَلْيَفْعَلْ.

وقال: مَنْ شَغَلَهُ طَلْبُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ ذَلَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ولم يزل على حاله، راقياً في كماله إلى أن غاب بدره فما طلع، وسار على النعش فما رجع، سنة إحدى وسبعين ومثنتين، ودُفنَ بنيسابور.

وقد أسند الحديث عن جماعة من الأعيان.

وروى عنه آخرون.

* * *

(٢٤٤) حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ (*)

كان من أبناء المُلوك، فأنقذته العناية الربانية فصار من أهل السُّلوك، ولزِمَ مجلسَ وعظِ الحسينِ فأقبلَ على الآجلة، وتحوَّلَ عن العاجلة، واشترى نفسه من الله بأربعين ألف دينار، تصدَّقَ بها.

وله وقائعٌ شهيرةٌ وكراماتٌ كثيرةٌ، منها:

أنه كان يُرى بالبصرة يومَ التَّروية، ويعرفه عشيةَ عرفة.

ونزلَ بأهلِ البصرة قحطاً، فاشترى طعاماً بنسيئة، وفرَّقه على المساكين، ونخاطَ كيساً وجعله تحت رأسه، فلَمَّا حلَّ الأجلُ، وجاؤوه طالبينَ أخذَ الكيسَ، فوجدَه مملوءاً أدرام، ففضى الدَّينَ.

ودخلَ الحسنُ مسجداً يُصليَ المغربَ، فإذا حبيبٌ يُصليَ بالنَّاسِ، فلم يُصلِّ خلفه، لكونه كان يلحنُ لعُجمَةٍ في لسانه، فرأى تلكَ اللَّيلةَ في النَّومِ، يُقالُ له: لو صلَّيتَ خلفه، لغُفِرَ لك ما تقدَّم من ذنبك.

وكان يقولُ: لا قُرَّةَ عَيْنٍ لَمَنْ لَمْ تَقْرَأْ عَيْنُهُ بِكَ، ولا فَرَحَ لَمَنْ لَمْ يَفْرَحْ^(١) بِكَ، وعِزَّتْكَ، أنتَ تعلمُ أني أحبُّكَ.

وقال: مَنْ أوقعه اللهُ في ميدانِ التَّفويضِ يزفُ إليه المُرَادُ كما تُزفُ العَروسُ إلى بعلها.

ورُئيَ بعدَ موته في النَّومِ، فقيلَ له: ما حالُكَ؟ فقال: هيهاتَ، ذهبتِ العُجمَةُ، وبقيتُ في النُّعمة.

* * *

(*) تقدَّمت ترجمته مع ذكر مصادرها صفحة ٢٦٣ من هذا الجزء.

(١) في (أ): لَمَنْ لا يفرح.

(٢٤٥) الحسن الفلاس (*)

صوفيٌّ بالتَّربية والإرشادِ مُتَّصِفٌ، عارفٌ تقرُّ له الألسُنُ بالفضلِ وتعترفُ،
تأدَّبَ ببشرٍ، وعاصرَ سريًّا، وكان سريُّ يُفخِّمُ أمره.

جاءَ حسنٌ إلى بشرٍ مراراً يتردَّدُ إليه في مسألةٍ ليكونَ حجَّةً فيما بينه
وبينَ الله، فيتركهُ بشرٌ ويذهبُ، فلمَّا كان بعد ذلك، تبعه إلى المقابرِ، فلمَّا صارَ
إليها وقفَ، وقال: يا حسن، أيودُّ هؤلاء أن يرجعوا فيُصلحوا ما أفسدوا، أو
لا؟ اعلم أنه من فرح قلبه بشيءٍ من الدُّنيا، أخطأ الحكمةَ قلبه، ومن جعلَ
شهوَاتِها تحتَ قدميه، فرَّقَ الشَّيطانُ من ظلِّه، ومن غلبَ هواه، فهو الصَّابِرُ
الغالبُ، ألا والبلاءُ كُلُّه [في هواك] ^(١)، والشِّفاءُ ^(٢) كُلُّه في مخالفتِكَ إِيَّاه، فإذا
لقيتهُ، فقل: قال لي، فرجعَ الحسنُ فعاهدَ الله أن لا يأكلَ ما يُباع، ولا
ما يُشترى، ولا ما يُلبَسُ، ولا يَمسِكُ بيده ذهباً ولا فضةً، ولا يضحكُ أبداً.
وكان يلبَسُ ما في ^(٣) المزابلِ، ويأوي حولَ دارِ البَطِّيخِ، ولا يأكلُ إلاَّ
القُمَّامةَ.

ولقيهُ رجلٌ على هذه الصُّورةِ، فقال: يا حسن، من ترك شيئاً لله، عوّضه اللهُ
ما هو خيرٌ، فما عوّضَكَ؟ قال: الرِّضا بما ترى.
غزا فخرج [به خرّاج] ^(٤) فكانت مَنِيَّتُهُ.

طلبَ الماءَ، فشربَ، وقال: قد أعطاني ما يتنافسُ فيه المتنافسون،
وقضى.

* * *

-
- (١) تاريخ بغداد ٧/٤٠٠، صفة الصفوة ٢/٣٩٦، المختار من مناقب الأخيار ١٢٧/أ.
(١) ما بين معقوفين مستدرك من صفة الصفوة ٢/٣٩٧.
(٢) في الأصول: والشقاء، والمثبت من صفة الصفوة.
(٣) في المطبوع: صافي.
(٤) ما بين معقوفين مستدرك من صفة الصفوة ٢/٣٩٧، وفيه: وكانت فيه ميته.

(حرف الخاء المعجمة)

(٢٤٦) خير النَّسَّاجِ (*)

خير النَّسَّاجِ بالجيم، أستاذ الجماعة، كان ممَّن أقام الصُّوفِيَّةَ وقامَ بنصرها، وقعدَ بالمصلحة في نفع أمرها، وأقيمت به دعوتُها، وعزَّت بعزمه ذروتُها، وكان عظيمَ المُرَاقِبَةِ، كثيرَ الأدبِ والمجاهدة، وقد قيل: التَّصَوُّفُ: مِرَاقِبَةُ الأحوال، ولزومُ الأدبِ في كلِّ حال.

أخذ عن السَّرِيِّ، وتلك الطبقة العالية؛ ودخلَ جَنَّةَ المعارفِ وجنى قطفَها الدَّانية من أشجارها العالية^(١).

وكان له حظٌّ وافٍ في الكرامات، وتابَ في مجلسِ الشُّبَلِيِّ، والخَوَاصُّ لِمَا أبصرا فيه من الخوارق والآيات.

وأصلُهُ من أهلِ سامراء، ثمَّ سكنَ بغدادَ، وكان شديدًا في الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ.

ومن فوائده:

الصَّبْرُ من أخلاقِ الرِّجال، والرِّضا من أخلاقِ الكِرام.

(*) طبقات الصوفية ٣٢٢، حلية الأولياء ٣٠٧/١٠، تاريخ بغداد ٤٨/٢، و ٣٤٥/٨، الرسالة القشيرية ١٥٦/١، صفة الصفوة ٤٥١/٢، المنتظم ٢٧٤/٦، وفيات الأعيان ٢٥١/٢، سير أعلام النبلاء ٢٦٩/١٥، العبر ١٩٣/٢، مرآة الجنان ٢٨٥/٢، الوافي بالوفيات ٤٤٤/١٣، البداية والنهاية ١٨١/١١، طبقات الأولياء ١٩٦، الطبقات الكبرى للشعراني ١٠٢/١، شذرات الذهب ٢٩٤/٢. واسمه محمد بن إسماعيل، وانظر لِمَ سُمِّي بخير النَّسَّاجِ في تاريخ بغداد ٣٤٥/٨.

(١) في (أ): الحالية.

وقال: العمل الذي يصلُ به العبدُ إلى الدَّرجاتِ العُلا وَيَبْلُغُ به إلى الغاياتِ
رؤيةً التَّقْصِيرِ والعجزِ والضعفِ.

وقال: لا نسبَ أشرفُ من نسبِ مَنْ خَلَقَهُ اللهُ بيده فلم يَعْصِمَهُ^(١)، ولا عِلْمَ
أرفعُ من عِلْمِ مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الأسماءَ كُلَّهَا، فلم تنفعهُ في وقتِ جريانِ القضاءِ
عليه.

وقال: قصَّ موسى لبني إسرائيلَ، فصعقَ واحدٌ، فانتهرهُ، فأوحى إليه:
بطيبي باحوا، وبوجدي صاحوا، فلم تُنكرِ على عبادي؟

وقال: الخوفُ سوطُ اللهِ يُقوِّمُ به أنفُساً، قد تعودتِ سوءَ الأدبِ.

ومن كراماته ما قال: أتاني شابٌّ من البغداديين وقد انطبقت^(٢) يدهُ
وجفتُ. فقلتُ: ما لك؟ قال: حلتُ عقدةً من عُقدِ إزارك، فأخذتُ منه
درهماً، فسلَّتُ يدي، فمسحتُ يدهُ بيدي، فردَّها اللهُ عليه، وناولته الدرهمَ،
فقلتُ له: اشترِ به حاجتكُ، ولا تُعُد.

وقال لتلميذه أبي الحسن المالكي، قبل موته بثمانية أيام: أنا أموتُ يومَ
الخميسِ، وقتَ المغربِ، وأُدفنُ يومَ الجمعةِ قبل الصَّلَاةِ، وكان كذلك.
ولما احتضِرَ قال لملكِ الموتِ: قِفْ عِافَاكَ اللهُ، حتى أصلي المغربَ^(٣)
فإنَّكَ عبدٌ مأمورٌ، وأنا مأمورٌ، وما أمرتُ به أنتَ لا يفوتُ، وما أمرتُ به أنا
يفوتُ، فصلِّ وتشهد.

ماتَ سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة عن نحو مئة وعشرين سنة، فهو من
أقرانِ الثوري وطبقته، لكنَّهُ عُمَرَ طويلاً فلذلك دُكِرَ في أهلِ طبقته وإن تأخرتُ
وفاته إلى أهلِ القرنِ الرَّابِعِ.

رُئيَ في النَّومِ، فقيلَ له: ما فعلَ بك؟ قال: لا تسألني عن هذا، لكن
استرحتُ من دُنْيَاكم الوَضِيرة.

(١) في (أ): يعصمه.

(٢) في (ب): انقطعت، وفي المطبوع: انطفت. وانظر صفة الصفوة ٢/٤٥٣.

(٣) في المطبوع: العصر.

(حرف الذال المعجمة)

(٢٤٧) ذو النُّونِ المِصرِيِّ (*)

العَارِفُ النَّاطِقُ بِالْحَقَائِقِ، الْفَاتِقُ لِلطَّرَائِقِ، ذُو الْعِبَارَاتِ الْوَثِيقَةِ، وَالْإِشَارَاتِ الدَّقِيقَةِ، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ، وَالنَّفْسِ الْعَالِمَةِ الْعَامِلَةِ، وَالْهَمَمِ الْجَلِيَّةِ، وَالطَّرِيقَةِ الْمَرْضِيَّةِ، وَالْمَحَاسِنِ الْجَزِيلَةِ الْمَتَّبَعَةِ، وَالْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي لَا تُخْشَى مِنْهَا تَبَعَةٌ، زَهَتْ بِهَ مِصْرُ وَدِيَارُهَا، وَأَشْرَقَ بِنُورِهِ لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا.

قال ابنُ يونس: كان عالِماً فصيحاً حكيماً، امْتَحِنَ وَأُوذِيَ لكونه أتاهاهم بعلم لم يعهدوه، وكان أوَّلَ مَنْ تكلَّمَ بِمِصْرَ فِي تَرْتِيبِ الْأَحْوَالِ، وَفِي مَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَفَحْوَلِ الرِّجَالِ، فَقَالَ جَهْلَةُ الْمُتَفَقِّهَةِ: هُوَ زَنْدِيقٌ.

وقال مسلمة بن قاسم: كان عالِماً صالحاً، زاهداً ورعاً، مُفْتِياً فِي الْعُلُومِ، وَاحِداً فِي عَصْرِهِ.

وقال الجَوْذَقَانِي^(١): كان زاهداً، عالِماً، ضعيف الحديث.

وقال الدَّارِقُطْنِي: روى عن مالك أحاديثَ فيها نظر.

(*) طبقات الصوفية ١٥، حلية الأولياء ٣٣١/٩، و ٣/١٠، تاريخ بغداد ٣٩٣/٨، الأنساب ١٣٥/١، الرسالة القشيرية ٥٨/١، صفة الصفوة ٣١٥/٤، المختار من مناقب الأخيار ١/١٤٩، اللباب ٣٥/١، وفيات الأعيان ٣١٥/١، مختصر تاريخ دمشق ٢٤٦/٨، سير أعلام النبلاء ٥٣٢/١١، العبر ٤٤٤/١، الوافي بالوفيات ١١/ترجمة ٣٧، مرآة الجنان ١٤٩/٢، البداية والنهاية ٣٤٧/١٠، طبقات الأولياء ٢١٨، النجوم الزاهرة ٣٢٠/٢، طبقات الشعراني ٧٠/١، شذرات الذهب ١٠٧/٢.

(١) في المطبوع: الجوزقاني.

وقال الذهبِيُّ في «تاريخه الكبير»: روى عن: مالك، والليث، وابن لهيعة،
وفُضَيْل بن عِيَّاض، وابنُ عُمَيْنَةَ، وسلم الخَوَّاص^(١)، وغيرهم^(٢).
وروى عنه: الحسنُ بن مُصعب النَّخعي، وأحمد بن صُلَيْح^(٣) الفَيْثومي،
والطَّائي، وغيرهم.

وكان اسمه ثوبان بن إبراهيم، وقيل الفيض.

وأصله من النَّوبة، ثمَّ نزلَ إخمِيم^(٤)، فأقامَ بها، فسمعَ يوماً صوتَ لهوٍ
وِدِّفاف، فقال: ما هذا؟ قيل: عرسٌ. وسمعَ بجانبه بكاءً وصياحاً، فقال:
ما هذا؟ قيل: فلانُ مات. قال: أعطى هؤلاء فما شكروا، وابتلى هؤلاء فما
صبروا، لله عليَّ إن بُتُّ بهذا البلد، فخرجَ فوراً إلى مصرَ فقطنها.

وسُئِلَ عن سببِ توبته، فقال: نمْتُ بالصَّحراء، ثمَّ فتحتُ عيني فإذا
بقُبيرة^(٥) عمياء، سقطت من وكرها، فانشقت الأرضُ، فخرجَ منها
سُكَّرَجَتان^(٦) إحداهما ذهب، والأخرى فضة في إحداهما سَمْسِم والأخرى
ماء، فجعلتُ تأكلُ من ذا، وتشربُ من ذا، فقلتُ: حسبي، فتبتُّ.

ولمَّا تكلمَ بعلومِ لَدُنِّيَّة لا علمَ لأهلِ مصرَ بها، وشوا به إلى خليفةِ بغداد،
فحُمِلَ إليه في جماعةٍ مغلولةٍ مُقَيَّدًا، فقدمَ للقتل، فكلمَ الخليفةَ، فأعجبه،
فأطلقه ورفقته، وقال: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرضِ مُسلمٌ.

ولمَّا حُبِسَ لم يأكلُ في السَّجِنِ أياماً، فكانت له أُختٌ تبعثُ له من مغزليها
طعاماً على يد السَّجَّان، فلا يأكله، فعاتبته بعدُ، فقال: كان حلالاً لكنْ جاءني

(١) في الأصول: مسلم. انظر الأنساب ١٩٨/٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٣٣/١١.

(٣) في الأصل: صبح، وفي السير ٥٣٣/١١: صبيح. والمثبت من الإكمال ٢٩١/٧.

(٤) إخمِيم: بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد. معجم البلدان.

(٥) القُبيرة والقُبيرة: طائر يشبه الحمرة. متن اللغة (قبر).

(٦) السُّكَّرَجَة: قِصَاع صغار يؤكل فيها، وكانت العرب تستعملها في الكوامخ وأشباهاها من

الجوارش على الموائد حول الأطعمة للتشهي والهضم. متن اللغة (سكرج).

على طبق^(١) ظالم، وأشار إلى السجّان.

قال الغزالي^(٢): وهذا غاية الورع.

ومن مقاماته العليّة الفائقة، وأحواله المدهشة الخارقة: أنّ روحه الشريفة كانت تدبر أجساماً متعدّدة، فقد قال العارف ابن عربي: الرّوح الواحد يدبّر أجساماً متعدّدة، إذا كان له الاقتدار على ذلك، ويكون ذلك في الدّنيا للوليّ بخرق العادة، وفي الآخرة نشأة الإنسان تُعطى ذلك، قال: وكان ذو النون المصري، وقضيب البان، ممّن له هذه القوّة، كما يدبّر الرّوح الواحد سائر أعضاء البدن، من يدٍ ورجلٍ وسمعٍ وبصرٍ وغيرها، وكما تُؤاخذُ النَّفسُ بأفعال الجوارح، على ما وقع منها، فكذا هذه الأجساد التي تدبّرُها رُوحٌ واحدة، أي شيء وقع منها، يُسألُ عنه ذلك الرّوح الواحد، وإن كان عينُ ما يقعُ من هذا الجسم عينَ ما يقعُ من الآخر. انتهى.

وأقام سهل سنين لا يُسندُ ظهره للمحراب، ولا يتكلّم، فلمّا كان ذات يومٍ بكى واستند، وتكلّم وبالع في إبراز المعاني العجيبة، والإشارات الغريبة، فقبل له فيه، فقال: كان ذو النون بمصر حيّاً فما تكلّمْتُ^(٣)، ولا استندتُ إجلالاً له، والآن قد مات، فقبل لي: تكلّم، فقد أذنتُ.

ومن فوائده:

مَنْ راقبَ العواقبَ سلِمَ.

وقال: إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ لِلْمَعْرِفَةِ مُدَّعِيًّا، أَوْ بِالزُّهْدِ مُحْتَرِفًا، أَوْ بِالْعِبَادَةِ مُتَعَلِّقًا، وَفِرًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى رَبِّكَ.

وقال: مَنْ قَنَعَ اسْتِرَاحَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَاسْتَطَالَ عَلَى أَقْرَانِهِ.

وقال: الزُّهَادُ مَلُوكُ الْآخِرَةِ، وَهُمْ فَقَرَاءُ الْعَارِفِينَ.

وقال: ثَلَاثٌ مِنْ عِلْمِ التَّوْفِيقِ: الْوُقُوعُ فِي عَمَلِ الْبِرِّ بِلَا اسْتِعْدَادٍ لَهُ،

(١) في الأصل: طبع. والمثبت من الإحياء ٢٠ / ٢.

(٢) إحياء علوم الدين ٢٠ / ٢ آخر كتاب آداب الأكل.

(٣) في (ب): فما تكلمت حتى مات.

والسَّلَامَةُ مِنَ الذَّنْبِ مَعَ الْمَيْلِ إِلَيْهِ، وَقِلَّةُ الْهَرَبِ مِنْهُ، وَاسْتِخْرَاجُ الدُّعَاءِ وَالِابْتِهَالِ. وَثَلَاثٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْخِذْلَانِ: الْوُقُوعُ فِي الذَّنْبِ مَعَ الْهَرَبِ مِنْهُ، وَالِامْتِنَاعُ مِنَ الْخَيْرِ مَعَ الْاسْتِعْدَادِ لَهُ، وَانْغِلَاقُ بَابِ الدُّعَاءِ وَالتُّضْرُّعِ.

وقال: مَنْ وَثِقَ بِالمَقَادِيرِ لَمْ يَغْتَمَّ.

وقال: الْأُنْسُ بِاللهِ نُورٌ سَاطِعٌ، وَالْأُنْسُ بِغَيْرِ اللهِ ^(١) سُمٌّْ قَاطِعٌ.

وقال: الشَّوْقُ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَالمَقَامَاتِ، إِذَا بَلَغَهُ الْعَبْدُ اسْتِبْطَاءَ المَوْتِ شَوْقاً إِلَى رَبِّهِ، وَحُبّاً لِمُقَابَلَتِهِ، وَالتَّنْظِرِ إِلَيْهِ.

وَكَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] كَأَنَّهُ الْآنَ فِي أذُنِي.

وقال: إِذَا خَرَجَ مُرِيدٌ عَنِ حَوْزَةِ الْأَدَبِ يَرْجِعُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ.

وقال: مِفْتَاحُ الْعِبَادَةِ الْفِكْرَةُ، وَعِلَامَةُ الْإِصَابَةِ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ وَالهَوَى.

وقال: الصَّبْرُ الشُّكُونُ عِنْدَ تَجَرُّعِ غِصَصِ الْبَلِيَّةِ، وَإِظْهَارُ الْغِنَى مَعَ حُلُولِ الْفَقْرِ بِسَاحَاتِ الْمَعِيشَةِ.

وقال: أَكْثَرُ النَّاسِ هَمًّا أَسْوَأَهُمْ خُلُقًا.

وَتَذَاكُرُ جَمَاعَةٌ عِنْدَهُ - أَعْنِي ذَا النُّونِ - فِي حَدِيثٍ: طَاعَةٌ مَا سِوَى اللهِ لِلْأَوْلِيَاءِ. فَقَالَ: مِنَ الطَّاعَةِ أَنْ أَقُولَ لِهَذَا السَّرِيرِ يَدُورُ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الْبَيْتِ، ثُمَّ يَرْجِعُ مَكَانَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ.

وقال: مَدَارُ الطَّرِيقِ عَلَى أَرْبَعٍ: حُبُّ الْجَلِيلِ، وَبُغْضُ الْفَانِي الْقَلِيلِ، وَاتِّبَاعُ التَّنْزِيلِ، وَخَوْفُ التَّحْوِيلِ.

وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: إِنَّ قَلْبِي لَكَ مُقْفَلٌ، فَإِنْ فُتِحَ لَكَ أَجَبْتُكَ، وَإِلَّا فَاعْذِرْنِي، وَأَتَّهِمُ نَفْسَكَ.

وقال: احْذَرِ أَنْ تَنْقَطِعَ عَنِ اللهِ فَتَكُنْ مَخْدُوعًا، وَكُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَى عَطَائِهِ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ فَهُوَ مَخْدُوعٌ.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: وَالْأُنْسُ بِالنَّاسِ.

وقال: ما أخلصَ عبدُ اللهِ إلاَّ أحبَّ أن يكونَ في جُنبٍ لا يُعرَف.

وقال: إنَّ اللهُ ما منعَ الكُفَّارَ الجنَّةَ بُخلًا، بل ليصونَ مَنْ أطاعَهُ عن أن يجمعَ بينهم وبين أعدائه في دارٍ واحدةٍ.

وقال: البلاءُ ملحُ المؤمنِ فإذا عدمَهُ فسَدَ حالُهُ.

وقال: لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ، وعقوبةُ العارِفِ انقطاعُهُ عن ذكرِ اللهِ.

وقال: إنَّ اللهُ عباداً عبَدوه بخالِصٍ من السِّرِّ، فشرَّفَهُم بخالِصٍ من شُكره، فهم الذين تمرُّ صُحفُهُم مع الملائكةِ فرَّغاً، حتى إذا صارتِ إليه، ملاًها لهم من سرِّ ما أسرُّوا.

وقال: مَنْ الحُمقُ التماسُ الإخوانِ بغيرِ الوفاءِ، وطلبُ الآخرةِ بالرِّفاءِ، ومودَّةُ النِّساءِ بالغلظةِ والجفاءِ.

وقال: مَنْ ادَّعى مقاماً، حُجِبَ به عن اللهِ.

وقال: مَنْ أحبَّ الخلوةَ، فقد تعلقَ بعمودِ الإخلاصِ، واستمسكَ برُكنِ كبيرٍ من الصُّدقِ.

وقال: مَنْ تزَيَّنَ بعمله، فحسنتُهُ سيئات.

وقال: الكريمُ يُعطي قبلَ السُّؤالِ، فكيفَ يبخلُ بعدَهُ؟ ويَعذرُ قبلَ الاعتذارِ، فكيفَ يحقِّدُ بعدَهُ؟

وقال: ثلاثةٌ من أعلامِ الصُّوابِ: الأُنسُ باللهِ في جميعِ الأحوالِ، والشُّكُونُ إليه في كلِّ الأعمالِ، وحُبُّ الموتِ بغلبةِ الشُّوقِ في جميعِ الأشغالِ.

وقال: ثلاثةٌ من أعلامِ اليقينِ: النَّظَرُ إلى اللهِ في كلِّ شيءٍ، والرُّجوعُ إليه في كلِّ أمرٍ، والاستعانةُ به في كلِّ حالٍ.

وقال: صدورُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ.

وقال: إنَّما أحبَّ النَّاسُ الدُّنيا لأنَّه تعالى جعلها خزانةَ أرزاقهم، فمدُّوا أعيُنهم إليها.

وقال: أدنى منازلِ الأُنسِ أن يُلقى في النَّارِ ولا يغيثُ عن مأمولِهِ.

وقال: لا تَسْكُنُ الحِكْمَةُ مِعْدَةَ مُلِئَتْ طَعَاماً.

وقال: العبوديةُ أن تكونَ عبدهُ في كلِّ حالٍ كما هو ربُّك في كلِّ حالٍ.

وقال: الحسدُ داءٌ لا يبرأ، وحسبُ الحسودِ مِنَ الشَّرِّ ما يَلْقَاهُ.

وقال: تُنالُ المعرفةُ بثلاثٍ: بالنَّظَرِ في الأمورِ كيف دَبَّرَها، وفي المقاديرِ كيف قَدَّرَها، وبالخلائقِ كيف خلَقَها.

وقال: قرأتُ في بعضِ برابي^(١) مصرٌ بالسُّريانيَّةِ: يُقَدَّرُ المُقَدَّرُونَ والقضاءُ يضحكُ.

وقال: الصَّادِقُ لا يبكي؛ فإنَّ البكاءَ راحةُ القلبِ، وملجأٌ يلجأُ إليه، وما كتمَ القلبُ شيئاً أحقَّ من الشَّهيقِ والزَّفِيرِ، فإذا أُسبِلَتِ الدَّمْعَةُ استراحَ القلبُ، وهذا ضعفٌ عندنا يا بطَّال.

وقال: العاقلُ يعترفُ بذنبه، ويجودُ بما لديه، ويزهدُ فيما عنده، ويكفُّ أذاه، ويتحمَّلُ أذى غيره.

وقال: يأتي زمانٌ تكونُ الدَّولةُ فيه لأهلِ الدُّنيا على أهلِ الآخرةِ.

وقال: لم يزلِ المنافقونَ يسخرونَ بالفقراءِ في كلِّ عصرٍ.

وقال: طوبى لمن تطهَّرَ ولزِمَ البابَ، طوبى لمن تَضَمَّرَ للسِّباقِ، طوبى لمن أطاعَ اللهَ أيَّامَ حَيَاتِهِ.

وقال: مَنْ وثقَ بالمقاديرِ استراحَ، ومَنْ تقَرَّبَ قُرْبٍ، ومَنْ صَفِيَّ صُفِيَّ له.

وقال: مَنْ توكَّلَ وثقَ، ومَنْ تكلَّفَ ما لا يعنيه ضيَّعَ ما يعنيه.

وسأله بعضهم عن حاله، فقال: ما لي حالٌ أرضاها، ولا حالٌ لا أرضاها، كيف أرضى حالي لنفسي وأنا لا أفي بما أرادَ مِنِّي؟ أم كيف لا أرضى حالي ولا يكونَ مِنِّي إلا ما أرادَ من الأحوالِ؟ ولستُ أدري أيُّما أحسنُ؟ حُسْنُ حالي في

(١) البرابي: جمع بَرَبِي، كلمة قبطية تعني موضع العبادة، أو البناء المحكم، أو موضع السحر. معجم البلدان ١/٣٦٢، وتكملة المعاجم العربية لدوزي ١/٢٦٨.

حُسْنِ إِحْسَانِهِ إِلَيَّ، أَمْ حُسْنُ حَالِي فِي سَوْءِ حَالِي إِذَا كَانَ^(١) هُوَ الْمُخْتَارُ لِي .
وقال : مَنْ وُجِدَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ رَجَوْتُ لَهُ السَّعَادَةَ وَلَوْ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَاعَةٍ :
استواءُ الخَلْقِ^(٢)، وَخِفَّةُ الرُّوحِ، وَغِزَارَةُ العَقْلِ، وَصَفَاءُ التَّوْحِيدِ، وَطَيْبُ
المولد .

وقيل له : أوصيني . قال : لا تُكُنْ خَصِمًا لِنَفْسِكَ عَلَى رَبِّكَ بِمَا تَسْتزِيدُهُ فِي
رِزْقِكَ وَجَاهِكَ، بَلْ كُنْ خَصِمًا لِرَبِّكَ عَلَى نَفْسِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ مَعَكَ عَلَيْكَ،
وَلَا تَلْقَيْنَ أَحَدًا بَعِينِ الْإِزْدِرَاءِ وَالتَّصْغِيرِ وَلَوْ مُشْرِكًا، خَوْفًا مِنْ عَاقِبَتَيْكُمَا،
فَلَعَلَّكَ تُسَلِّبُ المَعْرِفَةَ وَيُرْزَقُهَا .

وقال : ما هلك مَنْ هَلَكَ إِلَّا بِطَلْبِ أَمْرٍ قَدْ أَخْفَاهُ، وَإِنْكَارِ أَمْرٍ قَدْ أَبْدَاهُ .

وقال : مَنْ نَظَرَ فِي عِيُوبِ النَّاسِ عَمِيَ عَنِ عِيُوبِ نَفْسِهِ، وَمَنْ عَنِى
بِالْفِرْدَوْسِ وَالنَّارِ شُغِلَ عَنِ القَيْلِ وَالْقَالِ، وَمَنْ هَرَبَ مِنَ النَّاسِ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ،
وَمَنْ شَكَرَ المَزِيدَ زِيدَ لَهُ .

وقال : احفظ عني خمساً، فإن حفظتها لم تُبالِ ماذا أصبت بعدهنَّ : عانقِ
الفقرَ، وتوسدِ الصَّبْرَ، وعادِ الشَّهواتِ، وخالفِ الهوى، وافزعْ إلى الله في
أُمُورِكَ كُلِّهَا، فعند ذلك يُورِثُكَ الشُّكْرَ والرِّضَا، والصَّبْرَ والخوفَ .

وقال : خذْ لِنَفْسِكَ بِسَلاحِ المِلامَةِ^(٣)، واقمِعْها بِرَدِّ الظُّلَامَةِ تَلْبَسُ غَدَاً
سَرابِيلَ السَّلَامَةِ، وأقْصِرْها فِي رَوْضَةِ الأمانِ، وذوِّقْها مَضْضَ فرائضِ الإِيمانِ،
تظفِرْ بِنَعِيمِ الجِنانِ، وجرِّعْها كَأْسَ الصَّبْرِ، ووطِّنْها عَلَى الفَقْرِ حَتَّى تَكُونَ تامَّةً
الأمر . فقيل له : وأيُّ نفسٍ تقوى على هذا ؟ قال : نفسٌ عَلَى الجوعِ صَبْرَتْ،
وَفِي سِرْبِالِ الظُّلَامِ خَطَرَتْ، نَفْسٌ ابْتاعَتْ الآخِرَةَ بِالدُّنيا بِلا شَرِطٍ وَلا ثَنِياءِ، نَفْسٌ
تَدَرَّعَتْ رَهْبانيةَ القلقِ؛ وَرَعَتْ^(٤) الدُّجى إِلَى واضِحِ الفلقِ .

(١) فِي الحِليَةِ ٣٨٢/٩ : إِذْ كانَ .

(٢) كذا فِي الأَصْلِ، وَفِي حِليَةِ الأَوْلِياءِ ٣٨٢/٩ : سَوْءُ الخَلْقِ عَنْهُ .

(٣) فِي الأَصْلِ : المِلائِكَةُ . وَالمُثَبِّتُ مِنَ حِليَةِ الأَوْلِياءِ ٣٥٦/٩ .

(٤) فِي المَطْبُوعِ : وَفَرَعَتْ . وَانظُرْ حِليَةَ الأَوْلِياءِ ٣٥٦/٩، ٣٥٧ .

وقال : تعوذوا بالله من القبطي إذا استعرب .

وقال : قد غفلت القلوب عنه وهو مُنشيها ، وأدبرت النفوس عنه وهو يُناديها ، فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيام والإنعام .

وقال : طوبى لعبد أنصف ربه ، أقر له بالآفات في طاعته ، وبالجهل في معصيته ، فإن أخذه بالذنوب رأى عدله ، وإن غفر رأى فضله .

وقال : من المُحال أن يَحْسَنَ منك الظنُّ ، ولا يَحْسَنَ منه المرءُ .

وقال : كيف أفرح بعملِي وذنوبي مزدحمة؟! أم كيف أفرح بأملي^(١) وعاقبتي مُبهمّة؟!

وقال : الكيسُ من بادرَ بعمله ، وسوّفَ بأمله ، واستعدَّ لأجله .

وقال : من علامة سَخَطِ الله على العبد أن يَخافَ الفقرَ .

وقال : لكلُّ شيءٍ علامةٌ ، وعلامة طردِ العارِفِ عن حضرة الله انقطاعُهُ عن ذكره .

وقال : إذا تكاملَ الحُزنُ قلصتِ الدُمعةُ .

وقال : من القلوبِ قلوبٌ تَسْتَغْفِرُ قبل أن تُذنبَ ، فِتَابٌ عليها قبل أن تُتوبَ .

وقال : مَنْ آنَسَهُ اللهُ بِقُرْبِهِ ، أعطاهُ العِلْمَ بغيرِ تَعَبٍ .

وقال : ليس بعاقِلٍ مَنْ لم يُنصِفْ من نفسه ، وطلبَ الإنصافَ من الناسِ .

وقال : لا تتواضعَ لمتكبرٍ فتدِلَّ نفسك في غيرِ محلٍّ ، وتكبرَ نفسه بغيرِ حقٍّ .

وقال : مَنْ عَمِيَ عن عيوبِ نفسه ، انكشفت له عُيوبُ الناسِ ، فمقتتهُ القلوبُ .

وقال : مَنْ طلبَ مع الخُبزِ ملحاً يأكله ، لم يُفلحَ في الطريقِ أبداً .

وقال : لولا شُغلي بنفسِي ، اشتغلتُ بكتابةِ الحديثِ .

(١) في (ب) : أفرح بعملِي .

وقال: أهل القرآن هم الذين أنصبوا الرُّكَبَ والأبدانَ حتى نَحَلَّتْ أبدانُهُم،
وَذَبُلَتْ شِفَاهُهُم، وهَمَلَتْ عُيُونُهُم.

وقال: من علامة^(١) إعراضِ الله عن العبد أن تراه ساهياً، لاهياً، لاغياً،
مُعْرِضاً عن ذِكْرِ رَبِّهِ، تَثْقُلُ عَلَيْهِ مُجَالَسَةُ الذَّاكِرِينَ.

وقال: إِنَّ اللهَ يَغَارُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ أَحِبَّابِهِ وَأَعْدَائِهِ فِي دَارٍ، فَلذَلِكَ جَعَلَ لِكُلِّ
فَرِيقٍ دَاراً.

وقال: مَا رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إِلَّا مِنَ الطَّرِيقِ، وَلَوْ وَصَلُوا إِلَيْهِ مَا رَجَعُوا إِلَيْهِ،
فَازْهَدْ فِي الدُّنْيَا تَرَى الْعَجَبَ.

وسُئِلَ: متى^(٢) يَأْنِسُ الْعَبْدُ رَبَّهُ؟ قال: إِذَا خَافَهُ أَنْسَ بِهِ، أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ مَنْ
وَاصَلَ الذُّنُوبَ نُحِّيَ عَنِ بَابِ الْمَحْبُوبِ.

وقال: وَجَدْتُ مَكْتُوباً عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ^(٣) الْمَقْدَسِ: كُلُّ عَاصٍ مُسْتَوْحِشٌ،
وَكُلُّ مُطِيعٍ مُسْتَأْنِسٌ، وَكُلُّ خَائِفٍ هَارِبٌ، وَكُلُّ رَاجٍ طَالِبٌ، وَكُلُّ قَانِعٍ غَنِيٌّ،
وَكُلُّ مُحِبِّ ذَلِيلٌ، فَفَكَّرْتُ فَإِذَا هِيَ أَصُولٌ لِكُلِّ مَا اسْتَعْبَدَ اللهُ بِهِ الْخَلْقَ.

وقال: لَا أَعِيشُ إِلَّا مَعَ رِجَالٍ تَحِنُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى التَّقْوَى، وَتَرْتَاخُ إِلَى الذُّكْرِ.

وَدَقَّ عَلَيْهِ رِجْلُ الْبَابِ، فَشَوَّشَ وَقْتَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمِ الْهَيْئَةِ، وَقَالَ:
اللَّهُمَّ، مَنْ شَغَلَنِي عَنْكَ فَاشْغَلْهُ بِكَ.

وقال: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْإِيمَانِ: اغْتِمَامُ الْقَلْبِ بِمِصَاتِبِ الْمُسْلِمِينَ،
وَإِرْشَادُهُمْ إِلَى مِصَالِحِهِمْ وَإِنْ كَرِهَوْهُ [وَبَدَلُ النَّصِيحَةِ لَهُمْ مَتَجَرَّعاً لِمَرَارَةٍ
ظَنُونَهُمْ]^(٤).

وقال: لَا تُشْغِلَنَّكَ عُيُوبُ النَّاسِ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ، فَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِرَقِيبٍ.

(١) فِي (أ): عَلَامَةُ إِعْرَاضٍ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: وَقَالَ: مَتَى يَأْنِسُ.

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ: بَيْتِ.

(٤) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ مُسْتَدْرِكٌ مِنْ حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ٣٦٢/٩.

وقال: أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ أَعْقَلُهُمْ^(١) عنه .

وقال ابنُ عربي: وصِيَّةٌ مُجَرَّبَةٌ، قَالَهَا مُجَرَّبٌ، ثُمَّ أَخْرَجَ بِسَنَدِهِ عَنْ صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي بَرْبَا^(٢) بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ دَنْدَرَةٌ^(٣) مَكْتُوبٌ فِيهَا: احْذَرِ الْعَبِيدَ الْمُعْتَقِينَ، وَالْأَحْدَاثَ الْمُتَقَرَّبِينَ^(٤) الْمُتَعَبِّدِينَ^(٥)، وَالْقَبْطَ الْمُسْتَعْرَبِينَ .

وقال: العارِفُ فِي هَذِهِ الدَّارِ كَرَجُلٍ تُوجَّعُ بِتَاجِ الْكِرَامَةِ، وَأُقْعَدَ عَلَى سَرِيرٍ، وَغُلِّقَ عَلَى رَأْسِهِ سَيْفٌ بِشَعْرَةٍ، وَأُرْسِلَ عَلَى بَابِهِ سَبْعُونَ ضَارِيًا، فَأَنَّى لَهُ الشُّرُورُ^(٦) ؟

وقال: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِمَا فِيهِ تَلَفٌ نَفْسِهِ حَفِظَهَا عَلَيْهِ .

وقال: مَا شَبِعْتُ قَطُّ إِلَّا عَصِيْتُ، أَوْ هَمَمْتُ بِمَعْصِيَةٍ .

وقال: كُنْ عَارِفًا خَائِفًا، وَلَا تَكُنْ عَارِفًا وَاصِفًا .

وقال: الصَّدْقُ سَيْفُ اللَّهِ مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ .

وَسُئِلَ عَنِ السَّمَاعِ وَالصَّوْتِ الْحَسَنِ، فَقَالَ: وَارِدٌ يُزْعِجُ الْقَلْبَ إِلَى الْحَقِّ، فَمَنْ أَصَغَى إِلَيْهِ بِحَقِّ تَحَقُّقٍ، أَوْ بِنَفْسِهِ تَزُنْدَقَ .

وَسُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ بِلا مِزَاجٍ، وَصُنْعَهُ لِلْأَشْيَاءِ بِلا عِلاجٍ، وَعِلَّةُ كُلِّ شَيْءٍ صُنْعُهُ، وَلَا عِلَّةَ لَصُنْعِهِ، وَليس فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَلَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى مُدَبِّرٌ غَيْرُ اللَّهِ، وَكُلُّ مَا يَتَصَوَّرُ فِي وَهْمِكَ فَاللهُ بِخِلافِ ذَلِكَ .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: أَغْفَلُهُمْ .

(٢) تَقْدِيمُ التَّعْرِيفِ بِهَا ص ٦٠٢ .

(٣) دَنْدَرَةٌ: بَلِيدٌ عَلَى غَرْبِي النَّيْلِ مِنْ نَوَاحِي الصَّعِيدِ دُونَ قَوْصِ، طَيِّبَةٌ ذَاتُ بَسَاتِينَ، وَنَخْلٌ كَثِيرَةٌ، وَكُرُومٌ، وَفِيهَا بَرَابِي كَثِيرَةٌ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ .

(٤) فِي الْمَطْبُوعِ: الْمُقَرَّنِينَ، وَفِي (أ): الْمُتَغَرِّبِينَ .

(٥) فِي الْمَطْبُوعِ: الْمُتَغَنِّدِينَ، وَفِي (أ) وَ (ب): الْمُتَغَنِّدِينَ . وَالْمُثَبِّتِ مِنَ الْحَلِيَّةِ

. ٢٦٧/٩

(٦) انْظُرِ الْخَبَرَ بِتَمَامِهِ فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ ٣٦١/٩ .

ومن كراماته: أن تلميذه يوسف بن الحسين الرّازي دخل عليه، فقال له: ما يقول الناس فيّ؟ قال: زنديق. فقال: الأمر سهل حيث لم يقولوا يهودي، فإنّ الناس تنفرو قلوبهم من اليهود أشدّ، فخرج فسمعهم يقولون: يهودي. فعاد فأخبره، وخرج فوجد فقهاء إخميم تعصبوا، ونزلوا إلى زورق ذاهبين إلى سلطان مصر ليشهدوا بكفره، فانقلب الزورق بهم، والناس ينظرون، فغرقوا حتى الملاح، فقيل له: ما بال الرّيس؟ قال: حمل الفساق.

ودخل غلام من غلمانه بغداد، فسمع قوالاً، فصاح ووقع ميّتاً، فلما دخل ذو الثون بغداد، وسأل عن القوال، قال له: قل. فقال، فصاح ذو الثون، فخرّ القوال ميّتاً، فخرج وهو يقول: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

وأخرج ابن الطحّان في «ذيل تاريخ مصر» في ترجمة ذي الكفل، وهو أخو ذي الثون، أنّ رجلين اختصما في ثلاث مئة إردب^(١) قمح، فاعترف أحدهما بالحق، وادّعى العجز، فوعظه ذو الثون، فأصرّ، فقال لصاحب الدين: تُصالحه على مئة إردب؟ فرضي، فقال لأخيه ذي الكفل: كل له من هذا البيت، وأوماً إلى بيت مهجور مملوء بالتراب، ففتحه، فرأى القمح يخرج من شقوقه، فكال له مئة، فقال: أردد الباب، فعاد مملوءاً تراباً كما كان.

وقال بكر بن عبد الرّحمن: كنتُ معه في البادية فجلسنا تحت [شجرة]^(٢) أمّ غيلان، فقلتُ: ما أطيب الموضع! لو كان فيه رُطب. فحرّك الشجرة، وقال: أقسمتُ عليك بالذي ابتدأك وخلقتك شجرة إلا نثرت علينا رُطباً جنياً، فتساقط علينا الرُطب، فأكلنا وشبعنا، ثمّ نمّت وقرمت فحرّكت الشجرة فنثرت شوكة.

وكسر إنسانُ ثنيةً آخر، فأراد التّرافع للأمير، فمراً على الشيخ، فأخذها ووضعها في محلّها، فوجد الرّجل أسنانه كما كانوا، ولم ير لمحلّ القلع أثراً.

(١) الإردب: كَيْل لأهل مصر، يسع ٢٤ صاعاً، أو ٣٦ صاعاً، يختلف باختلاف الصاع في مختلف البلدان. متن اللغة (ردب).

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من روض الرياحين ٣٠٥ (حكاية ٢٥١).

وقال السُّلَمي : دخلتُ عليه^(١) ، فرأيتُ بين يديه طَسْتاً من ذهبٍ ، وحوْلَه نَدٌّ وعنبرٌ ، فأعطاني درهماً ، فنفقت^(٢) منه إلى أن وصلتُ إلى مقصدي^(٣) .

ومن وقائعه في سياحاته ما حكى ، قال : بينا أنا أسيرُ في نواحي الشَّام ، إذ وقعتُ على روضةٍ خضراءَ ، وإذا بشابٌ يُصليُّ تحتَ شجرةٍ ، فسَلَّمْتُ ، فأوجزَ في صلاتِهِ ، ولم يردِّ ، ثم كتبَ بأصبعه في الأرض :

مُنِعَ اللِّسَانُ مِنَ الكَلَامِ لِأَنَّهُ سَبَبُ الرَّدَاءِ وَجَالِبُ الآفَاتِ
فَإِذَا نَطَقْتَ فَكُنْ لِرَبِّكَ ذَاكِرًا وَإِذَا سَكَتَ فَعُدُّ مَوْتَكَ آتِ

قال : فبكيْتُ ، وكتبْتُ بأصبعي في الأرض :

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَّبَلِي وَيَبْقَى الدَّهْرُ مَا كَتَبْتَ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسْرُكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

فصاحَ الشابُّ فماتَ ، فقمْتُ لأجهزَه وأدفنَه ، وإذا بقائلٍ : خلِّ عنه ، فإنَّ اللهَ وعدَه أن لا يتولاهُ إلا ملائكتُه ، فالتفتُ فلم أراه .

وقال : بينا أنا أسيرُ في بعضِ سياحتي ، فإذا أنا بصوتِ حزينٍ كئيبٍ مُوجعِ القلبِ ، أسمعُ الصَّوتَ ولا أرى الشَّخصَ ، وهو يقولُ : سُبْحَانَ مُفْنِي الدُّهُورِ ، سُبْحَانَ مُخَرَّبِ الدُّورِ ، سُبْحَانَ بَاعِثِ مَنْ فِي القُبُورِ ، سُبْحَانَ مُمِيتِ القُلُوبِ ، فأتبعتُ الصَّوتَ فإذا بإنسانٍ يقولُ : سُبْحَانَ مَنْ لا يَسْعُ الخَلْقَ إِلَّا سِتْرُهُ ، سُبْحَانَكَ مَا أَلْطَفَكَ بِمَنْ خَالَفَكَ ، وَأَوْفَاكَ بِعَهْدِكَ ، سُبْحَانَكَ مَا أَحْلَمَكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ وَخَالَفَ أَمْرَكَ . ثمَّ قال : سيِّدي ، بحلمِكَ نطقْتُ ، وبفضلِكَ تكلمْتُ ، فيا إلهَ مَنْ مضى قبلي ، وَمَنْ سَيَكُونُ بَعْدِي ، بالصَّالِحِينَ فَالْحَقْنِي ، ولأَعْمَالِهِمْ وَفَقْنِي ، ثمَّ قال : إِنَّ الزُّهَادَ والعُبَادَ نَزَلَ بِهِم الزَّمَانُ فَأَبْلَاهُمْ ، وحلَّ بِهِم البَلَاءُ فَأَفْنَاهُمْ ، فهل أنتظرُ إلا مثلَ ما أصابَهُمْ ؟ فانصرفْتُ وتركتهُ باكيًا .

(١) في (أ) : دخلت عليه في مصر .

(٢) في (أ) : فنفقت .

(٣) في (أ) إلى مصر ، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٤٩/٨ : إلى بلخ .

وقال: وُصِفَ لي رجلٌ بالجبلِ المُقَطَّمِ، فقصدتهُ، فمكثتُ عندهُ أربعينَ يوماً، ثم سألتُهُ، فقلتُ: فيمَ النِّجاةُ؟ قال: في التَّقوى والمُراقِبَةِ. قلتُ: زدني، قال: فرَّ من الخَلْقِ ولا تأنسَ بهم، قلتُ: زدني. قال: إنَّ اللهَ عباداً حالفوه، فسقاهم كأساً من محبَّتِهِ، فهم في شربهم عطاشٌ، وفي عطشهم أروياء، ثمَّ تركني.

وقال: صحبتُ زنجياً في التيه، فكان إذا ذكرَ اللهَ ابْيَضَّ، فوردَ عليَّ أمرٌ عظيمٌ، فسألتهُ^(١)، فأنشدَ:

ذكرنا وما كُنَّا لننسى فنذكرُ ولكن نسيمُ القُربِ يبدو فيظهَرُ
فأحيا به عني وأحيا به له إذ الحقُّ عنه مُخبرٌ ومُعبرٌ
ثم قال أيضاً:

أنتَ في غفلةٍ وقلبك ساهي نَفدَ العُمُرُ والذُّنوبُ كما هي
جمَّةٌ حُصِّلَتْ عليك جميعاً في كتابٍ وأنتَ عن ذلكَ لاهي
لم تُبادِرْ بتوبةٍ منك حتى صرتَ شيخاً فحبلُك اليومَ واهي
فاجتهدْ في فكِّكِ نفسِكَ واحذرْ يومَ تبدو السَّماتُ فوقَ الجِباهِ

وقال: دخلتُ مغاراً بجبلٍ فوجدتُ فيه رجلاً يتعبَّدُ، فسألتهُ عن مسألةٍ في المحبَّةِ، فذابَ كما يذوبُ الرِّصاصُ، ثمَّ صارَ قَدَرُ النُّطفَةِ بلا عَظْمٍ ولا لحمٍ، فالتقطتهُ بقُطنةٍ ودفنتُهُ.

وقال: بينا أنا أسيرُ في جبالِ بيتِ المقدسِ إذ سمعتُ قائلاً يقولُ: ذهبَتِ الآلامُ عن أبدانِ الخُدَّامِ، ولهيتُ بالطَّاعَةِ عن الشُّرابِ والطَّعامِ، وألِفَتِ أبدانُهُم طولَ القيامِ، بينَ يَدَيِ المَلِكِ العَلامِ؛ فتبِعْتُ الصَّوتَ، فإذا شابُّ أمرُدٌ، قد علاهُ اصفرارٌ، يَميلُ مِثْلَ الغُصنِ إذا مِيلَتَهُ الرِّيحُ، فلَمَّا رآني توأرى مِنِّي بالشَّعيرِ، فقلتُ له: ليسَ الجَفَاءُ من أخلاقِهِم، فأوصني، فخرَّ ساجداً، وجعلَ يقولُ: هذا مقامٌ منْ لاذِ بكِ، واستجارَ بمعرفتِكَ، وألِفَ محبَّتِكَ؟! فيا إلهَ القلوبِ،

(١) في حلية الأولياء ٣٩١/٩: فسألته: لم يا هذا، إنك إذا ذكرت الله تحول لونك، وانقلبت عيناك؟

وما تحويه من جلالِ عظمتِكَ، احجِّبني عن القاطعينَ لي عنكَ، ثم غابَ فلم أره.

وقال: رأيتُ في جبلِ لبنان رجلاً أغبرَ نحيفاً يُصلي، فسَلَّمْتُ، فردَّ، فما زال راکعاً ساجداً حتى صَلَّى العصرَ، ثم استندَ إلى حجرٍ، ولم يُكلمني، فقلتُ: ادعُ لي، قال: آنسَكَ اللهُ بقُربه، قلتُ: زدني، قال: مَنْ آنسَهُ اللهُ بقُربه أعطاهُ أربعاً^(١): عزّاً من غيرِ عشيرةٍ، وعِلماً من غيرِ طلبٍ، وغِنىً بغيرِ مالٍ، وأنساً بغيرِ جماعةٍ، ثم شهقَ، فلم يفق إلا بعدَ ثلاثٍ، فقال: انصرفَ عني بسلامٍ، قلتُ: أوصيني، قال: أحبِّبْ مَولَاكَ، ولا ترُدْ بحُبِّه بدلاً.

وقال: بينا أنا أسيرُ في جبالِ أنطاكية، إذا بجاريةٍ كأنها مجنونةٌ، عليها جُبَّةٌ صُوفٍ، فسَلَّمْتُ فردَّتْ، وقالت: [ألسَتَ] ^(٢) ذا التُّون؟ قلتُ: كيف عرفتيني؟ قالت: بمعرفةِ حُبِّ الحبيبِ، ثم قالت: ما السَّخاءُ؟ قلتُ: البذلُ والعطاءُ، قالت: هذا سخاءُ الدُّنيا، فما سخاءُ الدِّينِ؟ قلتُ: المُسارعةُ إلى طاعةِ ربِّ العالمينِ، قالت: فإذا سارعتَ إلى طاعته، فهو أن يطلعَ على قلبك وأنت لا تريدُ منه شيئاً، ويحك، إني أريدُ أن أطلبَ منه شيئاً منذُ عشرينَ سنةً فأستحيي منه مخافةً أن أكونَ كأجيرِ السَّوءِ، إذا عملَ طلبَ الأجرِ، لكنْ أعملُ تعظيماً لهيبته وعزِّ جلاله، وذهبتُ وتركتني.

وقال: رأيتُ في تيه بني إسرائيلِ سوداءَ قد استلبها الوله من حُبِّ الرِّحمنِ شاخِصَةً يبصرُها نحو السَّماءِ، فقلتُ: السَّلَامُ عليك يا أختاه، قالت: وعليك السَّلَامُ يا ذا التُّون. قلتُ: من أين عرفتيني؟ قالت: يا بطال، إنَّ اللهَ خلقَ الأرواحَ قبلَ الأجسادِ بألفي عامٍ، ثم أدارها حولَ العرشِ، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ، فعرفتُ رُوحِي رُوحَكَ في ذلكَ الجَوْلانِ، قلتُ: أراكِ حكيمةً، فعلميني ممَّا علَّمَكَ اللهُ. قالت: يا أبا الفيضِ، ضَعُ على جوارحك ميزانَ القِسْطِ، حتى يذوبَ كلُّ ما كانَ لغيرِ اللهِ، ويبقى القلبُ مصفًى

(١) في (أ): أربع خصال.

(٢) ما بين معقوفين مستدرَك من صفة الصفوة ٤/٤٣٠، والمختار ٤٤٤/ب.

لا شيء فيه غيره، فحينئذ يُقيمك على الباب، ويوليك ولاية جديدة، ويأمر الخزان لك بالطاعة، قلتُ: زيديني، قالت: خذ من نفسك لنفسك، واطع الله إذا خلوت، يُجيبك إذا دعوت، والسلام.

وقال: كنتُ في جبلٍ لكّام، فرأيتُ رجلاً قاعداً مُطرقاً، فقلتُ: ما تصنعُ هنا؟ قال: أنظرُ وأرعى، قلتُ: ما أرى عندك إلا الأحجار، فما الذي تنظرُهُ وترعاه؟ فنظرَ إليّ مُغضباً، وقال: أنظرُ خواطرَ قلبي، وأرعى أوامرَ رَبِّي، فبحقِّ مَنْ أطلعَكَ عليّ إلا رحمتَ عني، قلتُ: كَلِّمْنِي بشيءٍ أنتفعُ به وأذهب، قال: مَنْ لزمَ البابَ أثبتَ من الخدم، وَمَنْ أَكثَرَ ذَكَرَ الذُّنُوبَ أعقبَهُ كثرةُ النَّدَمِ، وَمَنْ استغنى باللهِ أَمِنَ من العَدَمِ، ثم تركني ومضى.

وقال: مررتُ في وادي كنعان ليلاً، وإذا بشخصٍ أقبلَ يقرأ: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فلما قَرَّبَ إذا به امرأة، فقالت: مَنْ أنت؟ قلتُ: غريب، قالت: وهل تجدُ مع الله غربةً، وهو مؤنسُ الغرباء، ومُعِينُ الضُّعفاءِ؟ فبكيْتُ، فقالت: ما هذا البكاء؟ قلتُ: قد وقعَ الدَّواءُ على الدَّاءِ، قالت: إن كنتَ صادقاً فلمَ بكيتَ؟ قلتُ: والصَّادِقُ لا يبكي؟ قالت: لا، لأنَّ البكاءَ راحةُ القلبِ، وسلجاً يُلجأُ إليه، وما كتمَ القلبُ شيئاً أحقَّ من الشَّهيقِ والزَّفِيرِ، وأمَّا البكاءُ فهو ضعفٌ.

وقال: كنتُ على شاطئِ النَّيلِ، فرأيتُ عَقرباً، فأردتُ قتلها، فهربتُ، فوقفْتُ على الشَّاطِئِ، فركبتُ على ظهرِ ضفدعة، فقامتُ بها حتى وصلتُ للجانبِ الآخرِ، فنزلتُ عن ظهرها، وإذا برجلٍ نائمٍ وهو سكرانٌ، وثعبانٌ قد أقبلَ عليه ليلدغهُ، فأسرعتُ العقربُ نحو الثُّعبانِ فلدغته فتقطَّعَ، فأيقظتُ الرَّجُلَ، فقامَ مرعوباً، فأخبرته الخبرَ، فأطرقَ ثمَّ قال: يا رَبِّ، هكذا تفعلُ بنو عَصاك، فكيفَ بمنْ أطاعَكَ؟ فوعزَّتِكَ لا عصيتُكَ أبداً.

وقال: اجتمعتُ في جبلِ بَيْسانِ بامرأةٍ مُتعبدةٍ كالشَّنِّ البالي، كأنها تُخبرُ عن أهلِ المقابرِ، فسألْتُها: أينَ وطنُك؟ قالت: مالي وطنٌ إلا النَّارُ، أو يعفوَ العزيزُ الغفَّارُ، قلتُ: هل مِنْ وصيةٍ؟ قالت: شمَّرُ عن ساقِ الجدِّ، ودَعُ ما يتعلَّقُ به البطَّالونَ من الرِّجاءِ الكاذبِ، الذي لا تحقيقَ لهم فيه، ولا يدرون

كيف العواقب ؟ فوالله لا يَرُدُّ غداً المنزلَ إلا المضمَّرون .

وقال : ركبْتُ سفينةً ، فسُرقتَ منها قَطيْفَةٌ ، فأتَّهموا رجُلًا نائمًا ، فقلتُ : دعوني أترقُّ به ، وإذا الشابُّ أخرجَ رأسَه من عباءته ، وقال : أقسمتُ عليك بي يا ربُّ (١) ، لا تدعُ واحداً من الحيتانِ إلا أتى بجوهرةٍ ، وإذا بوجه الماءِ كلُّه حيتانٌ ، في أفواهاها الجواهرُ ، ثم ألقى نفسه في البحرِ ، ومرَّ على وجه الماءِ إلى السَّاحلِ كالبرقِ .

وقال : رأيتُ شابًّا عند الكعبةِ يُكثِرُ الرُّكوعَ والسُّجودَ ، فقلتُ له فيه ، فقال : أنتظرُ الإذنَ من ربِّي بالانصرافِ ، فسقطتُ عليه رقعةٌ : من العزيزِ الغفورِ إلى عبدي الصَّادقِ ، انصرفِ مغفوراً لك .

وقال : مررتُ في سياحتي برجلٍ عند (٢) عينِ ماءٍ تجري ، فأقمتُ عليه يوماً وليلةً ، فلم يُكلِّمني ، ثم قال : رأيتُك يا بطالُ حين أقبلتَ ، لكن ما ذهبَ روعُك من قلبي إلى الآن ، قلتُ : ما الذي أفزعك مني ؟ قال : بطالتُك في يومِ عمليكَ ، وشغلتُك في يومِ فراغِكَ ، وتركتُك الزَّادَ ليومِ ميعادِكَ ، ومقامُك على المظنونِ ، قلتُ : إنَّ الكريمَ ما ظنَّ به أحدٌ شيئاً إلا أعطاهُ ، قال : إنَّه لكذلك إذا وافقه عملٌ صالحٌ وتوفيقٌ ، قلتُ : أوصني . قال : عليك بمُعاتبَةِ نفسك إذا دعيتُك إلى بليَّةٍ ، ومُنابذتها إذا دعيتُك إلى فترَةٍ ، فإنَّ لها مكرأً وخِداعاً ، فإذا فعلتَ هذا أغناكَ عن الخلقِ وسلَّمَكَ (٣) عن مُجالسةِ الفاسقين .

وقال : رأيتُ بسواحلِ الشَّامِ امرأةً ، فقلتُ : من أين أقبلتِ ؟ قالت : من عند قومٍ ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] قلتُ : وإلى أين ؟ قالت : إلى قومٍ ﴿ لَا نُلْهِهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧] .

وقال : رأيتُ على شاطئِ البحرِ جاريةً مكشوفةَ الرَّأسِ ، مُسفرةً ، فقلتُ لها : استري وجهك بخمارٍ ، قالت : ما يصنعُ الخِمارُ بوجهٍ قد علاهُ الاصفراءُ ،

(١) في (أ) : أقسمت عليك يا رب .

(٢) في المطبوع : عنده .

(٣) في (أ) : وسلاك .

إليك عني يا بطال، فإني شربت البارحة بكأس المحببة مسرورة، فأصبحت اليوم من حبه مخمورة، قلت: أوصني، قالت: عليك بالسكوت، ولزوم البيوت، وارض^(١) بالقوت، حتى تموت.

وقال: رأيت في سياحتي شيخاً، فقلت: كيف الطريق إلى الله؟ قال: دغ طريق الخلاف والاختلاف. قلت: أليس «اختلاف العلماء رحمة»^(٢)؟ قال: إلا في تجريد التوحيد. قلت: ما تجريدُه؟ قال: فقدان رؤية ما سواه لوجدانه، قلت: هل يكون العارف مسروراً؟ قال: وهل يكون محزوناً؟ قلت: أليس من عرف الله طار همُّه؟ قال: بل من عرفه زال همُّه، قلت: أليس من عرفه^(٣) صار مستوحشاً؟ قال: معاذ الله، بل يكون مهاجراً متجدداً، قلت: وهل يأسف العارف على شيء غير الله؟ قال: وهل يعرف غير الله فيأسف عليه؟ قلت: وهل يشتاق إلى ربه؟ قال: وهل يغيب عنه طرفة عين حتى يشتاقه؟ قلت: ما اسمُ الله الأعظم؟ قال: أن تقول (الله) وأنت تهابه. قلت: كثيراً ما أقوله، ولا تُداخلني هيبة، قال: لأنك تقول (الله) من حيث أنت لا من حيث هو، قلت: عطني، قال: حسبك من الموعظة علمك بأنه يراك، قلت: فما تأمرني. قال: اطلعْه عليك في جميع أحوالك لا تنسه.

(١) في (أ): والرضا.

(٢) رواه البيهقي في المدخل بسند منقطع عن ابن عباس باللفظ: «... واختلاف أصحابي رحمة» وبهذا الوجه أخرجه الطبراني، والدلمي بلفظه، وفيه ضعيف. ذكره الخطابي، والاختلاف في الدين ثلاثة أقسام: الأول في إثبات الصانع ووجدانيته، وإنكاره كفر. والثاني: في صفاته ومشيبته، وإنكارهما بدعة. والثالث: في أحكام الفروع المحتملة وجوهاً، فهذا جعله الله رحمة وكرامة للعلماء. قال النووي في «شرح مسلم»: ولا يلزم من كون الشيء رحمة أن يكون ضده عذاباً، ولا يلزم هذا ويذكره جاهل أو متجاهل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [القصص: ٧٣] فسَمَى الليل رحمة، ولا يلزم من ذلك أن يكون النهار عذاباً. انظر كشف الخفا ٦٥/١ (اختلاف أمي رحمة).

(٣) في المطبوع تقديم وتأخير.

وكَلَّمُوهُ وَهُوَ فِي النَّزْعِ، فَقَالَ: لَا تَشْغَلُونِي، فَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ كَثْرَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِي^(١).

وَلَمَّا احْتَضَرَ قِيلَ لَهُ: مَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: أَنْ أَعْرِفَهُ قَبْلَ مَوْتِي.

مَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتِينَ، وَدُفِنَ بِالْقَرَّافَةِ، وَقَبْرُهُ بِهَا ظَاهِرٌ مَقْصُودٌ بِالزِّيَارَةِ، وَعَلَيْهِ أَنْسٌ وَمَهَابَةٌ، وَهُوَ بِقُرْبِ قَبْرِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ الصَّحَابِيِّ، وَقِيلَ: بَلْ هُوَ وَعُقْبَةُ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الثَّلَاثَةُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ.

وَعِنْدَ قَبْرِ ذِي الثُّونِ قَبْرُ صَاحِبِ الدَّرَابَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ ذَا الثُّونِ قِيلَ لَهُ فِي النَّوْمِ: اقْعُدْ غَدًا عَلَى شَفِيرِ الْخَنْدَقِ يَجِيءُ مَيْتٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، فَصَلِّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فَقَعَدَ فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْمِلَانِ مَيْتًا عَلَى دَرَابَةٍ، فَوَضَعُوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَدَفَنَهُ وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ تَحْتَ رِجْلَيْهِ.

عجبية:

حَكَى صَاحِبُ التَّرْجُمَةِ عَنِ الْجَوْهَرِيِّ أَنَّهُ خَرَجَ بِالْعَجِيِّينَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْفُرْنِ، وَهُوَ جُنُبٌ، فَجَاءَ إِلَى شَطِّ النَّيْلِ^(٢)، فَنَزَلَ الْمَاءَ لِيَغْتَسِلَ، فَرَأَى وَهُوَ فِي الْمَاءِ مِثْلَ مَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّهُ بِبَغْدَادٍ، وَقَدْ تَزَوَّجَ؛ وَأَقَامَ مَعَ الْمَرْأَةِ سِتِّ سِنِينَ، وَأَوْلَدَهَا أَوْلَادًا، ثُمَّ رُدَّ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ فِي الْمَاءِ، فَخَرَجَ وَلَبِسَ ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ خُبْرَهُ مِنَ الْفُرْنِ، وَجَاءَ بَيْتَهُ وَأَخْبَرَ أَهْلَهُ بِمَا أَبْصَرَ، فَبَعْدَ أَشْهُرٍ جَاءَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الَّتِي رَأَى أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا فِي تِلْكَ الْوَاقِعَةِ، تَسْأَلُ عَنْ دَارِهِ، فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا، وَعَرَفَ الْأَوْلَادَ، وَقِيلَ لَهَا: مَتَى تَزَوَّجَكِ؟ قَالَتْ: مِنْذُ سِتِّ سِنِينَ وَهُؤُلَاءِ^(٣) أَوْلَادُهُ مِنِّي، فَخَرَجَ فِي الْحَسْرِ مَا وَقَعَ فِي الْخِيَالِ.

قَالَ ابْنُ عَرَبِي: وَهَذِهِ مِنْ مَسَائِلِ ذِي الثُّونِ الَّتِي تُحِيلُهَا الْعُقُولُ، فَلِلَّهِ

(١) جَاءَ فِي (أ) بَعْدَهَا: أَسْنَدٌ عَدَّةٌ أَحَادِيثَ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ كَمَالِكٍ، وَاللَيْثِ، وَابْنِ عِيْنَةَ، وَعِيَاضٍ كَمَا تَقْدُمُ.

(٢) فِي (أ): إِلَى شَطِّ النَّيْلِ بِمِصْرَ.

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ: وَهَذِهِ.

قوى في العالم خلقها مختلفة الأحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم السمع والبصر وغيرهما، فاختص الله أولياءه بقوى لها مثل هذه الحكاية، فلا يُنكرها إلا جاهل بما ينبغي للجناب الإلهي من الاقتدار، ولا يعرف هذا القرب إلا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي وما يجده العالم به من الأمور الواسعة في النفس الفرد^(١) وطرفة العين، ثم يرى أثر ذلك في الحس بعين الخيال، فيعرف هذا القرب وتضاعف السنين في الزمن القليل من زمان الحياة^(٢) الدنيا. انتهى.

* * *

(١) في المطبوع: المفرد.

(٢) في الأصول: والحياة.

(حرف الزاي)

(٢٤٨) زهراء الوالهة^(*)

كانت من عقلاء المجانين ، وأكابر العارفين .

قال ذو الثون : بينا أنا أطوف في بعض أودية بيت المقدس سمعت قائلاً :
يا ذا الأيادي التي لا تُحصى ، ويا ذا الجود والبقاء ، متع بصَرَ قلبي بالجولان في
بساتين جبروتك ، واجعل همّتي مُتَّصِلةً^(١) بجود لطفك يا لطيف ، وأعدني من
مسالك المتحيرين^(٢) بجلالك وبهائك يا رؤوف ، واجعلني لك في الحالات
خادماً وطالِباً ، وكُنْ لي يا مُنورَ قلبي ، ويا غايةَ طلبتي [في القصد]^(٣) صاحباً ،
فتبعُ الصَّوتَ فإذا امرأةٌ كأنها عودٌ مُحترقٌ ، عليها دِرْعُ صُوفٍ ، وخِمارُ شعرٍ
أسود ، قد أضناها الجهدُ ، وقتلها الكمدُ ، وذوّبها الحُبُّ ، فقلتُ : السَّلامُ
عليك . قالت : عليك السَّلامُ يا ذا الثون ، قلتُ : كيفَ عرفتِ اسمي ولم
تريني ؟ قالت : كشفَ عن سرِّي الحبيبُ ، فرفعَ لقلبي^(٤) حِجابَ العمى ،
فعرَّفني اسمك . فقلتُ : ارجعي لمُناجاتِكِ ، فقالت : أسألكِ يا ذا البهاءِ أن
تصرفَ عني شرَّ ما أجدُ ؛ فقد استوحشتُ من الحياةِ ، ثم خَرَّتْ ميتةً ، فبقيتُ

(*) صفة الصفوة ٤/٣٥٣ ، المختار من مناقب الأخيار ٤٠٩/ب ، روض الرياحين ١١٢ (الحكاية ٤٠) .

(١) في المطبوع : واجعل همي متصلاً .

(٢) في المطبوع : المتجبرين .

(٣) ما بين معقوفين من روض الرياحين .

(٤) في روض الرياحين : عن قلبي .

مُنْحِيْرًا، فَأَقْبَلْتُ عَجُوْزًا كَالْوَالِيْهَةِ، نَظَرْتُ، ثُمَّ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَكْرَمَهَا،
قُلْتُ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: ابْنَتِي زَهْرَاءُ الْوَالِيْهَةِ^(١)، لَهَا مِنْذُ عَشْرِيْنَ سَنَةً تُوْهِمُ
النَّاسَ أَنَّهَا مَجْنُوْنَةٌ، وَإِنَّمَا قَتَلَهَا الشُّوْقُ إِلَى رَبِّهَا تَعَالَى.



(١) فِي رَوْضِ الرِّيَّاحِيْنَ: أَنَا زَهْرَاءُ الْوَالِيْهَةِ، وَهَذِهِ ابْنَتِي.

(حرف السين)

(٢٤٩) السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ (*)

خالُ الجُنَيْدِ وأُسْتَاذُهُ، إِمَامٌ أَزْهَرَتْ رَوْضَةُ رِيَاستِهِ، وَاشْتَهَرَتْ أَخْبَارُ تَرْبِيَتِهِ وَسِيَادَتِهِ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ مَشِيخَةُ الصُّوفِيَّةِ، وَتَفَجَّرَتْ عِيُونُ مَوْرِدِهِ فِي الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ وَجِيهًا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالْأَكَابِرِ، مُعْظَمًا بَيْنَ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْمَحَابِرِ.

أَخَذَ عَنِ: الْكَرْخِيِّ، وَغَيْرِهِ.

وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ: الْفُضَيْلِ، وَهُشَيْمِ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ عِيَّاشِ، وَعَلِيِّ بْنِ غُرَابِ، وَيَزِيدِ بْنِ هَارُونَ.

وَرَوَى عَنْهُ: الْجُنَيْدُ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ مَسْرُوقٍ، وَإِبْرَاهِيمُ الْمُخَرَّمِيُّ^(١)، وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ السُّلَمِيُّ: وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ بِبَغْدَادَ لِسَانَ التَّوْحِيدِ، وَتَكَلَّمَ فِي الْحَقَائِقِ وَالْإِشَارَاتِ، وَكَانَ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَرِعًا وَزُهْدًا، ذَا أَحْوَالٍ وَمَقَامَاتٍ.

(*) طبقات الصوفية ٤٨، حلية الأولياء ١١٦/١٠، تاريخ بغداد ١٨٧/٩، الرسالة القشيرية ٦٩/١، صفة الصفوة ٣٧١/٢، المختار من مناقب الأخيار ١٧٤/أ، وفيات الأعيان ٣٥٧/٢، مختصر تاريخ دمشق ٢١٥/٩، سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٢، العبر ٥/٢، الوافي بالوفيات ١٥/ترجمة ١٩٣، مرآة الجنان ١٥٨/٢، البداية والنهاية ١٣/١١، طبقات الأولياء ٢٣٢، لسان الميزان ١٣/٣، النجوم الزاهرة ٣٣٩/٢، طبقات الشعراني ٧٤/١، شذرات الذهب ١٢٧/٢، جامع كرامات الأولياء ٢١/٢.

(١) في المطبوع: المخزومي تحريف. انظر الأنساب ١٨٠/١١.

وسبب توبته أنه مرَّ بجارية سقط منها شيءٌ فانكسر، فارتابت، فأعطاها
بدله، والكرخي ماژ، فنظر إليه، فأعجبه صنعه، فقال: بغض الله إليك الدنيا،
وأراحك ممّا أنت فيه، فترك حانوته، وقام وهام.

ومن فوائده:

عجبت لمن يُنشد ضالته وقد أضلَّ نفسه، وعجبت لمن سافر في طلب
الربح، ولم يربح تاجرٌ مثل نفسه.

وقال للجنيّد: يا غلام، احفظ عني، المعرفة تُرفرف على القلب، فإن كان
فيه حياة، وإلا ارتحلت.

ودخل عليه الجنيّد فقال له: يا جنيّد، عُصفورٌ يجيء كلَّ يوم أفث له الخبز
في يدي، فيأكله، فنزل الساعة ولم يسقط على يدي، فتذكرت أنني أكلت ملحاً
بأبزار^(١)، فآليت أن لا آكله بعدها، فعاد كما كان.

وقال: القلوب ثلاثة: قلب كالجبل لا يُزعزعه شيءٌ، وقلب كالنخلة أصلها
ثابت والريح يُميلها، وقلب كالريشة يُميلها الريح يميناً وشمالاً.

وقال: علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس.

وقال: من أحب أن يسلم له دينه، ويقلَّ همُّه وغمُّه، فليعتزل عن الناس.

وقال: أقوى القوة أن يغلب النفس على شهواتها، ومن عجز عن أدب
نفسه، فهو عن غيره أعجز.

وقال: من تزين للناس بما ليس فيه، سقط من عين الله.

وقال: اللهم، مهما عذبتني بشيء فلا تُعذّبني بذلّ الحجاب.

وقال: لي منذ أربعين سنة تُطالبني نفسي بغمس جزيرة^(٢) في دبس فما
أطعتها^(٣).

(١) في حلية الأولياء ١٠/١٢٣: ملحاً ط. أ.

(٢) في المطبوع: فريزة.

(٣) في (ب): أطعتها.

وقال : آه على لقمة ليس لله عليّ فيها تبعه ، ولا لمخلوقٍ فيها منة .

وقال : انتهيتُ إلى حشيشٍ في جبلٍ ، وماءٌ يخرجُ منه ، فتناولتُ من الحشيشِ ، وشربتُ من الماءِ ، وقلتُ لنفسي : إن كنتِ أكلتِ يوماً حلالاً فهذا ، فهتفَ بي هاتِفٌ : القُوَّةُ التي أوصلتكَ إلى هذا الموضعِ ، من أين هي ؟ فرجعتُ وندمتُ .

وذكرَ عنده حديثُ الوجودِ الحادِّ الغالبِ ، فقال : هو أن يُضربَ وجهُهُ بالسيفِ وهو لا يدري ، فروجعَ فيه ، واستبعدَ ، فلم يرجع .

وقال : عجباً لضعيفٍ كيف يعصي قوياً ؟!

وقال : أهلُ الحقائقِ ، مَنْ أكلهُ أكلُ المرَضَى ، ونومُهُ نومُ الغرقى .

وقال : لو دخلَ رجلٌ بُستاناً فيه من كلِّ ما خلقَ الله من الأشجارِ ، وعليه كلُّ ما خلقَ من الأطيّارِ ، فخاطبهُ كلُّ طائرٍ منها بلغته : السَّلَامُ عليك يا وليَّ الله ، فسكنتُ نفسه لذلك ، كان في يديها أسيراً .

وقال : إنّ في النَّفسِ لشُغلاً عن النَّاسِ .

وقال : المَغْبُونُ مَنْ فَنِيَتْ أَيَّامُهُ بالتَّسْوِيفِ ، والمَغْبُوطُ مَنْ تَمَنَّى الصَّالِحُونَ مقامَهُ .

قال : وسُئِلَ حَكِيمٌ : متى يكونُ العالمُ مُسيئاً ؟ قال : إذا كُثِرَتْ بقبقتُهُ ، وانتشرتْ كتُّبه ، وغضبَ أن يُردَّ عليه شيءٌ من كلامه .

وقال : احذرْ أن تكونَ ثناءً منشوراً ، وعيباً مستوراً .

وقال : جاءني أبو جعفر السَّمَّاكُ ، وكان شديدَ الولِّه ، فوجدَ حولي جمعاً ، فوقفَ ولم يقعد ، ثمَّ نظرَ إليّ ، وقال : صرّتَ مُناجياً للبطّالين . فكره اجتماعهم حولي .

وقال : الشُّكْرُ أن لا يُعصى اللهُ في نعمه .

وقال : مَنْ ذَكَرَنِي بسوءٍ^(١) فهو في حِلٍّ إلا رجلاً تعمّدني بشيءٍ يعلمُ مِنِّي خِلافَهُ .

(١) في (ب) : بشيء .

وقال: مِنَ النَّاسِ مَنْ لَوْ مَاتَ نِصْفُ أَحَدِهِمْ مَا انزَجَرَ النِّصْفُ الْآخَرَ، وَلَا أَحْسَبُنِي إِلَّا مِنْهُمْ.

وقال: الشَّوْقُ وَالْأُنْسُ يَرِفْرِفَانِ عَلَى الْقَلْبِ، فَإِنْ وَجَدَا فِيهِ هَيْبَةً وَإِجْلَالًا وَإِلَّا ارْتَحَلَا.

وقال: لَوْلَا الْجُمُعَةُ وَالْجَمَاعَاتُ سَدَدَتْ عَلَى نَفْسِي الْبَابَ.

وقال: كَيْفَ يَسْتَنِيرُ قَلْبُ فَقِيرٍ، يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ قَاضٍ، أَوْ مَنْ غَشَّ فِي مَعَامِلَتِهِ.

وقال: مَنْ أَصْغَى إِلَى قَوْلِ النَّاسِ عَنْهُ أَنَّهُ وَلِيٌّ، فَهُوَ أَسِيرٌ فِي يَدِ نَفْسِهِ مَابْرَحَ.

وقال: ثَلَاثَةٌ مِنْ عِلَامَةِ سَخَطِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ: كَثْرَةُ الْغَفْلَةِ، وَالِاسْتِهْزَاءُ بِالنَّاسِ، وَالْغَيْبَةُ.

وقيل له: كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: إِنْ أَرَدْتَ الْعِبَادَةَ، فَعَلَيْكَ بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَإِنْ أَرَدْتَ اللَّهَ، فَاتْرُكْ كُلَّ مَا سِوَاهُ، تَصِلْ إِلَيْهِ، لَيْسَ إِلَّا الْمَسَاجِدَ وَالْخِرَابَ.

وقال: لَا تَكْمُلُ مَحَبَّةٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ حَتَّى يَقُولَ كُلُّ لِلْآخِرِ: يَا أَنَا.

وقال: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْبَطَ لِلْعَمَلِ، وَلَا أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ، وَلَا أَسْرَعَ لِهَلَاكِ الْعَبْدِ، وَلَا أَدْوَمَ لِلْأَضْرَارِ^(١)، وَلَا أَقْرَبَ لِلْمَقْتِ، وَلَا أَلْزَمَ لَطَرِيقِ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاسَةِ مِنْ قِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِذُنُوبِهِ.

وقال: الدُّنْيَا أَفَاعِي قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ، وَسَخَّارَةُ قُلُوبِ الْعُبَادِ وَالْقُرَّاءِ^(٢).

وقال: كَمْ مِنْ أَطْبَقَ أَهْلُ بَلَدِهِ عَلَى اعْتِقَادِهِ، وَهُوَ مِنَ الْهَالِكِينَ!

وقال: قَدْ تَوَعَّرَتْ طَرِيقُ الصَّالِحِينَ، وَقَلَّ فِيهَا السَّالِكُونَ، وَهُجِرَتْ فِيهَا

(١) فِي الْأَصُولِ: لِلْإِضْطِرَارَةِ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ مَخْتَصِرِ تَارِيخِ دِمَشْقِ ٢٢٦/٩.

(٢) الْخَبْرُ لَيْسَ فِي (أ).

الأعمال، وَقَلَّ فِيهَا الرَّاعِبُونَ، وَزُهِدَ الْحَقُّ^(١)، وَدَرَسَ هَذَا الْأَمْرَ، فَلَا أَرَاهُ إِلَّا فِي لِسَانِ كُلِّ بَطَالٍ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ، وَيُفَارِقُ الْأَعْمَالَ، قَدْ افْتَرَشَ الرُّخَصَ وَتَمَهَّدَ التَّأْوِيلَاتَ، وَاقْتَدَى بِذَلِكَ الْهَالِكُونَ.

وقال: مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي الظَّلَامِ، نُشِرَتْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَعْلَامُ.

قال الغزالي: وَأَرْسَلَ السَّرِيَّ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ شَيْئاً فَرَدَّهُ، فَقَالَ لَهُ: احْذَرُ آفَةَ الرَّدِّ؛ فَإِنَّهَا أَشَدُّ مِنْ آفَةِ الْأَخْذِ، فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ مَا قُلْتَ، فَأَعَادَهُ، فَقَالَ: مَا رَدَدْتُ إِلَّا لِأَنَّ عِنْدِي قُوَّةَ شَهْرٍ، فَاحْبِسْهُ عِنْدَكَ، وَأَرْسِلْهُ بَعْدَ شَهْرٍ.

وقال: قُلُوبُ الْعَارِفِينَ مُعَلَّقَةٌ بِالسَّوَابِقِ، وَقُلُوبُ الْأَبْرَارِ بِالْخَوَاتِيمِ، هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: بِمَاذَا يُخْتَمُ لَنَا؟ وَأَوْلَيْكَ: بِمَاذَا سَبَقَ مِنْ اللَّهِ لَنَا؟

وقال: مَنْ اشْتَغَلَ بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ، أَوْرَثَهُ حَلَاوَةَ ذِكْرِهِ مَرَارَةً مَا يَأْتِي بِهِ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ.

وقال: مَنْ اسْتَعْمَلَ التَّسْوِيفَ طَالَتْ حَسْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقال: الْأَدَبُ تُرْجَمَانُ الْعَقْلِ، وَاللِّسَانُ تُرْجَمَانُ الْقَلْبِ، وَالْوَجْهُ مِرَاةُ الْقَلْبِ، يَتَبَيَّنُ عَلَى الْوَجْهِ مَا تُضْمِرُهُ الْقُلُوبُ.

وقال: مَنْ أَطَاعَ مَنْ فَوْقَهُ، أَطَاعَهُ مَنْ دُونَهُ.

وقال: التَّوَكُّلُ الْإِنْخِلَاعُ عَنِ الْقُوَّةِ وَالْحَوْلِ.

وقال: رَأْسُ الْأَعْمَالِ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ؛ وَعَمُودُ الدِّينِ الْوَرَعُ، وَمُخُّ الْعِبَادَةِ الْجَوْعُ، وَضَبْطُ اللِّسَانِ حُصْنٌ حَصِينٌ، وَمَنْ شَكَرَ اللَّهَ جَرَى فِي مِيدَانِ الزِّيَادَةِ.

وقال: صَحِبْتُ شَيْخاً، فَأَقَمْتُ سَنَةً لَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ قُلْتُ: مَا الْمَعْرِفَةُ الَّتِي مَا فَوْقَهَا مَعْرِفَةٌ؟ قَالَ: أَنْ تَجِدَ اللَّهَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَنْمَحِيَ مِنْ سِرِّكَ كُلِّ شَيْءٍ، قُلْتُ: وَمَا يُوصِلُ إِلَى هَذَا؟ قَالَ: زُهْدُكَ فِيكَ، وَرَغْبَتُكَ فِيهِ، فَكَانَ كَلَامُهُ سَبَبَ نَفْعِي.

وقال: سَمِعْتُ بَرَجِلَ بِالْجَبَلِ مُجَابِ الدَّعْوَةِ، فَطَلَبْتُهُ، فَإِذَا بِخَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ

(١) فِي (أ): وَرَفُضَ الْحَقُّ.

المرضى والعُميانِ يَتَنظِّرونَ خُرُوجَه كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، ليدعوا لهم فيشفون، فخرج، فدعا لهم ورجع، فتعلقتُ به، وقلتُ: بي علةٌ باطنة، فقال: خلّ عني يا سريُّ؛ فإنه غيورٌ، لا يراك تُساكنُ غيره، فتسقطُ من عينه.

وقال: اطلبُ حياةَ قلبِكَ بمُجالسةِ أهلِ الفكرِ، واستجلبُ نورَ القلبِ بدوامِ الحُزنِ، وألحَّ في المسألةِ عندَ وجَلِ القلبِ، وإيّاكَ والتَّسويفَ.

ومرّضَ ولم يُرَ عليه تغيُّرٌ، فأخذَ الجُنيدُ بولَه، فذهبَ لطبيبِ نصرانيٍّ فتأمَّلَه، وقال: بولُ عاشِقٍ. فصعقَ الجُنيدُ، وأغميَ عليه، ثم أخبرَ السَّريُّ، فقال: قاتله اللهُ ما أخبره! ما كنتُ أظنُّ أنَّ الحُبَّ يظهرُ في هذا.

ماتَ ببغداد سنةَ إحدى، أو ثلاثٍ وخمسين ومئتين.

وقال له الجُنيدُ حالَ التَّرع: أوصني بوصيةٍ أنتزعُ بها بعدك، قال: إيّاكَ ومُصاحبةَ الأشرارِ، وأن تنقطعَ عن اللهِ بِصُحبةِ الأخيارِ^(١).

أسندَ الحديثَ عن: أبي بكر بن عيَّاش، ويزيد بن هارون، وهُشيم، وغيرهم.

* * *

(٢٥٠) سعيد بن إسماعيل (*)

سعيد بن إسماعيل، أبو عثمان الحيري^(٢)، شيخُ الجماعةِ ومُتقدِّمُ الضائفةِ، إمامٌ جليلٌ، وحَبْرٌ نبيلٌ، وعارِفٌ لا يحتاجُ نهارٌ فضله إلى دليلٍ.

(١) في (أ): الخبر مكرر بصورتين أولهما: وقال له الجنيد وهو محتضر: أوصني. فقال: لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل بمجالسة الأخيار.

(*) طبقات الصوفية ١٧٠، حلية الأولياء ١٠/٢٤٤، تاريخ بغداد ٩/٩٩، الرسالة التشريحية ١/١٢٠، الأنساب ٤/٢٨٩، المنتظم ٦/١٠٦، صفة الصفوة ٤/١٠٣، المختار من مناقب الأخيار ١٧٧/ب، وفيات الأعيان ٢/٣٦٩، سير أعلام النبلاء ١٠/٦٢، العبر ٢/١١١، الوافي بالوفيات ١٥/٢٠٠، مرآة الجنان ٢/٢٣٦، البداية والنهاية ١١/١١٥، طبقات الأولياء ٢٣٩، النجوم الزاهرة ٣/١٧٧، طبقات الشعراني ١/٨٦، شذرات الذهب ٢/٢٣٠.

(٢) في الأصول الجبري، والتصحيح من مصادر الخبر.

أصله من الرِّيِّ ونشأ بها، ثمَّ تحوَّلَ إلى نيسابور، فسكَّنها.
وسمِعَ الحديثَ على جماعةٍ.

قال الخطيب^(١): وكان مُجابَ الدَّعوة.

وقال أبو نُعيم^(٢): كان بِالْحِكْمِ مَنْطِقاً، وللمُرِيدِينَ نَصِيحاً شَفِيقاً.

ومن فوائده: مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلاً نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَرَ
الهُوَى عَلَيْهَا نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

وقال: لي أربعون سنةً ما أقامني اللهُ في حالٍ فكرِهتُه، ولا نقلني لغيره
فسخِطتُه^(٣).

وقال: لا يَكْمُلُ الرَّجُلُ حَتَّى يَسْتَوِيَ عِنْدَهُ الْمَنْعُ وَالْعَطَاءُ، وَالْعِزُّ وَالذُّلُّ.

وقال: حَقٌّ عَلَى مَنْ أَعَزَّهُ اللهُ بِالطَّاعَةِ أَنْ لَا يَذِلَّ^(٤) نَفْسَهُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وقال: أَصْلُ التَّعَلُّقِ بِالْخَيْرِ قَصْرُ الْأَمَلِ، وَمَادَمْتَ تَتَّبِعُ شَهْوَتَكَ وَإِرَادَتَكَ
فَأَنْتَ مَسْجُونٌ، فَإِذَا فَوَّضْتَ أَمْرَكَ إِلَى اللهِ، وَسَلَّمْتَ اسْتَرَحْتَ.

وقال له رجلٌ: كُنْتُ أَجِدُ بِقَلْبِي حَلَاوَةً عِنْدَ إِقْبَالِ اللَّيْلِ، وَالْآنَ لَا أَجِدُهُ،
قال: لَعَلَّكَ سُرِرْتَ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا فَذَهَبَتْ^(٥) بِحَلَاوَةِ ذَلِكَ.

وقال: اصْحَبِ الْأَغْنِيَاءَ بِالتَّعَزُّزِ، وَالْفُقَرَاءَ بِالتَّذَلُّلِ؛ فَإِنَّ التَّعَزُّزَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ
تَوَاضَعٌ لِلَّهِ، وَالتَّذَلُّلُ لِلْفُقَرَاءِ شَرَفٌ.

وقال: مَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَزَوَالِهَا أَوْرَثَهُ الزُّهْدَ فِيهَا، وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الْآخِرَةِ
وَبَقَائِهَا أَوْرَثَهُ الرَّغْبَةَ فِيهَا.

وقال: مَنْ أَضْرَبَ بِهِ الرَّجَاءُ حَتَّى قَارَبَ الْأَمْنَ فَالْخَوْفُ لَهُ أَفْضَلُ، وَمَنْ أَضْرَبَ بِهِ

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٠٠، والعبارة فيه: ويقال إنه مستجاب الدعوة.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤.

(٣) في المطبوع: فتسخطه. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤.

(٤) في المطبوع: لا تذله. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٥.

(٥) طبقات الصوفية ١٧٢: فذهب.

الخوف حتى قارب اليأس فالرجاء له أفضل .

وقال : طول العتاب فرقة ، وتركه حشمة .

وقال : الذكر الكثير أن تذكر الله في سرِّك ، وتعلم يقيناً أنك لا تصل لذكره إلا بعبثائه وفضله .

وقال : علامة السعادة أن تطيع الله ، وتخاف أن تكون مردوداً ، والشقاوة أن تعصيه ، وترجو أن تكون مقبولاً .

ومرَّ بالطريق ومعه صحبته ، فوقع عليه رماد من كوة ، فهموا أن يكلموا أهل الدار ، فجزهم ، وقال : من استحق النار ، فصولح على الرماد ، لا يغضب .

وقال : دخلت على رجل بيته ، فرأيت ثم حصيراً وكوزاً مكسراً ، فكنت أنظر في البيت ، ففطن الرجل ، فقال : العفاء خير من العافية^(١) .

وقيل له : بم يكون الرجل صادقاً في حب مولاة ؟ قال : إذا خلا من خلافه . فبكى السائل ، ووضع التراب على رأسه ، وقال : كيف أدعي حبه ، ولم أدخل طرفه عين من خلافه ، فبكى الحبري ، وقال : صادق في حبه ، مقصّر في حقه .

وكان يوماً واقفاً على رأسه أحد تلامذته أبو زكريا النخشي ، وكان بينه وبين امرأة سبب قبل توبته ، فتفكر في شأنها ، فرفع إليه رأسه ، وقال : ألا تستحي .

وخرج يوماً فقعد في موضعه الذي يقعد فيه للتذكير ، فسكت طويلاً ، فقال له رجل : نرى أن تقول في سكوتك شيئاً . فأنشد يقول :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيبٌ يُداوي والطبيبُ مريضٌ^(٢)

فضج الناس بالبكاء .

مات سنة ثمان وتسعين ومثتين ، وقيل غير ذلك .

(١) تاريخ بغداد ١٠٠/٩ ، وجاء في حاشيته : العفاء الهلك ، وأراد هنا شدة الفقر ، وأن العدم مع الرضا ، خير من الغنى مع العافية .

(٢) جاء عجز البيت في روض الرياحين ١٢٧ (حكاية ٥١) :

طبيبٌ يُداوي الناس وهو عليل .

(٢٥١) سعيد بن بُرَيْدِ النَّبَاجِيِّ (*)

كان يعجُّ من نفسه إلى ربّه عَجِيجاً، وَيَشْتاقُ إليه شاكياً أنيناً وضجيجاً، وقد قيل: إِنَّ التَّصَوُّفَ عِرْفَانُ الحُدُودِ والحقوقِ، ووجدانُ السُّكُونِ والوثوقِ.

ومن كلامه: خمسُ خِصالٍ ينبغي للمؤمن أن يعرفها: معرفة الله، ومعرفة الحقِّ، وإخلاصَ العملِ لله، والعملَ على السُّنَّةِ، وأكلَ الحلالِ؛ فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ، ولم يعرفِ الحقَّ، لم ينتفعِ بالمعرفة، وإن لم يكن على السُّنَّةِ، أو لم يكن أكله حلالاً، لم ينتفعِ بالخمسِ.

وقال: إذا كان المَطْعَمُ حَلالاً، صفا له القلبُ، فأبصرَ به أمرَ الدُّنيا والآخرة، وإن كان من شُبْهَةٍ، اشتبهت عليه الأمور بقدرِ المأكَلِ، وإن كان من حرامٍ، أظلمَ عليه أمرُ الدَّارينِ، وإن وصفه النَّاسُ بالبصْرِ، فهو أعمى.

وقال: مَنْ وثقَ باللهِ، فقد أحرزَ قوتَه، ومَنْ حيي قلبه، فقد لقيَ ربّه.

وقال: القصدُ إلى الله بالقلوبِ، أبلغُ من حركاتِ الأفعالِ، من نحوِ صلاةٍ، وصومٍ.

وقال: احذروا أن يغضبَ اللهُ عليكم فيُعطيكم الدُّنيا، فإنه غضبَ على عبدٍ من عبيده إبليسَ، فأعطاه إيَّاهَا.

وقال: قال موسى: أي ربِّ، أين أجِدُكَ؟ قال: إذا انقطعَت إليَّ فقد وصلت.

(*) حلية الأولياء ٣١٠/٩، تلخيص المشابه في الرسم ٣٢٦/١، الإكمال ٢٣١/١، الأنساب ٢٨/١٢، صفة الصفوة ٢٧٩/٤، المختار من مناقب الأخيار ١٧٨/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٨٧/٩، سير أعلام النبلاء ٥٨٦/٩، المشتبه في الرجال ٦٦٨، الوافي بالوفيات ٢٠٢/١٥، تبصير المنتبه بنحرير المشتبه ١٤٩١/٤، وقد جاء في الأصل والحلية، وصفة الصفوة، والوافي، سعيد بن يزيد، والنباجي نسبة إلى نباج، قرية في بادية البصرة.

وقال: لا شيء أقطع لظهر إبليس من قول ابن آدم: ليت شعري، بماذا يُختم لي؟ فعندها يبس منه، ويقول: متى يعجب هذا بعمله؟

وقال: إن أحببتُم أن تكونوا أبدالاً فأحبُّوا (ما شاء الله).

وأوحى الله إلى موسى: ما استحثني عبدٌ لحاجته بمثل قوله: ما شاء الله.

وقال: ينبغي أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منا بأعمالنا.

وقال: ما بقاء عمُرٍ تقطعه الساعات؟! وسلامةُ بدنٍ معرضٍ للآفات؟! وقد

عجبتُ للمؤمن كيف يكره الموت، وهو سبيله إلى الثواب؟ وما أرانا إلاَّ سيُدرِكنا الموت، ونحنُ أتقُّ.

وقال: مَنْ خطرَت الدنيا بباله لغير القيام بأمر الله، حُجبَ عن الله.

وقال: أصلُ العبادةِ ثلاث: لا ترُدَّ من أحكامه شيئاً، ولا تدخِر عنه شيئاً،

ولا تسأل غيره حاجةً.

وقال: إن أعطاك أغناكَ، وإن منعك أرضاك.

وقال: إذا ذكرت قوله: ﴿الوَهَّابُ﴾ فرحتَ بها.

وقال: مَنْ جعلَ اللهُ المعرفةَ عنده، يتنعمُ في كلِّ أحواله.

وقال: لو لم يكن لله ثوابٌ يُرجى، ولا عقابٌ يُخشى، لكان أهلاً لأن يُطاع

فلا يعصى، ويُذكر فلا يُنسى.

وقال: مَنْ عمِلَ اللهُ على حبه، أشرفُ ممَّن عمِلَ على خوفه.

وقال: إنّما ذكرَ اللهُ درجةَ الخائفين، وأمسكَ عن درجةِ المُحبِّين؛ لأنَّ

القلوبَ لا تحتَمِلُ ذلك.

وقال: لو جعلتُ لي دعوةً مُستجابةً ما سألتُ الفردوسَ، وإنّما أسألُ

الرِّضَا، فهو تعجيلُ الفردوسِ في الدنيا.

وقال: قال يونس لجبريل: يا ربُّ، أرني أحبَّ خلقك إليك. فدفعَ إلى

رجلٍ قد أكلت محاسنُ وجهه، ولم يبقَ إلاَّ عيناؤه، فقال يونس لجبريل: هذا

الأحْبُ؟ قال: نعم، وقد أمرتُ أن أسْلُبَ عَيْنَيْهِ، فسلبهما^(١)، فقال الرَّجُلُ: الحمدُ لله، متَّعَنِي ببَصْرِي، ثُمَّ قَبَضْتَهُ، وَأَبْقَيْتَ فِيَّ الأَمَلَ فِيمَا عِنْدَكَ، فلم تَسْلُبْنِيهِ.

وقال: إِنَّمَا سُمِّيَتِ الصَّلَاةُ صَلَاةً؛ لِأَنَّهَا اتَّصَلَتْ بِاللَّهِ، وَمَا أَحْسَبُ أَنَّ أَحَدًا يَكُونُ فِي صَلَاةٍ، فَيَقَعُ فِي سَمْعِهِ غَيْرُ مَا يُخَاطَبُهُ اللهُ.

وقال: مَنْ اسْتَعْجَلَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ مَوَارِدُ^(٢) التَّوْفِيقِ.

وقال: مَنْ أَكَلَ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالتَّبَعَاتِ، وَرَدَّتْ عَلَيْهِ البَلِيَّاتُ.

وقال: الغفلةُ عنِ اللهِ أَشَدُّ مِنْ دُخُولِ النَّارِ.

وقال: ميراثُ الذِّكْرِ لغيرِ ما يوصِلُ إلى اللهِ قَسْوَةٌ فِي القَلْبِ.

وقال: قال إبليسُ: مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَنْجُو مِنِّي بِحِيلَتِهِ^(٣)، فبِعُجْبِهِ وَقَعَ فِي حِبالِي.

وقال: إذا دَخَلَ الغَضْبُ على العَقْلِ، ارتَحَلَ الوَرَعُ، فكيفَ بَمَنْ لا عَقْلَ لَهُ ولا وَرَعًا، يَدْخُلُ عَلَيْهِ الغَضْبُ؟

وقال: اشتَهَيْتُ شَيْئًا، فرَأَيْتُ فِي المَنَامِ قَائِلًا، يقول: أيجملُ بالحرِّ المُرِيدِ أن يتذَكَّلَ للعبيد، وهو يَجِدُ مِنْ مَوْلَاهُ ما يُرِيدُ؟

وقال الحافظُ أبو نعيم^(٤): وكان له آياتٌ باهرة، وكراماتٌ ظاهرة، منها: أن عايناً نظَرَ إلى ناقَتِهِ فسَقَطَتْ تَضَطَّرِبُ، وكان غائِبًا، فلَمَّا حَضَرَ، وَقَفَ على العاينِ، وقال: بسمِ اللهِ، حبسُ حابسٍ، وحجرُ يابسٍ، وشهابُ قابسٍ، رددتُ عَيْنَ العاينِ^(٥) عليه، وعلى أحبِّ الناسِ إليه، في كلوتيه^(٦) رشيق، وفي ماله

(١) في (أ): فسلبتهما.

(٢) في المطبوع، و (أ): مواد. وفي الحلية ٣١٧/٩: شواهد.

(٣) في (أ): بحيلة.

(٤) حلية الأولياء: ٣١٦/٩.

(٥) في المطبوع: عين السائل.

(٦) في الأصل: كل تيه، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٩٠/٩: كلوته، والمثبت من الحلية

٣١٦/٩.

يليق، ﴿فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ﴿٢﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤٣﴾ [الملك: ٤٣] فخرجت حدقتا العين، وقامت الناقة.

* * *

(٢٥٢) سعيد بن العباس الرازي (*)

الواثق بالوصول، الناطق بالأصول، التارك للفضول، له البيان الشافي، والكلام الكافي، عمل في تصفية الباطن، وركن إلى لطيفة الضامن.
ومن كلامه:

استعين بالله؛ فإن جميع الشر حب الدنيا، هل رأيت رجلاً عصى الله في التهاون والزهد في الدنيا، والرضا بالقليل؟ احذر الدنيا وأهلها، ومن يدعو لها، فإن محبتها زعم بلسانه أنه يعبد ربه، وهو يعبد هواه، ودنياه بقلبه، ونيته، وغدوه، ورواحه، وطواعيته، وغضبه، ورضاه.

وقال: لا يسلم من الدنيا من سألها.

وقال: العالم بالله الخائف منه، يهدم بحق الله باطل^(١) أهل الرغبة في الدنيا، والعالم المغتر يطفىء نور الحق بظلمة الباطل.

وقال: إذا أراد الله أن يغني فقيراً، أو يفقر غنياً، أو يرفع وضيعاً، أو يضع رفيعاً، فعل ما أراد، فلا يغالب الله على أمره.

وقال: باب الآخرة مفتوح فادخله، تصل إلى رحمة الله، وتكن في كفه وحفظه، وولايته وسيره وكفايته؛ فإن الله لا يخلف الميعاد.

وقال: ليس بين الله وبين العباد وسيلة إلا طاعته، وديان يوم الدين إنما يدين العباد غداً بأعمالهم، لا بمنزلهم في الدنيا.

(*) الجرح والتعديل ٤/ ٥٤، حلية الأولياء ١٠/ ٧٠، المختار من مناقب الأخيار ١٨٣/ ١، وفي (ب): سهيل بن العباس.

(١) في الأصول: باطن، والمثبت من الحلية ١٠/ ٧١.

وقال: قد كُفيت مؤنة مَنْ بعدك، فلا تتكَلَّف مؤنته، وقد جمع النَّاسُ قبلك لأولادهم، فلم يبقَ ما جمعوا لهم، ولا مَنْ جمعوا له.

وقال: ازهد في الدنيا تجد لليقين نوراً، وترى للترك فضلاً وسروراً.

وقال: اختر القلَّة^(١)، وارتع في رياضِ المُقلِّين، تُدرك ثمرة قلبك، أما علمت أن النَّارَ حُقَّت بالشَّهواتِ، والجَنَّةُ بالمكَّارهِ؟ اختر ما اختاره المصطفى ﷺ، وادعُ إلى ما دعا إليه، تكنُ لله وليًّا، وللرسولِ أميناً، وللمتقين إماماً.

وقال: كُنْ داعياً إلى الله بما دعا به رسوله، والتمسِ الرِّفعةَ بالتواضع، والشرفَ بالدينِ، وليكنْ ذلك في تركِ دُنْيَاكَ لِآخِرَتِكَ.

وقال: اطلبْ حَقِيقَةَ الإيمَانِ بِرَدِّكَ نَفْسَكَ^(٢) عن الدنيا، واجهدْ نَفْسَكَ على طلبِ الآخرة، فإنَّ الكَيْسَ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِآخِرَتِهِ.

قال أبو نعيم^(٣): وله من كثرة الحديثِ مسانيد، حدَّثَ عن الأعلام.

* * *

(٢٥٣) سَمْنُونُ الْمُحِبِّ بْنِ حَمْزَةَ الْخَوَّاصِ (*)

إمامٌ بالورعِ مُتَّصِفٌ، عَارِفٌ تُقَرُّ لَهُ أَهْلُ الْفَضَائِلِ بِالْفَضْلِ وَتَعْتَرِفُ، نَاسِكٌ فِي الْعَرَضِ زَاهِدٌ، صُوفِيٌّ نَفَعُهُ عَلَى الْمُرِيدِينَ عَائِدٌ، وَهُوَ بَصْرِيٌّ الْأَصْلُ، سَكَنَ بَغْدَادَ، وَأَخَذَ عَنِ السَّقَطِيِّ، وَالْقَصَّابِ، وَالْقَلَانِسِيِّ.

(١) في (أ): اترك القلَّة.

(٢) في المطبوع: تردك نفسك.

(٣) الحلية ٧٢/١٠.

(*) طبقات الصوفية ١٩٥، حلية الأولياء ٣٠٩/١٠، تاريخ بغداد ٢٣٤/٩، الرسالة القشيرية ١٣٣/١، المنتظم ١٠٨/٦، صفة الصفوة ٤٢٦/٢، المختار من مناقب الأخيار ١٩٦/أ، روض الرياحين ١٧٥ (حكاية ٩٦) و ٣٢١ (حكاية ٢٧١)، البداية والنهاية ١١٥/١١، طبقات الأولياء ١٦٥، الطبقات الكبرى للشعراني ٨٩/١.

سَمِيَ نَفْسَهُ سَمْنُونَ الْكَذَّابَ لِقَوْلِهِ :

وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حِظٌّ فَكَيْفَ مَا شِئْتَ فَاخْتَبِرْنِي
فَحُصِرَ بَوْلُهُ فَوْرًا، وَاسْتَمَرَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَعَجَزَ، فَسَمِيَ نَفْسَهُ الْكَذَّابَ .
وَكَانَ يَطُوفُ عَلَى الْمَكَاتِبِ، وَيَقُولُ لِلْأَطْفَالِ: ادْعُوا لِعَمَّكُمْ الْكَذَّابَ،
وَكَانَ يَتْلُو كَالْحَيَّةِ عَلَى الرَّمْلِ .

وَقَالَ ابْنُ عَرَبِيٍّ: لَمَّا أَسَاءَ الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُقَاوِمَ الْقُدْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ،
لَمَّا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ مِنْ حُكْمِ الرِّضَا وَالصَّبْرِ، ابْتُلِيَ بِذَلِكَ، إِذْ مُقَاوِمَةُ الْقَهْرِ الْإِلَهِيِّ
سَوْءٌ أَدَبٍ، وَمَا ابْتُلِيَ عَبْدُهُ إِلَّا لِيُضَرَّعَ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ الْعَافِيَةَ، وَالنَّفْسُ مَجْبُولَةٌ
عَلَى طَلَبِ حِظِّهَا مِنَ الْعَافِيَةِ، فَلَمَّا سَأَلَ هَذَا كَانَ فِي حُكْمِ الْعَافِيَةِ، فَلَمَّا سُلِبَهَا
بِهَذَا الْبَلَاءِ، طَلَبَتْهَا النَّفْسُ بِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ، أَلَا تَرَى إِلَى عَالِمِ الْعُلَمَاءِ، وَحَكِيمِ
الْحُكَمَاءِ، كَيْفَ سَأَلَ الْعَافِيَةَ وَأَمَرَ بِهَا^(١)؟! فَمِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ، وَقَوْفُ الْعَبْدِ
مَعَ عَجْزِهِ وَضَعْفِهِ، وَفَقْرِهِ وَفَاقَتِهِ . انْتَهَى .

وَكَانَ سَمْنُونَ عَظِيمَ الشَّانِ جِدًّا .

وَحِكْيِي فِي «فَوَاتِحِ الْجَمَالِ»^(٢): أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الْمَحَبَّةِ، جَعَلَتْ قَنَادِيلُ
الشُّونِيزِيَّةِ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ، يَمِينًا وَشِمَالًا .

وَفِي «الرُّوضِ»^(٣): أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي الْمَحَبَّةِ، فَتَكَسَّرَتْ قَنَادِيلُ الْمَسْجِدِ كُلِّهَا مِنْ
اضْطِرَابِهَا .

وَقِيلَ لَهُ: تَكَلَّمَ فِي الْمَحَبَّةِ . فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَسْتَأْهِلُ
الْكَلَامَ فِيهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَائِرٌ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ هَذَا، وَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ فِي

(١) وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَدْعُ هَوْلَاءَ الْكَلِمَاتِ حِينَ يَمْسِي وَحِينَ يَصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» أَبُو دَاوُدَ ٥٠٧٤ فِي الْأَدَبِ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ .

وَدَعَا أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى الْعَافِيَةَ، فَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ، بَابُ
٨٩ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدَّعَاءِ
أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ وَالْمَعَاوَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» .

(٢) فَوَاتِحِ الْجَمَالِ . انظُرْ كَشْفَ الظُّنُونِ ٢/١٢٩٢ وَ ١٢٩٣ .

(٣) رَوْضِ الرِّيَاحِينَ صَفْحَةُ ٣٢١ (الْحِكَايَةُ: ٢٧١) .

المحبة، والطيرُ يضربُ بمنقاره الأرضَ، حتى سالَ دمه، واضطربَ ومات.
وقيل له: إنا نذكرُ اللهَ ولا نجدُ في قلوبنا حلاوةً، فقال: احمداً اللهَ على أن
زَيْنَ جارِحَةَ من جوارِحكم بذكره.

ومن فوائده:

المحبُّ لا يُعبَّرُ عن شيءٍ إلا بما هو أرقُّ منه؛ ولا شيءٌ أرقُّ من المحبة،
فبما يُعبَّرُ عنها؟

وقال: أوَّلُ وَصْلِ العبدِ هجرانه لنفسه، وأوَّلُ هجرانِ العبدِ للحقِّ مواصلتهُ
لنفسه.

وقال: مضى الوقتُ فصارَ الوقتُ مقتاً، وقتك خرابٌ، وقلبك في
المحرابِ، ومن كانت عبادته عناً، كانت ثمرته ضناً.

وقال: ذهبَ المُحبُّونَ بشرفِ الدنيا والآخرة لحديث: «المَرءُ مع مَنْ
أحبَّ»^(١).

وقال: إذا بسَطَ الجليلُ غداً بساطاً^(٢) المجدِ، دخلتْ ذنوبُ الأولينَ
والآخرينَ في حاشيةٍ من حواشيه، وإذا أبدى عيناً من عيونِ الجودِ، ألحقَ
المُسيءَ بالمُحسِنِ.

وقال: الفقيرُ الصادقُ الذي يأنسُ بالعدمِ، كما يأنسُ الجاهلُ بالغنَى،
ويستوحشُ من الغنى، كما يستوحشُ الجاهلُ من الفقرِ.

وسئِلَ عن المحبة، فقال: صفاءُ الوُدِّ، مع دوامِ الذكرِ.

وسئِلَ عن التصوُّفِ، فقال: أن لا تملكَ شيئاً، ولا يملكك شيءٌ.

وكان جالساً على شاطئِ دجلة، وبیده قَضيبٌ يضربُ به فخذه، حتى بانَ
عظمُ فخذه وساقه، وتبدَّدَ لحمه، وهو يقولُ:

كان لي قلبٌ أعيشُ به ضاعَ منِّي في قلبِهِ

(١) تقدم تخريجه صفحة: ٢٧٥.

(٢) في الأصول: فعند بساط، والمثبت من طبقات الصوفية ١٩٦، والحلية ١٠/٣١١.

ربَّ فاردُّدُهُ عَلَيَّ فَقَد
وَأَغِثْ مَادَامَ بِي رَمَقُ
ضاقَ صَدْرِي فِي تَطَلُّبِهِ
يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِ بِهِ
ومن نظمه من جملة قصيدة:

ولا عَيْشَ إِلَّا معَ رِجَالِ قُلُوبِهِمْ
أَدِيرَتْ رُؤُوسٌ لِلْمَنَايَا^(١) عَلَيْهِمْ
هَمُّهُمْ جَوَالَةٌ بِمَعْسَكِرِ
فَأَجْسَادُهُمْ فِي الْأَرْضِ قَتَلَى بِحُبِّهِ
فَمَا عَرَّسُوا^(٢) إِلَّا بِقُرْبِ حَبِيبِهِمْ
مَاتَ بِنِيسَابُورِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتَسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ .

* * *

(٢٥٤) سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشُّشْرِيُّ (*)

الشَّيْخُ الْأَمِينُ، النَّاصِحُ الْمَكِينُ، النَّاطِقُ بِالْعَقْلِ الرَّصِينِ، مِنْ أَعْظَمِ
الْمَشَايِخِ الْمَشْهُورِينَ .
وَلَمْ يَبْرَزْ لِلنَّاسِ حَتَّى وَقَعَ الْإِذْنُ لَهُ مِنَ اللَّهِ، وَأَطْلَعَهُ عَلَى عَدَدٍ مُرِيدِيهِ،
وَأَسْمَائِهِمْ، وَأَنْسَابِهِمْ، وَمَنْ يُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَمَنْ يَمُوتُ قَبْلَ الْفَتْحِ .
حَبْرٌ تَجَمَّلَ الْإِسْلَامُ بِوَجُودِهِ، وَزَيْنَ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ بِقَلَائِدِ فَوَائِدِهِ وَعُقُودِهِ،

- (١) فِي الْأَصْلِ: رُؤُوسِ الْمَنَايَا، وَالْمَثْبُتُ مَا يَنْسَبُ الْوِزْنَ .
(٢) فِي (ب): فِي الْحَبِّ .
(٣) فِي الْمَطْبُوعِ: غَرَسُوا .
(*) طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ ٢٠٦، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ١٠/١٨٩، الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ ١/٩٢، الْأَنْسَابُ
٣/٥٥، الْمُنْتَظَمُ ٥/١٦٣، صِفَةُ الصُّفُوَّةِ ٤/٦٤، الْمَخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ١٩٧/أ،
الْبَابُ ١/١٧٦، وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٢/٤٢٩، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ١٣/٣٣٠، الْعَبْرُ
٢/٧٠، الْوَافِي بِالْوَفِيَّاتِ ١٦/١٦، مَرَاةُ الْجَنَانِ ٢/٢٠٠، طَبَقَاتُ الْأَوْلِيَاءِ ٢٣٢،
طَبَقَاتُ الشُّعْرَانِي ١/٧٧، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢/١٨٢ .

وكان أوحدَ زمانه في علوم الرياضات .

صَحِبَ خَالَه محمد بن سَوَّار، ولقي ذا التُّون، وأخذَ عنه الأكابرُ طبقةً بعد طبقة .

وطبقَ الأرضَ من علوم الحقائق، فحسدَهُ فقهاءُ بلده، فقاموا عليه، ونسبوه إلى عظامٍ وقبائح، بسببِ قوله: التَّوبَةُ فَرَضٌ عَلَى العبدِ فِي كُلِّ نَفْسٍ، ولم يزالوا به حتَّى أخرجوه وجماعته من بلده إلى البصرة، فماتَ بها .

وحفظَ القرآن وهو ابنُ سبعٍ، وكان يُسألُ عن دقائقِ الزُّهدِ والوَرَعِ، ومقاماتِ الإرادة، وفقه العبادَةِ، وهو ابنُ عشرٍ، فيُحسِنُ الإجابة .

وكان لا يُفطرُ إلاَّ كلَّ خمسةَ عشرَ يوماً، وإذا دخلَ رمضان، يأكلُ أكلةً واحدةً في أوَّلِ ليلةٍ منه، ثمَّ يطوي بقيته، لكنَّهُ يُفطرُ كلَّ ليلةٍ على الماءِ القَرَّاحِ، أو على زبيبة، ليخرجَ عن الوصال^(١) المنهيِّ عنه .

وكان يكفيه ل طعامه في السَّنة كلُّها درهم .

وإذا جاعَ قوِي، وإذا شبعَ ضَعُفَ .

وكان إذا دخلَ عليه ضعيفٌ يأكلُ معه، وإن لم يكن له شهوةٌ إلى الأكلِ ذلك الوقت .

وكان يسمعُ القرآنَ وغيره فلا يتحرَّكُ، فلَمَّا كان أوَاخِرَ عُمره، صارَ يتواجدُ، ويقولُ: ضعفنا والله عن التحمُّلِ، وصارَ وارِدُنا أقوى مِنَّا .

وكان يطوي ثلاثينَ وأربعينَ، وقيل: وسبعينَ ليلةً، لا يأكلُ شيئاً .

قال الغزالي^(٢): وقد انتهى إلى ذلك جماعةٌ يكثرُ عددهم منهم: محمد بن

(١) الوصال في الصوم هو: ألا يفطر يومين أو أياماً. النهاية (وصل). عن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة بهم... أخرجه البخاري ٢٠٢/٤ (١٩٦٤) في الصوم، باب الوصال، ومسلم ١١٠٥ في الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم .

(٢) إحياء علوم الدين ٩٠/٣ في كتاب كسر الشهوتين، باب بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن .

عمرو المَغْرِبِيَّ^(١)، وعبد الرحمن بن إبراهيم، ودُحيم، وإبراهيم التَّيْمِي، وحجاج بن فَرَاغِصَة، وحفص العابد المصيصي، وزهير، وسُلَيْمان الخَوَّاص، وإبراهيم الخَوَّاص، كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة، وذكر بعضهم أنَّ من طوى أربعين يوماً من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت، أي كُوشِفَ ببعض الأسرار الإلهية. انتهى.

قال ابن عربي^(٢): وكان بدء سهل في هذا الطريق سجود القلب، وكم من وليِّ كبير الشَّانِ، طويل العمر، مات وما حصل له سجود القلب، ولا علم أنَّ للقلب سجوداً مع تحقُّقه بالولاية، ورسوخ قدمه فيها، فإنَّ سجوده^(٣) إذا حصل لا يرفع رأسه أبداً من سجده، فهو ثابتٌ على تلك القدم الواحدة التي تتفرَّع منها أقدام كثيرة، وأكثر الأولياء يرون تقلُّب القلب من حالٍ إلى حالٍ، ولهذا سُمِّي قلباً، وصاحبُ هذا المقام، وإن تقلُّب أحواله، فمن عين واحدة هو عليها ثابتٌ، يُعبَّر عنها بسجود القلب، ولهذا لما رأى سهلٌ في ابتداء دخوله الطريق أنَّ قلبه سجد، وانتظر أن يرفع فلم يُرفع، فبقي حائراً، فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعه، فما وجد أحداً يعرفها، فإنَّهم أهل صدق لا ينطقون إلا عن ذوقٍ محقَّق، ف قيل له: إنَّ في عبَّادان شيخاً معتبراً^(٤) لو رحلت إليه؟ ففعل، فقال له: أيُّها الشيخُ، أيسجد القلب؟ فقال: إلى الأبد، فوجد شفاءً عنده، فلزم خدمته، فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من يشاء من عباده ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥].

ومن فوائده: النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا، فَإِذَا انْتَبَهُوا نَدِمُوا، وَإِذَا نَدِمُوا لَمْ يَنْفَعَهُمُ النَّدَمُ^(٥).

(١) كذا في الأصول، وفي حلية الأولياء ١٠/١٢٨، وفي الإحياء محمد بن عمرو الغرني، تصحيف واسمه محمد بن عمرو الغزي، انظر سير أعلام النبلاء ١١/٤٦٤.

(٢) الفتوحات المكية ٢/٢٠، الباب ٧٣.

(٣) في (ب): فإن سجود القلب.

(٤) الشيخ هو أبو حبيب، حمزة بن عبد الله العباداني، انظر الرسالة القشيرية ١/٩٤.

(٥) أورده الغزالي ٤/٢٣ مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ. قال الحافظ العراقي: إنما يعزى إلى =

وقال: من الأولياء مَنْ إذا مرَّ على قومٍ عُصاةٍ فسَلَّمَ عليهم، أو سلَّموا عليه فردَّ غَفَرَ اللهُ لهم جميعَ ذُنُوبِهِمْ، وأَمَّنَّهُمْ من عَذَابِهِ، ومنهم مَنْ لا تَأْكُلُ النَّارُ مَنْ جالَسَهُمْ ولو لحظةً، أو حضرَ جنازَتَهُمْ.

وقال: الصَّبْرُ عَنِ النَّسَاءِ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهِنَ، والصَّبْرُ عَلَيْهِنَ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى النَّارِ.

وقال: المستمعُ عن المعنى الذي استمعَ لأجله، لأنَّه من الأسرارِ التي تقصر عنها العبارات.

وسُئِلَ عن ذاتِ اللهِ، فقال: ذاتُ اللهِ مَوْصُوفَةٌ بِالْعِلْمِ، غيرُ مُدْرَكَةٌ بِالْإِحَاطَةِ وَلَا مَرْتَبَةٌ بِالْأَبْصَارِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وهي مَوْجُودَةٌ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ حَدٍّ وَلَا حُلُولٍ، وتَراه العيونُ فِي العُقبَى ظاهراً فِي مُلكه وَقدرته، فَإِنَّه تعالى قد حَجَبَ الخَلْقَ فِي الدَّارَيْنِ^(١) عن معرفةِ كُنْهِ ذاته، ودَلَّهم عليه بآياته، فالقلوبُ تعرفه، والأبصارُ^(٢) لا تُدرِكه، ينظرُ إليه المؤمنون في الآخرة^(٣) بالأبصار من غيرِ إحاطةٍ، ولا إدراكٍ نهائيةٍ.

وقال: الجاهلُ ميتٌ، والنَّاسي نائمٌ، والعاصي سكرانٌ، والمُصِرُّ هالكٌ.

وقال: ما من ساعةٍ إلا واللهُ يَطَّلِعُ فِي القلوبِ، فأَيُّ قلبٍ وجدَ فيه غيرَه سلَّطَ عليه العدوَّ.

وقال: التَّائِبُ مَنْ يَتُوبُ مِنْ غَفْلَتِهِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ.

وقال: لا يَسْتَحِقُّ^(٤) الرَّجُلُ الرَّئِاسَةَ عَلَى النَّاسِ إِلاَّ إِنْ احْتَمَلَ أَذَاهُمْ، وبَدَلَ لَهُمْ ما بِيَدِهِ، وَزَهَّدَ فِيما بِيَدِهِمْ.

= علي بن أبي طالب، لكن عزاه الشعراني في طبقاته لسهل التستري. وانظر كشف الخفا ٣١٢/٢.

(١) كلمة في الدارين ليست في (ب) ولا في المطبوع.

(٢) في المطبوع: والعقول لا تدركه.

(٣) كلمة في الآخرة ليست في (ب) ولا في المطبوع.

(٤) في (أ): لا تستخف.

وقال: دخلتِ الفتنةُ على العامَّةِ من الرُّخصِ والتَّأويلاتِ، وعلى العارفينَ من تأخيرِ الحقِّ الواجبِ إلى وقتِ آخرٍ.

وقال: لا يُرى في القيامةِ عملٌ برٌّ أفضلُ من تركِ فضولِ الطَّعامِ، والاعتداءِ بالمصطفى ﷺ في أكله.

وقال: لم يرَ الأكياسُ شيئاً أنفعَ من الجوعِ للدِّينِ والدُّنيا.

وقال: لا أعلمُ شيئاً أضرَّ على طُلابِ الآخرةِ من الأكلِ.

وقال: جَعَلَ العلمَ والحكمةَ في الجوعِ، وجَعَلَ المعصيةَ والجهلَ في الشُّبعِ.

وقال: ما عبَدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من مُخالفةِ الهوى في تركِ الحلالِ، وقد قال في الحديثِ: «ثُلثٌ للطَّعامِ»^(١) فما زادَ فإنَّما يأكلُ من حسناتِهِ.

وقال: إنَّما صارَ الأبدالُ أبدالاً بإخماصِ البُطونِ، والصَّمتِ، والسَّهرِ، والخلوةِ.

وقال: رأسُ كلِّ برٍّ بين السَّماءِ والأرضِ الجوعُ، ورأسُ كلِّ فجورٍ بينهما الشُّبعُ.

وقال: إقبالُ اللهِ على العبدِ بالجوعِ والسَّقَمِ والبلاءِ إلا مَنْ شاءَ اللهُ.

وقال: لو كانتِ الدُّنيا دماً عبيطاً^(٢) كان قوتُ المؤمنِ منها حلالاً؛ لأنَّ أكله عند الضَّرورةِ بقدرِ القوامِ فقط.

وقال: مَنْ انتقلَ من نفسٍ إلى نفسٍ بغيرِ ذكرٍ فقد ضيَّعَ حاله.

وقال: من أعظمِ المعاصي الجهلُ بالجهلِ، والنَّظرُ إلى العامَّةِ، وسماعُ

(١) عن المقدم بن معد يكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» أخرجه الترمذي ٤/٥٩٠ (٢٣٨٠) في الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم ٤/١٢١ وصححه الذهبي.

(٢) العبيط من الدم: الطريُّ الخالص.

كلام أهل الغفلة، وكلُّ عالمٍ خاضَ في الدنيا فلا تُصغِ لقلوبه، بل يُتَّهَمُ فيما يقول، لأنَّ كلَّ إنسانٍ يدفعُ ما لا يوافقُ^(١) محبوبه.

وقال: أصولُ طريقنا سبعةٌ: التمسُّكُ بالكتاب، والاعتدَاءُ بالسُّنَّةِ، وأكلُ الحلالِ، وكفُّ الأذى، وتجنُّبُ المعاصي، والتَّوبَةُ، وأداءُ الحقوقِ.

وقال: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَهُوَ جَاهِلٌ بِهِ.

وقال: قد أيسرَ علماؤنا من ثلاثٍ: لزومُ التَّوبَةِ، ومُعَانَقَةُ السُّنَّةِ، وتركُ أذى

النَّاسِ.

وقال: العيشُ أربعةٌ: عيشُ الملائكةِ في الطَّاعَةِ، والأنبياءِ في العلمِ وانتظارِ الوحيِ، والصَّديقينِ في الاعتدَاءِ، وسائرِ النَّاسِ في الأكلِ والشُّربِ كالبهائمِ.

وقال: الوليُّ مَنْ تَوَالَتْ أفعالهُ عَلَى المُوَافَقَةِ.

وقال: خلقَ اللهُ الخَلْقَ ولم يحجُبْهُم عنه، فجاءَهُم الحِجَابُ عن تدبيرِهِم واختيارِهِم معه، وذلك هو الذي كدَّرَ عليهم عَيْشَهُم.

وقال: مُخالِطَةُ الفَقِيرِ لِلنَّاسِ ذُلٌّ، وَبُعْدُهُ عَنْهُمْ عِزٌّ.

وقال: ما من وليٍّ صَحَّحَتْ وِلايَتُهُ إِلَّا يَحْضُرُ إِلَى مَكَّةَ كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ

لا يَتَأَخَّرُ.

وقال: اجتمعتُ برجلٍ من أصحابِ المسيحِ عليه السَّلَامُ، فرأيتُ عليه جُبَّةَ صوفٍ فيها طراوةٌ^(٢)، وقال: لها من أَيَّامِ المسيحِ سبعُ مئةِ سنةٍ، فعجبتُ، فقال: الأبدالُ لا تَخْلُقُ ثيابَهُم، وَإِنَّمَا يُخْلِقُهَا رَائِحَةُ الذُّنُوبِ، ومطاعمُ السُّحْتِ، ولذلك قيلَ إِنَّ لِلخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِزَارًا وَرِدَاءً لا يَبْلِيَانِ وَلا يَخْلُقَانِ.

وقال: إِذَا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ فلا تقولوا أخ؛ فَإِنَّهُ اسْمُ الشَّيْطَانِ، وقولوا: آه، فَإِنَّهُ اسْمُ الرَّحْمَنِ، وكذا وه فَإِنَّهُ مَقْلُوبٌ هُوَ.

وقال: إِنَّ اللَّهَ سَلَبَ الدُّنْيَا عَنْ أَوْلِيائِهِ وَحَمَاهَا عَنْ أَصْفِيائِهِ، وَأَخْرَجَهَا مِنْ

(١) في المطبوع: ما يوافق.

(٢) في الأصول: طوارة، والمثبت من مناقب الأبرار ٦٣/أ.

قلوبِ أهلِ وداده، لأنَّه لم يَرْضها لهم.

وقال: إِيَّاكُمْ وَمُعَادَاةَ مَنْ أَشْهَرَهُ اللهُ بِالْوِلَايَةِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ بِالْبَصْرَةِ وَلِيٌّ فَعَادَاةُ أَهْلِهَا وَأَذْوَاهُ، فَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَهَلَكُوا أَجْمَعِينَ فِي لَيْلَةٍ.

وقال: طُوبَى لِمَنْ تَعَرَّفَ بِالْأَوْلِيَاءِ؛ فَإِنَّهُ رَبَّمَا اسْتَدْرَكَ مَا فَاتَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَدْرِكْ شَفَعُوا فِيهِ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ فُتْوَةٍ.

وقال: الدُّنْيَا حَرَامٌ عَلَى صَفْوَةِ خَلْقِ اللهِ، لَا يَتَنَاوَلُونَ فِيهَا^(١) إِلَّا بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ.

وقال: إِذَا قَامَ عَبْدٌ بِمَا يَجِبُ لَهْ عَلَى اللهِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقُوقِ.

وقال: مَنْ لَمْ يَكُنْ مَطْعَمُهُ مِنْ حِلٍّ لَمْ يُكْشَفْ عَنْهُ حِجَابٌ.

وقال: أَعْظَمُ مَا يُحْجَبُ بِهِ الْعَبْدُ عَنْ مُشَاهَدَةِ الْمَلَكُوتِ، وَعَنْ دُخُولِ حَضْرَةِ اللهِ، سُوءُ الْمَطْعَمِ، وَأَذَى الْخَلْقِ.

وقال: مَا دَامَتِ النَّفْسُ تَشْتَهِي الْمَعْصِيَةَ فَلَا يَصِلُ لِلْقَلْبِ شَيْءٌ مِنْ نُورِ الطَّاعَةِ، فَادَّبُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ.

وقال: حَيَاةُ الْقَلْبِ الَّذِي يَمُوتُ بِذِكْرِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

وقال: عَلَامَةُ الْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ أَنْ لَا يَخَافُ أَحَدًا دُونَ اللهِ.

وَسُئِلَ عَمَّنْ لَا يَأْكُلُ أَيَّامًا أَيْنَ يَذْهَبُ لَهْبُ جُوعِهِ؟ فَقَالَ: يُطْفِئُهُ نُورُ الْقَلْبِ.

وقال: كُلُّ عَبْدٍ يَفْعَلُ طَاعَةً أَوْ مَعْصِيَةً بغيرِ اقْتِدَاءٍ فَهُوَ عَيْشُ النَّفْسِ^(٢)، وَكُلُّ فَعْلٍ يَفْعَلُهُ بِاقْتِدَاءٍ فَهُوَ عَذَابٌ عَلَى النَّفْسِ.

وكان يُداوي النَّاسَ، وَلَا يُداوي نَفْسَهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ، فَعُوتِبَ فِيهِ، فَقَالَ: ضَرْبَةُ الْحَبِيبِ لَا تُؤَلِّمُ.

وقال: لَا تُفْتَشْ عَنْ مَسَاوِي النَّاسِ، وَمَعْرِفَةِ أَخْلَاقِهِمْ، وَلَكِنْ فَتَشْ عَنْ

(١) فِي (أ): لَا يَتَنَاوَلُونَ مِنْهَا.

(٢) الْخَبْرُ فِي الرِّسَالَةِ الْقَشِيرِيَّةِ ٩٥/١، وَجَاءَ فِي حَاشِيَتِهِ: عَيْشُ النَّفْسِ أَيُّ حَظُّهَا.

أخلاقِ الإسلامِ وما حالكَ فيه حتَّى يعظُمَ قدرُهُ في نَفْسِكَ، وتجتهدَ في التَّلَبُّسِ
بتلكِ الأخلاقِ.

وقال: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَدَمَ: أَنَا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، فَمَنْ رَجَى غَيْرَ فَضْلِي،
وَخَافَ غَيْرَ عَدْلِي لَمْ يَعْرِفْنِي.

وقال: مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ عِلْمٍ يَزِدُّهُ بِهِ يَقِيناً وَافْتِقَاراً إِلَيْهِ^(١).

وقال: مَنْ طَعَنَ فِي التَّوَكُّلِ فَقَدْ طَعَنَ فِي الإِيمَانِ. قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال: البَلَوَى قَسَمَانِ: بَلَوَى رَحْمَةً، وَبَلَوَى عَقُوبَةً، فَبَلَوَى الرَّحْمَةَ تَبَعْتُ
صَاحِبَهَا عَلَى إِظْهَارِ فَقْرِهِ وَفَاقَتَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى^(٢)، وَتَرَكْتُ تَدْبِيرَ نَفْسِهِ وَاخْتِيَارَهُ،
وَبَلَوَى الْعُقُوبَةَ تَبَعْتُ عَلَى اخْتِيَارِ نَفْسِهِ وَتَدْبِيرِهَا.

وقال: الإِبْتِلَاءُ كَالْمَرَضِ، يَمْرُضُ الْوَاحِدُ مِئَةَ سَنَةٍ فَلَا يَمُوتُ، وَيَمْرُضُ آخَرُ
سَاعَةً فَيَمُوتُ.

وقال: مَا نَظَرَ وَاحِدٌ إِلَى نَفْسِهِ فَأَفْلَحَ، وَلَا ادَّعَى لِنَفْسِهِ حَالاً فَتَمَّ لَهُ،
وَالسَّعِيدُ مَنْ صَرَفَ بَصَرَ نَفْسِهِ عَنِ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَفُتِحَ لَهُ سَبِيلُ الْفَضْلِ
وَالْإِفْضَالِ، وَرُؤْيَةُ مَنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ.

وقال: الشُّرُورُ بِاللَّهِ هُوَ الشُّرُورُ، وَالشُّرُورُ بِغَيْرِهِ هُوَ الْغُرُورُ.

وقيلَ له: مَا الْقُوَّةُ؟ قال: ذِكْرُ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، قال: هَذَا قُوَّةُ
الْأَرْوَاحِ، فَمَا قُوَّةُ الْأَشْبَاحِ؟ قال: دَعِ الدُّنْيَا لِبَانِيهَا إِنْ شَاءَ عَمْرَها، وَإِنْ شَاءَ
خَرَبَها.

وفي روايةٍ عنه: قِيلَ لَهُ: مَا الْقُوَّةُ؟ قال: اللَّهُ. قِيلَ لَهُ: سَأَلْنَاكَ عَنِ قُوَّةِ
هَذَا الْجَسَدِ، قال: اللَّهُ الَّذِي بِهِ يَقُومُ كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا أَلْحُوا، قال: مَا لَكُمْ وَلَهُ،
دَعِ الدِّيَارَ إِلَى مَالِكِها وَبَانِيها، إِنْ شَاءَ عَمْرَها، وَإِنْ شَاءَ خَرَبَها.

(١) في (أ): مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ عِلْمٍ يَسْتَزِيدُ بِهِ افْتِقَاراً إِلَى اللَّهِ.

(٢) في (ب): عَلَى إِظْهَارِ افْتِقَارِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

ويقول: ليس من شأن اللطيفة الإنسانية صُحبة هذا الشكل الخاص، فلا بدّ تشتغل بما هو عين حياتها ووجودها، وأي بيت أسكنها فيه سكنته.

وقال: ما أعرف معصية أقبح من نسيان الربّ.

وقال: أصفى ما يكون ذكري له إذا كنت محموماً.

وقال: التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد.

وقال له رجل: دخل لصّ داري وأخذ متاعي، فقال: اشكر الله، لو دخل اللصّ قلبك - وهو الشيطان - وأفسد التوحيد، ماذا كنت تصنع؟

وقال: العلوم ثلاثة: علم ظاهر يُبذل لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يُظهر إلا لأهله، خوف الفتن، وعلم بين العبد وربّه يستحيل إظهاره لأحد من الخلق.

وسئل عن الاسم الأعظم، فقال: أروني الأصغر أريكم الأعظم، أسماء الله كلها عظيمة، اصدق وخذ أي اسم شئت يفعل معك.

وقال: مَنْ أحبّ أن يُكاشفَ بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنة أو لضرورة.

وقال: مَنْ أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم.

وقال: اجتنب^(١) صحبة ثلاثة أصناف: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

وقال: المرء يعصي الله مئة سنة ثم يُطيعه، ويختم له بخير وينجو، وآخر يتكلم بكلمة في ساعة فتجره للكفر، فيهلك، ومن ذلك عظم الحذر واشتدّ البلاء، وأصله حديث: «إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة...» إلى آخره^(٢).

(١) في (أ): أحببت.

(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» أخرجه البخاري ٣٠٣/٦ (٣٢٠٨) في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (٢٦٤٣) في القدر، باب كيفية =

وقال: الغضبُ أشدُّ على البدنِ من المرضِ، لأنَّه إذا غضِبَ دخلَ عليه من الألمِ أكثرُ ممَّا يدخلُ عليه من المرضِ، ولهذا قال المصطفى ﷺ: «لا تغضب»^(١) وكرَّره.

وقال: الفرحُ كلُّه في تدبيرِ الله لعباده.

وقال: ليسَ بينَ العبدِ وبينَ الله حجابٌ أغلظَ من الدعوى^(٢)، ولا طريقٌ أقربَ إلى الله من الذلَّةِ والافتقارِ.

ونحوه قول البسطامي: نوديتُ في سرِّي: خزائنا مملوءةٌ من الخدمة، فإن أردتْنا فعليك بالذلَّةِ والافتقارِ.

وقال: أوَّلُ دلائلِ المحبَّةِ دوامُ ذِكْرِ المحبوبِ، ولا يستقرُّ ذلك في صميمِ القلبِ إلَّا بعدَ أن يكونَ التَّصديقُ والتَّحقيقُ زاده، أو التَّسليمُ والرِّضا مُرادَه.

وقال: مَنْ ثَقُلَتْ عليه الوحدةُ فهو بعيدٌ من بابِ الله.

وقال: مَنْ خَانَ اللهَ في السِّرِّ هتَكَ سترَه في العلانيَّةِ.

وقال: لَمَّا دخلتُ البصرةَ، وجدتُ بها أربعةَ آلافٍ يتكلمونَ في علمِ المعرفةِ.

وقال: من تمامِ المحبَّةِ، أن تُحِبَّ ما يُحِبُّه حُبِّيبُكَ، وتكرهَ ما يكرهه.

وقال: دَعِ التَّدبيرَ والاختيارَ لله الواحدِ القهارِ، فإنَّ تدبيرَ الخلقِ لأنفسِهِم هو المُكَدَّرُ لِعَيشِهِم.

وقال: مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ قَرِيبٌ مِنْهُ فَقَدْ بَعُدَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

= الخلقِ الآدمي. وللحديث رواية أخرى تبين معنى عمل أهل الجنة، وأهل النار، فقد أخرج مسلم ٢٠٤٢/٤ (١١٢) عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل لعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل لعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة».

(١) أخرجه البخاري ٥١٩/١٠ (٦١١٦) في الأدب، باب الحذر من الغضب، والترمذي

٣٧١/٤ (٢٠٢٠) في البر والصلة، باب ما جاء في كثرة الغضب، عن أبي هريرة.

(٢) في (أ): لا حجاب أغلظ من الدعوى.

وقال: مَنْ أَسْلَمَ قَلْبَهُ لِهَيْبَةِ اللَّهِ تَوَلَّى اللَّهُ جِوَارِحَهُ.

وقال: إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ عَقُولَ الْخَلْقِ بِحُجُبِ لَطِيفَةٍ، فَحَجَبَ الْعُلَمَاءَ عَنْهُ بِالْعِلْمِ، وَالزُّهَّادَ بِالْعَمَلِ، وَالْحُكَمَاءَ بِلَطَائِفِ الْحِكْمَةِ، أَمَّا الْعَارِفُونَ فَأَسْكَنَ قُلُوبَهُمْ مِنْ نُورِ مَعْرِفَتِهِ، فَلَمْ يَحْجُبْهُمْ بِشَيْءٍ.

وقال: يَا مُسْكِينِ، كَانَ اللَّهُ وَلَمْ تَكُنْ، وَيَكُونُ اللَّهُ وَلَا تَكُونُ، فَلَمَّا كَوَّنَكَ الْيَوْمَ صِرْتَ تَقُولُ: أَنَا وَأَنَا! كُنِ الْآنَ كَمَا كُنْتَ قَبْلَ تَكْوِينِكَ، وَاعْرِفْ فَاقَةَ نَفْسِكَ وَحَقَارَتَهَا، وَنَزْلَهَا مِنْزَلَتَهَا مِنَ الذَّلَّةِ وَالْإِحْتِقَارِ.

وقال: الْهَجْرَةُ فَرَضٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْجَهْلِ إِلَى الْعِلْمِ، وَمِنَ النَّسْيَانِ إِلَى الذِّكْرِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ الْإِصْرَارِ إِلَى التَّوْبَةِ.

وقال: لَيْسَ خَوْفُنَا مِنَ النَّارِ، وَلَا رَجَاؤُنَا لِلْجَنَّةِ، بَلْ خَوْفُنَا مِنَ الْحِجَابِ، وَمَطْلَبُنَا لِقَاءَ اللَّهِ.

وقال: طُوبَى لِمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، فَإِنَّهُ يَتَدَارَكُ مَا فَرَطَ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَتَدَارَكْ كَانُوا لَهُ شُفَعَاءَ.

وقال: الدُّنْيَا حَرَامٌ عَلَى صِفْوَةِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا أَنَّ صَيْدَ الْحَرَمِ^(١) حَرَامٌ عَلَى الْمُحْرِمِ.

وقال: أَكْبَرُ الْكِرَامَاتِ أَنْ تُبَدَّلَ خُلُقًا مَذْمُومًا بِمَحْمُودٍ^(٢).

وقال: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءِ عَلَى تَفْسِيرِ الْعَافِيَةِ بِأَنْ لَا يَكِلَ اللَّهُ الْعَبْدَ إِلَى نَفْسِهِ، وَأَنْ يَتَوَلَّاهُ، وَهُوَ قَوْلُ الْمُصْطَفَى ﷺ: «لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي»^(٣).

وقال: الْأَنْفَاسُ مَعْدُودَةٌ، فَكُلُّ نَفْسٍ يَخْرُجُ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَهِيَ مَيِّتٌ.

وقال: يَتَفَاضَلُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ يَقِينِهِمْ، فَمَنْ كَانَ أَغْرَبَ

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: لِأَنَّ صَيْدَ الْحَرَمِ.

(٢) فِي (ب): بِخُلُقٍ مَحْمُودٍ.

(٣) عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِي اللَّهِ عَنْهُ قَالَ: كَانَ مِنْ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي لِرُفْعَةِ عَيْنِي، وَلَا تَنْزِعْ مِنِّي صَالِحَ مَا أُعْطَيْتَنِي» ذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَتَمِّعِ الزَّوَائِدِ ١٠/١٨١، قَالَ: رَوَاهُ الْبَزَّازُ، وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الْخَزَّازِيُّ وَهُوَ مَتْرُوكٌ.

يَقِينًا^(١) كان من دونه في ميزانه، وأدنى مراتب اليقين الثقة بالله، وأدنى مراتب التوكل ترك الاختيار.

وقال: إنما منع الله الغافلين لذة مُنَاجاتِهِ لأنه لم يرضَ عقولهم لمعرفة، ولا أبدانهم لخدمته، فأذَلَّهم وجعلهم عبيد الدنيا.

وكان يقول: الرَّجُلُ مَنْ يُصَلِّي فِي فَلَائَةٍ، فَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ، فَيَنْصَرِفُ مَعَهُ أَمْثَالُ الْجِبَالِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، عَلَى مُشَاهِدَةٍ مِنْهُ إِيَّاهُمْ.

وقال ابن عربي: وأنا أقول: الرَّجُلُ مَنْ يُصَلِّي فِي فَلَائَةٍ فَيَنْصَرِفُ بِالْحَالِ الَّذِي هُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَا يَنْصَرِفُ مَعَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَيْنَ يَذْهَبُ، وَهَوْلَاءُ هُمْ رِجَالُ الْغَيْبِ. انتهى.

وقال: صعدتُ جبلَ قاف^(٢)، ورأيتُ سفينةَ نوحٍ مطروحةً فوقه.

وقال: لله عبدٌ يرفعُ رجله وهو بالبصرة فيضعها على جبلِ قاف.

وقال: أعمالُ البرِّ كلها في صحائفِ الزاهدين.

قال الياقعي^(٣): هذا في نهاية التحقيق^(٤)؛ فإنَّ أهلَ الدنيا يخرجُ بعضهم عن بعضِ ماله^(٥) في عملِ البرِّ، والزُّهَّادُ خرجوا عن الكلِّ لله، وجمَعوا بين العبادة البدنيَّة والقلبيَّة والماليَّة.

وقال: لي أربعون سنةً أكلمُ الله^(٦)، والنَّاسُ يظنُّون أنَّي أكلمُهم.

قال القيصري: هذه كلمةٌ شأنها عظيم، قليلٌ من يفهمُ حقيقتها^(٧)، فإن

(١) كذا في الأصل، وفي مناقب الأخيار ٦١/أ: أوزن يقيناً.

(٢) انظر الحاشية (١) في ٢٣٩/٢.

(٣) روض الرياحين صفحة: ٤٨.

(٤) كذا في الأصول، وفي روض الرياحين: التصديق.

(٥) في الأصول: بماله. والمثبت من روض الرياحين.

(٦) جاء في هامش (ب): قوله: أكلم الله... إلخ هذه العبارة تشير إلى دوام حضوره

مع الله تعالى، ومراقبته وفنائه عن نفسه، فلا يشهد إلا الله الواحد القهار، ﴿فَاعْتَبِرُوا

يَتَأْتِي الْأَبْصَرَ﴾ [الحشر: ٢] كاتبه.

(٧) في المطبوع: حقيقة، وفي (ب): حقيقته.

فهِمَّتْ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِلَّا فَسَلِّمْ كُلَّ صِنْعَةٍ لِأَهْلِهَا، وَلَا تُنْكَرْ مَا لَا تَفْهَمُ تَخَسَّرْ أَوَّلَ أَنْصِبَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ التَّصَدِيقُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وقال: تَحَاجَّجْتُ أَنَا وَإِبْلِيسُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ، فَكَانَ مِنْ آخِرِ مَا قَالَهُ لِي: هَلْ أَنَا شَيْءٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قال: قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فبأيِّ دَلِيلٍ لَا تَنَالِنِي الرَّحْمَةَ؟ فَأَوْقَفَنِي، وَغَضَضْتُ^(١)، وَوَلَّى، فَتَدَبَّرْتُ الْآيَةَ فَرَأَيْتُهُ عَقَّبَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿شَيْءٌ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فَصَحْتُ بِهِ: ارْجِعْ أُجِبْكَ، فَارْجِعْ مُتَبَسِّمًا، قُلْتُ: قَدْ خَرَجْتَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا...﴾ الْآيَةَ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَبْلُغَ بِكَ الْجَهْلُ إِلَى مَا أَرَى، لَيْتَكَ سَكَتَ، مِنْ أَيْنَ أُعْطِيتَ أَنِّي لَا أَتَّقِي، وَقَدْ غَيَّانِي^(٢) لِيَوْمِ الدِّينِ؟ وَانْتِفَاعُ أَهْلِ الْأَعْرَافِ بِسُجُودِهِمْ هُنَاكَ أَطْمَعَنِي فِي قَبُولِ تَوْبَتِي، وَأَيْضًا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ التَّقْيِيدَ صِفَتُكَ لَا صِفَتَهُ؟ قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَخْذَ عَنْهُ طَرِيقَ الْمَعْرِفَةِ.

وكان له تلميذة لها ولدٌ، فَأُخْبِرَ بِأَنَّهُ غَرِقَ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَتَكَلَّمَ فِي الصَّبْرِ وَالرِّضَا، فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ بِهَذَا؟ فَقَالَ: ابْنُكَ غَرِقَ. قَالَتْ: مَا غَرِقَ، فَقَوْمُوا، فَقَامُوا مَعَهَا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى النَّهْرِ، فَقَالَتْ: أَيْنَ غَرِقَ؟ قَالُوا: هُنَا، فَصَاحَتْ بِهِ، فَأَجَابَهَا فَتَزَلَّتْ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ وَمَضَتْ بِهِ، فَبُهِتَ الْحَاضِرُونَ، فَقَالَ السَّرِيُّ: إِنَّ الْمَرْأَةَ مُرَاعِيَةٌ لِمَا لَلَّهِ عَلَيْهَا، وَحَكْمٌ مَنْ كَانَ مُرَاعِيًا لِذَلِكَ أَنْ لَا تَحْدُثَ حَادِثَةٌ حَتَّى يُعْلَمَ بِهَا، فَلَمَّا لَمْ تَكُنْ حَادِثَةٌ لَمْ يُعْلَمْ بِشَيْءٍ، فَأَنْكَرَتْ أَنَّ رَبَّهَا مَا فَعَلَ ذَلِكَ^(٣).
ومن كراماته:

أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ فَالِحٌ آخِرَ عَمْرِهِ، فَكَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ زَالَ عَنْهُ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا عَادَ إِلَيْهِ.

ومنها: أَنَّهُ احْتَجَّ فِي سِيَاحَتِهِ إِلَى الْوُضُوءِ، وَفُقِدَ الْمَاءُ، فَاعْتَمَّ، فَأَتَاهُ دُبٌّ

(١) فِي (أ): غَضِصَتْ.

(٢) غَيَّانِي: أَخْرَنِي. انظُرِ اللِّسَانَ (غَيْي).

(٣) التَّلْمِيذَةُ هِيَ تَلْمِيذَةُ السَّرِيِّ، وَالْقَائِلُ: إِنَّ الْمَرْأَةَ مُرَاعِيَةٌ... هُوَ الْجَنِيْدُ. انظُرِ الْخَبَرَ فِي رَوْضِ الرَّايَا حِينَ ١٣١ (٥٤).

بجزرة خضراء مملوءة ماء، فوضعها بين يديه وانصرف .

ومنها: أن رجلاً دخل إليه يوم الجمعة قبل الصلاة، فرأى في بيته حية عظيمة، فوقف، فقال: ادخل، لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه، ثم قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقال: بينا وبين الجامع مسيرة يوم، فأخذ بيده، فأدخله إليه فوراً، فصلباً، ثم خرج ينظر الناس خارجين، فقال: أهل لا إله إلا الله كثير، والمخلصون منهم قليل .

وكانت السباع يأتونه زائرين، وعنده بيت يسمى بيت السباع، فيُنزلهم فيه، ويُضيفهم باللحم جهاراً، ثم يأذن لهم بالانصراف .

وقال له تلميذه عبد الرحمن بن أحمد: يا سيدي، ربّما أتوضأ، فالماء الذي يسيل من أعضائي يصير قصباناً من الذهب والفضة، فقال له: أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يُعطوا خشخاشة يشتغلون بها؟! .

وسأله رجل الصُّحبة، فقال: إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحّبني .

وله ذكرٌ عظيم الشأن، جرّبه أهل العرفان .

وقال ابن عربي: دخلتُ به الخلوة ففتح لي به^(١) في ليلة واحدة، وفيه أسرارٌ عجيبة، وأذواقٌ غريبة، ومن أكثر ذكره حُبّ إليه الطاعات، وبُغضت إليه المنكرات .

قال بعضهم: ومن تعلق به لم يُعجزه شيء من الموجدات .

ومن ذكره كل ليلة سبع مرات وهو في فراشه، وجد له حلاوة في سرّه، وهو هذا: الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهدٌ عليّ^(٢) .

(١) في (ب): ففتح علي به .

(٢) كذا في الأصول، والخبر في الرسالة القشيرية ٩٣/١ عن سهل قال: قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقتك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال لي: قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظرٌ إليّ، الله شاهدٌ عليّ . فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت =

وحكى عن نفسه أنه في بدايته تروضاً للجُمعة وذهب للجامع، فوجده امتلاً بالناس، والخطيبُ يخطبُ، فتخطى الرّقابَ حتى وصل للصفِّ الأوّل، فقعد، فأخذته حرقةُ البول، فأكربهُ، وقد قربت إقامةُ الصلَاةِ، وبجنبه شابٌ لا يعرفهُ، فالتفت إليه، وقال: يا سهلُ، أخذك البولُ؟ ثم نزع بُردتَهُ عن منكبه، وغشاهُ بها، وقال: اقصرِ حاجتَكَ، وأسرعْ إلى الصلَاةِ، ففتحَ عينيه فإذا ببابٍ مفتوح، فدخله، فإذا بقصرٍ ونخلةٍ بجانبها مطهرةٌ، فأراق الماءَ، وتوضأً، فنزع الشابُّ بُردتَهُ عنه، فإذا هو قاعدٌ محلّه، ولم يشعر به أحدٌ^(١).

وله تصانيفٌ نفيسةٌ منها: «رقائق المحبين ومواعظ العارفين وجوابات أهل اليقين» وغير ذلك.

مات سنة ثلاث^(٢) وثمانين ومئتين، عن ثلاث^(٣) وثمانين سنة.

* * *

(٢٥٥) سهل بن عبد الله بن الفرّخان الأصبهاني^(*)

صوفيٌّ، دينه متين، ولسانه بدوام الذكر غير ضنين، وعلمُه مقرونٌ بالإخلاص، ونفسُه مُجتهدةٌ في تحصيل الزادِ ليوم الإشخاص، وكان مُجاب الدّعوة.

لقي: الأنطاكي، وابن أبي الحواري وغيرهما.

وأقام بالثغرِ مُدّةً، وكتبَ بمصرَ والشّام الحديثَ الكثير.

= ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علّمتك، ودّم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرّي.

(١) الخبر من (أ).

(٢-٢) ما بينهما مستدرک من (أ).

(*) حلية الأولياء ٢١٢/١٠، ذكر أخبار أصبهان ٣٣٩/٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٢٢/١٠، الوافي بالوفيات ٥/١٦، غاية النهاية ٣١٩/٢ (١٤٠٠).

وله كراماتٌ كثيرةٌ منها: أنه دخلَ الحَمَّامَ للتَّنْظِيفِ، فرأى بعضَ العَوْرَاتِ مكشوفةً، فسألَ رَبَّهُ أنْ يَكْفِيَهُ أمرَ التَّنْظِيفِ ودخولِ الحَمَّامِ، فسقطتُ شعرتهُ حالاً، ولم تنبت بعد دعوته.

وكان له شجرةٌ جوزٍ تحملُ كلَّ سنةٍ كثيراً، فسقطَ عنها رجلٌ، فقال: اللّهُمَّ أَيْسئها. فبيست فوراً.

وله من هذا كثير، وأمّا حاله من إدمانِ الذِّكْرِ والمُشاهدةِ والحضورِ، والتَّعَرِّيِ من حظوظِ النَّفسِ، والمُسامرةِ والمُوافقةِ، والتَّبرِّيِ من رؤيةِ النَّاسِ، والمُخالطةِ، فشائعٌ ذائع.

وهو أوَّلُ مَنْ حَمَلَ من علمِ الشَّافِعِيِّ «مُختَصَرَ حرملة» فاستعظمَ ذلك النَّاسُ، وآذوه كثيراً، فصبرَ على أذاهم حتى مضى حميداً. مات سنة ستِّ وسبعين ومئتين.

* * *

(حرف الشين المعجمة)

(٢٥٦) سُقران المغربي (*)

شيخُ ذي الثُّونِ المصري، عارِفٌ ظَهَرَ ضياؤه، وطابَ ذِكْرُهُ وثناؤه، وكان ذا أحوالٍ باهرة، ومقاماتٍ فاخرة.
ومن كلامه:

إنَّ لله عِبَاداً خَرَجُوا^(١) إليه بإِخْلَاصِهِمْ، وَشَمَّرُوا إليه بِنِظَافَةِ أَسْرَارِهِمْ، فَأَقَامُوا على صِفَاءِ المَعَامِلَةِ، وَبادَرُوا إلى اسْتِمَاعِ كَلَامِهِ بِحُضُورِ أَفْهَامِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَظَرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ المُلَاحِظَةِ، فَأَجْزَلَ لَهُم المَوَاهِبَ، وَحَفَّت بِهِمْ مِنْهُ^(٢) العَطَايَا، فَشَمُّوا رِوَاحِ القُرْبِ مِنْ قُرْبِهِ، وَهَبَّتْ عَلَيْهِم رِياحُ اللِّقَاءِ مِنْ تَحْتِ عَرْشِهِ، فَتَطَايَرَتْ أرواحُ قُلُوبِهِمْ إلى ذَلِكَ الرُّوحِ العَظِيمِ، ثُمَّ نَادَتْ: لا بَرَاخَ.
وقال: أَلَا خِلُّ خَدُومٍ؟ أَلَا صَدِيقٌ يَدُومُ؟ أَلَا حَلِيفٌ وَدَادُ؟ أَلَا صَاحِبُ عِزٍّ؟ أَلَا مَنِ اسْتِراحَ قَلْبُهُ بِحُبِّ اللهِ؟ أَلَا مَنِ ظَهَرَ على جِوارِحِهِ نُورُ خِدْمَةِ اللهِ؟ أَلَا مَنِ عَرَفَ الطَّرِيقَ؟ أَلَا مَنِ نَطَقَ بِالتَّحْقِيقِ^(٣)؟ أَلَا مَنِ سَقَى

(*) الكامل في التاريخ ١٧٤/٦، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ٢٠٨/١، جامع كرامات الأولياء ٤٢/٢، شجرة النور الزكية ٦٠، الأعلام ١٧٠/٣، وفي مصادر ترجمته أنه توفي سنة ١٨٦ في القيروان. وكان حقه أن يكون من رجال الطبقة الثانية.

- (١) في (أ): أخرجوا.
- (٢) في المطبوع: لهم منه.
- (٣) في المطبوع: نظر بالتحقيق.

فبأح ؟ أين من بكى ونأح ؟ أولئك أأأ بهم الملائكة بالليل والنهار، وأسلم
عليهم الأأان من الأأار .

ومن كراماته :

أنه أراد ليلة أن يغسل، فلم يجد ماء، فلأأ إلى السماء، وقال : اللهم، أأ
عزت عن الماء، وانأأ رأائي من غيرك، فأأف على قلة أأأ، فأسمع
وقع الماء في الإناء، فأأ إليه فوجداه بارداً، فأأ شفتيه، فإذا به أأ سأن .

وكان لا يكلم الناس، ولا يخرج من أأته إلا كل أربعين يوماً مرة .

مات بمصر، وأأ بالقرافة، بأأ قبر عقبه⁽¹⁾ .

* * *

(1) في مصادر ترجمته غير أأمع كرامات الأولياء أنه أأ بالقبروان بأب سلم .

(حرف الطاء المهملة)

(٢٥٧) طيفور بن عيسى (*)

أبو يزيد البسطامي، أشهر من أن يُذكر، وأعرّف من أن يُعرّف، كان نادرةً زمانه حالاً وأنفاساً، وورعاً وعِلماً وزهداً واتّقاءً وإيناساً.

ناهيك بقول الخوافي: هو سلطان العارفين.

وكان ابن عربي يُسمّيه أبا يزيد الأكبر.

وهو القائل:

أريدك لا أريدك للثواب ولكنني أريدك للعقاب
وكلُّ مآربي قد نلتُ منها سوى مَلذوذٍ وَجدي بالعذاب

فانظر إلى هذا النفس ما أسماه! وإلى هذا المقام ما أسناه!

أوحشه السراج ليلة، فقال لأصحابه: إنني أجِدُ وَحْشَةً في السراج. قالوا: يا سيّدنا، استعرنا قارورة من البقال لنسوق فيها الدُهْنَ مرّةً واحدةً، فسقناه فيها مرّتين. فقال: اعرفوا البقال وأرضوه، ففعلوا، فزالت عنه الوحشة.

(*) طبقات الصوفية ٦٧، حلية الأولياء ٣٣/١٠، الرسالة القشيرية ٨٨/١، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، الأنساب ٢١٣/٢، المنتظم ٢٨/٥، صفة الصفوة ١٠٧/٤، المختار من مناقب الأخيار ٢٢٠/أ، معجم البلدان ٤٢١/١، اللباب ١٥٢/١، وفيات الأعيان ٥٣١/٢، سير أعلام النبلاء ٨٦/١٣، ميزان الاعتدال ٣٤٦/٢، العبر ٢٣/٢، مرآة الجنان ١٧٣/٢، الوافي بالوفيات ٥١٤/١٦، البداية والنهاية ٣٥/١١، طبقات الأولياء ٣٩٨، النجوم الزاهرة ٣٥/٣، طبقات الشعراني ٧٦/١، شذرات الذهب ١٤٣/٢، جامع كرامات الأولياء ٤٩/٢.

قال ابن عربي: وكان حاله التجريد، وعدم الادخار، فقال يوماً لأصحابه: فقدت قلبي، فاطلبوا البيت. فوجدوا فيه معلاق عنب، فقال: رجع بيتنا بيت البقالين، فتصدقوا به، فوجد قلبه.

وذكر - أعني ابن العربي - أنه كان القطب الغوث في زمانه، حيث قال: من الأقطاب من يكون ظاهر الحكم، ويحوز الخلافة الظاهرة، كما حاز الباطنة من جهة المقام: كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عبد العزيز، ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة، ولا حكم له في الظاهرة، كأبي يزيد. انتهى.

وقال في موضع آخر: أبو يزيد كان على قلب إسرائيل، له الأمر ونقيضه، جامع للطرفين، وهذا المنصب لا يكون في الزمان إلا لواحد فقط. انتهى.

قال الذهبي^(١): نقلوا عنه أشياء كبيرة الشأن في صحتها منها: سبحاني، وما في الجبة إلا الله^(٢). ما النار؟ لأستند إليها، وأقول: اجعلني لأهلها فداءً، وإلا بلغت^(٣). ما الجنة إلا لعبة الصبيان؟ هب لي هؤلاء اليهود، وما هؤلاء حتى تُعذبهم؟ ومن الناس من يُصحح هذا عنه، ويقول: قاله حال سُكره. انتهى.

قال ابن حجر بعد حكايته ذلك عنه: قلت: أبو يزيد يسلم له حاله، والله متولّي السرائر. انتهى.

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٨٨، وميزان الاعتدال ٢/٣٤٦.

(٢) جاء في دائرة المعارف الإسلامية ٢/٣٣١ (بازيد) في معرض الحديث عن عبارات أبي يزيد المشككة: ونستدل من كلماته هذه على أنه كان يقول بوحدة الوجود، وأنه ربما كان أول من قال بمذهب الفناء. اهـ.

والفناء: عدم شعور الشخص بنفسه أو بشيء من لوازم نفسه، وعلامته ذهاب حظ المرء من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى، والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى بما له ويبقى بما لله تعالى، وآخر الفناء ألا ترى شيئاً إلا الله، وأن تكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله، فإذا قال الصوفي: ليس في الوجود إلا الله، عبّر بذلك عن فناء ذاته في الذات الإلهية. اهـ المعجم الفلسفي ٢/١٦٧ (الفناء).

(٣) في الأصل: ولأبلغتها، وفي ميزان الاعتدال: أو لا بلغتها، والمثبت من السير.

ولمَّا تكلَّم في علومِ الحقائقِ لم يفهم أهلُ عصره كلامه، فرموه بالعظائم، ونفوه من بلدهم سبعَ مرَّاتٍ، وهم في كلِّ مرَّةٍ يَحْتَلُّ أمرهم، وينزلُ بهم البلاءُ، حتَّى أذعنوا له، وأجمَعوا على تعظيمه.

وكان إذا ذكرَ اللهُ يَبُولُ الدَّمَّ.

وصلَّى الجمعةَ، فسمعَ الخطيبَ يقرأ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا﴾ [مريم: ٨٥] ففرِحَ، فطارَ الدَّمُ من عَيْنَيْهِ حتَّى ضربَ المنبرَ، وقال: يا عَجَباً، كيفَ يَحْشُرُ إليه مَنْ هو جَلِيسُهُ؟ فَإِنَّ اللهُ يَقُولُ: أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي^(١)، والمُتَّقِي ذَاكِرُ اللهِ ذَكَرَ حَذِرٍ، فَلَمَّا حُشِرَ إِلَى الرَّحْمَنِ، وهو مقامُ الأمانِ ممَّا كانَ فيه من الحَذَرِ، فرِحَ بذلك، قال ابنُ عربي: فكانَ دَمْعُ أَبِي يَزِيدٍ دَمْعَ فَرِحٍ لا دَمْعَ تَرَحٍ، كيفَ حَشَرَ مِنْهُ إِلَيْهِ، حتَّى حَشَرَ غَيْرَهُ إِلَى الْحِجَابِ؟.

قال: وكان يَحْتَجُّ على مواجيدِهِ بالقرآنِ وما تقدَّم^(٢) له به حِفْظٌ، ومَنْ لم يُعطِ ذلكَ لم يحكمِ عليه بقبولٍ ولا رَدٍّ، كأهلِ الكِتَابِ إذا أخبرونا عن كتابهم بأمرٍ لا نُصدِّقُ ولا نُكذِّبُ، هكذا أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ^(٣)، فتركه موقوفاً.

قال - أعني ابنُ عربي - : قال بعضُ المحجوبين لأبي يزيد: شربتُ شربةً فلم أظمَّ بعدها أبداً. فقال أبو يزيد: الرَّجُلُ مَنْ يَشْرَبُ الْبِحَارَ، وَلِسَانُهُ خَارِجٌ عَلَى صَدْرِهِ مِنَ الْعَطَشِ، فَأشارَ إِلَى أَنَّ الْحَبَّ شَرِبْتُ بِلَا رِيٍّ.

قال ابنُ عربي: جَرَّبْتُ الْمُخْبِرِينَ عَنِ اللهِ إِذَا ضَرَبُوا الْأَمْثَالَ لِأَمْرِ مَا؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ وَقوعِ ذَلِكَ الْمَضْرُوبِ بِهِ الْمَثَلِ، كان أبو يزيد البسطامي يُشيرُ عن نفسه أَنَّهُ قُطِبُ الْوَقْتِ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا عَنْ بَعْضِ الرَّجَالِ: إِنَّهُ يُقالُ فِيهِ إِنَّهُ قُطِبُ الْوَقْتِ.

(١) تقدم تخريجه، انظر صفحة: ٤٣٧.

(٢) في (أ): سبق.

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة معلقاً ٢٩١/٥ في الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، وأحمد في مسنده ١٣٦/٤ عن أبي نملة الأنصاري.

قال أبو هريرة: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تصدقوا أهل الكتاب بما يحدثونكم عن الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا، لأن الله تعالى أخبر أنهم كتبوا بأيديهم، وقالوا: هذا من عند الله».

فقال: الولاية كثيرون، وأمير المؤمنين واحد، لو أن رجلاً شقَّ العصا، وقام
ثائراً في هذا الموضع - وأشار إلى قلعة هناك - وادَّعى أنه خليفة، قُتِلَ، ولم يتم
له ذلك، وبقي أمير المؤمنين. فما مرَّت إلا أيام، حتى ثارَ في تلك القلعة ثائرٌ
ادَّعى الخلافة، فقتل، وما تمَّ له ذلك، فوقع ما ضربَ به أبو يزيد المثل عن
نفسه.

وكان إذا رآه النَّاسُ، يتمسَّحونَ بمرقعته تبرُّكاً، فلاموه على ذلك، فقال:
هم لا يتبرَّكون بي، إنما يتبرَّكون بخلعة ربِّي التي خلعتها عليَّ.

وكان على قدم المسيح عليه السَّلام، قتلَ نملةً خطأً، فنفخَ فيها فأحياها،
خَوْفاً من المُطالبة.

وقال: أوقفني اللهُ بينَ يديه، وقال: يا أبا يزيد، بأيِّ شيءٍ جِئتني؟ قلتُ:
بالزُّهدِ في الدُّنيا، قال: إنما مقدارُ الدُّنيا عندي جناحٌ بعوضة، ففيمَ زهدتَ؟
قلتُ: إلهي، أستغفركَ من ذلك، جِئتُ بالتوكلِ عليك، قال: ألم أكنُ ثقةً فيما
ضمنتُ لك؟ قلتُ: أستغفركَ، جِئتُ بك أو قال: بالافتقارِ إليك، فقال عند
ذلك: قبلناكَ.

وقال: وقفتُ مع العابدين، فلم أرَ لي معهم قدماً، فوقفْتُ مع المجاهدين،
فلم أرَ لي معهم قدماً، فوقفْتُ مع المُصلِّين والمُصَّائمين، فلم أرَ لي معهم قدماً.
فقلتُ: يا ربِّ، كيفَ الطريقُ إليك؟ فقال لي: اتركْ نفسك وتعال، قال
الخوَّاص: فاخترَ له الطريقَ بالطفِ كلمةٍ وأخصرها؛ فإنه إذا تركَ حظَّ نفسه
من الدَّارين، قامَ الحقُّ معه.

ومن فوائده التي لا تكاد تُحصى: سِرٌّ في ميدانِ التَّوحيدِ حتى تصلَ إلى دارِ
التَّفريدِ، وطُرٌّ في دارِ التَّفريدِ^(١) حتى تلحقَ وادي الديمومية^(٢).

وقال: ليسَ الرَّجُلُ مَنْ يَسِيرُ مع القافلة؛ إنما الرَّجُلُ مَنْ يَنَامُ إلى الصُّباحِ
فيُصبحُ أمامها في المنزلِ.

(١) في المطبوع: التفريد. وانظر حلية الأولياء ٣٥/١٠.

(٢) في (أ) و (ب): الديمومة، وانظر حلية الأولياء ٣٥/١٠.

وقال: علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد، ومبته حيث أدرك، وشغله بربه.

وجاء رجلُ بابَه فدقّه، فقال: مَنْ تطلب؟ قال: أبا يزيد. قال: ليس في البيتِ غيرُ الله.

وطرق طارقُ بابَه، وقال: ها هنا أبو يزيد؟ فصاح: إنّ أبا يزيد في طلب أبي يزيد منذُ أعوامٍ فما رآه، يُشيرُ إلى ذهابه عن الخلقِ إلى الحقِّ بلا رجوع.

وقال: أمرَ الله العبادَ ونهاهم، فأطاعوا، فخلعَ عليهم خلعاً، فاشتغلوا عنه بالخلع، وإني لا أريدُ من الله إلا الله.

وذكرَ عنده الزُّهد؛ فقال: ما أهونَه! زهدتُ في اليومِ الأوّلِ في الدُّنيا وما فيها، وفي الثاني في الآخرةِ وما فيها، وفي الثالثِ فيما سوى الله.

وقرئَ عليه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] فقال: بطشي أشدُّ، ووجهه كما قال ابنُ عربي: إنّ بطشَ العبدِ بطشٌ معرّي عن الرّحمة، فليس عنده حالٌ^(١) بطشه من الرّحمةِ شيءٍ، وبطشُ الحقِّ بكلِّ وجهٍ فيه رحمةٌ بالمبطوشِ به، فهو الرّحيمُ له في بطشه.

وسئِلَ: من أين تأكلُ؟ فقال: مولاي يُطعمُ الكلبَ والخنزيرَ، أفترى أنّه لا يُطعمُ أبا يزيدَ؟!

وقال: انسلختُ من جلدي فرأيتُ من أنا. قال الشهروردي: أشار إلى النفسِ النّاطقة.

وصلّى خلفَ إمامِ الجامع، فلمّا سلّمَ الإمامُ، قال: يا أبا يزيد، من أين تأكلُ؟ قال: اصبرِ حتّى أُعيدَ صلاتي؛ فإنّك شككتَ في رزقِ المخلوق، ولا تجوزُ الصّلاةُ خلفَ مَنْ لا يعرفُ الرّازق.

وقال: غلطتُ في بدايتي في أربعة، توهمتُ أنّي أذكرُه، وأعرفُه، وأحبُّه،

(١) في المطبوع: حاله.

وأطلبه، فلما نظرتُ رأيتُ ذكره لي، ومعرفته بي، وحبّه لي، وطلبه إياي كان أولاً حتى طلبته.

وقال: قلتُ يوماً: سبحان الله، فناداني الخالق⁽¹⁾ في سرّي: هل في عيبٍ تنزّهني عنه؟ قلتُ: لا، يا ربّ، قال: فنفسك نزه عن ارتكاب الرذائل، فأقبلتُ على نفسي بالرياضة حتى تنزهتُ عن الرذائل، وتحلّلتُ بالفضائل، فصرتُ أقول: سبحاني، ما أعظم شأنني!! من باب التّحديث بالنعمة.

وقال: ليس العالمُ مَنْ يحفظُ من كتاب، فإذا نسي ما حفظَ صار جاهلاً بل مَنْ يأخذُ علمه من ربّه أيّ وقتٍ شاء بلا تحفّظٍ ولا درسٍ، وهذا هو العالمُ الربّاني.

وقال: إذا رأيتَ مَنْ يؤمنُ بكلامِ أهلِ هذا الطّريقِ فقل له يدعو لك، فإنّه مُجابُ الدّعوة.

وقال: قال لي الحقّ: اخرج إلى خلقي بصفتي، فمن رآك رأني، قال ابنُ عربي: هو ظهورُ صفاتِ الرّبوبيّةِ عليه، ألا ترى خلفاءَ الحقّ في العباد لهم الأمر، والنهي والحكم، والتحكّم، وهذه صفةُ الإله، والسّوقةُ مأمورةٌ بالسّمعِ والطّاعة.

وقال: حُظوظُ كراماتِ الأولياءِ مع تباينها من أربعةِ أسماء، وقيامُ كلِّ فريقٍ منهم من اسمٍ منها: الأوّل، والآخِر، والظّاهر، والباطن، فمن كان حظّه من اسمه الظّاهر، لاحظَ عجائبِ قدرته، أو الباطن، لاحظَ ما جرى في السّرائر من أنواره، أو الأوّل، كان شغله بما سبق، أو الآخِر، كان مُرتبطاً بما يستقبله.

وقال: أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت، وقال ابنُ عربي: علماءُ الرّسوم يأخذون خلفاً عن سلفٍ إلى يومِ القيامة، فيبعدُ النّسب، والأولياءُ يأخذون عن الله، ألقاهُ في صدورهم من لدنّه رحمةً منه، وعنايةً سبقت لهم عند ربّهم. انتهى.

(1) في (أ): الحق.

وقال: كنتُ في حالةٍ توَهَّمْتُ أنَّي وصلتُ إلى غايةِ الوِصالِ، ففاجأني شيخٌ، وقال: يا أبا يزيد، نهايتُك بدايةُ القومِ.

وقيل له: هل بلغتَ جبلَ قاف؟ قال: جبلُ قافٍ ليس بغريبٍ، بل الشَّانُ جبلُ كافٍ، وجبلُ صادٍ، وجبلُ عينٍ. هذه جبالٌ مُحيطَةٌ بالأرضِ، حول كلِّ أرضٍ جبلٌ بمنزلةٍ حائِطِها.

وقال: رأيتُ الحورَ في النَّومِ، فنظرتُ إليهنَّ فانتبهتُ^(١) وقد سلبَ وقتي، ثم رأيتُهُنَّ فأعرضتُ عنهنَّ، فأُنعمَ عليَّ بوقتي.

وقال: الأولياءُ لا يفرحونَ بإجابةِ الدَّعواتِ التي هي عينُ الكراماتِ؛ كالمشي على الماءِ، والهواءِ، وطَيِّ الأرضِ وركوبِ السَّماءِ، فإنَّ أدعيةَ الكُفَّارِ تُجاب، والأرضُ تُطوى للشَّياطينِ والدَّجَّالِ، والهواءُ مُسَخَّرٌ للطَّيرِ، والماءُ للحوتِ، فمَنْ أُنعمَ عليه بشيءٍ منها، فلا يأمنِ المكرَ.

وقال: ما وجدتُ المعرفةَ إلاَّ ببطنِ جائعٍ، وبدنِ عارٍ.

وقيل له: حدِّثنا عن رياضةِ نفسِكَ في بدايتِكَ. فقال: دعوتُها إلى الله فنكلتُ عليَّ، فعزمتُ عليها أن لا أشربَ الماءَ ولا أذوقَ النَّومَ سنةً، فأذعنتُ.

وقال: إنَّما نالوا ما نالوا بتضييعِ ما لهم، وشهودِ ما له تعالى.

وقال: حركاتُ الظَّواهرِ تُوجبُ بركاتِ السَّرائِرِ.

وقال: ليسَ العجبُ من حُبِّي لك وأنا عبدٌ فقيرٌ^(٢)، بل من حُبِّك لي وأنتَ ملكٌ قديرٌ.

وقال: لله عبادٌ لو حجَّ بهم في الجنَّةِ عن رؤيته، لاستغاثوا كما يستغيثُ أهلُ النَّارِ من النَّارِ.

وقال: لم أزلُ ثلاثينَ سنةً كلَّما أردتُ أن أذكُرَ اللهَ أغسلُ فمي ولساني إجلالاً لله.

(١) كلمة فانتبهت من (أ) و (ب).

(٢) كلمة فقير من (أ). انظر حلية الأولياء ١٠ / ٣٤.

وقال له رجلٌ: بلغني أنك تمرُّ في الهواء. فقال: أيُّ عجبٍ فيه؟ طيرٌ يأكلُ الميتهَ يمرُّ في الهواء، المؤمنُ أشرفُ من طيرٍ.

وقال: طَلَّقْتُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا، وصرتُ إلى رَبِّي وَحْدِي، فناديته: إلهي، أدعوكُ دُعَاءَ مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ غَيْرُكَ، فعلمَ صدقي، فأنساني نفسي بالكُلِّيَّةِ، ونصَّبَ الخَلْقَ بين يَدَيَّ مع إعراضي عنهم.

وقال: في الطَّاعَاتِ مِنَ الْآفَاتِ مَا لَا يَحْتَاجُ أَنْ تَطْلُبُوا الْمَعَاصِي مَعَهُ^(١).

وقال: مادامَ العبدُ يظنُّ في المسلمِينِ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ.

وسئِلَ: متى يكونُ الرَّجُلُ مُتَوَاضِعًا؟ فقال: إذا لم يرَ لنفسِهِ مَقَامًا وَلَا حَالًا، وَلَا يرى أَنَّ فِي الخَلْقِ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ.

وقال: للخَلْقِ أحوالٌ، وَلَا حَالٌ لِلْعَارِفِ؛ لكونه مُحِيثٌ رُسُومُهُ، وَفَنِيَتْ هَوِيَّتُهُ بِهَوِيَّةِ غَيْرِهِ.

وقال: دعوتُ نَفْسِي إلى رَبِّي فَأَبَتْ، فتركتُها وَمَضِيَتْ إليه.

وقال: أَشَدُّ المَحْجُوبِينَ عَنِ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: الزَّاهِدُ بِزُهْدِهِ، وَالْعَابِدُ بِعِبَادَتِهِ، وَالْعَالِمُ بِعِلْمِهِ، مَسْكِينُ الزَّاهِدِ لَوْ عَلِمَ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا سَمَّاها اللَّهُ قَلِيلًا مَا زَهَدَ فِيهَا، مَسْكِينُ الْعَالِمِ، لَوْ عَلِمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ بَعْضُ سَطْرِ وَاحِدٍ مِنَ اللُّوحِ المَحْفُوظِ، مَا نَظَرَ لِعِلْمِهِ^(٢).

وقال: طُوبَى لِمَنْ كَانَ هَمُّهُ هَمًّا وَاحِدًا، وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ بِمَا رَأَتْ عَيْنَاهُ، وَسَمِعَتْ أُذُنَاهُ.

(١) قوله في حلية الأولياء ٣٦/١٠: إن في الطاعات من الآفات ما لا تحتاجون أن تطلبوا المعاصي.

(٢) كذا في الأصول، لم يذكر المؤلف رحمه الله شيئاً عن العابد، والخبر في الحلية ٣٦/١٠ أطول من هذا، مع تغيير، وزيادات، ونصه: . . . أما العابد فهو الذي يرى منة الله عليه في العبادة، أكثر من العبادة، حتى تعرف عبادته في المنة. وكان السقط مع التغيير يجب أن يكون: مسكين العابد، لو علم أن منة الله عليه في العبادة أكثر من العبادة، لعرف أن عبادته في المنة.

وقال: أكثر الناس إشارة إليه، أبعدهم منه.

وقال: أقرب الناس من الله، أكثرهم شفقة على خلقه.

وقال: لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذلة المروضة.

وقال: العارف من لا يفتّر عن ذكره، ولا يمل من حقه^(١)، ولا يأنس

بغيره.

وقال له رجل: علّمني الاسم الأعظم، قال: ليس له حدّ محدود، وإنما هو

فراغ قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فارجع إلى أي اسم شئت تسير به^(٢) من

المشرق إلى المغرب.

وقال: الجوع سحاب، فإذا جاع عبد، أمطر القلب الحكمة.

وقال: إذا صفت لي تهليلًا ما باليت بعدها بشيء.

وقال: إذا وقفت بين يدي ربك فاجعل كأنك مجوسي. يُريد قطع الزنار بين

يديه.

وقال: دعوت الناس إلى الله أربعين سنة فما أجابوني، فلما تركتهم

ورجعت إليه وجدتهم قد سبقوني.

قال ابن عربي: فليل له في هذا المقام: أيعصي العارف؟ فقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ

اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. وقال - أعني ابن عربي - : وهذا غاية في الأدب

حيث لم يقل: نعم، ولا: لا، وهذا من كمال حاله وعلمه وأدبه رضي الله عنه.

وكان يقول: الطريق تقتضي أن الشيخ لا ينسى أهل زمانه، فكيف مُريده

المختص به؟ فإنه من فتوة أهل الطريق، ومعرفة بالنفوس؛ أنه إذا كان يرم

القيامة، وظهر ما لهم من الجاه عند الله، خاف منهم من آذاهم في الدنيا، فأور

ما يشفعون فيمن آذاهم. قال ابن عربي: هذا نصه، وهو مذهبنا، فإن الذين

أحسنوا إليهم يكفيهم عين إحسانهم، فهم بإحسانهم شفعاء أنفسهم بما

(١) في الأصول: خلقه، والمثبت من طبقات الصوفية ٧٢، وصفة الصفة ٤/١٠٨.

(٢) في (أ): ترجع به، وفي حلية الأولياء ١٠/٣٩: تصير به.

لهم^(١) عند الله بما قدّموه في حقّ ذلك الوليّ .

وقال : النَّاسُ يَفِرُّونَ مِنَ الْحِسَابِ ، وَأَنَا أَتَمَنَّاهُ ؛ لَعَلَّهُ يَقُولُ لِي : يَا عَبْدِي ، فَأَقُولُ : لَبَّيْكَ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَفْعَلُ بِي مَا شَاءَ .

وقال له رجلٌ : ذُلّني على عملٍ أتقربُ به إلى الله ، قال : أَحِبِّبْ أَوْلِيَاءَهُ لِيحِبُّوكَ ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَلَعَلَّهُ يَنْظُرُ إِلَى اسْمِكَ فِي قَلْبِ وَلِيِّهِ ، فَيَغْفِرَ لَكَ .

وقال : لَوْ أُذِنَ لِي فِي الشَّفَاعَةِ لَشَفَعْتُ أَوْلًا فَيَمَنُ آذَانِي وَجَفَانِي ، ثُمَّ فَيَمَنُ بَرْنِي وَأَكْرَمَنِي .

وقيلَ له : شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ . فقال : صَحِيحٌ ، لَكِنْ لَا يَفْتَحُ الْمِفْتَاحُ إِلَّا مَغْلَاقًا ، وَمَغْلَاقُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءُ : لِسَانٌ بَغِيرَ كَذِبٍ ، وَلَا غَيْبِيَّةٍ ، وَقَلْبٌ بَغِيرَ مَكْرٍ وَلَا خِيَانَةٍ ، وَبَطْنٌ بَغِيرَ حَرَامٍ وَلَا شُبْهَةٍ ، وَعَمَلٌ بَغِيرَ هَوًى وَلَا بَدْعَةٍ .

وسمِعَ رَجُلًا يُكَبِّرُ ، فَقَالَ : مَا مَعْنَى اللَّهِ أَكْبَرُ ؟ فَقَالَ : أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ . قَالَ : لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ فَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ ، قَالَ : فَمَا مَعْنَاهُ ؟ قَالَ : مَعْنَاهُ : أَكْبَرُ مِنْ^(٢) أَنْ يُقَاسَ بِالنَّاسِ ، أَوْ يَدْخُلَ تَحْتَ الْقِيَاسِ ، أَمْ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسِ .

وقال : لَمْ أَزَلْ أُسَوِّقُ نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَهِيَ تَبْكِي حَتَّى سَاقَتْنِي إِلَيْهِ وَهِيَ تَضْحَكُ .

وقال : خَصَّصْتُ رِجَالًا فَأَكْرَمْتَهُمْ فَأَطَاعوكَ ، فَلَمْ يَبْلُغُوا ذَلِكَ إِلَّا بِكَ ، فَكَأَنَّ رَحْمَتَكَ إِلَيْهِمْ قَبْلَ طَاعَتِهِمْ جَلَّ جَلَالُكَ ، مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ ! .

قال : لَا يَشْكُو قَلْبُ الْعَارِفِ وَإِنْ قُرِضَ بِالْمِقْرَاضِ ، وَلَا يَيْئُسُ مِنْهُ ، وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَهُ وَإِنْ نُوْدِيَ بِالْغَفْرَانِ .

وقال : هَلَاكُ الْخَلْقِ فِي شَيْئَيْنِ : تَرْكُ الْحَرَمَةِ ، وَنَسْيَانُ الْمَنَّةِ .

(١) كلمة : بما لهم من (أ) .

(٢) في المطبوع : قال : أكبر من أن . . .

وصلّى ليلةً فأضاء البيتُ كأنّه نهارٌ، فقال: إن كنتَ شيطاناً فأنا أُمْنَعُ حانِباً من أن يُطْمَعَ فيّ، وإن كان من عند الله فأسأله أن يؤخّره من دارِ الخدمةِ إلى دارِ الكرامةِ.

وقال: حسبُ المؤمن أن يعلمَ أنّ اللهَ غنيٌّ عن عمله.

وقال:

النَّاسُ بِحَرِّ عَمِيْقٍ والبُغْدُ عَنْهُمْ سَفِيْنِه
وقد نَصَحْتُكَ فَاخْتَرُ لِنَفْسِكَ الْمِسْكِيْنِه

وقال: ضحككُ زماناً، وبكيتُ زماناً، وأنا اليومَ لا أضحكُ ولا أبكي.

وقيلَ له: كيف أصبحتَ؟ قال: لا صباحَ لي ولا مساءً، إنّما الصُّبْحُ والمساءُ لَمَنْ تَقَيَّدَ بِالصِّفَةِ، ولا صفةٌ لي.

وقال: عرفتُ اللهَ بنورِ صُنْعِهِ، وعرفتُ صُنْعَهُ بنوره.

وقال: الدُّنيا للعامةِ، والآخرةُ للخاصّةِ، فمَنْ أرادَ أن يكونَ من الخاصّةِ فلا يُشاركِ العامةَ في دُنْيَاهُمْ.

وقال: إنّما جُعِلَتِ الدُّنيا مرآةً للآخرةِ، فمَنْ نظَرَ فيها للآخرةِ نجا، ومَنْ شُغِلَ بها عن الآخرةِ، أَظْلَمَتِ مرآةُ وهَلَكَ.

وقال: لا عقوبةَ أشدَّ من الغفلةِ، لأنَّ الغفلةَ عن اللهِ طرفَةٌ عَيْنٍ أشدُّ من النَّارِ.

وقال: لم أزلُ أبكي حتى ضحكْتُ، ولم أزلُ أضحكُ حتى صرْتُ لا أضحكُ ولا أبكي.

وقال: لا يكونُ العبدُ عاملاً على معنى العبوديّةِ حتى تكونَ إرادتُهُ وأمنيَّتُهُ وشهوَّتُهُ تابعةً لمحبةِ اللهِ.

وقال: مَنْ نظَرَ إلى النَّاسِ بعينِ العلمِ مَقْتَهُمْ، ومَنْ نظَرَ إليهم بعينِ الحقيقةِ عَذَرَهُمْ.

وقال: الدُّنيا لأهلها غُرورٌ في غرورٍ، والآخرةُ لأهلها سُرورٌ في سرورٍ،

ومحبَّةُ اللهِ لأهلِ محبَّتهِ نورٌ على نورٍ .

وقال : مَنْ اختارَ الدُّنيا على الآخرةِ غلبَ جهلُهُ علمُهُ، وفُضولُهُ ذِكرَهُ، وعِصيانُهُ طاعتهُ .

ودخلَ الجامعَ فوقفَ على حلقةِ فقيهٍ، فسُئِلَ عن رجلٍ ماتَ وخلفَ كذا، فأخذَ يُصحِّحُ المسألةَ، ويضربُ الأعدادَ، فصاحَ به : يا فقيهه^(١)، ما تقولُ فيمنَ ماتَ ولم يُخلفْ إلا اللهُ ؟ فبكى القومُ وأبكوا، فقال : العبدُ لا يملكُ، وإذا ماتَ لا يُخلفُ إلا مَولاهُ، كما كانَ أوَّلاً، فإنَّ آخرَهُ يرجعُ إلى أوَّلهِ، لأنَّ أولَهُ فردٌ ومعه الشَّهادةُ، فإذا كانَ آخرُهُ كأنه لم يرَ مع اللهِ سِواه ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وقال : إنَّ اللهَ عباداً لو بدتْ لهم الجنَّةُ بزِينتها مع حَجبِهِم عنه لضجُّوا منها .
وقال : أقمْتُ عشرين سنةً أكابِدُ المُجاهدةَ، وأكافِحُ المُراقبةَ ولا أجسُرُ أن ألبسَ مرقعةً، ولا أتظاهرَ بالطَّريقِ .

وقال : متى وجدتَ قلبَكَ مُستريحاً، ودمعَكَ جامِداً، وعقلَكَ حاضِراً، فأنتَ بعيدٌ من المحبَّةِ .

وقال : مَنْ أرادَهُ وفَّقَهُ، ومَنْ أحبَّهُ قرَّبَهُ .

وقال : الفائزُ في محشرِ السَّاعةِ، مَنْ قامَ بأوامره وتلقَّاهَا بالسَّمعِ والطَّاعةِ .

وقال : معرفةُ العوامِ معرفةُ العبوديَّةِ، والرُّبوبيَّةِ، والطَّاعةِ، والمعصيةِ، والعدوِّ، والنَّفْسِ، ومعرفةُ الخواصِّ، معرفةُ الإجلالِ، والعظمةِ، والإحسانِ، والمِنَّةِ، والتَّوفيقِ، ومعرفةُ خواصِّ الخواصِّ، معرفةُ الأنسِ، والمُناباةِ، والتَّلطُّفِ، ثم معرفةُ القلبِ، ثم السِّرِّ .

وقال : خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ لإظهارِ قُدْرتهِ، وورزقَهُم لإظهارِ جُودهِ، وأماتَهُم لإظهارِ قَهْرِهِ، ويُحييهِم لإظهارِ عَظمتِهِ .
وقال : محالٌ أن تعرفهَ ثم لا تُحبَّه .

(١) في (أ) : فصاح : ته يا فقيهه، . . .

وقال : حاصلهم بعد الغاية رجوعهم إلى شيء واحد وهو طلب العفو .
وقال : التوحيد اليقين ، واليقين معرفتك أن حركات الخلق وسكناتهم
فعل الله .

وسئل : ما علامة العارِف ؟ فقال : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعَزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] .

وقال : أمل الزاهد في الدنيا الكرامات ، وفي الآخرة المقامات ، وأمل
العارِف في الدنيا بقاء الإيمان معه ، وفي الآخرة العفو .

وقال : اختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد^(١) .

وقال : لا يعرف نفسه من صحبتته شهوته .

وقال : إن الله عبداً لو حجبهم عنه طرفة عين ، ثم أعطوا الجنان ما قبلوها .

وقال : كانت أمي لما حملت بي إذا قدّم لها طعاماً حلالاً امتدت يدها له ، أو
حراماً انقبضت ، فالعناية من الأزل .

ورأى تفاحاً أحمر فقال : هذا تفاح لطيف ، فقبل له^(٢) أما استحييت أن تضع
اسمي على ثمرة ؟ فنسي الاسم الأعظم أربعين يوماً .

وقال : حسبك من التوكل أن لا ترى لك ناصراً غيره ، ولا لرزقك رازقاً
غيره ، ولا لعملك شاهداً غيره .

وقال : الناس تظن أن الطريق أشهر من الشمس ، وأبين ، وأنا أسأل الله أن
يفتح عليّ منها ، ولو قدر رأس إبرة .

وقال : النفس^(٣) تنظر إلى الدنيا ، والروح إلى الآخرة ، والمعرفة تنظر
إلى الله ، فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين ، ومن غلبت روحه عليه فهو
من المجتهدين ، ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين .

(١) انظر الحاشية (٢) صفحة ٦١٣/١ .

(٢) في المطبوع : فقال : أما استحييت .

(٣) في (أ) : الناس .

وقال الغزالي: قال أبو يزيد: رأيت الحق في منامي، وقال: سلني. قلت: وعزيتك، تعلم أنه ليس لي لسان يقدر على التطق الآن، فقيل له: لم لا تسأله المعرفة؟ فصاح، وقال: اسكت، المعرفة معرفتان: معرفة حقيقة، ومعرفة حق. أما معرفة الحق فقد عرفها المؤمنون بنور الإيمان والإيقان، وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل إليها، ولا يُحيطون به علماً.

وكان يعظ نفسه فيقول: يا أمارة بالسوء، المرأة إذا حاضت طهرت بعد ثلاث أو سبع، وأنت منذ ثلاثين سنة ما طهرت، فمتى تطهرين^(١)؟ إن وقوفك بين يدي الله لأبد منه، فاجتهدي أن تكوني طاهرة.

وقال: كنت أظن في بري لأمي أنني لا أقوم فيه لهوى نفسي، بل لتعظيم الشارع، حيث أمر ببرها، فكنت أجد في نفسي لذة عظيمة أتخيل أنها من تعظيم الحق عندي، لا من موافقة نفسي، فقالت لي في ليلة باردة: اسقني. فثقل علي، وقمت بمجاهدة، وجئتها بكوز، فوجدتها نامت، فوقفْتُ به حتى انتبهت، فناولتها وقد بقي في أذن الكوز قطعة من جلد أصبعي لشدة البرد انقضت، فرجعت إلى نفسي فقلت لها: حبط عملك؛ لكونك كنت تدعين النشاط في عبادتك، ورأيتك تثاقلت عن ذلك، فعلمت أن كل ما نشطت فيه من عمل البر وفعلته لا عن كسل وتثاقل، بل لذة فلئما هو لهواك لا الله.

وقال: أوقفني الحق بين يديه مواقف في كلها يعرض علي المملكة، فيقول: أتريد التحف؟ قلت: لا، قال: الظرف؟ قلت: لا، قال: الغرف؟ قلت: لا، قال: ما تريد؟ قلت: أريد أن لا أريد، فإنك المراد، وأنا المرید، قال لي: أنت عبدي حقاً.

وقال: ركبت مركب الصدق حتى بلغت الهوى، ثم الشوق حتى بلغت السماء، ثم المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى، فنوديت: يا أبا يزيد، ما تريد؟ قلت: أريد أن لا أريد^(٢).

(١) في المطبوع، و (أ): فما تطهرين.

(٢) العبارة في (أ): يعرض علي المملكة، فأقول: لا أريدها. فقال: ما تريد؟ قلت: أريد ألا أريد.

وقال: قال لي الحق: تقرب إلي بما ليس لي: الذلّة والافتقار.

وقال: دخلت على أستاذي أبي علي السندي وبيده جراب، فصبّها، فإذا هي جواهر، قلت: من أين هذا؟ قال: وافيت وادياً، فإذا هو يضيء كالسراج، فملاؤه منه، قلت: كيف كان وقتك الذي وردت فيه الوادي؟ قال: وقت الفترة عن الحال الذي^(١) كنت فيها.

وقال: مددت رجلي ليلة في الظلام في محرابي، فهتف بي هاتف: مَنْ يُجالسُ الملوك لا يُجالسُهُم إلا بأدب.

وقال: عرفت الله بالله، وعرفت ما دون^(٢) الله بنور الله.

وقال: إنما خلع الله النعم على عباده ليرجعوا بها إليه، فعكسوا واشتغلوا بها عنه.

وقال: رأيت رب العزة، فقلت: يا رب، كيف أجذك؟ قال: اترك نفسك وتعال.

وقال: صفة العارف صفة أهل النار لا يموت ولا يحيا.

وقال: أولياء الله عرائس في الدنيا والآخرة، لا يراهم إلا من كان منهم.

وقال: إنما لم يكن^(٣) العارف صاحب حال لأن هويته قلبت في هويّة غيره، وآثاره غيّبت في آثار غيره، فالعارف طيار، والزاهد سيار.

وقال: لو شفّعني الله في كل أهل عصري لم يكن عندي تكبر^(٤)؛ لأنه شفّعني ني قطعة طين.

وكتب إليه يحيى بن معاذ: إنني سكرت من كثرة ما شربت من كأس المحبّة، فكتب إليه: هنا رجل - يعني نفسه - شرب بحار السموات والأرض وما روي بعد.

(١) في (أ): الحال التي.

(٢) في المطبوع: مأذون.

(٣) في (ب): إنما يكون.

(٤) في (ب): بكبير.

وقال له فقيه: عِلْمُكَ هَذَا أَخَذْتَهُ عَنْ مَنْ؟ قَالَ: عِلْمِي مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ، وَعَنِ اللَّهِ، وَمَنْ حَيْثُ قَالَ رَسُولُهُ: «مَنْ عَمَلَ بِمَا عَلَّمَ اللَّهُ عِلْمًا مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(١).

وَسُئِلَ الْجَرَجَانِيُّ عَنِ الْكَلَامِ الْمَنْقُولِ عَنْ أَبِي يَزِيدٍ مِمَّا لَا يُفْهَمُ، فَقَالَ: يُسَلِّمُ لَهُ حَالَهُ، وَأَيْكُمْ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ كَمَا جَاهِدَ؟ دَعَا نَفْسَهُ يَوْمًا إِلَى عِبَادَةِ فِائِبَتٍ، فَمَنْعَهَا الْمَاءَ سَنَةً. فَجَاهِدُوا تَفْهَمُوا إِشَارَاتِهِ.

قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مُشَاهِدَاتِهِ كَالْغَرِيقِ ضَارِبًا بِذَقْنِهِ عَلَى صَدْرِهِ، شَاخِصًا بَعَيْنَيْهِ مِنَ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ، ثُمَّ سَجَدَ عِنْدَ السَّحْرِ، فَأَطَالَ سُجُودَهُ، ثُمَّ قَعَدَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، طَلَبُوا مِنْكَ فَأَعْطَيْتَهُمْ طَيِّبَ الْأَرْضِ. وَالْمَشْيَ عَلَى الْمَاءِ، وَرُكُوبَ الْهَوَاءِ، وَانْقِلَابَ الْأَعْيَانِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْهَا. ثُمَّ التَفَّتْ فِرَآئِي، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ، قَالَ: أَحَدْتُكَ بِمَا يَصْلُحُ لَكَ: أَدْخَلَنِي الْحَقُّ فِي الْفَلَكَ الْأَسْفَلَ فِدَوَّرَنِي فِي الْمَلَكُوتِ الْأَسْفَلَ فَارَانِيهِ، ثُمَّ أَدْخَلَنِي الْفَلَكَ الْعُلُويَّ وَطَوَّفَ بِي السَّمَوَاتِ وَأَرَانِي مَا فِيهَا مِنَ الْجِنَانِ إِلَى الْعَرْشِ، ثُمَّ أَوْقَفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: سَلْنِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ حَتَّى أَهْبَهُ لَكَ. قُلْتُ: يَا سَيِّدِي، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا حَسَنًا أَسْأَلُكَ إِيَّاهُ^(٢)، فَقَالَ: أَنْتَ عَبْدِي حَقًّا، تَعْبُدُنِي لِأَجْلِ صِدْقًا، لِأَفْعَلَنَّ بِكَ وَأَفْعَلَنَّ^(٣) وَذَكَرَ أَشْيَاءً، قَالَ ابْنُ مُعَاذٍ: فَهَالَنِي ذَلِكَ، وَقُلْتُ: لِمَ لَمْ تَسْأَلَهُ الْمَعْرِفَةَ؟ قَالَ: غَرْتُ عَلَيْهِ مَنِّي، لَا أَحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ سِوَاهُ.

وَقَالَ الدَّيْلَمِيُّ: سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَحْيَى عَنِ التَّوَكُّلِ، فَقَالَ: إِذَا أَدْخَلْتَ يَدَكَ فِي فَمِ التَّنِينِ، لَا تَخَافُ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، فَخَرَجْتُ قَاصِدًا أَبَا يَزِيدٍ

(١) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ١٥/١٠ قَالَ: ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ عَنْ حَمِيدِ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ... قَالَ أَبُو نَعِيمٍ: ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ عَنْ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَهْمُ بَعْضِ الرِّوَاةِ أَنَّهُ ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَضَعَ هَذَا الْإِسْنَادَ عَلَيْهِ لِسَهُولَتِهِ وَقُرْبِهِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يَحْتَمِلُ بِهَذَا الْإِسْنَادَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

(٢) فِي (أ): مَا رَأَيْتُ شَيْئًا حَسَنًا حَتَّى أَسْأَلُكَ إِيَّاهُ.

(٣) فِي (ب) وَالْمَطْبُوعُ: وَأَفْعَلَنَّ بِكَ.

لأَسْأَلُهُ عَنْهُ، فَدَقَّقْتُ عَلَيْهِ الْبَابَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ لَكَ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَفَايَةٌ، مَا جِئْتَ زَائِرًا، وَقَدْ أَتَاكَ الْجَوَابُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، فَلَبِثْتُ سَنَةً ثُمَّ فَصَدَّتْهُ فَقَالَ: مَرْحَبًا، الْآنَ جِئْتَ زَائِرًا.

وَدَخَلَ مَدِينَةً فَهَرَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ أَهْلِهَا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: قَوْمٌ رَغِبُوا فِيكَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَحْجِبَ الْخَلْقَ بِكَ عَنكَ، فَكَيْفَ تَحْجِبُهُمْ عَنكَ بِي؟ ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ وَالتَّفْتَ، فَقَالَ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون^(١) فَتْرَكُوهُ، وَقَالُوا: مَجْنُونٌ مِسْكِينٌ.

وَصَحِبَهُ رَجُلٌ مِنَ الشُّهُودِ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَعَ صِيَامِ أَيَّامِهَا، وَقِيَامِ لَيَالِيهَا، فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي، خَدَمْتُكَ وَأَطَعْتُكَ وَلَمْ يَظْهَرْ لِي شَيْءٌ مِمَّا يُوَدِّعُ الْحَقُّ قُلُوبَكُمْ، قَالَ: يَا وَلَدِي، لَوْ صَمْتٌ وَقَمْتٌ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ مَا تَجِدُ مِنْهَا ذَرَّةً؛ لِأَنَّكَ مَحْجُوبٌ بِنَفْسِكَ، مُنْقَطِعٌ بِرُؤْيَيْكَ طَاعَتَكَ، قَالَ: دُلَّنِي عَلَى دَوَاءٍ، قَالَ: اذْهَبْ فَاحْلِقْ لِحْيَتَكَ، وَانزِعْ لِبَاسَكَ، وَعَلِّقْ بِعُنُقِكَ مِخْلَاةً فِيهَا جَوْزٌ، وَقِلْ لِلصَّبِيَانِ: مَنْ صَفَعَنِي صَفْعَةً أَعْطَيْتُهُ جَوْزَةً، ثُمَّ دُرٌّ فِي الْأَسْوَاقِ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُكَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، لِمَثَلِي يُقَالُ هَذَا؟! قَالَ: قَوْلُكَ فِي مِعْرَاضِ ذَلِكَ شِرْكٌ؛ لِأَنَّكَ رَأَيْتَ عَظَمَةَ نَفْسِكَ، فَسَبَّحْتَهَا، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لَا دَوَاءَ لَكَ غَيْرُهُ.

وَقِيلَ لَهُ: بِمَ وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلْتَ؟ قَالَ: جَمَعْتُ الْأَسْبَابَ الدُّنْيَوِيَّةَ، فَرَبَطْتُهَا بِحَبْلِ الْقِنَاعَةِ، وَوَضَعْتُهَا فِي مَنْجْنِيقِ الصَّدَقِ، وَرَمَيْتُهَا فِي بَحْرِ الْيَأْسِ، فَاسْتَرَحْتُ.

وَأَمَرَ تَلْمِيزًا لَهُ بِشَيْءٍ فَخَالَفَهُ، فَلَامُوهُ. فَقَالَ: دَعُوهُ؛ فَإِنَّهُ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، فَسَرَقَ فَقَطَعَتْ يَدُهُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ خَضْرَوِيهِ: رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ فِي النَّوْمِ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، كُلُّ النَّاسِ يَطْلُبُونَ مِنِّي إِلَّا أَبَا يَزِيدَ فَإِنَّهُ يَطْلُبُنِي.

مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِثْتَيْنِ عَنِ ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ سَنَةً.

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

قد أُفردت ترجمته بتصانيف حافلة، وفي هذا القدر كفاية.

* * *

(٢٥٨) الطَّيِّبُ بن إِسْمَاعِيلِ الذُّهْلِيُّ (*)

الطَّيِّبُ بن إِسْمَاعِيلِ الذُّهْلِيُّ، ويُعرفُ بأبي حمدون^(١). كان من القُرَّاءِ الكاملين^(٢)، والزُّهَّادِ الصَّالِحِينَ، زَهْدًا وَتَحَنُّنًا وَسَلَكَ طَرِيقَ الْقَوْمِ، وَأَكْثَرَ الْخَلْوَةِ وَالتَّلَاوَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، حَتَّى صَفَا قَلْبُهُ، وَأَشْرَقَ بِأَنْوَارِ الْمَعَارِفِ لُبَّهُ، وَصَارَ مِنْ أَصْحَابِ الْكِرَامَاتِ.

ومن كراماته:

أَنَّهُ عَمِيَ، فَكَانَ يَقُودُهُ خَادِمُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا: يَا أَسْتَاذَ، اخْلَعْ نَعْلَيْكَ، قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: فِيهِمَا أَدَى، فَاعْتَمَّ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَدَعَا بِدَعْوَاتٍ وَمَسَحَ بِهَا^(٣) وَجْهَهُ، فَأَبْصَرَ حَالًا.

وَصَلَّى لَيْلَةً فَأَدْغَمَ حَرْفًا، فَرَأَى نُورًا قَدْ تَلَبَّبَ^(٤) بِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ اللَّهُ، قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: الْحَرْفُ الَّذِي أَدْغَمْتَنِي، فَقَالَ: لَا أَعُودُ أَبَدًا.

وَكَانَتْ لَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا مَكْتُوبٌ ثَلَاثُ مِئَةٍ مِنْ أَصْدِقَائِهِ، يَدْعُو لَهُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ، فَتَرَكَهُمْ لَيْلَةً وَنَامَ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ لَا تُسْرِجُ مَصَابِيحَكَ اللَّيْلَةَ^(٥)؟ فَقَعَدَ فَأَسْرَجَ السَّرَاجَ، وَأَخَذَ الصَّحِيفَةَ، وَدَعَا لِوَاحِدٍ وَوَاحِدٍ حَتَّى فَرَّغَ.

(*) تاريخ بغداد ٩/٣٦٠، طبقات الحنابلة ١/١٧٩، صفة الصفوة ٢/٣٦٥، المختار من مناقب الأخيار ٢١٩/ب، معرفة القراء الكبار ١/٢١١، الوافي بالوفيات ١٦/٥١٠، غاية النهاية ١/٣٤٣، جامع كرامات الأولياء ٢/٤٩.

(١) في الأصول: بابن حمدون، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٢) في (أ): العاملين.

(٣) في (أ): بهما.

(٤) في الأصول: تلبث، والمثبت من تاريخ بغداد ٩/٣٦١، وصفة الصفوة ٢/٣٦٥.

(٥) في تاريخ بغداد، وصفة الصفوة، ومعرفة القراء، والوافي: لم تُسْرَجْ مَصَابِيحُكَ.

(حرف العين المهملة)

(٢٥٩) عبد الرحمن بن عطية الداراني (*)

عبد الرحمن بن عطية بن سليمان الداراني، بنون بعد الألف الثانية، ويقال بهمز بدل التون، وبالتون أشهر وأكثر، ذكره السمعاني^(١).

وهو الإمام الكبير الشأن، في علوم الحقائق ومعاني بديع^(٢) البيان، ارتفع قدره، وعلا ذكره، حتى صار تُشدُّ إليه الرحال؛ لإقامة شعار الدين، ونصرة حزب الموحدين^(٣)، على حزب النفوس الأمارة والشياطين.

(*) الجرح والتعديل ٢١٤/٥، تاريخ داريا للخولاني ٥١، طبقات الصوفية ٧٥، حلية الأولياء ٢٥٤/٩، تاريخ بغداد ٢٤٨/١٠، الرسالة القشيرية ٩٦/١، مناقب الأبرار ٦٤/ب، تاريخ ابن عساكر ٧٧/٤٠، الأنساب ٢٤٣/٥، صفة الصفوة ٢٢٣/٤، المختار من مناقب الأخيار ٢٥١/ب، وفيات الأعيان ١٣١/٣، مختصر تاريخ دمشق ١٨٧/١٤، سير أعلام النبلاء ١٨٢/١٠، العبر ٣٤٧/١، فوات الوفيات ٢٦٥/٢، مرآة الجنان ١٣١/٣، البداية والنهاية ٢٥٥/١٠، طبقات الأولياء ٣٨٦، النجوم الزاهرة ١٧٩/٢، طبقات الشعراني ٩٢/١، شذرات الذهب ١٣/٢.

وقد خلط المؤلف رحمه الله تعالى بين أقوال صاحب الترجمة وأقوال عمرو بن سلمة، فانظر تنمة أقواله هناك ٦٨٥/١.

(١) الأنساب ٢٤٤/٥. قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ١٣١/٣: الداراني بفتح الدال المهملة، وبعد الألف راء مفتوحة، وبعد الألف الثانية نون، هذه النسبة إلى داريا، وهي قرية بغوطة دمشق، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب.

(٢) في (أ): علوم البيان.

(٣) في (أ): ونصرة حزب الصوفية الموحدين.

قال الإمام النَّووي في «بستانه»^(١): كان من كبار العارفين، وأصحاب الكرامات الظاهرة، والأحوال الباهرة، والحكم المتظاهرة، وهو أحد مفاخر بلادنا دمشق وما حولها.

ومن فوائده: لا ينبغي لفقيه أن يزيد في نظافة ثوبه على نظافة قلبه، ليُشاكل باطنه ظاهره.

وقال: ليت قلبي في القلوب كثوبي في الثياب.

وقال: مَنْ صارع الدنيا صارعته، وإذا سكنت الدنيا قلباً ترخلت منه الآخرة.

وقال: مَنْ أظهر الانقطاع إلى الله فقد لزمه خلغ ما دونه من عنقه.

وقال: يا رب إن طالبتني بسريرتي طالبتك بتوحيديك، وإن طالبتني بذنوبي، طالبتك بكرمك، وإن جعلتني^(٢) من أهل النار أخبر أهلها بحبي إياك.

وقال: أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله أن يطالع على قلبه فيراه لا يريد أحداً غيره في الدارين.

وقال: مَنْ أحسن في نهاره كُفي ليله، ومَنْ أحسن في ليله كُفي نهاره^(٣).

وقال: إذا بلغ العبد غاية الزهد أخرجته إلى التوكل.

وقال: كلما ارتفعت منزلة العبد كانت العقوبة إليه أسرع.

وقال: أسكنهم الغرف قبل أن يطيعوه، وأدخلهم النار قبل أن يعصوه. ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقال: القناعة أول الرضا، والورع أول الزهد.

وقال: مفتاح الآخرة الجوع، ومفتاح الدنيا الشره، وأصل كل خير الخوف

من الله.

(١) بستان العارفين صفحة ٦٤، في فصل شرح حديث إن الله كتب الحسنات والسيئات.

(٢) في الأصول جعلني، والمثبت من حلية الأولياء ٢٥٥/٩.

(٣) كذا في الأصول، وفي طبقات الصوفية ٧٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٤/١٩٣: من

أحسن في نهاره كوفى في ليله، ومن أحسن في ليله كوفى في نهاره.

وقال : هانوا عليه فعصوه، لو كرموا عليه لمنعهم منها .

وقال : إذا وصلوا إليه لم يرجعوا أبداً، وإنما رجع مَنْ رجَعَ من الطريق، وإنما حرموا الوصولَ لتضييع الأصول، ومَنْ لم يتخلَّق لم يتحقَّق، وعلامة مَنْ صَحَّ وصولُهُ الخروجُ عن الطَّبَعِ والأدبِ مع الشَّرْعِ، واتباعه حيثُ سَلَكَ .

وقال : مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا عَرَفَ الآخِرَةَ، ومَنْ لم يعرفها لم يعرف الآخرة .

وقال : كيف يعجبُ عاقلٌ بعمله ؟ وإنما عمله عطيةٌ من الله، ونعمةٌ منه عليه سُكْرُهَا .

وقال : من أكلَ لَيْسَرَ أخاهُ لم يضرَّه أكله .

وقال : إذا فَتَحَ لك باباً من الطَّاعَةِ فالزَّمُه .

وقال : مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بالله فَتَحَ عليه بابُ الرَّحْمَةِ^(١) .

وقال : القلبُ كالمرآة إذا جُلِيَتْ لا يمرُّ بها شيءٌ إلا مُثِّلَ فيها .

وقال : القلبُ بمنزلةِ القَبَّةِ المَضْرُوبَةِ، حولها أبوابٌ مُغلقةٌ، فأبوابٌ فَتِحَ له عَمِلَ فيه .

وقال : عليك بالجوعِ، فإنه مدلَّةٌ للنَّفْسِ، وريقةٌ للقلبِ، ويُورثُ العلمَ السَّماوي .

وقال : أحلى ما تكونُ العبادةُ إليَّ إذا لصقَ ظهري ببطني .

وقال : القلبُ إذا جاعَ وعطشَ صفا ورقاً، وإذا شبعَ عميَ وثار .

وقال : مَنْ شَبِعَ دخلَ عليه خمسُ آفاتٍ : فَقْدُ حلاوةِ العبادةِ، وتعدُّرُ حِفْظِ الحِكْمَةِ، وحِرمانُ الشَّفَقَةِ على الخلقِ لظنه أنَّ الخلقَ كلَّهم شِبَاعٌ، وثقلُ العبادةِ، وزيادةُ الشَّهْوَةِ .

وقال : مَنْ تركَ الدُّنْيَا للآخِرَةِ ربحَهُما، ومَنْ تركَ الآخِرَةَ للدُّنْيَا خسِرَهُما، وكلُّ أُمَّ يتبعُها بنوها .

(١) كذا في الأصول، وفي مختصر تاريخ دمشق ١٤/١٩١، وصفة الصفوة ٤/٢٢٦ : من حسن ظنه بالله ثم لا يخاف فهو مخدوع .

وقال : الفِكْرُ في الدُّنْيَا حِجَابٌ عَنِ الآخِرَةِ ، وَعَقُوبَةٌ لِأَهْلِ الْوِلَايَةِ .

وقال : إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ لِلْعَارِفِ عَلَى فِرَاشِهِ مَا لَا يَفْتَحُ لَهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي .

وقال : ذَهَبَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ بِلَذِيذِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وقال : إِذَا لَذَّتْ لَكَ الْقِرَاءَةُ فَلَا تَرَكَعْ وَلَا تَسْجُدْ ، وَإِذَا لَذَّكَ السُّجُودُ فَلَا تَرَكَعْ وَلَا تَقْرَأْ ، أَوِ الْأَمْرُ الَّذِي يُفْتَحُ لَكَ فِيهِ الزَّمَةُ .

وقال : مَنْ كَانَ يَوْمُهُ مِثْلَ أَمْسِهِ فَهُوَ فِي نُقْصَانٍ .

وقال : إِذَا كَانَتِ الْآخِرَةُ فِي الْقَلْبِ جَاءَتِ الدُّنْيَا تُزَاحِمُهَا ، وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ لَمْ تُزَاحِمِهَا الْآخِرَةُ ، لِأَنَّهَا كَرِيمَةٌ ، وَاللَّئِيمُ يُزَاحِمُ الْكَرِيمَ وَلَا عَكْسَ .

وقال : إِذَا تَكَلَّفَ الْمُتَعَبِّدُونَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمُوا إِلَّا بِالْإِعْرَابِ ذَهَبَ الْخُشُوعُ مِنْ قُلُوبِهِمْ .

وقال : سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ شَيْئاً فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْكَرَهُ فَخَفْتُ أَنْ يَقْتَلَنِي ، وَلَمْ أَخَفْ مِنَ الْمَوْتِ ، بَلْ خِفْتُ أَنْ يَعْرِضَ لِقَلْبِي التَّزْيِينُ لِلْخَلْقِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِي ، فَسَكْتُ .

وَسُئِلَ عَنِ النِّكَاحِ فَقَالَ : الصَّبْرُ عَنْهُمْ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهِنَّ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِنَّ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى النَّارِ .

وقال : الْوَحِيدُ^(١) يَجِدُ مِنْ حِلَاوَةِ الْعَمَلِ ، وَفِرَاحِ الْقَلْبِ مَا لَا يَجِدُ الْمُتَأَهِّلُ .

وقال : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا تَزَوَّجَ فَثَبَّتَ عَلَى مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى .

وقال : ثَلَاثٌ مَنْ طَلَبَهُنَّ فَقَدْ رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا : مَنْ طَلَبَ مَعَاشًا ، أَوْ تَزَوُّجًا ، أَوْ كَتَبَ الْحَدِيثَ .

وقال : لَيْسَ الْعِبَادَةُ عِنْدَنَا أَنْ تَصِفَ قَدَمَيْكَ ، وَغَيْرُكَ يَقْوَتْ لَكَ ، وَلَكِنْ أِبْدَأْ بِرَغِيْفِكَ فَأَحْرِزْهُ ثُمَّ تَعَبَّدْ .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : التَّوْحِيدُ .

وقال: لا تصحَبْ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ: رجلٌ ترتَفِقُ به في دُنْيَاكَ، أو رجلٌ تَنْتَفِعُ به في آخِرَتِكَ، والاشتغالُ بغيرِ هذينِ حُمقٌ كبيرٌ.

وقال: إذا واخيتَ أحَاً فلا تُعَاتِبْهُ على ما تَكْرَهُهُ؛ فَإِنَّكَ لا تَأْمَنُ من أن تَرى في جوابِكَ ما هو شَرٌّ من الأوَّل، قال الغزالي^(١): جَرَّبْتُهُ فوجدتُهُ كذلك.

وقال مرَّةً أُخرى: لا تُعَاتِبْ أَحَدًا من الخَلْقِ في زمانِنَا؛ فَإِنَّهُ إن عتَبْتُهُ أعقبَهُ بأشدَّ منه، دَعَاهُ بالأمرِ الأوَّل. قال ابنُ أبي الحواري: جَرَّبْتُهُ فوجدتُهُ كذلك.

وقال: أيُّ شيءٍ يَزِيدُ عليكم الفاسِقون؟ إذا كُنتم إذا اشتَهيتُم شيئاً أكلتموه.

وقال لأُمِّ هارون: أُتُحِبِّينَ الموتَ؟ قالت: لا، قال: لِمَ؟ قالت: لو عَصَيْتُ آدميًّا ما اشتَهيتُ لقاءَهُ، فكيفَ أُحِبُّ لقاءَهُ وقد عَصَيْتُهُ؟

وقال: واخْزَنَاهُ على الحُزْنِ في دارِ الدُّنْيَا.

وقال: إذا سَمَّكَ اللهُ باسمِ فُكْرٍ عندَ ما سَمَّكَ، وإلَّا هَلَكْتَ.

وقال: كنتُ ذاتَ ليلةٍ بالمِحْرَابِ، فأقلَقَنِي البَرْدُ، فخبَّأتُ إحدى يَدَيَّ، وبقِيَتِ الأُخرى مَمْدودَةً، فغَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، فقِيلَ لي: وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانتِ الأُخرى مَكشوفةً لوضعنا فيها. فآليتُ أن لا أدعو إلاَّ وَيَدَايَ مَكشوفتانِ خارِجتانِ.

وقال: إنَّما يجيءُ الوسواسُ وكَثْرَةُ الرُّؤْيَا إلى كُلِّ ضعيفٍ، فإذا خلصَ انقطعتْ عنه الرُّؤْيَا، قال: ورُبِّمَا أقمتُ سنينَ لا أرى رؤْيَا.

وقال: العِيَالُ يُضعِفُنَ اليَقينَ.

وقال: ما رأيتُ صوفيًّا فيه خيرٌ إلاَّ واحداً^(٢).

وقال: أوحى اللهُ إلى داود: أَنْذِرْ صَاحِبَكَ أَكْلَ الشَّهَوَاتِ؛ فَإِنَّ القلوبَ

(١) إحياء علوم الدين ١٨٦/٢ في أدب الأخوة والصحة والمعاشرة، فصل العفو عن الزلات والهفوات.

(٢) تنمة الخبر في حلية الأولياء ٢٦٥/٩: إلا واحداً عبد الله بن مرزوق.

المتعلقة^(١) بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني .

وقال : إنما ارتفعوا بالخوف ، فإن ضيعوا نزلوا .

وقال : احذر صغير الدنيا ؛ فإنه يجرُّ إلى كبيرها .

وقال : الرضا عن الله ، والرَّحمةُ للخلقِ ، درجةُ المرسلين .

وقال : ما عملَ داودُ عملاً أنفعَ له من خطيئته ؛ مازال خائفاً هارباً حتى لَحِقَ

بربِّه .

وقال : أرجو أن أكون رُزِقْتُ من الرِّضا طريقاً ، لو أدخلني النَّارَ كنتُ بذلك

راضياً .

وقال : كلُّ ما شغلكَ عن الله من أهلٍ ومالٍ وولدٍ فهو عليك مشؤومٌ .

وقال : إذا تعبَدَ الرَّجُلُ ثمَّ تركَ العِبادةَ ، ثمَّ عاودَها لم يبلغْ ما كان فيه أبداً ؛

لأنَّه دخلها ومعه آلةُ الخوفِ ، فلمَّا عادَ عادَ وليست تلك الآلةُ معه .

وقال : الدنيا تطلبُ الهاربَ منها ، وتهربُ ممَّن طلبها ، فإن أدركتِ الهاربَ

منها جرحتهُ ، وإن أدركها طالِبها قتلتهُ .

وقال : إنما يعجبُ بعمله مَنْ يرى له شركةَ حقيقةً مع الله في الفعلِ ، أمَّا مَنْ

يرى نفسه مُستعملاً بقُدرةِ الله لا بقُدرةِ فلا عجبٌ عنده .

وقال : لو اجتمعَ النَّاسُ على أن يضعوني كائنُضاعي عندَ نفسي ما قدروا ،

ومَنْ رأى لنفسه قيمةً لم يجدِ الحلاوةَ في الخِدمة .

واشتهى يوماً رَغيفاً حارّاً بملح ، فأتاهُ به ابنُ أبي الحواري ، فعَضَّ منه

عَضَّةً ، ثم طرَحَهُ وبكى ، وقال : عَجَلْتُ إليَّ شهوتي بعدَ إطالةِ جهدي وشِقوتي ،

وقد عزمْتُ على التَّوبةِ ، فما أكلَ بعد ذلكِ ملحاً حتى لقيَ اللهَ .

وسُئِلَ : بما نالَ أهلُ المحبَّةِ المحبَّةَ من الله؟ قال : بالعَفافِ ، وأخذِ

الكفافِ .

(١) في (أ) : المعلقة . انظر حلية الأولياء ٩ / ٢٦٠ .

وقال: اختلفتُ إلى مجلسِ قاصِّ^(١)، فأثرَ كلامُهُ في قلبي، فلَمَّا قُمتُ لم يبقَ منه شيءٌ^(٢)، فعدتُ إليه فسمعتُهُ، فبقيَ أثرُ كلامِهِ بقلبي، ثمَّ رجعتُ إلى منزلي فكسرتُ آلاتِ المُخالفةِ، ولزِمْتُ الطَّريقَ، فحكِي هذا ليحيى بن مُعاذٍ، فقال: عصفورٌ اصطادَ كُرْكِيًّا.

وقال له ابن أبي الحَواري: صليتُ أمسَ صلاةً في خلوةٍ، فرأيتُ لها لذَّةً، قال: ما لذَّتْكَ منها؟ قال: كوني لم يرَني أحدٌ. قال: إنَّكَ لضعيفٌ حيثُ خطرَ بقلبكِ ذِكْرُ الخلقِ.

ومن كراماته الخارقة ما ذكره في «التجليات»^(٣) أنه كان له تلميذٌ فقال له: ألقى بنفسِكَ في الثُّورِ، وهو جَمْرٌ يتوقَّدُ، فألقى نفسه فيه، فعادَ برداً وسلاماً. وهذه نتيجةُ الوفاءِ.

روى الحديثَ عن جمعٍ منهم: سُفيانُ الثُّوري.

وعنه: ابنُ أبي الحَواري، وغيره.

ولم تزلْ كلماتُهُ في الطَّريقِ باقيةً، وعزماته في تربيةِ المُريدينَ راقيةً، حتَّى ماتَ سنةَ خمسَ عشرةَ ومئتينَ، وقيل غيرُ ذلك.

ورُئي في النَّومِ، فقيلَ: ما فعلَ بك؟ قال: غَفَرَ لي، وما كانَ عليَّ أشْرُ من إشاراتِ القومِ.

* * *

-
- (١) في الأصول والمطبوع: قاصِّ، والمثبت من روض الرياحين صفحة: ٢٩.
(٢) في (أ): لم يبق فيه شيء، وفي مختصر تاريخ دمشق ١٤/١٨٨، وروض الرياحين ٢٩: لم يبق في قلبي منه شيء.
(٣) لم أجده في المطبوع من التجليات الإلهية: رسالة من مصنفات الشيخ محيي الدين محمد بن علي ابن العربي.

(٢٦٠) عبد الله بن خبيق بن سابق (*)

الكوفي أصلاً، الأنطاكي مسكناً، صوفي نما روض تعفّفه، وصفا مورّد نضرته وتصوّفه، نعم وكان إماماً، علمه موصوف، وصلاحه معروف، وزهده مشتهر، وسحاب عبادته منهمر، ترقّق بالصفاء وتحقّق بالوفاء، وتخرّج على ابن أسباط، فأعرض عن الشبهات وأماط.
ومن كلامه:

إن لم تخش أن يُعذّبك الله على أفضل أعمالك فانت هالك.

وقال: رأس الأدب أن يعرف الرجل قدره.

وقال: أنفع الرجاء ما سهّل عليك العمل.

وقال: أوحى الله إلى موسى: لا تغضب على الحمقى؛ فيكثر غمك.

وقال: وكان حبراً من أحبار بني إسرائيل يقول: يا ربّ، كم أعصيك، ولا تعاقبني! فأوحى الله إلى نبيّ من الأنبياء: قل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري، ألم أسلبك حلاوة مناجاتي؟!

وقال: من عاتب^(١) نفسه في مرضات الله أمّنه الله من مقتته.

وقال: مكتوب في الحكمة: من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته.

وقال: أنت لا تطيع من يحسن إليك، فكيف تحسن إلى من يُسيء إليك؟

وقال: لا يستغني حال من الأحوال عن الصدق، وهو مستغن عنها كلّها، ولو صدق عبداً فيما بينه وبين الله حقّ الصدق اطلع على خزائن الغيب.

(*) طبقات الصوفية ١٤١، حلية الأولياء ١٠/١٦٨، الرسالة القشيرية ١/١١٠، مناقب الأبرار ٨٦/ب، صفة الصفوة ٤/٢٨٠، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٣/أ، طبقات الأولياء ٣٣٨، تبصير المنتبه ٢/٥٢٤، الطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٣. في المطبوع: عبد الله بن خبيق الموصلي.

(١) في (أ): من علقت.

وقال: وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب، ولو أنسوا برّبهم،
ولزموا الحق لاستأنس بهم كل أحد.

وقال: طول الاستماع إلى الباطل يُطفئ حلاوة الطاعة من القلب، من أراد
أن يعيش هنيئاً في حياته فليُزِلِ الطمع من القلب.

وقال: لا تغتم إلا من شيء يضرّك غداً، ولا تفرّح إلا بشيء يسرك غداً،
وأنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك،
والزم الفكرة في بقية عمرك.

وقال: خلق الله القلوب مساكن للذكر^(١)، فصارت مساكن للشهوات، ولا
يُمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مُزعج، أو شوق مُقلق.
أسند ابن خبيق الكثير من الحديث، وروى عنه كثيرون.

* * *

(٢٦١) عبد الله بن داود الهمداني (*)

عبد الله بن داود الهمداني، ثم الشعبي المعروف بالخريبي، كوفي الأصل،
أخذ الحديث عن جماعة منهم: الأوزاعي، ثم تنسك وترهّد.
أتاه أبو العيّن، فقال له: ما جاء بك؟ قال: جئت أطلب الحديث، فقال:
اذهب فاحفظ القرآن، قال: حفظته، قال: فتعلم الفرائض، قال: تعلمتها،

(١) في (ب): منازل للذكر.

(*) طبقات ابن سعد ٢٩٥/٧، طبقات خليفة ٢٢٦، تاريخ خليفة ٢٧٤، التاريخ الكبير
٨٢/٥، المعارف ٥٢٠، الجرح والتعديل ٤٧/٥، مشاهير علماء الأمصار ترجمة
١٢٨٦، ثقات ابن حبان ٦٠/٧، الإكمال ٢٨٥/٣، الأنساب ٩٩/٥، تاريخ ابن عساكر
٢٣٩، المنتظم ٢٢/٦، معجم البلدان ٤٣٠/٢، مختصر تاريخ دمشق ١٣٦/١٢، تهذيب
الكمال ٤٥٨/١٤، سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٩، تذكرة الحفاظ ٣٣٧/١، دول الإسلام
١٣٠/١، العبر ٣٦٤/١، طبقات القراء لابن الجزري ٤١٨/١، البداية والنهاية
٢٦٧/١٠، تهذيب التهذيب ١٩٩/٥، شذرات الذهب ٢٩/٢، وهذه الترجمة ليست
في (أ). وسيرجم له المؤلف ثانية في الطبقات الصغرى ٣٦٢/٤.

قال: فأئما أقربُ إليك ابنُ أخيكَ أو عمُّكَ؟ قال: ابنُ أخي، قال: ولمَ؟ قال: لأنَّ أخي من أبي، وعمِّي من جدي، قال: اذهبِ الآن فتعلِّمِ العربيَّةَ، قال: تعلَّمْتُها قبلَ ذين، قال: فلمَ قالَ عمرُ حينَ طُعِنَ: يا لله، يا للمسلمين، لِمَ فتحَ تلكَ اللامَ وكسَرَ هذه؟ قال: فتحَ تلكَ للدُّعاءِ، وكسَرَ هذه للاستنصارِ^(١). قال: لو حدثتُ أحداً لحدثتُكَ^(٢).

ومن كلامه:

كلُّ صديقٍ لك ليس له عقلٌ هو أشدُّ عليك من عدوكِ.

وقال: مَنْ أمكَنَ النَّاسَ من كلِّ ما يُريدون أضروا بدُنياه وآخرته.

قال بشر بن الحارث: دخلتُ عليه في مرضه الذي مات فيه، فجعلَ يقولُ، ويمرُّ يدهُ^(٣) إلى الحائط: لو خيَّرتُ بينَ دُخولِ الجنَّةِ وبينَ أن أكونَ لِبِنَّةٍ من هذا الحائطِ لاخترتُ أن أكونَ لِبِنَّةٍ فيه، متى أدخلُ أنا الجنَّةَ؟ ماتَ سنة ثلاث عشرة ومئتين.

* * *

(٢٦٢) عبد الله بن محمد الرَّازي^(*)

عبد الله بن محمد الرازي، المعروف بالحدَّاد، كان عن حظِّه حائداً، ولمشهوره عابداً مُشاهداً، ذا رُتبةٍ في التَّصوُّفِ رُكنها مَنيع^(٤)، ومنزلةٍ عاليةٍ طوَّدها شامخٌ رفيع.

(١) في (ب): للاستبصار. وفي المطبوع: للانتصار، والمثبت من تهذيب الكمال ٤٦٦/١٤، والسير ٣٥١/٩.

(٢) في المطبوع: لو حدثك أحد. والمثبت من تهذيب الكمال، والسير.

(٣) في المطبوع: ويمد. انظر تاريخ ابن عساكر ٢٥٢.

(*) طبقات الصوفية ٢٨٨، حلية الأولياء ٣٤٥/١٠، الرسالة القشيرية ١٤٨/١، طبقات الشعراني

٩٨/١، جامع كرامات الأولياء ١٠٩/٢، وهو في الحلية وجامع كرامات الأولياء: الحداد،

وفي بقية مصادر ترجمته: الخراز، وله ترجمة في الطبقات الصغرى ٣٨٤/٤.

(٤) في (ب): رفيع.

ومن كلامه :

العبارة^(١) تعرفُها العلماء، والإشارة تعرفُها الحكماء، واللطائفُ تقفُ عليها السادةُ الثبلاء.

وقال: علامةُ الصبرِ تركُ الشكوى، وكتمانُ الضرِّ والبلوى، ومن علامة الإقبالِ على اللهِ صيانةُ الأسرارِ عن الالتفاتِ إلى الأغيارِ، وأحسنُ العبيدِ حالاً مَنْ رأى نعمةَ اللهِ عليه بأن أهلهُ لمعرفته، وأذن له في قُربه، وأباح له سبيلَ مُناجاته، وخاطبهُ على لسانِ أعزِّ أنبيائه، وعرفَ تقصيره عن القيامِ بواجبِ أداءِ شكره.

وقال: أحسنُ العبيدِ مَنْ عدَّ تسيحهُ وصلاته، وظنَّ أنه يستحقُّ بها^(٢) على ربِّه شيئاً.

وقال: كنتُ أتأدبُ بأبي عمران الإصطخريِّ، فإذا خطرَ لي خاطرٌ أحضره، فيُجيبني من غيرِ مسألة، ثمَّ لما شُغِلتُ عن حضوره، كنتُ إذا خطرَ على سريِّ، أجابني من إصطخر جوابَ مخاطبة^(٣)، فأسمعه وأنا بنيسابور.

* * *

(٢٦٣) علي بن الموفق^(*)

أبو الحسن العابدُ الزاهد، كان صوفياً دِيناً، عفيفاً نزهاً، سيِّداً صيناً، ذا ورعٍ

(١) في (أ) و (ب): العبادة، وكذا في حلية الأولياء ١٠/٣٤٥، والمثبت من المطبوع وطبقات الصوفية ٢٨٩.

(٢) في الأصول: يستحق به، والمثبت من طبقات الصوفية ٢٩٠.

(٣) في جامع كرامات الأولياء ١٠٩/٢: جواب مخاطبتي.

(*) حلية الأولياء ١٠/٣١٢، تاريخ بغداد ١٢/١١٠، طبقات الحنابلة ١/٢٣٠، المنتظم ٥/٥٣، صفة الصفوة ٢/٣٨٦، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٦/أ، الكامل في التاريخ ٦/٢٢، الوافي بالوفيات ٢٢/٢٦٥، البداية والنهاية ١٠/٣٨، طبقات الأولياء ٣٤٠، النجوم الزاهرة ٣/٤١.

زائد، وزُهِدِ فَرَعُهُ فِي رَوْضِ الرِّضَا مَائِدًا، وَجَدَّ فِي التَّعَبُّدِ بِشَجَاعَةٍ^(١)،
وَخَلْوَةٍ^(٢) وَقِنَاعَةٍ.

وَمِنْ فَوَائِدِهِ:

أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كَثِيرًا: اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعْبُدُكَ خَوْفًا مِنْ نَارِكَ فَعَذِّبْنِي
بِهَا، أَوْ حُبًّا مِنِّي لِجَنَّتِكَ وَشَوْقًا إِلَيْهَا فَاحْرَمْنِيهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي إِنَّمَا أَعْبُدُكَ
حُبًّا لَكَ وَشَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ فَلَا تُخَيِّبْنِيهِ^(٣)، وَاصْنَعْ بِي مَا شِئْتَ.

وَقَالَ: خَرَجْتُ يَوْمًا لِأُوذِّنَ، فَأَصَبْتُ قِرطَاسًا، فَوَضَعْتُهُ بِكُمِّي وَصَلَّيْتُ، ثُمَّ
قَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا عَلِيُّ بْنُ الْمَوْفِقِ، تَخَافُ الْفَقْرَ وَأَنَا
رُبُّكَ؟.

وَقَامَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ لِلصَّلَاةِ، فَإِذَا شَقَاقٌ فِي أَطْرَافِهِ، فَبَكَى، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ:
أَيْقِظْنَاكَ وَأَنْمِنَاهُمْ، وَتَبْكِي عَلَيْنَا^(٤)!؟.

وَقَالَ: حَجَجْتُ نَيْفًا وَخَمْسِينَ حَجَّةً، فَفَعَدْتُ بِحِذَاءِ الْمِيزَابِ، وَتَفَكَّرْتُ
مَا أَدْرِي مَا حَالِي عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ كَثُرَ تَرُدُّدِي فِي هَذَا الْمَكَانِ فَكَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ:
يَا عَلِيُّ، أَتَدْعُو^(٥) إِلَى بَيْتِكَ إِلَّا مَنْ تُحِبُّهُ؟

وَرَأَى أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقِيلَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: حَبَانِي^(٦)
وَأَعْطَانِي، وَقَرَّبَنِي وَأَدْنَانِي، فَقِيلَ: فَالْشَيْخُ الزَّمَنُ عَلِيُّ بْنُ الْمَوْفِقِ، مَا صَنَعَ
بِهِ؟ قَالَ: السَّاعَةَ تَرَكْتُهُ فِي زَلَالٍ يُرِيدُ الْعَرْشَ^(٧).

(١) فِي (أ): شَجَاعَةٌ.

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ: خَلْوَةٌ وَعَدْلَةٌ.

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ: فَلَا تُخَيِّبُهُ. وَفِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ١١٢/١٢، وَطَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ٣٤٢:
فَأَبْحَنِيهِ.

(٤) الْخَبَرُ فِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ ٣٨٧/٢، وَطَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ٣٤١ بِلَفْظٍ: وَقَالَ: عَلِيُّ بْنُ
الْمَوْفِقِ: قَامَ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلصَّلَاةِ...

(٥) فِي الْمَطْبُوعِ: لَا تَدْعُو.

(٦) فِي الْأَصْلِ: حَبَانِي، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ تَارِيخِ بَغْدَادِ، وَصِفَةِ الصَّفْوَةِ.

(٧) الْخَبَرُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ١١٢/١٢، وَصِفَةِ الصَّفْوَةِ ٣٨٨/٢، عَنْ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ =

أسند ابنُ الموفق الحديثَ عن ابنِ عمَّار^(١)، وابنِ أبي الحواري، وغيرهما.
ماتَ سنةَ خمسٍ وستينٍ ومئتين.

* * *

(٢٦٤) علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق^(*)

كان عَظِيمَ القدر، مشهورَ الذِّكر، أحلَّهُ المأمون محلَّ مهجته، وأشركه في مملكته، وعهدَ إليه بالخلافة من بعده، بعد ما أرادَ أن يخلعَ نفسه ويفوضها إليه في حياته، فمنعهُ بنو العباس فماتَ قبله، فأسِفَ عليه.

وله كراماتٌ كثيرةٌ منها: أنه أخبرَ أنه يأكلُ عنباً ورُمَّاناً، فيموتُ، فيريدُ المأمون دفنَه خلفَ الرّشيدِ فلا يُمكنه، فكان كذلك.

ومنها أنه قال لرجلٍ صحيحٍ سليم^(٢): استعدَّ لما لا بُدَّ منه. فماتَ بعد ثلاثة أيّام. رواه الحاكم^(٣).

= الحفار قال: رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت . . .

(١) في (أ): ابن عماد، وفي (ب): أبي عمار، وفي المطبوع: أبي عماد. وهو منصور بن عمار كما في مصادر ترجمته.

(*) تاريخ خليفة ٤٧٠، ٤٧١، كتاب المجروحين لابن حبان ١٠٦/٢، الثقات لابن حبان ٤٥٦/٨، تاريخ الطبري ٥٦٨/٨، أنساب القرشيين ١١٠، الأنساب ١٣٩/٦، الكامل لابن الأثير ٣٢٦/٦، ٣٥١، وفيات الأعيان ٢٦٩/٣، تهذيب الكمال ١٤٨/٢١، سير أعلام النبلاء ٣٨٧/٩، العبر ٢٨٧/١، المغني في الضعفاء ٤٥٦، ميزان الاعتدال ١٥٨/٣، دول الإسلام ١٢٦/١، مرآة الجنان ١١/٢، الوافي بالوفيات ٢٤٨/٢٢، البداية والنهاية ٢٥٠/١٠، تهذيب التهذيب ٣٨٧/٧، شذرات الذهب ٦/٢، جامع كرامات الأولياء ١٥٦/٢.

(٢) في (أ): قال: لعل صحيحاً سليماً.

(٣) لعله في كتابه تاريخ نيسابور، الذي ذكر فيه من استوطن نيسابور وخراسان، أو من ورد عليها من الصحابة والتابعين، حتى القرن الرابع، وبنى كتابه طبقات كل قرن طبقة على حدة على الحروف. انظر كشف الظنون ٣٠٨/١.

ومنها ما رواه الحاكم أيضاً عن محمد بن عيسى، عن أبي حبيب^(١)، قال: رأيتُ المصطفى ﷺ في النَّومِ في المنزلِ، وهو الذي ينزلهُ الحجاجُ ببلدنا، فوجدتُ عنده طَبَقاً من خوصٍ فيه تمرٌ صِيحاني^(٢) فناولني ثماني عشرةَ تمرَةً، فبعد عشرين يوماً، قَدِمَ عليُّ الرُّضا من المدينة، ونزلَ ذلكَ المنزلَ، وهرعَ النَّاسُ لِلسَّلَامِ عليه، ومضيتُ نحوه، فإذا هو جالسٌ بالمَوْضِعِ الذي رأيتُ المصطفى ﷺ قاعداً فيه، وبين يديه طبقٌ فيه تمرٌ صِيحاني، فناولني قبضةً، فإذا عدتها بقدر^(٣) ما ناولني المصطفى ﷺ، فقلتُ: زدني، فقال: لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك.

* * *

(٢٦٥) علي بن سهل الأصبهاني (*)

من قُدماءِ مشايخِ أصفهان، وأقرانِ الجُنيد، صَحِبَ النَّخْشَبِيَّ، وابنَ مَعْدَانَ وغيرهما، وجابَ القِفَارَ والبِلادَ، وما هابَ الوحشَ والجلادَ، وقطعَ المفاوزَ بحظٍّ هابطٍ، وعزمَ صاعداً، وسامَ كلِّ باذلٍ، وانتجعَ كلَّ راعدٍ، إلى أن أقرَّ ليلهُ الحالِكِ، بعد ما تطوَّرَ في أطوارٍ واقتحمَ المهالكَ.

ومن كلامه:

حرامٌ عليّ مَنْ عَرَفَ اللهُ أن يَسْكُنَ لغيره.

(١) في جامع كرامات الأولياء ١٥٧/٢ نقلاً عن المناوي: محمد بن عيسى بن أبي حبيب.

(٢) تمر صيحاني: من تمر المدينة. القاموس (صيح).

(٣) في (أ): بعدد.

(*) طبقات الصوفية ٢٣٣، حلية الأولياء ٤٠٤/١٠، ذكر أخبار أصفهان ١٤/٢، الرسالة

القشيرية ١٤٣/١، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار ١٣٠/ب، صفة الصفوة ٨٥/٤،

المنتظم ١٥٥/٦، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٣/أ، طبقات الشعراني ٩٤/١.

ذكر السلمى في طبقاته، وابن الجوزي في المنتظم، وأبو نعيم في أخبار أصفهان

بأن وفاته سنة سبع وثلاث مئة، فهو من رجال الطبقة الرابعة، وسيدكره المؤلف في

طبقاته ١١٧/٢.

وقال: مَنْ فَقَّهَ قَلْبَهُ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ الْإِعْرَاضَ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا؛ فَإِنَّ مِنْ جَهْلِ
الْقَلْبِ مُتَابَعَةَ سُرُورٍ لَا يَدُومُ.

وقال: التَّصَوُّفُ التَّبَرِّيُّ عَمَّنْ دُونَهُ، وَالتَّخَلِّيُّ عَمَّا سِوَاهُ^(١).

وقال: التَّوْحِيدُ قَرِيبٌ مِنَ الظُّنُونِ بَعِيدٌ مِنَ الْحَقَائِقِ.

وقال^(٢):

وَقَلْتُ لِأَصْحَابِي: هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدٌ^(٣)

* * *

(٢٦٦) عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّائِغِ الدِّينُورِيِّ^(*)

عليُّ بن محمد بن سهل بن الصائغ الدِّينُوري المشهور، كان من صدرِ
الصُّدُورِ، اسْتَنَدَ صُوفِيَّةَ الْآفَاقِ مِنْ تَرْبِيَّتِهِ إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ، وَعَطَفُوا إِلَى الْعُكُوفِ
عَلَيْهِ كُلَّ جَيِّدٍ، وَكَانَ وَافِرَ الْوَرَعِ وَالذِّيَانَةِ، قَوِيَّ التَّمَكُّنِ^(٤) عَلَيَّ الْمَكَانَةِ، نَبَّرَ
الْوَجْهَ، حَسَّنَ الْأَخْلَاقَ، سَارَ سِيرَةً سَارَتْ فَعَطَّرَتْ بِأَرْجَاهَا أَرْجَاءَ الْآفَاقِ.

(١) في طبقات الصوفية ٢٣٥: عن سواه.

(٢) في طبقات الصوفية ٣٦٥: وأنشد لبعضهم.

(٣) في (أ): في تناولها.

(*) طبقات الصوفية ٣١٢، حلية الأولياء ٣٥٣/١٠، الرسالة القشيرية ١٥٣/١، مناقب
الأبرار ومحاسن الأخيار ١٥٥/أ، صفة الصفوة ٧٨/٤، المنتظم ٣٢٨/٦، المختار
من مناقب الأخيار ٢٩٣/ب، العبر ٢٢٧/٢، طبقات الأولياء ٣٤٩، البداية والنهاية
٢٤/١١، حسن المحاضرة ٥١٣/١، طبقات الشعراني ١٠٢/١، شذرات الذهب
٣٣٠/٢.

وسيدكر ترجمته المؤلف مرة أخرى في الطبقات الصغرى: ١٢٥/٤.

قال النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء ١٥٨/٢ مفرقاً: والظاهر أن هذا
(علي بن محمد بن سهل الصائغ الدِّينُوري) غير أبي الحسن الدِّينُوري (الذي ستأتي
ترجمته ١١٥/٢) لاختلافهما في تاريخ الوفاة، وإن اتفقا في كثير من الأوصاف.

(٤) في (أ): قوي التمكين.

أخذ عن ابن الجلاء ومن فوقه .

ومن كراماته **اللباهرة** ، آيات ولايته الظاهرة : أن التُسورَ كانت تُظَلُّه إذا قام يُصَلِّي في الحرِّ .

ومن فوائده :

طريقُ الحقِّ بعيدٌ ، والصبر على مقدورِ الله تعالى شديد .

وقال : لو جمعت علمَ الأوّلين والآخريّن ، وأحوالَ الأولياءِ والمُقرَّبين ، لا تصلُ إلى درجاتِ العارفينَ حتى يسكنَ سِرُّكَ إلى الله ^(١) ، وتثقَ بضمّانه فيما وعدَ وقسم .

وقال : ما دخلتُ قطُّ على فقيرٍ إلا فارغاً من جميع العلومِ والمعارفِ والآدابِ ، أنتظرُ ما يردُّ عليّ من رؤيته وكلامه ، فإنّ من دخلَ على شيخٍ بحظِّ نفسٍ ، انقطعَ عنه إمدادُهُ ورُبّما مُقت .

وقال : أحسنُ النَّاسِ حالاً ، من أسقطَ عن نفسه رؤيةَ رِعايةِ الخلقِ ، وراعى سِرَّهُ ^(٢) مع الله ، واعتمدَ عليه في كلِّ أمرٍ .

وقال : أرواحُ الأنبياءِ لا تزالُ في حضرةِ المُكاشفةِ والمُشاهدةِ ، وأرواحُ الأولياءِ في القربِ والاطِّلاعِ .

وقال : تناولتُ مرّةً شهوةً ففقدتُ قلبي عشرينَ سنةً ، ثم جمعتُه على الحقِّ عشرينَ سنةً ، ثم تركتُ قولي للشيء : كن فيكون عشرينَ سنةً ، أدباً مع الله .

مات بمصر سنة سبع وتسعين ومئتين هكذا رأيتُه بخطِّ بعضهم ، ورأيتُ في كلامِ ابنِ الجوزي ثلاثين وثلاث مئة .

ودُفِنَ بالقرافة تحت الجبلِ .

وأسندُ الحديثِ .

* * *

(١) في المطبوع : يسكن سرك إليه .

(٢) في المطبوع : ورأى سره .

(٢٦٧) عمرو بن سلمة الحدّاد (*)

الإمام أبو حفص النّيسابوري، شيخ خراسان، كان عَظِيمَ الشان، عالي المقام، واضح البرهان، مُباركاً على صُوفية الإسلام، وتربيته عائدة عليهم بصلات المعارف التي لا تحصرها الأقلام، مشكور السيرة في السرّ والجهر، من نوادر العصر، وأفراد الدّهر، له الفتوة الكاملة، والمروءة الشاملة، صحب الأبيوزدي، وتلمذ للحيري^(١) وغيرهما.

وكان حدّاداً، فبينما غلامه ينفخ، غاب فكره في ذكر محبوبه، فغاب عن الحسّ البشريّ الظاهر، ونسي أن يُخرج الحديد من الكير بالآلة وأخرجه بيده، فصاح الغلام: الحديد في يدك بلا كلبتين، فرماه به، وخرج سائحاً في البرية وهو يقول: شرط المحبة التّستر والكتمان لا الافتضاح والإعلان.

قال المرتعش: دخلت مع أبي حفص على مريض يعودُه، فقال أبو حفص للمريض: أتجبت أن تخرج معنا وتبرأ؟ قال: نعم، قال للقوم: احملوا عنه، فخرجنا وخرج المريض معنا، وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد.

ودخل على مريض يعودُه، فقال: آه، فقال: ممّن؟ فسكت، فقال: مع من؟ فقال: كيف أكون؟ قال: لا يكون أنينك شكوى ولا سكوتك تجلداً.

ولما ورد على الجنيد عمّل له أنواعاً من الأطعمة، فأنكر عليه، وقال:

(*) طبقات الصوفية ١١٥، حلية الأولياء ٢٢٩/١٠، الرسالة القشيرية ١٠٦/١، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار ٨٢/ب، صفة الصفوة ١١٨/٤، المنتظم ٥٣/٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٠٤/أ، سير أعلام النبلاء ٥١٠/١٢، العبر ٣١/٢، مرآة الجنان ١٧٩/٢، البداية والنهاية ٣٨/١١، طبقات الأولياء ٢٤٨، النجوم الزاهرة ٤١/٣، ٦٦، طبقات الشعراني ٨٢/١، شذرات الذهب ١٥٠/٢.

وقد خلط المؤلف رحمه الله تعالى بين أقوال صاحب الترجمة وبين أقوال عبد الرحمن بن عطية الداراني التي تقدمت ترجمته ٦٦٩/١، وكل قول له سنشير إليه.

(١) في الأصل: الجبري، وهو سعيد بن إسماعيل، أبو عثمان الحيري.

صَيَّرَتْ أَصْحَابِي كَالْمَخَانِيثِ^(١)، فَقَالَ: إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ إِكْرَامًا لِلضَّيْفِ، فَقَالَ:
شَرَطُ الْإِكْرَامِ أَنْ لَا يَتَوَلَّدَ مِنْهُ ضَرَرٌ.
وَمِنْ كَلَامِهِ:

مَنْ تَجَرَّعَ كَأْسَ الشُّوقِ هَامَ هِيَامًا لَا يَفِيقُ مِنْهُ إِلَّا عِنْدَ الْمُشَاهَدَةِ وَاللِّقَاءِ.
وَقَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الْمُحِبَّ سَاكِنًا هَادِئًا فاعْلَمْ أَنَّهُ وَرَدَتْ عَلَيْهِ غَفْلَةٌ^(٢)؛ فَإِنَّ
الْمُحِبَّ لَا يَهْدَأُ.

وَقَالَ: ~~الْبِخْلُ~~ تَرَكَ الْإِيثَارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ.

وَقَالَ: لَا تَكُنْ عِبَادَتُكَ لِرَبِّكَ سَبَبًا لِأَنْ تَكُونَ مَعْبُودًا.

وَقَالَ: تَرَكَتُ الْعَمَلَ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، وَتَرَكَتُ الْعَمَلَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْهِ.

وَقَالَ: الْكِرْمُ تَرَكَ الدُّنْيَا لِمُحْتَاجِهَا، وَالْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ لِاحْتِيَاجِكَ إِلَيْهِ.

وَقَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُعْرَفَ وَلَا يُشَارَ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ فافْعَلْ^(٣).

وَقَالَ: إِنَّمَا الْقَلْبُ كَقُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ لَهَا أَبْوَابٌ، فَأَيُّ بَابٍ فُتِحَ لَهُ عَمَلُ الْفِكْرَةِ
فِيهِ^(٤).

وَقَالَ: يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ الْمَعْنِيِّ بِنَفْسِهِ أَنْ يُمِيتَ الْحَيَاةَ الْعَاجِلَةَ الزَّائِلَةَ الْمُنْغَصَّةَ
بِالْآفَاتِ مِنْ قَلْبِهِ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا وَرَاءَهُ مِنَ الْأَهْوَالِ، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ
الْجَبَّارِ^(٥).

وَقَالَ: الزَّاهِدُ حَقًّا لَا يَذْمُ الدُّنْيَا وَلَا يَمْدَحُهَا، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَلَا يَفْرَحُ بِهَا
إِذَا أَقْبَلَتْ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَيْهَا إِذَا أَدْبَرَتْ^(٦).

-
- (١) فِي (ب): كَالْمَجَانِيقِ، وَفِي الْمَطْبُوعِ: الْمَخَانِيقُ، انظر السير ٥١٢/١٢.
(٢) فِي الْأَصُولِ: رَدَّ عَلَيْهِ عَقْلُهُ. وَالْمَثْبُوتُ مِنْ طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ١١٩.
(٣) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ. انظر حلية الأولياء ٢٦٥/٩، و ٢٦٩ وفيها: وَلَا يُسَارَ إِلَيْكَ.
(٤) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ. تقدم في ترجمته ٦٧١/١.
(٥) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ، انظر حلية الأولياء ٢٦٦/٩.
(٦) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ، انظر حلية الأولياء ٢٦٦/٩.

وقال: إذا جاع القلب وعطش صفا ورق، وإذا شبع وروي عمي^(١).

وقال: استجلب الزهد بقصر الأمل، وادفع أسباب الطمع باليأس والقنوع،
تخلص إلى راحة القلب بصحّة التفويض^(٢).

وقال: ردّ سبيل العجب بمعرفة النفس^(٣).

وقال: إنني لأمرض فأعرف الذنب الذي بسببه المرض^(٤).

وقال: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها في جميع
الأحوال، ولم يجبرها على مكروهاها في سائر الأيام فهو مغرور، ومن نظر إليها
باستحسان شيء منها فقد أهلكها، وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه،
والكريم ابن الكريم^(٥) يقول: ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال: أحسن ما يتوسل به العبد لمولاه دوام الفقر إليه في كل حال،
وملازمة السنّة في جميع الأفعال، وطلب القوت من حلال.

وقال: ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه؛ فإن المعاصي بريد الكفر.

وسئل عن التوبة فقال: ليس للعبد من التوبة شيء؛ لأن التوبة إليه لا منه.

وقال: لا يفلح قلب يهتم بجمع القراريط^(٦).

وقال: العارف إذا صلى ركعتين لم ينصرف عنهما حتى يجد طعمهما^(٧).

(١) القول للداراني، انظر حلية الأولياء ٢٦٦/٩، وتاريخ دمشق ٨٥/٤٠.

(٢) القول للداراني، انظر صفة الصفوة ٢٣١/٤.

(٣) القول للداراني، انظر حلية الأولياء ٢٦٦/٩.

(٤) القول للداراني، انظر حلية الأولياء ٢٦٧/٩.

(٥) أخرج البخاري ٤١٧/٦ (٣٣٨٢) في الأنبياء، باب: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

الْمَوْتُ ﴾ [البقرة: ١٣٣] عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكريم

ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم

السلام».

(٦) القول للداراني، انظر حلية الأولياء ٢٦٨/٩، وتاريخ دمشق ١٠٢/٤٠.

(٧) القول للداراني، انظر حلية الأولياء ٢٦٨/٩، و ٢٧٢.

وقال : ضحكُ العارِفِ التَّبَسُّمُ^(١) .

وقال : لا أَحْسَبُ عَمَلًا لا يوجدُ له في الدُّنيا لَذَّةٌ يكونُ له في الآخرةِ ثوابٌ^(٢) .

وقال : كلُّ مَنْ كان في تطوُّعٍ يلدُّ به ، فجاء وقتُ فرضٍ لم يقطع وقتُه لذَّةً التَّطَوُّعُ فهو مَخْدُوعٌ^(٣) .

وقال : تَحَرَّزُ من إبليسَ بمُخالفةِ هوائِكَ ، وتزَيَّنُ لله بالصَّدقِ والإخلاصِ في العملِ ، وتعرَّضُ للعفو بالحِياءِ منه والمُراقبةِ ، واستدِمَّ النِّعمةَ بخوفِ زوالِها ، ولا عَمَلَ كطلبِ السَّلامَةِ ، ولا سِلامَةً كسِلامَةِ القلبِ^(٤) ، ولا عَقَلَ كُمُخالفةِ الهوى ، ولا فَتَرَ كفقْرِ القلبِ ، ولا غِنَى كغِنَى النَّفسِ ، ولا قُوَّةَ كَرَدِّ الغَضَبِ ، ولا نُورَ كنورِ اليقينِ ، ولا يَقِينَ كاحتقارِ الدُّنيا ، ولا مَعْرِفَةً كمَعْرِفَةِ النَّفسِ ، ولا نِعمةَ كالعافيةِ من الذُّنوبِ ، ولا عافيةَ كُمُساعدةِ التَّوفيقِ ، ولا زُهْدًا كقِصْرِ الأملِ ، ولا حِرْصًا كالمُنافسةِ في الدَّرجاتِ ، ولا عَدْلًا كالإنصافِ ، ولا تعدي كالجورِ ، ولا عَدَمَ كعَدَمِ العقلِ ، ولا عَدَمَ عقلٍ كقِلَّةِ يقينِ ، ولا قِلَّةَ يقينٍ كفقْدِ الخوفِ ، ولا فَضيلةَ كالجهادِ ، ولا جِهَادًا كُمُجاهدةِ النَّفسِ ، ولا ذُلًّا كالطَّمعِ^(٥) .

وقال : مَنْ عَمِلَ شيئاً من أنواعِ الخَيْرِ بلا نِيَّةٍ أَجزأتهُ النِّيَّةُ الأولى حينَ اختارَ الإسلامَ على الأديانِ كُلِّها^(٦) .

وقال : لا تشهَدُ لأحدٍ بالزُّهدِ ؛ فإنَّما هو شيءٌ في القلبِ .

وقال : ما أُوتِيَ مَنْ أُوتِيَ من قارونَ وبلعامَ إلا أنَّ أصلَ نِيَّاتهمُ على غِشٍّ ، فرجعوا إلى الغِشِّ الذي في قلوبهم ، واللهُ أَكْرَمُ من أنْ يُمنَّ على عبدٍ بصدقٍ ثمَّ يسلبه إيَّاه^(٧) .

(١) القول للداراني ، انظر حلية الأولياء ٢٦٧/٩ .

(٢) القول للداراني ، انظر مناقب الأبرار ٦٤/أ .

(٣) القول للداراني ، انظر حلية الأولياء ٢٦٩/٩ .

(٤) في (أ) : ولا سِلامَةً كسِلامَةِ آفةٍ . . .

(٥) القول للداراني ، انظر حلية الأولياء ٢٧٠/٩ ، وصفة الصفوة ٢٣١/٤ .

(٦) القول للداراني ، انظر حلية الأولياء ٢٧١/٩ .

(٧) القول للداراني ، انظر حلية الأولياء ٢٧١/٩ ، وصفة الصفوة ٢٣٠/٤ .

وقال: إنما أوتيت أنا وأنت^(١) من التَّخْلِيطِ، نَقُومُ لَيْلَةً وَنَنَامُ لَيْلَةً، وَنَصُومُ يَوْمًا وَنُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَسْتَنِيرُ الْقَلْبُ عَلَى هَذَا^(٢).

وقال: إنما يمثُلُ الْقَلْبُ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْحَدِيثِ، أَوْ عَلَى قَدْرِ مَا يَتَوَهَّمُ.

وقال: مَنْ حَسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ مَمَّنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ مَخْدُوعٌ.

وقال: لَيْسَ الزَّاهِدُ مَنْ أَلْقَى غَمَّ الدُّنْيَا وَاسْتَرَاحَ، إِنَّمَا تِلْكَ رَاحَةٌ؛ إِنَّمَا الزَّاهِدُ مَنْ أَلْقَى غَمَّهَا وَتَعَبَ فِيهَا لِآخِرَتِهِ^(٣).

وقال: أَهْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا قِسْمَانِ، مِنْهُمْ مَنْ يَزْهَدُ فِيهَا فَلَا يُفْتَحُ لَهُ فِيهَا رُوحُ الْآخِرَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ^(٤).

وقال: أَهْلُ الطَّاعَةِ فِي لَيْلِهِمْ أَلَدُّ مِنْ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ، وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا^(٥).

وقال: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِبْلِيسَ، وَلَوْلَا أَمْرُتُ بِالتَّعَوُّذِ مِنْهُ مَا تَعَوَّذْتُ^(٦).

وَدَمَّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا بِحَضْرَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَظْهَرْتَ مَا كَانَ سَبِيلَكَ أَنْ تُخْفِيَهُ، لَا تُجَالِسُنَا بَعْدَ هَذَا، فَلَمْ يَرْخِصْ فِيهِ لَمَّا فِي ضِمْنِهِ مِنْ دَعْوَى الزُّهْدِ فِيهَا.

وقال: حَرَسْتُ قَلْبِي عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ حَرَسَنِي عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ صِرْنَا جَمِيعًا مَحْرُوسِينَ.

وقال: الْعِبُودِيَّةُ تَرُكُ مَا لَكَ، وَالتَّرَاؤُ مَا أَمْرُتَ بِهِ.

وقيل له: فَلَانٌ يَدُورُ حَوْلَ السَّمَاعِ، فَإِذَا سَمِعَ بَكَى وَهَاجَ، فَقَالَ: أَيْشَ.

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: أَتْنَا وَأَنَا.

(٢) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ، انظُرْ حَلِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ ٢٧١/٩.

(٣) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ، انظُرْ حَلِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ ٢٧٣/٩، وَتَارِيخَ دِمَشْقَ ١٠٠/٤٠.

(٤) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ، انظُرْ حَلِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ ٢٧٤/٩، وَتَارِيخَ دِمَشْقَ ٩٩/٤٠.

(٥) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ، انظُرْ تَارِيخَ دِمَشْقَ ١٠٣/٤٠.

(٦) الْقَوْلُ لِلدَّارَانِيِّ، انظُرْ حَلِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ ٢٧٦/٩، وَتَارِيخَ دِمَشْقَ ٩٦/٤٠.

يَعْمَلُ؟ الْغَرِيقُ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ يَظُنُّ فِيهِ نَجَاتَهُ.

وَلَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ لَقِيَهِ الْجُنَيْدُ، فَرَأَى أَصْحَابَهُ مِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَقَالَ لَهُ: أَدَّبْتَهُمْ بِآدَابِ الْمُلُوكِ. فَقَالَ: لِأَنَّ حُسْنَ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ لِأَدَبِ الْبَاطِنِ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»^(١).

وَكَانَ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا عَلَى الْحُضُورِ وَتَعْظِيمِ الْحَرَمَةِ، فَإِذَا ذَكَرَ تَغَيَّرَ حَالُهُ، فَإِذَا رَجَعَ قَالَ: مَا أْبَعَدَ ذِكْرُنَا مِنْ ذِكْرِ الْمُتَحَقِّقِينَ، مَا أَظُنُّ أَنَّ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ حَاضِرًا مِنْ غَيْرِ غَفْلَةٍ يَبْقَى بَعْدَ ذِكْرِهِ حَيًّا إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ.

وَسَأَلَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ حَالَ النَّزْعِ: مَا الَّذِي تَعْظُنَا بِهِ؟ قَالَ: الْإِنْكَسَارُ بِالْقَلْبِ عَلَى التَّقْصِيرِ.

مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ، أَوْ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِئَتَيْنِ.

* * *

(٢٦٨) عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ الْمَكِّيُّ^(*)

الْعَارِفُ الْبَصِيرُ، الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، لَهُ اللَّسَانُ الشَّافِي، وَالْبَيَانُ الْكَافِي، مَعْدُودٌ فِي الْأَلْبَاءِ، مَحْمُودٌ فِي الْأَطِبَّاءِ، أَحْكَمُ الْأَصْوَعِلِ، وَأَخْلَصَ فِي الْوُصُولِ، وَسَاحٌ فِي الْبِلَادِ، وَنَاحٌ بِالْوُدَادِ.

(١) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ١٢٢، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ٢٣٠/١٠ بِإِسْنَادٍ مَنْقُوعٍ. وَذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ ١٥١/١ بِلَفْظٍ: رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَعْثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ... قَالَ الْعِرَاقِيُّ: أَخْرَجَهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي «النَّوَادِرِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنُفِ، وَفِيهِ رَجُلٌ لَمْ يُسَمَّ. وَانظُرْ مَا قَالَهُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي فَيْضِ الْقَدِيرِ ٣١٩/٥.

(*) طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ٢٠٠، حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ ٢٩١/١٠، أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ ٣٣/٢، تَارِيخُ بَغْدَادَ ٢٢٣/١٢، الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ ١٣٢/١، مَنَاقِبُ الْأَبْرَارِ ١١٤/أ، صِفَةُ الصَّفْوَةِ ٤٤٠/٢، الْمُنْتَزَمُ ٩٣/٦، الْمَخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَخْيَارِ ٣٠٦/أ، سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ٥٧/١٤، الْعَبْرُ ١٠٧/٢، دَوْلُ الْإِسْلَامِ ١٨١/١، مِرَاةُ الْجَنَانِ ٢٢٧/٢، طَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ٣٤٣، الْعَقْدُ الثَّمِينُ ٤١١/٦، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٧٠/٣، ١٨٤، طَبَقَاتِ الشُّعْرَانِيِّ ٨٩/١، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٢٥/٢.

وكان من أئمة القوم الأمجاد، له القبول التام بين الخاص والعام، بحيث
أقبلت عليه جميع الخلائق من جميع الأقطار: كبيرها وصغيرها، أميرها
ومأمورها.

صحب الخزاز، وغيره.

ومن فوائده:

المروءة التغافل عن زلل الإخوان.

وقال: كل ما توهمه قلبك، أو سنع في مجاري فكرك، أو خطر في
معارضات لبك من حسن أو بهاء^(١)، أو أنس أو ضياء، أو جمال أو شبح، أو
نور أو خيال، فالله بعيد عن ذلك، منزه عنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:
. [١١]

وقال: العلم قائد، والخوف سائق، والنفس حرون جموح خداعة روَاعَة
فاحذرهما، وراعها بسياسة العلم^(٢)، وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد.

وقال: إن الله جعل الاختيار موصولاً بالاختبار.

وقال: الصبر الثبات مع الله، وملاقاة بلائه بالرحب والدعة.

وقال: واغمأه من عهد لم يقم له بوفاء، ومن خلوة لا تصحب بحياء^(٣)،
ومن أيام تفنى ويبقى ما كان فيها أبداً.

قال الحافظ أبو نعيم^(٤): كانت حظوظه في فنون العلم غزيرة، وتصانيفه
بالروايات والمسانيد شهيرة.

مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومئتين، أو غير ذلك.

* * *

-
- (١) في المطبوع: من حسن أدب.
 - (٢) في (أ) و (ب): سياسة العمل.
 - (٣) في طبقات الصوفية ٢٠٤: واغمأه من عهد لم يقم له بوفاء، ومن خلوة لم نصحبها
بحياء.
 - (٤) حلية الأولياء ١٠/٢٩٦.

(حرف الفاء)

(٢٦٩) فتح بن شخرف الكشي (*)

فتح بن شخرف، أبو نصر الكشي، كان صالحاً زاهداً ذا معارف نامية وافية، وإعراضٍ عن الدنيا بالجملة الكافية، لا يكثرُ بنصرتها وبهجة نزارها، ولا يلتفتُ إلى المنقوش من درهمها ودينارها، أقامَ يأكلُ^(١) الخبز ثلاثين سنة، ويُطعمُ الفقراء والأصحابَ الطعامَ الطيبَ.

قال: رأيتُ ربَّ العِزَّةِ في النَّومِ، فقال: يا فتح، احذرْ لا آخذك على غِرَّةٍ. فهيمتُ في الجبالِ سبعَ سنين.

قال أحمد بن حنبل: ما أخرجتُ خراسانُ مثله.

ومكثَ ثلاثين سنةً لم يرفعْ طرفه إلى السماء، ثم رفع رأسه، وفتح عينيه، ونظرَ إليها، ثم قال: قد طال شوقي إليك فمعجلُ قدومي عليك، فمات سنة ثلاثٍ وسبعين ومئتين.

قال ابنُ أبي الحواري: غسَّلتُهُ فإذا على فخذهِ الأيمن: لا إله إلا الله، فتوهَّمناه مكتوباً، فإذا هو عرقٌ داخلَ الجلد.

وصلَّى عليه نحو ثلاثين ألفاً.

(*) تاريخ بغداد ١٢/٣٨٤، طبقات الحنابلة ١/٢٥٥، مناقب الأبرار ٢٢٣/أ، صفة الصفوة ٢/٤٠٢، المنتظم ٥/٨٩، المختار من مناقب الأخيار ٣١٤/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٠/٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١٣/٩٣، طبقات الأولياء ٢٧٤، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٣٣.

والكشي نسبة إلى مدينة كَشْ مدينة بما وراء النهر.

(١) في (ف): وقال: لم يأكل... وفي (ب) والمطبوع: أقام لم يأكل... والمثبت من (أ).

(٢٧٠) فاطمة النَّيسابورية^(*)

كانت من المُصطَفِيَّاتِ العَابِدَاتِ العَارِفَاتِ، وهي أستاذةُ ذِي التُّونِ المصري.

وزارها أبو يزيد البسطامي، وقال: ما رأيتُ في عمري إلا رجلاً وامرأةً، والمرأةُ فاطمةُ النَّيسابورية، وما أُحدِّثُها عن مقامٍ من المقاماتِ إلا وكان الخبرُ لها عياناً.

وقال ذو التُّون: ما رأيتُ أجَلَ منها.

وكانت مُقيمةً بمكَّةَ.

ومن كلامها:

مَنْ كَانَ اللهُ مِنْهُ عَلَى بَالٍ أَخْرَسَهُ، إِلَّا عَنِ الصِّدْقِ، وَالزَّمَهُ الحَيَاءُ مِنْهُ
وَالإِخْلَاصَ لَهُ^(١).

وقالت: مَنْ لَمْ يُرَاقِبِ اللهُ فِي كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ يَنْحَدِرُ فِي كُلِّ مِيدَانٍ، وَيَتَكَلَّمُ
بِكُلِّ لِسَانٍ.

وقالت: الصَّادِقُ والمُقَرَّبُ فِي بَحْرِ تَضَطُّرِبُ عَلَيْهِ أَمْوَاجٌ، يَدْعُو رَبَّهُ دُعَاءَ
الغَرِيقِ، وَيَسْأَلُهُ الإِخْلَاصَ وَالنَّجَاةَ.

وقالت: مَنْ عَمِلَ اللهُ عَلَى المُشَاهَدَةِ فَهُوَ عَارِفٌ، وَمَنْ عَمِلَ عَلَى مُشَاهَدَةِ اللهِ
إِيَّاهُ فَهُوَ مُخْلِصٌ.

وقال لها ذو التُّون، وقد اجتمعوا ببيتِ المَقْدَسِ: عَظِيمِي. قالت: الزَّمِ
الصِّدْقَ، وَجَاهِدْ نَفْسَكَ فِي أَفْعَالِكَ.

مَاتَتْ بِمَكَّةَ فِي طَرِيقِ العُمَرَةِ سَنَةَ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ وَمِئَتِينَ.

(*) صفة الصفوة ٤/١٢٣، المختار من مناقب الأخيار ٤١٣/ب، طبقات الشعراني ٦٦/١، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٣٢، أعلام النساء ٤/١٤٧.

(١) في المطبوع ذكر الخبر مرتين، مرة بهذا اللفظ، وأخرى: ومن راقب الله في كل حال أخرسه...

(حرف القاف)

(٢٧١) القاسم بن عثمان الجوعِي (*)

القاسم بن عثمان الجوعِي، بضم الجيم، وسكون الواو، نسبة إلى الجوع لكونه كان يبقى جائعاً كثيراً.

كانت له الرعاية الوافية، فأيد بالقوة الكافية.

ومن كلامه:

شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع، فنقدوا لذة الطعام والشراب وشهوات الدنيا، لتلذذهم بما ليس فوقه لذة، فقطعهم عن كل لذة.

وقال: أصل المحبة المعرفة، وأصل الطاعة التصديق، وأصل الخوف المراقبة، وأصل المعاصي طول الأمل، وحُب الرياسة أصل كل موبقة.

وقال: أفضل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق^(١) الجنة سلامة الصدر.

(*) الجرح والتعديل ١١٤/٧، الثقات لابن حبان ١٧/٩، حلية الأولياء ٣٢٢/٩،

الأنساب ٣٧٣/٣، صفة الصفوة ٢٣٦/٤، المختار من مناقب الأخيار ٣٢٠/أ،

اللباب ٣١١/١، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/٢١، ٥٨، سير أعلام النبلاء ٧٧/١٢،

العبر ٤٥٢/١، طبقات الأولياء ٣٩٣، ٣٩٦، شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

والقاسم بن عثمان الجوعِي عند ابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن الملقن في

طبقات الأولياء رجلاً: القاسم الجوعِي الصغير، والقاسم الجوعِي الكبير، ولم يفرق

بينهما أبو نعيم في الحلية، ولا الذهبي في السير.

(١) في (أ): وأصل طرق.

وقال: رأيتُ بيتَ المقدسِ راهباً، فقلتُ: أوصني، قال: كُنْ كَمَنْ
احتوشته^(١) السَّبَاعُ والهَوَامُّ، فهو خَائِفٌ مَدْعُورٌ، وإن يسهو فتفترسُهُ، أو يلهو
فتنهشُهُ، فليلهُ ليلٌ مَخَافَةٍ، إذا أَمِنَ فيه المُعْتَرُونَ، ونهارُهُ نهارٌ حُزَنٍ، إذا فَرِحَ فيه
البَطَّالُونَ، ثم ولى، فقلتُ: لو زدتنِي، فقال: يَكْفِي الظَّمَانُ مِنَ المَاءِ أيسرُهُ.

وقال: قليلُ العملِ مع المعرفةِ خَيْرٌ من كثيره بدونِها.

وقال: رأسُ الأعمالِ الرِّضَا عن الله، والورعُ عَمُودُ الدِّينِ، والجوعُ مُخُّ
العِبَادَةِ، والحصنُ الحَصِينُ ضَبْطُ اللِّسَانِ، وَمَنْ شَكَرَ اللهَ حُبِسَ فِي مِيدَانِ^(٢)
الزِّيَادَةِ، وَمَنْ تَمَّ عَمَلُهُ عَدَّ المَصَائِبَ نِعَمًا، وشَكَرَ اللهَ عَلَيْهَا.

وقال: البطنُ دُنْيَا العَبْدِ، فبقدرِ مَا يَمْلِكُ من بطنه يَمْلِكُ من الزُّهْدِ، وبقدرِ
مَا تَمْلِكُهُ بطنه تَمْلِكُهُ الدُّنْيَا.

وقال: رأيتُ المُصْطَفَى ﷺ فِي النَّوْمِ، وكأني جالِسٌ بِمَسْجِدِ دِمَشْقَ،
وأترنمُ وأدقُّ فِي صَدْرِي، فَصَعِدَ رَسولُ الله ﷺ، وَمعه أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ، وَقَالَ:
يَا أَبَا القَاسِمِ، الغَلَطُ فِي هَذَا أَكْثَرُ مِنَ الصَّوَابِ.

أَسْنَدَ الحَدِيثِ عَن جَمَاعَةٍ مِنَ الأَعْيَانِ.

* * *

(١) فِي المَطْبُوعِ: اسْتَوْحَشْتَهُ.

(٢) فِي حَلِيَةِ الأَوْلِيَاءِ: جَلَسَ فِي مِيدَانِ... وَفِي تَارِيخِ دِمَشْقِ ٣١/٢١: حُشِرَ فِي مِيدَانِ.

(حرف الميم)

(٢٧٢) محمد بن أبي الورد (*)

قريب الجنيد، كانت له الهمة العلية في الإرشاد إلى الطريق المسلك، ويقول: الصوفية وديعة الله عند مشايخ السلوك.

أمتع المريدين بنفائسه، ونشر عليهم الدر في مجالس وعظه ومدارسه، سار ذكره في الآفاق، وانتهت إليه رئاسة الصوفية بالعراق.

صحب: السقطي، والمحاسبي، والحافي، وغيرهم، وطريقه في الورد طريق بشر.

ومن فوائده:

الغفلة عن الطاعة نعمة.

وقال: علامة الولي، أن يوالي أولياء الله، ويُعادي أعداءه.

وقال: من لا تحب نفسه الدنيا فأهلها يحبونه.

وقال: إنما منع الناس الوصول لتضييع الأصول.

وقال: هلاك الناس في حرفين: اشتغال بنافلة، وتضييع فريضة، وعمل بالجوارح بلا مواطاة القلب.

(*) طبقات الصوفية ٢٤٩، حلية الأولياء ٣١٥/١٠، تاريخ بغداد ٢٠١/٣، مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار ١٤٨/ب، صفة الصفوة ٣٩٥/٢، المنتظم ٤٢/٥، الوافي بالوفيات ١٠٥/١، طبقات الأولياء ٣٧٢، طبقات الشعراني ٩٨/١.

وقال: أشكر الخلق لله من لم ير أنه شكر الله قط.

وقال: من آداب الفقير في فقره ترك الملامة والتعير لمن ابتلي بطلب الدنيا، والرّحمة والشفقة عليه، والدعاء له ليرحبه الله من تبعه فيها.

وقال: إن لله عز وجل يوماً لا ينجو من شره مُنقادٌ لهواه، وإنَّ أبطأ الصّرعى يوم القيامة صريعٌ شهوة.

أسند الحديث عن أبي النضر^(١)، وغيره^(٢).

ومات سنة ثلاث وستين ومئتين.

* * *

(٢٧٣) محمد بن إبراهيم البغدادي^(*)

أخذ عن السّقطي، والمُسوّحيّ وإليه انتماؤه، كان فقيهاً عالمياً متكلماً بالحقائق، خبيراً بسلوك الطرائق، واشتهر بذلك حتى حلت له مشايخ الصّوفيّة حياءها^(٣)، وحمي به حرّمها وحمّاها، واتّسقت به عقودها، وحفظت به عهودها.

وكان أحمد بن حنبل يُعظّمه جدّاً.

ومن فوائده: من المُحال أن تدّعي محبّة الله وأنت لا تذكره، وأن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، وأن يوجدك طعم ذكره ثم يُشغلك بغيره.

وقال: الأُنسُ ضيقُ الصّدرِ من مُعاشرَةِ الخلق.

وقال: مَنْ استشعرَ الموتَ حُبَّ إليه كلُّ باقٍ، وبُغضَ إليه كلُّ فانٍ، ومن

استوحش من نفسه أنسَ بموافقة مولاها.

(١) أبو النضر هو هاشم بن القاسم. انظر تاريخ بغداد ٣/٢٠١.

(٢) جاء في (أ) و (ب) بعد غيره: وصحب سرياً والمحاسبي، وقد تقدم هذا.

(*) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها صفحة: ٥٥٠، وسيترجم له ثالثة في الطبقات

الصغرى: ١٢٧/٤.

(٣) في المطبوع: حياءها.

وقال: خَفَّ سَطْوَةَ الْعَدْلِ، وَارْجُ رِقَّةَ الْفَضْلِ^(١)، وَلَا تَأْمَنْ مَكْرَهُ، وَإِنْ أَنْزَلَكَ الْجَنَّةَ؛ ففِيهَا وَقَعَ لِأَبِيكَ آدَمَ مَا وَقَعَ، وَقَدْ يَقْطَعُ بِقَوْمٍ فِيهَا فَيُقَالُ: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة: ٢٤] فَيَشْغَلُهُمْ عَنْهُ بِذَلِكَ، وَلَا مَكْرَ فَوْقَ هَذَا، وَلَا حَسْرَةَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

وقال: وَقَفْتُ عَلَى رَاهِبٍ، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنْ خَبَرِ مَنْ مَضَى؟
قال: نَعَمْ، ﴿فَرِيْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيْقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].
وقال: لَا يَصْبِرُ عَلَى حُبِّ ضَيْقِ الْعَيْشِ إِلَّا صِدِّيقٌ.

وقال: إِذَا فَتَحَ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ فَإِيَّاكَ وَالتَّنْظَرَ إِلَيْهِ افْتِخَارًا، بَلِ اسْتِغْلُ بِذِكْرِ الْمُتَنَعِمِ بِهِ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ غَيُورٌ، لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ مُحِبًّا لِغَيْرِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

وَسُئِلَ هَلْ يَتَفَرَّغُ الْمُحِبُّ لِشَيْءٍ سِوَى مَحْبُوبِهِ؟ قال: لَا، لِأَنَّهُ فِي بِلَادِ الْمَرِّ وَأَوْجَاعِ مُتَّصِلَةٍ وَغُصَصٍ يَتَجَرَّعُهَا لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ بَاشَرَهَا.

وَلَامَ رَجُلٌ بَعْضَ أَتْبَاعِهِ عَلَى إِظْهَارِ وَجْدِهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَقْصِرْ يَا أَخِي بِالْوَجْدِ الْغَالِبِ يَسْقُطُ التَّمْيِيزُ، وَتُجْعَلُ الْأَمَاكِنُ كُلُّهَا مَكَانًا وَاحِدًا، وَالْأَعْيَانُ عَيْنًا وَاحِدَةً، فَلَا لَوْمَ عَلَى مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ وَجْدُهُ فَاضْطَرَّه لَذَلِكَ.

وَتَكَلَّمَ يَوْمًا عَلَى النَّاسِ فَأَحْسَنَ، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: تَكَلَّمْتَ فَأَحْسَنْتَ، بَقِيَ أَنْ تَسْكُتَ فَتُحْسِنَ، فَمَا تَكَلَّمَ بَعْدُ.

وَفِي «الْحَلِيَّةِ»^(٢) أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي جَامِعِ طَرَسُوسَ، فَقَبِلُوهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَتَكَلَّمُ صَاحَ غُرَابٌ عَلَى سَطْحِ الْجَامِعِ، فَصَعَقَ أَبُو حَمْزَةَ، وَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. فَنَسَبُوهُ إِلَى الزَّنْدَقَةِ، وَقَالُوا: حَلُولِي، وَأَخْرَجُوهُ، وَبِيعَ فَرَسُهُ [بِالْمُنَادَاةِ عَلَى بَابِ الْجَامِعِ:] هَذَا فَرَسُ الزَّنْدِيقِ.

مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَتِينَ.

وَقِيلَ: هَذَا أَبُو حَمْزَةَ الْمَارِ ذِكْرُهُ لَا غَيْرَ^(٣).

(١) فِي الْمَطْبُوعِ: دَقَّةُ الْفَضْلِ.

(٢) حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ١٠/٣٢١، وَمَا بَيْنَ مَعْقُوفِينَ مُسْتَدْرِكٌ مِنْهُ.

(٣) صَفْحَةٌ: ٥٥٠.

(٢٧٤) محمد بن إبراهيم بن حمش (*)

العابدُ الزَّاهد، الرَّكِّعُ السَّاجِد، له في التَّصَوُّفِ القَدَمُ الرَّاسِخ، والكلامُ الشَّامِخ.

ومن كلامه: إذا لم تُطعَ رَبَّكَ فلا تَأْكُلْ رِزْقَهُ، وإذا لم تَجْتَنِبْ نَهْيَهُ فَاخْرُجْ من مَمْلَكَتِهِ، وإذا لم تَرْضَ بقضائه فاطْلُبْ رَبًّا سِوَاهُ، وإذا عَصَيْتَهُ فَاخْرُجْ إلى مَكَانٍ لا يَرَاكَ فِيهِ.

وقال: يَضْحَكُ القَضَاءُ من الحَذَرِ، وَيَضْحَكُ الأَجَلُ من الأَمَلِ، وَيَضْحَكُ التَّقْدِيرُ من التَّدْبِيرِ، وَتَضْحَكُ القِسْمَةُ من الجَهْدِ والعَنَاءِ.

* * *

(٢٧٥) محمد بن أسلم (**)

السَّلِيمُ الأَسْلَمُ، المَذْكُورُ بالسَّوَادِ الأعْظَمِ، وهو الطُّوسِي، أحواله مُنْتَشِرَةٌ مَشْهُورَةٌ، وشَمَائِلُهُ مُسْتَطَرَّةٌ^(١) مَذْكُورَةٌ، كان بالآثارِ مُقْتَدِيًّا، وَعَنِ الآرَاءِ مُنْتَهِيًّا، أُعْطِيَ بَيَانًا وَبِلاغَةً، وَزُهْدًا وَقِنَاعَةً، نَقَضَ على المُخَالَفِينَ بَيَانَهُ، وَأَقْبَلَ على تَصْحِيحِ حالِهِ وشانِهِ.

سَأَلَ رَجُلٌ ابنَ المُبَارِكِ عَنِ السَّوَادِ الأعْظَمِ المَذْكُورِ في قولِهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «عليكم بالسَّوَادِ الأعْظَمِ»^(٢)، فقال: محمد بن أسلم.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) الجرح والتعديل ٢٠١/٧، ثقات ابن حبان ٩٧/٩، حلية الأولياء ٢٣٨/٩، صفة الصفوة

٤/١٢٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٤١/ب، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة (٥١٩)،

العبر ١/٤٣٧، تذكرة الحفاظ ٥٣٢ (ترجمة ٥٥٠)، دول الإسلام ١/١١٤، مرآة الجنان

٢/١٣٥، الوافي بالوفيات ٢/٢٠٤، طبقات الحفاظ ٢٣٣، ترجمة (٥٢٩)، طبقات

الشعراني ١/٦٣، شذرات الذهب ٢/١٠٠، الرسالة المستطرفة ٦٤.

(١) كذا في الأصول، وفي حلية الأولياء ٢٣٨/٩: مسطرة.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٢٣٨/٩ مرفوعاً عن إسحاق بن راهويه بلفظ: «إن الله لم يكن =

وإذا ذكرته في أربعة أشياء، لا تَقْرُنْ معه غيره: النصر^(١) للدين، واتباع أثر المصطفى ﷺ، والزهد في الدنيا، وفصاحة اللسان.

وقال ابن نصر: محمد بن أسلم ركن من أركان الإسلام.

ولما مات صلى عليه ألف ألف ومئة ألف إنسان، يقول صالحهم وطالحهم: لم نعرف له نظيراً.

ومن كلامه:

إنما يعمل الذنب جاهلٌ ينظر فلا يرى أحداً، فيقول: لا يراني أحدًا، أذهب فأذنب، أمّا أنا فكيف يُمكنني ذلك؟! وقد علمتُ أنّ داخل قميصي من يشهد عليّ.

وكان يقول لخادمه: اشتر لي شعيراً أسوداً، قد تركه الناس؛ فإنه يصير إلى الكنيف، وإنما تعلمت العلم لأعمل به.

وقال: والله ما رأيتُ نفساً تُصلي للقبلة شراً من نفسي، فكيف أطعمها التقي؟!.

وقال: الإيمان عطية الله يُعطيه من يشاء، ويُفضل من يشاء على من يشاء، وهو قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ...﴾ الآية [الحجرات: ٧].

وقال: من أكل خبز الحنطة بحتاً بأدبٍ لم يعتل إلا علة الموت^(٢)، قيل: وما الأدب؟ قال: يأكل بعد الجوع، ويرفع قبل الشبع.

أدرك ابن أسلم من التابعين جماعةً.

ليجمع أمة محمد على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم» وذكره القرطبي في تفسيره ٥٦/١٤ بلفظ: «عليكم بالسواد الأعظم، ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية».

(١) في (أ): النصر، وفي حلية الأولياء ٢٣٩/٩، والمختار ٣٤١/ب: البصر بالدين.

(٢) في (أ) و (ب) والمطبوع: من أكل خبز الحنطة تأدب بحتاً لم يقبل إلا علة الموت،

وفي (ف): ... لم يقبل إلا عطية الرب، والمثبت من إحياء علوم الدين ٨٧/٣ في كسر الشهوتين، باب بيان فوائد الجوع وآفات الشبع.

وروى حديثاً كثيراً عن الأوزاعي، وغيره.
وقال ابن الجوزي^(١): صَلَّى عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفٍ تَقْرِيباً.

* * *

(٢٧٦) محمد بن منصور الطوسي (*)

كَانَ قَلْبُهُ بِالْيَقِينِ مَعْمُوراً، وَفِي مَحَبَّتِهِ بِمَأْمُولِهِ مَسْرُوراً، وَعَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ
مَأْخُوداً وَمَأْسُوراً.

وَمِنْ كَلَامِهِ:

خَمْسٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْيَقِينُ فِي الْقَلْبِ، وَالْوَرَعُ فِي الدِّينِ، وَالزُّهْدُ فِي
الدُّنْيَا، وَالْحَيَاءُ، وَالْعِلْمُ.

وَقَالَ: سِتُّ خِصَالٍ يُعْرَفُ بِهَا الْجَاهِلُ: الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَالْكَلَامُ فِي
غَيْرِ نَفْعٍ، وَالْعِظَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَإِفْشَاءُ السَّرِّ، وَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ، وَلَا يَعْرِفُ
صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ.

وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ، سَأَلَهُ قَوْمٌ وَهُوَ بِبَغْدَادَ: هَلِ الْيَوْمُ يَوْمٌ عَرَفَةٌ؟ وَكَانَ فِيهِ
خِلَافٌ، فَقَالَ: اصْبِرُوا، فَدَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ خَرَجَ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ. فَعَدُّوا الْأَيَّامَ
فَكَانَ الْيَوْمَ الَّذِي وَقَفُوا فِيهِ، فَقِيلَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَهُ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي،
فَأَرَانِي النَّاسَ فِي الْمَوْقِفِ^(٢).
أَسْنَدَ حَدِيثاً كَثِيراً.

مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ بِبَغْدَادَ.

(١) صفة الصفوة ٤/١٢٨.

(*) الجرح والتعديل ٨/٩٤، ثقات ابن حبان ٩/١٣٠، حلية الأولياء ١٠/٢١٦، تاريخ بغداد
٣/٢٤٧، طبقات الحنابلة ١/٣١٨، صفة الصفوة ٢/٣٩٨، المختار من مناقب الأخيار
٣٥٩/ب، تهذيب الكمال ٢٦/٤٩٩، سير أعلام النبلاء ١٢/٢١٢، الوافي بالوفيات ٥/٧٠،
تهذيب التهذيب ٩/٤٧٢، النجوم الزاهرة ٢/٣٤٣، جامع كرامات الأولياء ١/١٠٠.

(٢) قال الإمام الذهبي في السير ١٢/٢١٣ معقباً على الخبر: ولم يبعد وقوع هذا المثل هذا
الولي، ولكن الشأن في ثبوت ذلك اهـ. أي صحة السند.

(٢٧٧) محمد بن إدريس الشافعي (*)

الإمامُ الأعظم، والهمامُ الأقوم، ابنُ عمِّ المُصطفى ﷺ، عالمٌ قرَّش الذي ملأ اللهُ به طباقَ الأرضِ علماً، وأسمعَ من مناقبه الطَّاهرةِ وعلومه الفاخرةِ الظَّاهرةِ آذاناً صمّاً، الحَبْرُ الذي أسَّسَ بعد الصَّحْبِ قواعدَ بيتِ الثُّبُوَّةِ وأقامَها، وشيَّدَ مباني الإسلامِ بعد ما جهَلَ النَّاسُ حلالَها وحرامَها.

وقد أكثرَ القومُ التَّصانيفَ في مناقبه فممنَّ أفردَ ذلك بالتأليفِ^(١): الإمامُ أبو داود الظَّاهري^(٢)، والسَّاجي^(٣)، وابنُ أبي حاتم^(٤)، والأبْرِي^(٥)،

(*) التاريخ الكبير ٤٢/١، التاريخ الصغير ٣٠٢/٢، الجرح والتعديل ٢٠١/٧، ثقات ابن حبان ٣٠/٩، حلية الأولياء ٦٣/٩، تاريخ بغداد ٥٦/٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧١، طبقات الحنابلة ٢٨٠/١، الأنساب ٢٥١/٧، صفة الصفوة ٢٤٨/٢، جامع الأصول ٢٣٧/١٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٣٥/أ، معجم الأدباء ٢٨١/١٧، تهذيب الأسماء واللغات ٤٤/١، وفيات الأعيان ١٦٣/٤، مختصر تاريخ دمشق ٣٥٥/٢١، تهذيب الكمال ٣٥٥/٢٤، سير أعلام النبلاء ٥/١٠، تذكرة الحفاظ ٣٦١/١، طبقات الشافعية (الفهرس من الجزء الأول)، الوافي بالوفيات ١٧١/٢، مرآة الجنان ١٣/٢، البداية والنهاية ٢٥١/١٠، العقد الثمين ٤١٨/٧، غاية النهاية ٩٥/٢، تهذيب التهذيب ٢٥/٩، نزهة الألباب ١٤٣/١ (تاج الفقهاء)، النجوم الزاهرة ١٧٦/٢، طبقات الشعراني ٥٠/١، طبقات الحفاظ ١٥٢، طبقات المفسرين ٩٨/٢، مفتاح السعادة ٨٨/٢، شذرات الذهب ٩/٢.

(١) استقى المؤلف رحمه الله أسماء من أفرد للشافعي ترجمة من طبقات الشافعية للسبكي ٣٤٣/١.

(٢) داود بن علي الأصفهاني، إمام أهل الظاهر، قال السبكي: وأول من بلغني صنف في مناقب الشافعي ٣٤٣/١.

(٣) زكريا بن يحيى الساجي. طبقات السبكي ٣٨٤/١.

(٤) عبد الرحمن بن أبي حاتم. طبقات السبكي ٣٤٤/١.

(٥) محمد بن الحسين بن إبراهيم الأبْرِي، قال السبكي: صنف كتاباً حافلاً، رتبته على أربعة وسبعين باباً ٣٤٤/١.

والحاكم^(١)، والأصبهاني^(٢)، والقَطَّان^(٣)، والقَرَّاب^(٤)، والأستاذ أبو منصور
 البغدادي^(٥)، والبيهقي^(٦)، والخطيب البغدادي، والإمام الرّازي^(٧)، وابن
 المُقَرِّي^(٨)، وفنْدُق^(٩)، وإمام الحَرَمَيْن، والدارقطني، والأجْرِي،
 والسَّرْحَسِي، والصَّاحِب بن عبَّاد، ونصرُ المقدسي، والسُّبْكي، وخلائق ما بين
 متقدِّم ومُتأخِّر، فنذكرُ من ذلك نبذةً يسيرةً، فنقولُ:

هو إمامُ الأئمَّةِ علماً، وزُهداً وورعاً، ومعرفةً وذكاءً وحِفظاً، فإنه برعَ في
 كلِّ فنٍّ ممَّا ذكِرَ، وفاقَ فيه أكثرَ ممَّن تقدَّمه سيِّما مشايخه، واجتمعَ له من تلك
 الأنواع وكثرةِ الأتباع في أكثرِ الأقطارِ سيِّما في الحَرَمَيْن والأرضِ المُقدَّسة،
 وهذه الثلاثةُ وأهلُها أفضلُ الأرضِ وأهلِها، ما لم يجتمعَ لغيره، ولذلك خُصَّ
 بحديثٍ: «عالمُ قُرَيْشٍ، يملأُ طباقَ الأرضِ علماً»^(١٠). وزَعَمُ وضعه حسداً أو
 غلطاً. قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: نراه الشَّافعي.

-
- (١) أبو عبد الله ابن البيع.
 - (٢) الحسن بن الحسين بن حكمان الأصبهاني.
 - (٣) أبو عبد الله بن شاكر القطان.
 - (٤) إسماعيل بن محمد السرخسي القرَّاب، صنف مجموعاً حافلاً رتبته على مئة وستة عشر باباً.
 - (٥) عبد القاهر بن طاهر، ألف كتابين يختص بالمناقب، والآخر يختص بالرد على الجرجاني الحنفي الذي تعرض للشافعي.
 - (٦) أبو بكر، وكتابه «مناقب الشافعي» مطبوع.
 - (٧) الإمام فخر الدين.
 - (٨) محمد بن محمد بن أبي زيد الأصبهاني، صنف كتابين الأول «شفاء الصدور في محاسن صدر الصدور»، والآخر وهو مختصر للأول وسماه «الكتاب الذي أنعم الله به على شافعي في مناقب الإمام الشافعي».
 - (٩) أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي.
 - (١٠) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» ٤٠، وأبو نعيم في «الحلية» ٦٥/٩، والخطيب في «تاريخه» ٦٠/٢، والبيهقي في «المناقب» ٥٤/١، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٥٣/١٠، وقال: هذا غريب من هذا الوجه. قال صاحب كنز العمال ٣٧/١٢ (٣٣٨٧٦): رواه الدارقطني في «المعرفة» عن ابن مسعود.

وكاشف صحبه بوقائع وقعت بعد موته (١).

ورأى المصطفى ﷺ وقد أعطاه ميزاناً، فأولت بأن مذهبه أعدل المذاهب، وأوفقها للسنة التي هي أعدل الملل.

وُلدَ بغزّة، أو بعسقلان سنة خمسين ومئة اتّفاقاً، وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة، وما اشتهر من أنه وُلدَ يومَ ماتَ لم يثبت.

وأجيزَ بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة، ثم رحل (٢) إلى الإمام مالك، وأقام عنده مدّة، ثمّ لبغداد، ولقّبَ ناصر السنة، ثم عاد لمكّة، ثمّ لبغداد، ثمّ لمصر، فأقام بها حتى مات سنة أربع ومئتين عن أربع وخمسين سنة.

ومن حكمه ونوادره وفوائده التي ينبو عنها نطاق الحصر:

مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا، فَعَلِيهِ بِالْعِلْمِ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ فَعَلِيهِ بِهِ.

وقال: ما أفلح في العلم إلا مَنْ طلبه في القلّة.

وقال: لا يطلّب أحدٌ هذا العلم بعزّة نفسٍ فيفليح.

وقال: زينة العلماء التّوفيق، وحليتهم حسن الخلق، وجمالهم كرم النّفس.

وقال: زينة العلم الورع، والحلم.

وقال: لا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه، وزهدهم

فيما رغبتهم فيه.

وقال: ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع.

وقال: فقر العلماء فقر اختيار، وفقر الجهلاء فقر اضطرار.

وقال: المراء في العلم يُقسي القلب، ويُورث الضّغائن.

وقال: ما شبعْتُ منذُ ستِّ عشرة سنةٍ إلا شبعة طرحتها من ساعتِي.

ولما ابتدأ الشّيبُ في لحيته أدمنَ مسكَ العصا، فقليل له فيه، فقال: لا تُذكّر

أني مُسافرٌ من هذه الدّار.

(١) انظر خبر أصحابه صفحة (٧١٠).

(٢) في المطبوع: دخل.

وقال: ما تزوج أحد من أصحابنا إلا ونزل عن مرتبته.

وقال: لي منذ ثلاثين أسأل إخواني المتزوجين: هل رأيتم خيراً؟ فما منهم أحد قال: رأيت بالتزويج خيراً قط.

وقال: الكامل من الرجال من يصير يأخذ من الأشياء، ولا تأخذ الأشياء منه.

وقال: من تعود أفعال النساء لم يفلح، لأن المرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة، وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله من قيام وصيام، وتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار، وغير ذلك ممن هو بعيد من حال المتجرد عن النساء.

وقال: أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام، فقيل: من اللئيم؟ فقال: هو من إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه.

وقال: لا تقصر في حق أخيك اعتماداً على مروءته^(١).

وقال: أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس.

وقال: ما وقف أحد مع هؤلاء الخلق وراعاتهم في أعماله وأحواله إلا سقط من عين رعاية الله عز وجل.

وقال: الإنكار فرغ من النفاق، قال المزني: بل هو النفاق كله.

وقال: الكذب كالميتة لا يباح شيء منه إلا عند الضرورة، وفي المعارض مندوحة عن الكذب.

وقال: من لم تعزه التقوى فلا عز له.

وقال: طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد.

وقال: إذا ولي أخوك ولاية فارض منه بعشر وده وإقباله الذي كان قبل.

(١) كذا في الأصول، وفي مناقب الشافعي للبيهقي: مودته.

وقال: لا تَخْرُجْ من علمٍ إلى غيره حتى تُحْكِمَهُ، فإنَّ ازدحامَ الكلامِ في السَّمْعِ مَضَلَّةٌ في الفهمِ.

وقال: مَنْ شَهِدَ من نفسه الضَّعْفَ نالَ الاستقامةَ.

وقال: مَنْ غَلَبَتْهُ شِدَّةُ الشَّهْوَةِ للدُّنْيَا لَزِمَتْهُ العُبُودِيَّةُ لأهلِها، وَمَنْ رَضِيَ بِالقُنُوعِ زالَ عنه الخُضُوعُ.

وقال: أنْفَعُ الذَّخَائِرِ التَّقْوَى، وأضْرُّها العَدْوَانُ.

وقال: مَنْ أَحَبَّ أنْ يَفْتَحَ اللهُ قَلْبَهُ، فعليه بتركِ الكلامِ فيما لا يَعْنِيهِ، وتَجَنُّبِ المعاصيِ.

وقال: مَنْ أَحَبَّ أنْ يُنَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ فعليه بالخلوةِ، وقِلَّةِ الأكلِ، وتركِ مُخالِطَةِ السُّفَهَاءِ، وبُغْضِ أَهْلِ العِلْمِ الذين ليس معهم إنصافٌ ولا أدبٌ.

وقال: لا تَتَكَلَّمْ إلاَّ فيما يعْنِيكَ؛ فإنَّكَ إذا تَكَلَّمْتَ بالكلمةِ مَلَكَتْكَ، ولم تَمْلِكْهَا.

وقال: لو اجتهدتَ كلَّ الجهدِ على أن تُرضيَ كلَّ النَّاسِ فلا سبيلَ إليه. فأخْلِصْ عَمَلَكَ وَنِيَّتَكَ اللهُ.

وقال: لا يَعْرِفُ الرِّيَاءَ إلاَّ المُخْلِصُونَ.

وقال: لو أوصيَ [رجلٌ] بِمالٍ لأعقلِ النَّاسِ، صُرِفَ لِلزُّهَادِ^(١).

وقال: سِيَّاسَةُ النَّاسِ أَشَدُّ من سِيَّاسَةِ الدَّوَابِّ.

وقال: العَاقِلُ مَنْ عَقَلَهُ عَقْلُهُ عن كلِّ مَذْمُومٍ.

وقال: لو علمتُ أنَّ شُرْبَ المَاءِ يُنْقِصُ مروءتي ما شَرَبْتُهُ.

وقال: للمروءةِ أربعةُ أركانٍ: حُسْنُ الخُلُقِ، والسَّخَاءُ، والتَّوَاضُّعُ، والتُّسْكُ.

(١) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها النص، والخبر في مناقب الشافعي للبيهقي ١٨٣/٢، ونصه: بلغني أن الشافعي سُئِلَ عن رجلٍ أوصى لأعقل أهل بلده، فقال: يُعْطَى ذلك أزهدهم في الدنيا...

وقال : المروءة عِفَّةُ الجوارحِ عمَّا لا يعينها .

وقال : لا يكْمُلُ الرَّجُلُ في الدُّنْيَا إِلَّا بِأَرْبَعٍ : بالدِّيانَةِ ، والأمانَةِ ، والصِّيَانَةِ ، والرِّزانَةِ .

وقال : ليس بأخيك مَنْ احتجتَ إلى مُداراتِهِ .

وقال : مَنْ صَدَقَ في أُخُوَّةِ أخيه قَبْلَ عِلَلِهِ ، وَغَفَرَ زَلَلَهُ .

وقال : علامةُ الصَّدِيقِ أن يكونَ لصديقِ صديقه صديقاً ، ولعدوِّه عدوًّا .

وقال : لا سُرورَ يَعْدِلُ صُحْبَةَ الإخوانِ ، ولا غَمَّ يَعْدِلُ فِرَاقَهُم .

وقال : لا تَبْذُلْ وجهَكَ لِمَنْ يَهونُ عليه وَدُكَّ .

وقال : مَنْ بَرَّكَ فَقَدِ أوْتَقَكَ ، وَمَنْ جَفَاكَ فَقَدِ أَطْلَقَكَ .

وقال : مَنْ نَمَّ لَكَ نَمَّ بِكَ ، وَمَنْ إذا أَرْضَيْتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ ، فإذا أَغْضَبْتَهُ قالَ فيكَ ما ليسَ فيكَ .

وقال : الكَيْسُ العاقِلُ هو الفِطْنُ المُتغافلُ .

وقال : مَنْ وَعَظَ أخاه سِرًّا فَقَدِ نَصَحَهُ وزانَهُ ، وَمَنْ وَعَظَهُ جَهراً فَقَدِ فَضَحَهُ وشانَهُ .

وقال : مَنْ سَامَ بِنَفْسِهِ فوقَ ما تُساوي رَدَّهُ اللهُ إلى قيمته .

وقال : التَّواضُعُ من أخلاقِ الكِرامِ ، والتَّكَبُّرُ من شِيَمِ اللُّثامِ .

وقال : التَّواضُعُ يُورِثُ المحبَّةَ ، والقناعتَةُ تُورِثُ الرِّاحةَ .

وقال : أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ لِنَفْسِهِ مَنْ تَواضَعَ لِمَنْ لا يُكْرِمُهُ ، ورَغِبَ في مودَّةِ مَنْ لا يَنْفَعُهُ .

وقال : لا تُنْفِقْ على وَلَدِكَ وخادِمِكَ بما فوقَ الضَّرورةِ ؛ فَإِنَّ طاعتَهُما لَكَ بقدرِ حاجتَهُما إليك .

وقال : أرفعُ النَّاسِ قَدراً مَنْ لا يرى قَدْرَهُ ، وأكثرُهُم فَضلاً مَنْ لا يرى فَضْلَهُ .

وقال: ما ضحك من خطأ رجلٍ إلا ثبت صوابه في قلبه.

وقال: ما جالسْتُ ثَقِيلاً إلا وجدتُ الجانِبَ الذي يليه من بدني كأنه أثقلُ من الآخر.

وقال: مَنْ صدَقَ اللهُ نَجَا، وَمَنْ أشفَقَ على دينه سَلِمَ من الرّدى، وَمَنْ زهدَ في الدُّنيا قرَّت عيناه بما يرى من الثَّوابِ غداً.

وقال: الدُّنيا دحض منزلة^(١)، ودارٌ مذلةٌ، عمرانها إلى الخرابِ صائرٌ، وساكنها إلى القبورِ زائرٌ، شملها على الفرقةِ موقوفٌ، وغناها إلى الفقرِ مصروفٌ^(٢)، الإكثارُ منها إفسارٌ، والإعسارُ فيها يسارٌ، فافزعْ إلى الله وارضَ برزقه.

وقال: الانبساطُ إلى النَّاسِ مَجْلَبَةٌ لقرناءِ السُّوءِ، والانقباضُ عنهم مَكْسَبَةٌ للعداوةِ، فكنْ بين مُنقبِضٍ ومُنسِيطٍ.

وقال: ما أكرمتُ أحداً فوق قدره إلا اتَّضعَ من قدرِي عنده بقدرِ ما زدْتُ في إكرامه.

وقال: لا وفاءَ لعبيدٍ، ولا شُكرَ للثيمِ.

وقال: صُحبةٌ مَنْ لا يخافُ العارَ عارٌ.

وقال: عاشِرُ كِرامِ النَّاسِ تصِرُ كريماً، ولا تُعاشِرِ اللُّثامَ تُنسَبُ إلى اللُّؤمِ.

وقال: إِنَّ اللهُ خَلَقَكَ حُرّاً فَكُنْ كما خَلَقَكَ.

وقال: مُداراةُ الأحمقِ غايَةٌ لا تُدرِكُ.

وقال: مَنْ وُلِيَ القِضاءَ ولم يفتقرْ فهو لِصٌّ.

وقال: إذا أخطأتكَ الصَّنِيعَةُ إلى من يتَّقِ اللهُ فاصنعها إلى مَنْ يتَّقِ العارَ^(٣).

(١) في الأصول: دحض منزلة. والمثبت من المناقب للبيهقي ١٧٨/٢. والدَّحْضُ:

الزلق. والمزلة: الأرض لا تثبت عليها الأقدام. اللسان (دحض).

(٢) في الأصول: موصوف. والمثبت من مناقب البيهقي ١٧٨/٢.

(٣) في المطبوع: الميعاد.

وله نظمٌ أكثره حِكْمٌ ومنه :

بؤسُ اللَّيْبِ وطيبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ

وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى القَضَاءِ وَكُونِهِ

وقال :

روافِضُ بالتَّفْضِيلِ عِنْدَ ذَوِي الجَهْلِ
رُمِيَتْ بِنَصْبِ عِنْدَ ذِكْرِي لِلْفَضْلِ
بِحَبَّهِمَا حَتَّى أَوْسَدَ فِي الرَّمْلِ

إِذَا نَحْنُ فَضَّلْنَا عَلَيَّا فَإِنَّا
وَفَضْلُ أَبِي بَكْرٍ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ
فَلَا زِلْتُ ذَا رَفْضٍ وَنَصْبٍ كِلَاهُمَا

وقال :

مَا الرَّفْضُ دِينِي وَلَا اعْتِقَادِي
خَيْرَ إِمَامٍ وَخَيْرَ هَادِي
فإِنِّي أَرْفُضُ العِبَادِ

قَالُوا: تَرَفَّضْتَ. قُلْتُ: كَلَّا
لَكِنْ تَوَلَّيْتُ غَيْرَ شَكِّ
إِنْ كَانَ حُبُّ الوَلِيِّ رَفْضًا

وقال :

وَاهْتَفَّ بِسَاكِنِ خَيْفِهَا وَالتَّاهِضِ
فِيضًا كَمُلْتُمْ الفُرَاتِ الفَائِضِ
فَلِيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

يَا رَاكِبًا قِفْ بِالمُحْصَبِ مِنْ مَنِي
سَحْرًا إِذَا فَاضَ الحَجِيجُ إِلَى مَنِي
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ

قال البيهقي^(١): إِنَّمَا قَالَهُ حِينَ نَسَبَهُ الخَوَارِجُ إِلَى الرَّفْضِ بَغْيًا وَحَسَدًا.

ودخلَ عليه المُزْنِيُّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ:
أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاكِبًا، وَإِخْوَانِي مُفَارِقًا، وَلِشُوءِ أَعْمَالِي مُلَاقِيًا، وَبِكَأْسِ
الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، فَوَاللَّهِ، مَا أُدْرِي أَرْوَحِي إِلَى الجَنَّةِ تَصِيرُ، فَأُهْنِيهَا، أَوْ إِلَى النَّارِ
فَأُعْزِيهَا؟ وَأَنْشَدَ:

جَعَلْتُ رَجَائِي نَحْوَ عَفْوِكَ سَلْمًا
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا^(٢)

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ

(١) المناقب ٧١/٢.

(٢) الخبر من (ف) فقط.

ولَمَّا احْتَضِرَ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَتُهُ^(١) فَقَالَ: أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا يَعْقُوبَ فَمُوتُ فِي قُبُورِكَ^(٢)، وَأَمَّا أَنْتَ يَا مُزْنِيَّ فَيَكُونُ لَكَ بِمِصْرَ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، وَأَنْتَ يَا ابْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ تَرْجِعُ إِلَى مَذْهَبِ أَبِيكَ^(٣)، وَأَنْتَ يَا رَبِيعُ أَنْفَعُهُمْ لِي فِي نَشْرِ الْكُتُبِ، فَمُ يَا أَبَا يَعْقُوبَ فَتَسَلَّمِ الْحَلَقَةَ. فَكَانَ كَمَا قَالَ.

وَدُفِنَ حَوْلَ قُبَّتِهِ أَوْلِيَاءُ كَثِيرُونَ، مِنْهُمْ الصَّرْفَنْدِيُّ قَبْرُهُ عِنْدَ الْحَائِطِ الْبِرَّانِيِّ الشَّرْقِيِّ، كَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجَابَ الدَّعْوَةِ، وَيُسْتَجَابُ عِنْدَهُ الدُّعَاءُ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شَيْخُهُ، رُئِيَ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ: زُورُوا شَيْخِي؛ فَإِنِّي مَا أَنَا شَيْءٌ إِلَّا بِهِ! وَهَنَّاكَ قَبْرُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسِينِيِّ لَهُ كِرَامَاتٌ.

* * *

(*) (٢٧٨) مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَغْرِبِيِّ

أُسْتَاذُ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصِ، عُمْدَةُ الصُّوفِيَّةِ، وَمَرْجِعُ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ، كَانُوا كَافَّةً يَأْتِمِرُونَ بِأَمْرِهِ، وَيَعْرِفُونَ لَهُ جَلَالََةَ قَدْرِهِ، وَيَنْتَهُونَ إِلَى إِشَارَاتِهِ فِي سِرِّ كُلِّ عَمَلٍ وَجَهْرِهِ.

أَخَذَ عَنْ ابْنِ رَزِينٍ، وَجَمَعَ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْيَانِ، وَكَانَ عَجِيبَ الشَّأْنِ انْتَهَتْ إِلَيْهِ

(١) وَهُمُ الرَّبِيعُ بْنُ سَلِيمَانَ الْمُرَادِيِّ أَبُو مُحَمَّدٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْمَزْنِيُّ أَبُو إِبْرَاهِيمَ، وَيُوسُفُ بْنُ يَحْيَى الْقُرَشِيُّ أَبُو يَعْقُوبَ الْبُؤَيْطِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ. انْظُرْ مَنَاقِبَ الشَّافِعِيِّ لِلْبَيْهَقِيِّ ١٣٦/٢.

(٢) لَمَّا كَانَتِ الْمَحْنَةُ فِي قَضِيَّةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ حَمَلَ إِلَى بَغْدَادِ أَيَّامِ الْوَاتِقِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ فَرَأَهُ مَقِيدًا إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ مَغْلُولَةً - يَعْنِي يَدَيْهِ - إِلَى عُنُقِهِ. انْظُرْ مَخْتَصِرَ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٤٠٢/٢١.

(٣) يَعْنِي بِهِ مَذْهَبَ مَالِكٍ. الْمَنَاقِبُ ١٣٦/٢.

(*) طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ ٢٤٢، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ٣٣٥/١٠، الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ ١٤١/١، صِفَةُ الصَّفْوَةِ ٣٣٦/٤، الْمُنْتَظَمُ ١١٣/٦، طَبَقَاتُ الْأَوْلِيَاءِ ٤٠٢، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٧٨/٣، طَبَقَاتُ الشُّعْرَانِيِّ ٩٠/١، جَامِعُ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ ١٠١/١، وَاسْتَرَدَّ تَرْجُمَتَهُ ثَانِيَةً فِي الطَّبَقَاتِ الصَّغْرَى ص ١٥٢/٤.

رياسة الصوفية، وتربية المريدين بالمملكة العرفية^(١)، وبعث بكمال الزهد
والنفس الأبية.

ولم يأكل مما وصلت إليه أيدي بني آدم عشر سنين.
وحدث بشيء من علوم الحقائق، فقام عليه أهل الظاهر، وأذوه، وطاف به
العلوية على جمل في أسواق مكة بعد ضربه على رأسه ضرباً مبرحاً وأخرجوه
منها، فأقام ببغداد حتى مات.

ومن كلامه:

أفضل الأعمال عمارة الأوقات في الموافقات.

وقال: الفقير لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقره
ليغنيه بالاستغناء به.

وقال: الراضون بالفقر أمناء الله في أرضه، وحجته على عباده، بهم يدفع
البلاء عن الخلق.

وقال: من ادعى العبودية وله مراد باق فيه، فهو كذاب، إنما تصح العبودية
لمن أفنى مراداته، وقام بمراد سيده.

وقال: العارف تضيء له أنوار العلم، فينظر بها عجائب الغيب.

وقال: ما رأيت ظلمة منذ سنين كثيرة، فكان يتقدم أصحابه في الليل
المظلم، وهو حاف حاسر، فإذا عثر أحدهم يقول: يميناً، أو شمالاً، وهم
لا يرون ما بين أيديهم.

وقال إبراهيم بن شيبان: ما رأيتُهُ انزعج إلا يوماً واحداً، كنا على الطور،
وهو مستند إلى شجرة خرنوب، وهو يتكلم علينا، فقال في كلامه: لا ينال
العبد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد، فانزعج واضطرب، ورأيت الصخور
تدكدكت، وبقي في ذلك ساعات، فلما أفاق كأنه نُشر من قبر.

مات سنة تسع وتسعين ومئتين، عن نحو مئة وعشرين سنة، على جبل طور
سيناء.

(١) في (ب): العراقية.

(٢٧٩) محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطري (*)

كان ذا خبرة بالتصوف تامة كاملة، لم تزل سحُب تربيته على المرّدين هاميةً هاملة، وكان يُشبهه في الورع والزهد ببشر الحافي، وكان قوته شيئاً قليلاً، إنّما كان يكتب «جامع سفيان الثوري» لقوم لا يشك في صلاحهم ببضعة عشر درهماً، فمنها قوته.

ومن كراماته:

أنّه كان له ابنٌ أختٍ حدثٌ، فرآه يلعب بالطيور، فدعا الله أن يميته، فمات في يومه.

ومن كلامه:

الدنيا لأيّ شيء تُراد^(١)؟ إن كان إنّما تُراد للذة، فلا كانت الدنيا ولا كان أهلها، إنّما تُراد الدنيا أن يُطاع الله فيها.

مات سنة ستين ومئتين، وهو من مشايخ الجنيد.

* * *

(٢٨٠) محمد بن يوسف البناء (**)

كان يبني بالأجرة، فيأخذ منه دانقاً لنفقته ويتصدق بالبقية، ويختم كل يوم ختمةً، ولقي ستّ مئة شيخ، وكتب الحديث الكثير.

(*) حلية الأولياء ٣٠٩/١٠، تاريخ بغداد ٢٥٦/٣، الأنساب ٢٤٧/١٠، صفة الصفوة ٣٩١/٢، المنتظم ٢٤/٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٩/ب، معجم البلدان (قنطرة البردان) ٤٠٥/٤.

(١) في الأصول: الدنيا لا شيء تراد، والمثبت من صفة الصفوة ٣٩٢/٢، والمختار من مناقب الأخيار.

(**) طبقات المحدثين بأصبهان ٤٣٩/٣، حلية الأولياء ٤٠٢/١٠، تاريخ أصبهان ٢٢٠/٢، المنتظم ٢٤/٦، صفة الصفوة ٨٣/٤، المختار من مناقب الأخيار ٣١٥/أ، الوافي بالوفيات ٢٤٤/٥، طبقات الأولياء ٤٠٤، جامع كرامات الأولياء ١٠١/١. وسيرجم له المؤلف ثانية ١٦٣/٢.

وكان يقولُ بمكَّةَ: يا ربِّ، إمَّا أن تُدخِلَ قلبي المعرفةَ، أو اقبضني إليك، فسمعَ قائلاً يقولُ^(١): إن أردتَ هذا فصمَّ شهراً، ولا تُكلِّمَ أحداً، ثم ادخُلْ قَبَّةَ زمزم، وسلِّ الحاجةَ، فسمعَ من البئرِ قائلاً يقولُ: اخترتُ أيَّهما أحبُّ إليك، العلمَ مع الغني، أم المعرفةَ مع الفقيرِ؟ فقال: المعرفةَ مع الفقيرِ. قيل: قد أُعطيتَهُ.

مات سنةً ستَّ وثمانين ومئتين.

* * *

(٢٨١) محمد بن المبارك الصُّوري (*)

العابدُ، الزَّاهد، الرَّكعُ السَّاجد، ذو العقلِ الوافي والورعِ الصَّافي، والبيانِ الشَّافي. كان سمتهُ صحيحاً، وخُلُقُه صحيحاً^(٢).

ومن فوائده:

أعمالُ الصَّادقين بالقلوبِ، وأعمالُ المُرائينَ بالجوارح.

وقال: مهلاً رحِمَكَ اللهُ؛ فإنَّ في قلبِكَ وجعاً لا يُبرئُهُ إلاَّ حُبُّه، وحُزناً لا يُزيلُهُ إلاَّ الأنسُ به.

وقال: ما خدَمَ القلبَ خادِمٌ أحبُّ إليه من البُكاءِ، ولا خدَمَ البُكاءَ خادِمٌ أحبُّ إليه من الشَّهيقِ والزَّفيرِ.

(١) في طبقات الأولياء ٤٠٥: فرأيت في النوم قائلاً يقولُ.
 (*) التاريخ الكبير ١/٢٤١، التاريخ الصغير ٢/٣٠٢، الجرح والتعديل ٨/١٠٤، ثقات ابن حبان ٩/٧١، حلية الأولياء ٩/٢٩٨، الأنساب ٨/١٠٤، مناقب الأبرار ٢٢٨/ب، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٧/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/٢٠٤، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٣٦٣، تهذيب الكمال ٢٦/٣٥٢، سير أعلام النبلاء ١٠/٣٩٠، تذكرة الحفاظ ١/٣٨٦، العبر ١/٣٦٧، روض الرياحين ٣٠٥ (حكاية ٢٥١)، تهذيب التهذيب ٩/٤٢٣، طبقات الحفاظ ١٦٥، شذرات الذهب ٢/٣٥، وانظر ترجمة عبد الله الصوري المتقدمة ١/٣٥٤، والحاشية على مصادر ترجمته.
 (٢) صحيحاً: واسعاً. انظر اللسان (سحح) وفي المطبوع: شحيحاً.

وقال: مَنْ أَلَزَمَ نَفْسَهُ شَيْئاً لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ضَيِّعَ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ .

وقال: إِذَا لَمْ تَنْتَفِعْ بِكَلَامِكَ، فَكَيْفَ يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُكَ ؟ .

وقال: مَنْ دَخَلَ هَذَا الْأَمْرَ بضعفٍ قَوِيٍّ فِيهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ بِقُوَّةٍ ضَعْفٍ وَافْتَضَحَ .

وقال: لَوْ صَحَّ لِعَبْدٍ فِي عُمُرِهِ نَفْسٌ بغيرِ رِيَاءٍ وَلَا شِرْكٍَ أَثَّرَ بَرَكَاتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ .

وقال: كَذَبَ مَنْ ادَّعَى الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ، وَيَدَاهُ تَرَعَى فِي قِصَعِ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَمَنْ وَضَعَ يَدَهُ فِي قَضَعَةٍ غَيْرِهِ، ذَلَّتْ لَهُ رَقَبَتُهُ .

وقال: لَيْسَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ أَنْ تَجْعَلَ النَّفْسَ مَطِيَّةً لَهْوَى غَيْرِكَ، وَطَرِيقاً لَطَلَبِ دُنْيَا مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ .

أَسْنَدَ مُحَمَّدٌ هَذَا عَنِ الْأَعْلَامِ الْأَثْبَاتِ، وَرَوَى عَنِ الْأَكْبَرِ الثَّقَاتِ .

* * *

(٢٨٢) مَضَاءُ بِنِ عَيْسَى الشَّامِيِّ (*)

صُوفِيٌّ عَلِيٌّ الْمَكَانَةَ، وَافِرٌ الصَّلَاحِ، عَظِيمُ الدِّيَانَةِ، جَزِيلُ الْعِرْفَانِ، لَهْجٌ بِذِكْرِ أَهْلِ الْأَكْفَانِ، اجْتَذَبَهُ الْحُبُّ، وَاسْتَلَبَهُ الْخَوْفُ .
وَمِنْ كَلَامِهِ :

خَفِيَ اللَّهُ يُلْهِمُكَ، وَاعْمَلْ لَهُ لَا يُحَوِّجُكَ إِلَى دَلِيلٍ .

وقال: حُبُّ اللَّهِ يُلْهِمُكَ الْعَمَلَ لَهُ بِلَا دَلِيلٍ يُلْجِئُكَ إِلَيْهِ . وَإِذَا اسْتَقَرَّتِ الْمُحِبَّةُ فِي الْقَلْبِ ذَهَلَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ .

وقال: مَنْ أَحَبَّ رَجُلًا فِي اللَّهِ وَقَصَّرَ فِي حَقِّهِ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي حُبِّهِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِشَابِّ خَيْرًا، وَقَّقَ لَهُ رَجُلًا صَالِحًا .

(*) حلية الأولياء ٣٢٤/٩، صفة الصفوة ٢٣٥/٤، المختار من مناقب الأنبياء ٣٧٠/أ، مختصر تاريخ دمشق ٣٤١/٢٤ .

وقال : اتفقوا على أن ترك لُقمةٍ خَيْرٌ من قيام ليلةٍ .

أسند الحديث عن جماعة .

* * *

(٢٨٣) معروف بن فيروز الكرخي (*)

المَلهوفُ إلى المعروف، عن الفاني مصروف، وبالباقي مشغوف،
وبالتَّحْفِ مَحْفوف، وباللَّطْفِ مرؤوف، وقد قيل : إِنَّ التَّصَوُّفَ التَّوْقِيَّ من
الأكدار، والتَّنْقِيَّ من الأقدار .

وكان شيخَ السُّلْسَلَةِ، وهو أستاذُ السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ، ولم يكن في العراقِ في
زمنه مَنْ يُرَبِّي المُرِيدِينَ مثلهُ، حتى كان جميعُ المشايخِ يَعْرِفُونَ في ذلك فضلَه .

قال الغزالي^(١) : كان أحمدُ بن حنبلٍ، وابنُ معينٍ يختلفان إليه، ولا
يسألانه، ولم يكن في علم الظاهرِ مثلهما، فيقال لهما : مثلكما يفعلُ ذلك ؟
فيقولان : كيف نفعلُ إذا جاءنا أمرٌ لم نجدْه في كتابِ الله ولا سنَّةِ رسوله ؟ وقد
قال المصطفى ﷺ : «سَلُوا الصَّالِحِينَ»^(٢) .

(*) ثقات ابن حبان ٢٠٦/٩، طبقات الصوفية ٨٣، حلية الأولياء ٣٦٠/٨، تاريخ بغداد
١٣/١٩٩، الرسالة القشيرية ٦٥/١، طبقات الحنابلة ٣٨١/١، مناقب الأبرار
٣١/ب، الأنساب ٣٨٩/١٠، صفة الصفوة ٣١٨/٢، المختار من مناقب الأبرار
٣٧٢/ب، وفيات الأعيان ٢٣١/٥، سير أعلام النبلاء ٣٣٩/٩، دول الإسلام
١٢٦/١، العبر ٣٣٥/١، مرآة الجنان ٤٦٠/١، طبقات الأولياء ٢٨٠، طبقات
الشعراني ٧٢/١، شذرات الذهب ٣٦٠/١ .

(١) إحياء علوم الدين ٢١/١، ٢٢ في العلم، فصل بيان العلم الذي هو فرض كفاية .
(٢) في الإحياء : وكانا يسألانه . وكيف، وقد قال رسول الله ﷺ لَمَّا قِيلَ لَهُ : كيف نفعل إذا
جاءنا أمر لم نجدْه في كتاب ولا سنة ؟ فقال ﷺ : «سَلُوا الصَّالِحِينَ»، واجعلوه شورى
بينهم» قال الحافظ العراقي : رواه الطبراني من حديث ابن عباس وفيه عبد الله بن
كيسان ضعفه الجمهور .

وكان مُجَابَ الدَّعْوَةِ، ويقولُ أَهْلُ بَغْدَادِ: قَبْرُ مَعْرُوفٍ دَرِيَّاقٌ مُجْرَبٌ^(١).
 وكان أبواه نَصْرَانِيَّيْنِ، فَسَلَّمَاهُ لِلْمُعَلِّمِ طِفْلاً، فَصَارَ الْمَعْلَمُ يَقُولُ: قُلْ ثَالِثُ
 ثَلَاثَةٍ. فيقولُ: بَلْ إِلَهُ وَاحِدٌ، فَضْرَبَهُ ضَرْباً مُبْرِحاً، فَهَرَبَ وَأَسْلَمَ، وَهُوَ مَوْلَى
 عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا.

وَمِنْ كَرَامَاتِهِ: مَا قَالَهُ خَلِيلُ الصَّيَّادِ: غَابَ ابْنِي^(٢)، فَتَأَلَّمْتُ، فَجِئْتُ إِلَى
 مَعْرُوفٍ، فَقُلْتُ: غَابَ ابْنِي. فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قُلْتُ: رُجُوعَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ،
 إِنَّ السَّمَاءَ سَمَاوُكَ، وَالْأَرْضَ أَرْضُكَ، وَمَا بَيْنَهُمَا لَكَ، إِيْتِ بِمُحَمَّدٍ، فَآتَيْتُ
 بَابَ الشَّامِ^(٣) فَإِذَا هُوَ وَقِيفٌ، فَقُلْتُ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ السَّاعَةَ بِالْأَنْبَارِ،
 وَلَا أَعْلَمُ مَا صَارَ.

وَمِنْ فَوَائِدِهِ:

كَلَامُ الرَّجُلِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ مَقْتُ مِنَ اللَّهِ.

وَقَالَ: حَقِيقَةُ الْوَفَاءِ إِفَاقَةُ السَّرِّ^(٤) مِنْ رَقْدَةِ الْغَفَلَاتِ، وَفِرَاقُ الْهَمِّ عَنْ فُضُولِ
 الْآفَاتِ.

وَقَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ بِمَا عِلْمٌ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ
 الْجَدَلِ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ شَرًّا فَعَكَسَهُ.

وَقَالَ: تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ مُعَلِّمَكَ وَأَنْيَسَكَ، وَمَوْضِعَ شِكْوَاكَ،
 وَلِيَكُنْ ذِكْرُ الْمَوْتِ جَلِيسَكَ لَا يُفَارِقُكَ.

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلْنَا بَشَاءَ النَّاسِ مَغْرُورِينَ، وَلَا بِالسُّتْرِ
 مَفْتُونِينَ.

(١) فِي مَصَادِرِ تَرْجَمَتِهِ: تَرِيَّاقٌ مَجْرَبٌ، وَهَمَا بِمَعْنَى. انظُرْ طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ٨٥، وَصِفَةُ
 الصُّفُوَّةِ ٢/٣٢٤.

(٢) فِي الْأَصُولِ: (أَبِي)، وَالْمَشْبُتُ مِنْ حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ ٨/٢٦٢، وَتَارِيخُ بَغْدَادِ ١٣/٢٠٧،
 وَصِفَةُ الصُّفُوَّةِ ٢/٣٢٢، وَرَوْضُ الرِّيَاحِينَ ٣٥٩ (الْحِكَايَةُ ٣٠٩).

(٣) بَابُ الشَّامِ: مَحَلَّةٌ كَانَتْ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادِ. مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ.

(٤) فِي الْمَطْبُوعِ: النَّفْسِ. انظُرْ طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ٨٨، وَحَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ ٨/٣٦٧.

وقال: طولُ الأملِ يمنعُ خيرَ العملِ .

وقال: كيف يكون تقيًا مَنْ لا يدري ما يتقي .

وقال: مَنْ قال كلَّ يومٍ عشرَ مرَّاتٍ: اللَّهُمَّ أصلِحْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ فرِّجْ عن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ ارحمِ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، كُتِبَ من الأبدال .

وقال: طلبُ الجنَّةِ بلا عملٍ ذنبٌ من الذُّنوبِ، وانتظارُ الشِّفاعةِ بلا سببٍ نوعٌ من الغرورِ، ورجاءُ رحمةٍ مَنْ لا يُطاعُ جهلٌ وحُمقٌ .

وقال: السَّخاءُ إيثارٌ ما تحتاجُ إليه عندَ الإعسارِ .

وقال: ما أكثرَ الصَّالِحينَ! وما أقلَّ الصَّادقينَ منهم!

وقال: لولا خروجُ الدُّنيا من قلوبِ العارفينَ ما قدرُوا على فعلِ الطَّاعاتِ، ولو بقي من حُبِّها ذرَّةٌ في قلوبهم ما سلِمَتْ لهم سَجدةٌ واحدةٌ .

وقال: العارفُ يرجعُ إلى الدُّنيا اضطراراً، والمعنى^(١) اختياراً .

وقال: إذا عمِلَ العالمُ بعلمه استوت له قلوبُ المؤمنين فلا يكرهه إلا مَنْ بقلبه مَرَضٌ .

وقال: إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً زوى الخذلانَ عنه، وأسكنه بين الفقراءِ الصَّادقينَ، وإذا أرادَ به شراً عطَّله عن العملِ الصَّالحِ، وأسكنه بين الأغنياءِ .

وقال: شفاءُ كلِّ بلاءٍ نزلَ بالعبدِ كتمانُه؛ فإنَّ النَّاسَ لا ينفعونَه ولا يضرُّونَه، ولا يُعطونَه، ولا يَمنعونَه .

وقال: ليستِ المحبَّةُ من تعليمِ الخلقِ، بل من مواهبِ اللهُ^(٢) .

وقال: إنّما الدُّنيا قدْرٌ تغلي، وكنيفٌ يُملأ^(٣) .

وقال: احفظ لسانك من المدحِ كما تحفظُه من الدَّمِّ .

(١) في (أ) و (ف): والمفتي .

(٢) في طبقات الصوفية ٨٩: من مواهب الحقِّ وفضله .

(٣) في حلية الأولياء ٨ / ٣٦١، والمختار: وكنيف يرمي .

وقال: التَّصَوُّفُ الْأَخْذُ بِالْحَقَائِقِ [وَالكَلَامُ فِي الدَّقَائِقِ] وَالْيَأْسُ مِمَّا بِأَيْدِي
الْخَلَائِقِ^(١).

ومرَّ بسقَاءٍ يَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ يَشْرَبُ، فَشَرِبَ، فَقِيلَ: أَلَمْ تَكُنْ صَائِمًا؟
قال: نعم، لَكِنْ رَجَوْتُ دُعَاءَهُ.

وَنَزَلَ الدَّجَلَةَ لِيَتَوَضَّأَ، وَوَضَعَ مُصْحَفَهُ وَمَلْحَفَتَهُ، فَأَخَذَتْهُمَا امْرَأَةٌ، فَتَبِعَهَا،
فَقَالَ: يَا أُخْتِي، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، أَلَيْكَ ابْنٌ يَقْرَأُ أَوْ زَوْجٌ؟ قَالَتْ: لَا، قَالَ: هَاتِي
الْمُصْحَفَ، وَخُذِي الثَّوْبَ.

وَلَمَّا مَرَضَ قِيلَ لَهُ: أَوْصِ. قَالَ: تَصَدَّقُوا بِقَمِيصِي؛ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ
الدُّنْيَا عُرْيَانًا كَمَا دَخَلْتُهَا عُرْيَانًا.

وَكَانَ يُهْدِي إِلَيْهِ طَيِّبَاتُ الطَّعَامِ، فَيَأْكُلُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ أَخَاكَ بِشِرَاءٍ لَا يَأْكُلُهُ.
فَيَقُولُ: أَخِي قَبْضَةُ الْوَرَعِ، وَأَنَا بَسَطْتُني الْمَعْرِفَةَ، إِنَّمَا أَنَا ضَيْفٌ فِي دَارِ مَوْلَايَ
مَهْمَا أَطْعَمَنِي أَكَلْتُ.

وَقِيلَ لَهُ: كُلُّ مَنْ دَعَاكَ تَمَرُّ إِلَيْهِ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا ضَيْفٌ، أَنْزَلُ حَيْثُ أَنْزَلُونِي.
وَكَانَ يَقُولُ: يَا نَفْسُ، أَخْلِصِي تَتَخَلَّصِي.

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ دَنَا مِنْ قَبْرِهِ فَتَدَلَّى، وَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا وَوَلَّى،
سَنَةَ إِحْدَى وَمِثْتَيْنِ بِبَغْدَادَ، وَقِيلَ: سَنَةَ مِثْتَيْنِ.

وَقَدْ أَسْنَدَ الْحَدِيثَ عَنْ جَمَاعَةٍ.

* * *

(٢٨٤) مَمَّشَادُ الدِّينُورِيِّ^(*)

مِنْ كِبَارِ الْمَشَائِخِ، كَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ وَالسِّيَاسَةِ، مُتَحَلِّيًا بِعُقُودِ الدِّيَانَةِ

(١) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ مُسْتَدْرِكٌ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ٣٢/ب، وَالْمَخْتَارُ ٣٧٤/أ.

(*) طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ ٣١٦، حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ١٠/٣٥٣، الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ ١/١٥٥، مَنَاقِبُ

الْأَبْرَارِ ١٥٦/ب، صِفَةُ الصَّفْوَةِ ٤/٧٨، الْمَخْتَارُ مِنْ مَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ٣٧٥/ب، سِيرُ =

والرِّيَاسَة، متلفِعاً برداءِ التَّوَاضُّعِ والأدبِ، بِالِغَا فِي طَرِيقِ القَوْمِ أَعْلَى الرُّتَبِ،
مُقْتَفِياً آثَارَ مَشَايخِ الطَّرِيقَةِ، سَالِكاً سَبِيلَ التَّصَوُّفِ عَلَى الحَقِيقَةِ.

صَحِبَ ابْنَ الجَلَاءِ، وَمَنْ فَوْقَهُ، وَكَانَ رَأْساً عَظِيماً فِي الزُّهْدِ، مَتِيناً الدِّيَانَةَ،
رَصِيناً الصِّيَانَةَ، لَهُ أَوْرَادٌ يَقُومُ بِأَوْقَاتِهَا، وَيَعُدُّ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَطْيَبِ أَقْوَاتِهَا.

ومن فوائده:

الهِمَّةُ مَقْدَمَةُ الأَشْيَاءِ، فَمَنْ صَلُحَتْ هِمَّتُهُ، وَصَدَقَ فِيهَا، صَلَحَ لَهُ مَا وَرَاءَهَا
مِنَ الأَعْمَالِ والأَحْوَالِ.

وقال: أَحْسَنُ النَّاسِ حَالاً مَنْ أَسْقَطَ عَن نَفْسِهِ رُؤْيَةَ الخَلْقِ، وَكَانَ فِي
الخَلَوَاتِ لِسِرِّهِ مُرَاعِياً، وَعَاعْتَمَدَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى مَنْ لَهُ أَضْحَى كَافِلاً كَافِياً.

وقال: لِلْعَارِفِ مِرَاةٌ إِذَا نَظَرَ فِيهَا تَجَلَّى لَهُ مَوْلَاهُ فِيهَا.

وقال: إِنَّمَا وَرِثَ الحِكْمَاءُ الحِكْمَةَ بِالصَّمْتِ وَالتَّفَكُّرِ.

وقال: طَرِيقُ الحَقِّ بَعِيدٌ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ شَدِيدٌ.

وقال: مَنْ دَخَلَ عَلَى شَيْخٍ بِحِظِّهِ انْقَطَعَ عَن بَرَكَتِهِ^(١).

وقال: صُحْبَةُ أَهْلِ الصَّلَاحِ تُورِثُ فِي القَلْبِ الصَّلَاحَ، وَصُحْبَةُ أَهْلِ الفَسَادِ
تُورِثُ فِيهِ الفَسَادَ.

وقال: لَوْ جَمَعْتَ حِكْمَةَ الأَوَّلِينَ والأَخْرِينَ، وَادَّعَيْتَ أَحْوَالَ الأَوْلِيَاءِ
وَالصَّادِقِينَ، لَمْ تَصِلْ إِلَى دَرَجَةِ العَارِفِينَ حَتَّى تُسْكِنَ سِرِّكَ^(٢) إِلَى اللَّهِ، وَتَتَّقَ بِهِ
فِي مَا ضَمِنَ لَكَ.

وقال: مَا أَقْبَحَ الغَفْلَةَ عَن طَاعَةِ مَنْ لَا يَغْفُلُ عَن بَرِّكَ! وَعَن ذِكْرِ مَنْ لَا يَغْفُلُ
عَن ذِكْرِكَ!.

= أعلام النبلاء ١٣/٥٦٣، طبقات الأولياء ٢٨٨، النجوم الزاهرة ٣/١٧٩، طبقات

الشعراني ١/١٠٢، وورد اسمه في طبقات الصوفية، وطبقات الأولياء: ممشاذ.

(١) في طبقات الصوفية ٣١٧: إن من دخل على شيخه بحظه، انقطع بحظه عن بركات
رؤيته، ومجالسته، وأدبه، وكلامه.

(٢) في طبقات الصوفية ٣١٦، وحلية الأولياء ١٠/٣٥٣: حتى يسكن سرُّك . . .

وأشرف على قوم فيهم قَوَالٌ، فسكّتوا، فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه، فلو
جُمِعَتْ ملاهي الدنيا في أُذني ما شغلَ هَمِّي، ولا شَفَى بعض ما بي.

وقال: مُدُّ علمتُ أنّ أحوالَ الفقراءِ كلّها جِدٌّ لم أُمَازِخَ فقيراً؛ وذلك أنّ فقيراً
قَدِمَ عليّ فقال: أريدُ أن تتخذَ لي عَصِيدَةً؛ فجرى على لساني: إرادةٌ وعَصِيدَةٌ!
فتأخَّرَ الفقيرُ ولم أشعر، فأمرتُ باتّخاذِها، وطلبتُه، فقيل: انصرف فوراً، وهو
يقول: إرادةٌ وعَصِيدَةٌ، وهامَ على وجهه في البادية، ولم يزل يقولها حتى مات.
ومن كراماته:

أنّه خرجَ من داره فنبَحَهُ كلبٌ، فقال: لا إله إلا الله، فماتَ الكلبُ مكانه
فوراً، ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام»^(١).

وقيل لممشاد عند الموت: كيف تجدك العلة^(٢)؟ قال: سلوا العلة عني،
فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فحوّل رأسه إلى الجدار، وقال:

أفنيْتُ كُلِّي بِكُلِّكَ هذا جَزَا مَنْ يُجِبُّكَ
ماتَ سنةَ تسعٍ وتسعينٍ ومئتين.

* * *

(٢٨٥) مَنْصُورُ بِنِ عَمَّارِ الْمَرْوِزِيِّ (*)

من كبارِ حُكَمَاءِ الشُّيُوخِ، وَعُظَمَاءِ عِلْمَاءِ أَهْلِ الرُّسُوخِ، كانَ لآلِئِ اللَّهِ

(١) الخبر في طبقات الصوفية ٣١٧.

(٢) في (ف) والمختار: كيف تجد العلة.

(*) التاريخ الكبير ٣٥٠/٧، الضعفاء للعقيلي ١٩٣/٤، الجرح والتعديل ١٧٦/٨، الثقات لابن حبان ١٧٠/٩، الكامل في الضعفاء ٣٩٣/٦، طبقات الصوفية ١٣٠، حلية الأولياء ٣٢٥/٩، تاريخ بغداد ٧١/١٣، الرسالة القشيرية ١١٢/١، مناقب الأبرار ٨٨/ب، صفة الصفوة ٣٠٨/٢، المختار من مناقب الأبرار ٣٧٦/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٥٩/٢٥، سير أعلام النبلاء ٩٣/٩، ميزان الاعتدال ١٨٧/٤، طبقات الأولياء ٢٨٦، النجوم الزاهرة ٢٤٤/٢، طبقات الشعراني ٨٣/١.

واصفاً، وعلى بابِه عاكفاً، يحوشُ^(١) العبادَ إليه، ويُلخُّ في المسألةِ عليه، وكان كبيرَ الشأنِ، واعظاً ورِعاً، اقتحمَ البراري، وقطعَ المفاوزَ في الليلِ السَّاري، حتَّى بلغَ ما أرادَ من الوصولِ، واستنفدَ الحاصلَ واستغرقَ المحصولَ.

ومن كلامه:

سلامةُ النَّفسِ في مُخالفتِها، وبلاؤها في اتِّباعِها.

وقال: النَّاسُ رُجُلَانِ: عَارِفٌ بِنَفْسِهِ فَشغَلُهُ المُجاهدَةُ والرِّياضَةُ، وعَارِفٌ بِرَبِّهِ فَشغَلُهُ الخِدْمَةُ والعبادَةُ، طَلَباً لمرضاتِهِ.

وكتبَ إليه بِشَرِّ المَرِيسِيِّ: ما قَوْلُكَ في القُرْآنِ أَمْخَلُوقٌ أَمْ لا؟ فكتبَ إليه: أَمَّا بَعْدُ، عافاني اللهُ وإيَّاكَ من كلِّ فتنَةٍ، فإنَّ يَفْعَلُ فأعْظِمُ بها من نعمةٍ، وإلَّا فهو الهَلَكَةُ، اعْلَمْ أَنَّ الكَلَامَ في القُرْآنِ بِدعةٌ اشترَكَ فيها السَّائِلُ والمُجيبُ، فتعاطى السَّائِلُ ما ليس له، وتكلَّفَ المُجيبُ ما ليس له، واللهُ تعالى الخالقُ، وما دونَ اللهِ مَخْلُوقٌ، والقُرْآنُ كلامُ اللهِ، وانتهِ^(٢) إلى أسمائه التي سمَّاه اللهُ بها تَكُنُّ من المُهتدين، ولا تبتدِعْ في القُرْآنِ من قِبَلِكَ أسماءٌ تَكُنُّ من الضَّالِّين، وذَرِ ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال: الغالبُ لهواه أشدُّ من الذي يفتحُ المدينةَ وحده.

وقال: الدَّمْعَةُ إذا بقيتْ في الجفونِ كان أبقى للْحُزَنِ في الجوفِ^(٣)، ولولا ذلك لاستراحوا إلى إسبالِ الدَّموعِ.

وقال: قلوبُ العبادِ كُلُّها رُوحانيَّةٌ، فإذا دخلها الشُّكُّ أو الخَبَثُ امتنعَ منها رُوحُها.

وقال: الحكمةُ تنطقُ في قلوبِ العارفينَ بلسانِ التَّصديقِ، وفي قلوبِ

(١) أي يسوقهم ويجمعهم، يقال حاش الإبل يحوشها حوشاً: جمعها وساقها. وفي (أ): يجوش.

(٢) في المطبوع: وائته، وانظر تاريخ بغداد ١٣/٧٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٥/٢٦٤.

(٣) في المطبوع: الجفوف، وانظر حلية الأولياء ٩/٣٢٧.

الزَّاهِدِينَ [بِلِسَانِ التَّفْضِيلِ] ^(١)، وَفِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بِلِسَانِ التَّوْفِيقِ، وَفِي قُلُوبِ
الْمُرِيدِينَ بِلِسَانِ التَّفْكِيرِ، وَفِي قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ بِلِسَانِ التَّذْكِيرِ.

وَقَالَ: مَنْ جَزَعَ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا، تَحَوَّلَتْ مُصِيبَتُهُ فِي دِينِهِ.

وَقَالَ: سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ أَوْعِيَةَ الذِّكْرِ ^(٢)، وَقُلُوبَ أَهْلِ الدُّنْيَا
أَوْعِيَةَ الطَّمَعِ، وَقُلُوبَ الزَّاهِدِينَ أَوْعِيَةَ التَّوَكُّلِ.

وَقَالَ: سَلَامَةُ النَّفْسِ فِي مُخَالَفَتِهَا، وَبِلَاؤُهَا فِي مُتَابَعَتِهَا.

أَسْنَدَ مَنْصُورٌ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ.

وَرُئِيَ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ: أَقَامَنِي، وَقَالَ: يَا مَشْغَبُ،
أَنْتَ الشَّغْبُ، لَوْلَا أَنَّكَ أَثْنَيْتَ عَلَيَّ فِي بَعْضِ مَجَالِسِكَ فَمَرَّ بِكَ وَلِيُّي مِنْ أَوْلِيَائِي
فَاسْتَحْسَنَ ثَنَاءَكَ عَلَيَّ فَاسْتَوْهَبَكَ مِنِّي لَعَذَّبْتُكَ.

* * *

(١) ما بين معقوفين مستدرَك من طبقات الصوفية ١٣٥، والمختار.

(٢) في المطبوع: الفكر، والمثبت من (أ) و (ب)، وطبقات الصوفية ١٣٥.

(حرف النون)

(٢٨٦) نفيسة بنت الحسن (*)

نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وُلِدَتْ بِمَكَّةَ سنةَ خمسٍ وأربعين ومئة، ونشأت بالمدينة في العبادة والزَّهَادَةِ، تَصُومُ النَّهَارَ، وتَقُومُ اللَّيْلَ، وتَزَوَّجَتْ إِسْحَاقَ الْمُؤْتَمِنَ بنَ جَعْفَرَ الصَّادِقِ، فولدت منه: القاسمَ، وأمَّ كلثومَ، ثم قدمت مصرَ بها بنتُ عمِّها سَكِينَةُ المدفونةُ بِقُرْبِ دارِ الخِلافةِ بِمِصْرَ.

وكان لها بها الشُّهْرَةُ التَّامَّةُ بِالوِلايَةِ، فخلعتُ عليها الشُّهْرَةَ، واختفت، فصارت لنفيسة القبولُ التَّامُّ بين الخاصِّ والعامِّ، ولا زالت كذلك حتى ماتت في رمضان سنة ثمانٍ ومئتين.

احتضرتُ وهي صائمةٌ، فألزموها بالفطْرِ، وألحوا، وأبرموا، فقالت: واعجباه، لي مُنذُ ثلاثين سنةً أسألُ اللهَ أنْ ألقاهُ وأنا صائمةٌ، أُفِطِرُ الآنَ ؟ هذا لا يكونُ^(١)، ثم قرأتُ سورةَ الأنعامِ، فلمَّا وصلتُ إلى قوله تعالى: ﴿ هَلْ لَهُمْ دَارُ السَّلْكِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٢٧] ماتت.

(*) وفيات الأعيان ٥/٤٢٣، سير أعلام النبلاء ١٠/١٠٦، العبر ١/٣٥٥، عيون التواريخ ٧/٢٢٦ أ، مرآة الجنان ٢/٤٣، طبقات الأولياء ٧/٤٠٧، الكواكب السيارة لابن الزيات ٣١ وما بعدها، تحفة الأحياب للسخاوي الحنفي ١٢٨ وما بعدها، النجوم الزاهرة ٢/١٨٥، حسن المحاضرة ١/٥١١، طبقات الشعراني ١/٦٨، شذرات الذهب ٢/٢١، خطط مبارك ٥/١٣٥، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٧٨.

(١) في (أ): هذا شيء لا يكون.

وكانت قد حفرت قبرها بيدها، وصارت تنزل فيه وتُصلي، وقرأت فيه ستة آلاف ختمة، فلما ماتت اجتمع الناس من القرى والبلدان، وأوقدوا الشموع تلك الليلة، وسمع البكاء من كل دار بمصر، وعظم الأسف عليها، وصلي عليها في مشهد حافل لم ير مثله، بحيث امتلأت الفلوات والقيعان.

ثم دُفنت في قبرها الذي حفرته في بيتها بدرب السباع بالمراغة، محل معروف بينه وبين مشهدها الذي يُزار الآن مسافة بعيدة، ثم ظهرت في هذا المكان الذي يُزار الآن؛ لأنَّ حكم أرباب البرزخ حكم إنسان تدلى في تيار جار فيطفو بعد ذلك في مكان آخر، فطفت في هذا الموضع الذي هي فيه الآن، وخاطبت بعض الأولياء منه، قاله الشيخ علي الخواص.

وذكر لي الشيخ حشيش الحمصاني: أنها خاطبته من الأول أيضاً.

وكان الشافعي يعتقدُها ويَزرُها، ولما مات أمر أمير مصر أن يمرؤوا على بيتها، فمرؤوا به عليها حتى صلت عليه مأمومة في جماعة من النساء.

قال الذهبي: وكان والدها من سروات العلويين وأشرفهم وأجوادهم، ولي المدينة للمنصور خمس سنين، ثم حبسه حتى مات المنصور، فأخرجهُ المهدي وأكرمه، ولم يزل معه حتى مات في طريق الحج.

ولنفسه كرامات كثيرة منها: أن النيل توقف في أوان الوفاء^(١)، فضج الناس، وأتوها، فأعطتهم قناعها وقالت: اطرحوه فيه، ففعلوا فأوفى من ساعته.

ومنها: أن أمتها جوهرة خرجت ليلة ذات مطر كثير لتأتيها بماء للوضوء، فخاضت ماء المطر فلم يبتل قدمها.

ومنها: أنها لما قدمت مصر نزلت بيت يهودي له ابنة مقعدة، فذهبوا إلى الحمام وتركوها عندها، فأخذت من فضل وضوئها وجعلته على مكان وجعها، فقامت تمشي كأنما نشطت من عقال، فأسلم أهلها كلهم.

(١) وفاء النيل: هو ارتفاع منسوب مياه النيل في شهر آب إلى ستة عشر ذراعاً، وبه يتم الخير، ويؤمن الجذب. انظر صبح الأعشى ٣٢٨/٨، و«لأجل النيل» صفحة: ١٢.

وقبرها معروفٌ بإجابة الدعاء، وعليه مهابةٌ ونورٌ، مقصودٌ للزيارة من كلِّ
جهةٍ، وأرادَ زوجها نقلها إلى المدينة، ودفنها بالبقيع، فسأله أهلُ مصرَ في
تركها عندهم للتبرُّك، ويُقالُ بذلوا له مالاً كثيراً، وقيل: بل رأى
المصطفى ﷺ، فقال له: يا إسحاق^(١)، لا تُعارضُ أهلَ مصرَ في نفيسة، فإنَّ
الرَّحمةَ تنزلُ عليهم ببركتها.

وكان أخوها أبو القاسم بن الحسن زاهداً عابداً سكنَ أولاده نيسابور،
والسيِّدُ العدويُّ^(٢) شيخُ البيهقي من أولاده.

* * *

(١) في الأصول: يا أبا إسحاق، وأجمعت المصادر كما مر أنه إسحاق بن جعفر.
(٢) في سير أعلام النبلاء ١٠/١٠٧: أخوها القاسم... والسيد العلوي.

(حرف الياء المثناة تحت)

(٢٨٧) يحيى بن مُعَاذ الرَّازِي (*)

المَادِحُ الشُّكَّارِ، الْقَانِعُ الصَّبَّارِ، كَانَ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ، نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ، لَهُ سَطْوَةٌ تَكْفُتُ الْأَيْدِيَ عَنِ الْجَوْرِ، وَمَهَابَةٌ تُزْعِزُ كُلَّ جَبَّارٍ مُتَعَدِّي الطُّورِ، لَزِمَ الْحِدَادَ تَوْقِيًّا مِنَ الْمَعَادِ، وَاسْتَلَذَّ الشُّهَادَ تَحْرِيًّا لِلْوِدَادِ، وَاحْتَمَلَ الشَّدَادَ تَوْضُلًا إِلَى الْعِتَادِ.

وَكَانَ يَلْبَسُ الْخُلُقَانَ وَالْعِبَاءَةَ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهِ، ثُمَّ صَارَ يَلْبَسُ النَّاعِمَ مِنَ الثِّيَابِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ، فَقَالَ: مِسْكِينٌ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى لِبْسِ الْحَسَنِ، فَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى النَّاعِمِ، أَوْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ بِلَا مَيْلٍ وَشَهْوَةٍ؟! وَمِنْ فَوَائِدِهِ:

إِنْ وَضَعَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ عَدْلَهُ، لَمْ يُبْقِ لَهُمْ حَسَنَةً، وَإِنْ أَنَالَهُمْ فَضْلَهُ، لَمْ يُبْقِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَةً.

وَقَالَ: مَفَاوِزُ الدُّنْيَا تُقَطَّعُ بِالْأَقْدَامِ، وَمَفَاوِزُ الْآخِرَةِ بِالْقُلُوبِ.

وَقَالَ: مَنْ اسْتَفْتَحَ بَابَ الْمَعَاشِ بِغَيْرِ مَفَاتِيحِ الْأَقْدَارِ وَكَلَّ إِلَى الْخَلْقِ.

(*) طبقات الصوفية ١٠٧، حلية الأولياء ٥١/١٠، تاريخ بغداد ٢٠٨/١٤، الرسالة القشيرية ١٠١/١، مناقب الأبرار ٧٤/ب، المنتظم ١٦/٥، صفة الصفوة ٩٠/٤، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٠/ب، وفيات الأعيان ١٦٥/٦، سير أعلام النبلاء ١٥/١٣، العبر ١٧/٢، مرآة الجنان ١٦٩/٢، ١٧٠، البداية والنهاية ٣١/١١، طبقات الأولياء ٣٢١، النجوم الزاهرة ٣٠/٣، طبقات الشعراني ٨١/١، شذرات الذهب ١٣٨/٢.

وقال: الوحدةُ جَلِيسُ الصَّدِيقِينَ^(١).

وقال: مَنْ خَالَطَ النَّاسَ دَارَاهُمْ، وَمَنْ دَارَاهُمْ رَاءَاهُمْ.

وقال في مُنَاجَاتِهِ: رَجَائِي لَكَ مَعَ الذُّنُوبِ يَغْلِبُ رَجَائِي لَكَ مَعَ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنِّي أَجِدُنِي أَعْتَمِدُ فِي الْأَعْمَالِ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَأَنَا بِالْآفَاتِ مَعْرُوفٌ، وَأَعْتَمِدُ فِي الذُّنُوبِ عَلَى عَفْوِكَ وَأَنْتَ بِالْجُودِ مَوْصُوفٌ.

وقال: مِسْكِينُ ابْنِ آدَمَ، قَطَعُ الْأَحْجَارِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الْأَوْزَارِ.

وقال: الْعَارِفُ يَشْتَغِلُ بِرَبِّهِ عَنِ مُفَاخِرَةِ الْأَشْكَالِ فِي مَجَالِسِ الْعَطَايَا، وَعَنِ مُنَازَعَةِ الْأَضْدَادِ فِي مَجَالِسِ الْبَلَايَا.

وقال: تَضَاكَتِ الْأَشْيَاءُ إِلَى الْعَارِفِينَ بِأَفْوَاهِ الْقُدْرَةِ عَنْ مَلِيكَهِمْ، لَمَّا يَرُونَ فِيهَا وَيُعَايِنُونَ مِنْ بَدَائِعِ خَلْقِهِ مَعَهَا، فَلَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ مُعْتَبَرٌ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مُدَّكَّرٌ.

وقال: زَلَّةٌ وَاحِدَةٌ بَعْدَ التَّوْبَةِ، أَقْبَحُ مِنْ سَبْعِينَ قَبْلَهَا.

وقال: فِي سَعَةِ الْأَخْلَاقِ كُنُوزُ الْأَرْزَاقِ.

وقال: الْعُقْلَاءُ ثَلَاثَةٌ: مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهُ، وَبَنَى قَبْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ، وَأَرْضَى خَالِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ.

وقال: إِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِيمَانُ هَادِمًا لِلسَّيِّئَاتِ، كَمَا أَنَّ الْكُفْرَ هَادِمٌ لِلْحَسَنَاتِ، فَمَا فَضْلُ الْإِيمَانِ؟

وقال: لَا يُفْلِحُ مَنْ شَمَّتْ مِنْهُ رَائِحَةُ الرِّئَاسَةِ.

وقال: جِمَاعُ الْأَمْرِ فِي شَيْئَيْنِ: سُلُوكِ الْقَلْبِ مَعَ اللَّهِ عَلَى حُصُولِ مَا قَامَ، وَالْاجْتِهَادِ فِي رِضَاهِ.

وقال: مُصِيبَتَانِ لَمْ يَسْمَعْ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِمَثَلِهِمَا لِلْعَبْدِ فِي مَا لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ: يُؤْخَذُ عَنْهُ كُلُّهُ، وَيُسْأَلُ عَنْهُ كُلُّهُ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَفِي طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ١١٢، وَالْمَخْتَارُ ٣٩٠/ب: الْوَحْدَةُ مُنِيَّةُ الصَّدِيقِينَ.

وقال : لا تَسْتَبْطِي الإِجَابَةَ إِذَا دَعَوْتَ ، وَأَنْتَ سَدَدْتَ طُرُقَهَا بِالذُّنُوبِ ، وَأَكَلِ الحَرَامِ .

وقال : اترك الدنيا قبل أن تتركك ، واجهد في رضا ربك قبل لقائه ، وعمّر بيتك الذي تسكنه قبل انتقالك إليه . يعني القبر .

وقال : الدنيا قنطرة الآخرة ، فاعبروها ولا تعمروها .

وقال : ليس من العقل بُنيانُ القصورِ على الجسور .

وقال : ذنبُ أفقرٍ به أحبُّ إليَّ من طاعةٍ أُعجِبُ بها .

وقال : حقيقة المحبة لا تزيد بالبرِّ ، ولا تنقص بالجفاء .

وقال : الدنيا خرابٌ ، وأخرَبُ منها قلبٌ من يعمرها ، والآخرة عمرانٌ ، وأعمَرُ منها قلبٌ من يطلبها .

وقال : أخوك من عرفك العيوب ، وصديقك من حذرك الذنوب ، وعجبت ممن يحزن على نقص ماله ، كيف لا يحزن على نقص عمره ؟ .

وقال : من قوّة اليقين ترك ما ترى لما لا ترى .

وقال : لا تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت^(١) ، ولا تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت .

وقال : الدنيا خمر الشيطان ، من سكر منها لا يفوق إلا في عسكر الموتى .

وقال : التواضع حسن في كلِّ أحدٍ ، لكنّه في الأغنياء أحسن ، والتكبر قبيح في كلِّ أحدٍ ، لكنّه في الفقراء أقبح .

وقال : الجوع نورٌ ، والشبع نازٌ ، والشهوة كالحطب يتولد منه الإحراق ، ولا تنطفىء ناره حتى تحرق صاحبه .

وقال : علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات .

(١) في المطبوع : عليه القرب ، وفي (أ) و (ب) : عليك القرب ، وفي حلية الأولياء

٦٠/١٠ : الفوت ، والمثبت من طبقات الصوفية ١١٢ ، والمختار من مناقب الأخيار

١/٣٩١ .

وقال : إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ عَنْ قَوْمٍ فَغَفَرَ لَهُمُ السَّيِّئَاتِ ، وَغَضِبَ عَلَى قَوْمٍ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ الْحَسَنَاتِ .

وقال : الدُّنْيَا بَحْرُ التَّلْفِ ، وَالنَّجَاةُ مِنْهُ الزُّهْدُ .

وقال : يَا غَفُولَ ، يَا جَهُولَ ، لَوْ سَمِعْتَ صَرِيرَ الْقَلَمِ حِينَ يَجْرِي بِذِكْرِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِثَّ طَرَبًا .

وقال : مَنْ أَصْبَحَ بِالدُّنْيَا مَشْغُولًا أَصْبَحَ الْخَيْرُ عَنْهُ مَصْرُوفًا .

وقال : عَلَى قَدْرِ حُبِّ الْعَبْدِ لِلَّهِ يُحِبُّهُ إِلَى عِبَادِهِ ، وَعَلَى قَدْرِ تَوْقِيرِهِ لِأَمْرِهِ يُوقِّرُهُ خَلْقُهُ .

وقال : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَفْضَحُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ مِيرَاثُهُ ، وَيَوْمَ حَشْرِهِ مِيزَانُهُ .

وقال : بِقَدْرِ تَعَلُّقِ قَلْبِكَ بِالدُّنْيَا يَكُونُ بُعْدُكَ عَنِ اللَّهِ .

وقال : إِذَا أَحَبَّ الْقَلْبُ الْخُلُوةَ فَقَدْ يُوَصِّلُهُ حُبُّهُ ^(١) إِلَى اللَّهِ وَالْأُنْسَ بِهِ ، وَمَنْ

أَنِسَ بِاللَّهِ اسْتَوْحَشَ مِنْ غَيْرِهِ .

وقال : أَعْمَالٌ كَالسَّرَابِ ؛ وَقُلُوبٌ مِنَ التَّقْوَى خَرَابِ ، وَذُنُوبٌ بَعْدَ التُّرَابِ ،

وَتَطْمَعٌ مَعَ هَذَا فِي الْكَوَاعِبِ الْأَتْرَابِ ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، أَنْتَ سَكْرَانٌ بِغَيْرِ شَرَابِ .

وقال : الْفَوْتُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ ؛ لِأَنَّ الْفَوْتَ انْقِطَاعٌ عَنِ الْحَقِّ ، وَالْمَوْتَ

انْقِطَاعٌ عَنِ الْخَلْقِ .

وقال : الزُّهْدُ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ : الْقِلَّةُ ، وَالْخُلُوةُ ، وَالْجُوعُ ، وَمَنْ خَانَ اللَّهَ تَعَالَى

فِي السَّرِّ هَتَكَ سِتْرَهُ فِي الْعِلَانِيَةِ .

وقال : مَنْ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرُهُ مَعَ الْعَوَامِّ فِضَّةً ، وَمَعَ الْمُرِيدِينَ ذَهَبًا ، وَمَعَ

الْعَارِفِينَ دُرًّا وَيَاقُوتًا فَلَيْسَ مِنْ حُكَمَاءِ اللَّهِ الْمُؤَيَّدِينَ ^(٢) .

وقال : أَحْسَنُ شَيْءٍ كَلَامٌ صَحِيحٌ مِنْ لِسَانِ فَصِيحٍ .

(١) فِي (أ) : حِبَّهَا .

(٢) فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ ١٠ / ٦٩ : حُكَمَاءِ اللَّهِ الْمُرِيدِينَ .

وقال : ما بَعْدَ طَرِيقٍ إِلَى صَدِيقٍ .

وقال : مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ ، لَوْ خَافَ النَّارَ كَمَا يَخَافُ الْفَقْرَ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

وقال : مَا صَحَّتْ إِرَادَةُ أَحَدٍ قَطُّ فَمَاتَ حَتَّى حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ وَاشْتَهَاهُ اشْتِهَاءَ الْجَائِعِ إِلَى الطَّعَامِ .

وقال : مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الدَّقِيقِ مِنَ الْوَرَعِ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْجَلِيلِ مِنَ الْعَطَاءِ .

وقال : التَّوْحِيدُ نُورٌ ، وَالشُّكُّ نَارٌ ، وَلِنُورِ التَّوْحِيدِ أَحْرَقُ لَسِيئَاتِ الْمُؤَحِّدِينَ مِنْ نَارِ الشُّكِّ لِحَسَنَاتِ الْمُؤَحِّدِينَ .

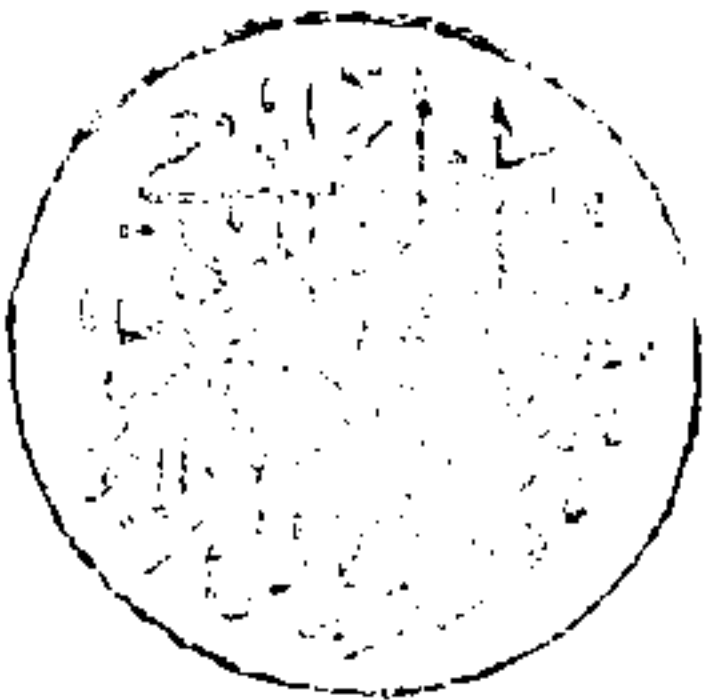
وقال : إِنْ نَظَرَ إِلَيْكَ مَرَّةً فَرَّغَكَ لِذِكْرِهِ ، وَإِنْ فَرَّغَكَ لِذِكْرِهِ مَنْ عَلَيْكَ بِحُبِّهِ ، وَإِنْ مَنْ عَلَيْكَ بِحُبِّهِ نَاجَاكَ بِقُرْبِهِ .

وقال : إِنْ لَمْ يَكُنْ عِبَادًا إِذَا مَشَوْا عَلَى الْأَرْضِ اهْتَرَّتْ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ سُرُورًا بِهِمْ .

وَقُرِئَ عِنْدَهُ : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه : ٤٤] فَبَكَى ، وَقَالَ : هَذَا رِفْقُكَ بِمَنْ يَقُولُ أَنَا إِلَهٌ ، فَكَيْفَ رَحْمَتُكَ بِمَنْ يَقُولُ : أَنْتَ الْإِلَهُ ؟ هَذَا رِفْقُكَ بِمَنْ يُعَادِيكَ ^(١) ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَوَلَّاكَ وَيُنَادِيكَ ؟ هَذَا رِفْقُكَ بِمَنْ يَقُولُ : أَنَا الرَّبُّ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَقُولُ : أَنَا الْعَبْدُ وَأَنْتَ الرَّبُّ ؟ .

وقال : كَمْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ مَمْقُوتٍ ، وَسَاكِتٍ مَرْحُومٍ ، هَذَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَقَلْبُهُ فَاجِرٌ ، وَهَذَا سَاكِتٌ وَقَلْبُهُ ذَاكِرٌ .

وَدَخَلَ عَلَى عَلَوِيِّ زَائِرًا ، فَقَالَ الْعَلَوِيُّ : مَا يَقُولُ الْأُسْتَاذُ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ ؟ فَقَالَ : مَا أَقُولُ فِي طِينِ عُجْنِ بَمَاءِ الْوَحْيِ ، وَغُرْسِ بَمَاءِ الرِّسَالَةِ ، فَهَلْ يَفُوحُ مِنْهُمَا إِلَّا مِسْكُ الْهُدَى ، وَعَنْبَرُ التَّقَى ؟ فَمَلَأَ الْعَلَوِيُّ فَاهُ دُرًّا ، ثُمَّ زَارَهُ الْعَلَوِيُّ مِنَ الْغَدِ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى ^(٢) : إِنْ زُرْتَنَا فَبِفَضْلِكَ ، وَإِنْ زُرْنَاكَ فَبِفَضْلِكَ ، فَلَكَ الْفَضْلُ زَائِرًا وَمَزُورًا .



مَاتَ بَنِيْسَابُورَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِئَتِينَ .

(١) فِي (أ) : هَذَا رِفْقُكَ بِمَنْ يَقُولُ أَنَا إِلَهٌ وَمَنْ يُعَادِيكَ .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ : صَاحِبُ التَّرْجُمَةِ .